الرسائل الكبرى للعلامة الإمام البحر الفهامة الهمام الولي الشهير العارف الكبير سيدي محمد ابن عباد رضي الله عنه آمين

الحمد لله هذا من أجل نعم الله تعالى على عبده ورهين
كسبه محمد بن ابو بكر [illegible] القصوري الساكن [illegible]
تملكه بالشراء في [illegible] 29 رجب الفرد الحرام عام 1339

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

وبعد فقد بلغنا أنكم كتبتم في بعضها مسألة الخاتم وأن دعوة التي أخرتم فيها توسلا بهذا الاسم
الفرد المذكور ونحو ذلك من الأمور الجائزة والله أعلم وقد ترجم البخاري رحمه الله في كتابه
على محبة كون العمل وأدخل الحديث المذكور فيه قبلة الرحم ولسنا ننكر خواص الأسماء
والحروف ونفعها في ذلك المطلب وإنما استقبح حال من يفعل العمل به كالمذكور عليه وغيره
ويجعل ذكر الله تعالى وأسمائه وسيلة إلى غيره وذلك غبن في الدار وخسر في الربح وقد يكون
بعض ذلك من التوغل في أسباب العادة في مقام التوكل كما بسطته فلا وجه له هذا
ما عندي في المسألة والله تعالى أعلم وأما ما طلبتموه من الكلام على مسائل البداية
فذلك مما غير محتاج إلى التكلم عليه لأن الفضل ابن خير من فوق كاتبه ومن حضر في أن عدم
أخذ في طريق التصوف الخالص لا يحتاج غير ما عندنا عليه الآن من المعنى وأعلم أن الحق
يستبين في المسألة فلا بد من يعلم التصوف وثمرته وفائدته لأن الحكم على الشيء ردا أو قبولا معنى
فرع عن كونه معقولا وجملة التصوف كون العبد على حالة ترضي مولاه عنه ومحبته
له وذلك على قسمين علم وعمل فالعلم يستفاد به تصحيح عقائد أهل الدين ومقاصد
المكلفين والعمل يستفاد به قيام العبد بحسن الأدب بين يدي رب العالمين لتحقق عبوديته
له في كل حال وفي كل حين ومعنى ذلك وحقيقته ما جاء به إلينا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
من الدين القويم والصراط المستقيم ومدار ذلك على الإسلام الذي لا يقبل الله تعالى سواه ولا يرتضي
من أحد دينا غيره ومعناه الخضوع والاستسلام لنوافذ الأحكام والانقياد والإذعان
لمقتضيات أوامره ظاهرا وباطنا وسرا وعلانية من غير حرج في الصدر ولا غبن في
القلب ولا تلكؤ في التعبير فإذا كان هذا معنى التصوف لم يتصور ممن آمن بالله
واليوم الآخر أن يهمله أو يشتغل عن استعمال النفس فيه أو تشاغل عنه بغيره فإن ذلك إنما بغيره
يكون لعدم معرفته به ومن هنا تعلم أن كثيرا من طلبة العلم يعدو عمره في غرور إذا اشتغلوا
قبل لا بد من الفقه المصطلح عليه الذي هو أقرب العلوم في الظاهر إلى المقصود وكم يعتنوا قبل

فذلك

ذالك بتصحيح نياتهم وقد صرح بهم بكريو التصوف كانوا بذالك متشعبين في مذاهبهم منفردين
في رايهم وذالك مثل اللهو واللعب الذين جزوله في المنقلب وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا
ولهوا وغرتهم الحياة الدنيا فلا رادع عن احد منهم ان ينشئ في ذالك صحيفة قبل الذي من اين
له هذا وانى لم تسلك طريقه فهذا مما ينقطع به الغذاء للاسبيل الى ذالك الا اذا
عرف بستمر في كلام القوم فانه في ذالك الكريو تكشف له خدع النفس وخفايا افتات بعد
التعرف والطبع وفيه يتبين اياله خفي الشيطان وحيلته ودقايق الافات وجلايلها فيكون
اذ ذالك اخذا فيه ببابه يبقى غير مشوب بغرض هواه وعند ذالك يكون خارجا
من كريو التصوف الذي غيره لا لانا نحسب ذالك من جملة اعمال البر المطلوبة منه في التحقيق لعكف
بمعناه وقد قدمنا ان العمل احق فيستحق مدلوله ومصداقه وقد ذكرنا من ثمرات التصوف لما
ذكرناه من المعاني وما يقوله الشيخ ابو نعيم رحمه الله حين ذكر السادات من الصحابة والتا بعين
وايمة المسلمين وحلى كل واحد بحليته وبصفة بصفته فانه يقول وقد قيل ان التصوف كذا
وقد قيل ان التصوف كذا اشعارا منه بانهم وان اختلفت كلماتهم وتعددت عباراتهم وتباينت
في البيت ومراتبهم فذالك كما في مدلول هذا الاسم وخرج بذالك في مقتضاه بما وقر ستهم للانه
والحاصل من هذا الاخير تعنيب وعقد حق ومعناه بالكلي فان قلت انكم حصرتم
الامر في كريو واحد وعن كريو التصوف وابطلتم تعدد الكريو فمن اين وقع الاختلاف بين
الناس حتى تزعمت كل فرقة ان جهتها وارتضت مذهبا خلاف مذهب صاحبها فاقول
لما حدثت البدع وان هواه كثرة الخلاف وتشعبت الاراء اقتصر هذا المعنى في الكتاب
المذكور فيه البدعة والتغليط من جملة الكتب التي عندكم فانه احب ان ابيح بتلبسي من التطويل
الذي لا فايدة فيه مع انه اظهر من كل ظاهر ✤ وليس يصح في الاذهان شي ✤
✤ اذا احتاج النهار الى دليل ✤ قال فلنقتصر على الاشارة لحال التصوف في زمان
الصحابة والتابعين ووقع من التدقيق والتحقيق فيه وما وقع بين ايمتهم لا سيما من كان
المتاخرين فاقول معناه بكماله عندهم وبدا عليه وجود ثم انه من دعوتهم الى البدع والاهواء
كلمته وجنا مقدرة من عادل واشم بدبه وشغلهم بعد اصول الزمن عن من التبجح في علمهم واعطاء
النكث فيما لا عناية به ولا عناية له مع انهم مستغنون عن هذا الكلية بما لهم ثم قد فيه من نقار
التوحيد فلما قدر الله تعلى بما قدر به من ذهاب الدين وخفا انوار الايمان واليقين وخرج

المنافس من الذين افردوا كما دخلوا فيه افواجا افراد اصحاب الخصوصيات بانفسهم واعتزلوا
عن ابناء جنسهم اذ لم يشتغلوا بالتشاغل بغيرهم فتفرغوا لما لم يتفرغ له الاولون من التفنن
في علوم التوحيد والتحقق بمقامات اهل الفناء والتجريد الى غير ذالك من تربية وتهذيب وتصنيف
وتبويب وجمع وترتيب وكان دون ذالك خلوة في المقام من خلوة لما اشتغل غيرهم من اشتغال
الغيرة والتلين به سوائهم من استعمالاته فجعلوا لعزلة وهولاء اشباههم من الذين نعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم زوينهم واشتاق اليهم وسماهم اخوانه وهم المعنيون
بقوله صلى الله عليه وسلم ان لله عبادا ليسوا بانبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء
قال الشيخ ابو عبد الرحمان السلمي رحمه الله سئل بعض اهل المعرفة عن قوله صلى الله عليه
وسلم يغبطهم الانبياء والشهداء كيف يغبطهم الانبياء وهم فوقهم في الحال فقال ان الانبياء
شغلوا بفرائض الابلاغ ومشاهدة الخلق وهولاء لم يكلفوا ذالك فلم يشغلهم عن الله
شيء فلذالك يغبطهم الانبياء وان كان الانبياء اعلى واتم وانظر شيئا من هذا المعنى في اول
كتاب الكواكب المنيرة فيهم انهم يقلون في كل زمان حتى يكاد ينقرض منهم اثر وهذا هو ان ذالك
فنسئل الله تعالى حسن العاقبة وجميل الخاتمة فاذا فهمت فاذكر ذالك في معنى التصوف
ورجعت الى ما ذكره صاحب الدرر فعلمت منه انه لا يتحصل الا من كان له حقيقة تشد
عليها يديه فان قوله ومن كان له اعظم اخذ في طريق التصوف انما هو لرجال عبيد ما عند
عانيا يقتضي ان هنالك طريقين فوصلين والاجر بما اقصد من الاخ وقد قدمنا ان الطريق واحد
تفكم كما ان الدين المحمدي واحد وقوله لا كثير رجال منعه من السعي في كل الحد رقبته فصدر بها الى
ذكر الموانع له من الشغل يغذ كم بها التصوف على الجملة ومن قصر فمقتضى هذا الكلام ان يتصور
في حقه مانع منه كما قدمنا الا ان يكن يحمله عليه كما حمله على سلوك طريق غيره بن جمعه
لا سيما في القسم العلمي منه واذا اخذ في ذالك بالتعلم وان جميعا دون ما للعدالة الى القسم
العملي لينازله ويتحقق به ولم يمنعه منه ما ذكر وقوله اذ رجل اسرته شهوات نفسه الى اخر
هذا المعنى فصرفه الى تفصيل الموانع التي توهمها موانع وليس كذالك بل هي بواعث ومعينات
على التحقيق لان الفقراء اعلم ان ليس التمسك والا لو استعملوا فيه نصيبه وعنائه وقد اخشى
فيه من وجه واساء فيه من وجه اما وجه استحسانه فلما فيه من تتمة التعبير والثناء عليهما
بالذم والمدح واما وجه استقباحه فمن جهة غفلته عن النعم التي نعمت هذه المساوي كلها

في شرح الحديث

وارينا علينا ولعل من جملة النعم عليه تعريفه للاعتراف والاعتذار وعدم المعاندة —
والاستكبار ولو ان سيدا خلع على عبده خلعة عظيمة تثني عليه فقابحه وعيوبه ثم
انه لم يجعل بين الدون بروعه راسا بل اخذ بيده للناس فاستر عليه مولاه العز ذالك منه
سوء ادب للاستهانة بالخلعة واحتقار لها وانما يستحسن منه ذالك في حالة او بعادة
شيء من نعوت السيادة له واضافتها اليه بحيث يخشى من نفسه وجود الحمية والاعتزاز
ينوبهم بذالك وجود مشاركة فلا يعتبر ذالك بغضب السيد ويبرا من نفسه فايلين بعبوديتهم
ونفقته وادبه ولهذا اخبر عن عايشة رضي الله عنها قالت اذا راي فعلا واستزادته فعل الاستاذ
علينا ابن عباس رضي الله عنه في ان يزورها او يعودها قالت فلا افعل به من حيني وبيني
على او كما قالت فلما اذن تناله ودخل عليها وقع منه ذالك وقال لها انت لكيت وكيت
وانك لذيت وذيت فقالت يا ليتني كنت نسيا منسيا وذالك منزلهم اذ بقوله صلى الله عليه
ولم احثوا في وجوه المداحين التراب على احد التاويلات ومعنى الكلام من صاحب الهمزية لم
يفادي محلا ولم يكن انتقالا الاستبدال به على دعوى الاغلا وقوله تعد ذالك ولم ازن
مزو الجباء وحسن الافتقار وخالص الصفا فيهم اذ فليتت شعري اني التجا والافتقار والاهم ان
لعظم من تحقيقه بتلك ان حوالى الذي ذكر مع مشاهدته عجزه وفاقته وقوله وما يكتم
من جاني اني قايل اني كذا فذالك منبني على توهيم وجودكم يغتبر وقد انشدنا الى بعض الاكابر وقوله
قوده انه حين لم اكن مع السابقين خلعت النية في المقام مع من دونهم كذالك ايضا وقوله
لاكنه هذا بذبالا مع لا ولاء ولا من اولاء كلام سافه في معرض الذي حالة وهو في العقبة
عين المرح لها لانه اذا اخذ بكر من اهلها يعتبر في نفسه سالما من الفتنة والدعوى لان الفتنة مع
اعتراك لكا يعتبر والدعوى مع الاخرين وقوله للذي كلما ازددت النشو مع مراحب فضيحة لي
ونكست على راسه هذا معرض حال من لم يات الامر من بابه ولا قصده من وجهه بل لم يعرف
حو المغربة ولعله يعذر نكم الى حيثيته واياسه برحمة مولاه وبفيم له بناء حاله على
اساسه من غير عزلة منه ولا قوة وقوله وان ما لبث النعش الى المقام النائي تشويقا لعل
الى الكم بين الاخرين بغير عزيمة كما قالت اليه هذا من تاثير النهي تعلق له ولكثيف به
ادم فيه عما ربما يستنشم به لو حصل عليه وقوله واما الكرب فاني امرؤ بدا من لامنا في
غاية الابلاء من هذا من الذي ينبغي له في المقام ولا يسعه سوى التعلق كل حال حقق الله له

رضي

المتفيهقين

رؤية الانفاس ويمحى عن قلبه استيلاء الغفلة والوسواس ويحوز كل من يقصد بابه الكريم
ويطلب منه هدايته الى صراط مستقيم * هذا واما اردنا ذكره من الكلام على ما في البراءة
وقد استأنفنا الرجوع الى ما كنا تركناه منذ زمان من القصد والغزارة ولكن وقع ذلك
منا بعد تأن كثير واستخارة كل ذلك موافقة لغرض ولدنا واتباعا لمراده والله تعالى
يغنيه عن هذا وامثاله بما يفتحه على قلبه من هدايته ويتممه له من نعمه وهدايته فانه
على كل شيء قدير * اما بعد فقد بلغنا كتابكم الذي اخبرتم فيه عن الامر الشنيع الذي
اصابكم مع العامة الجهلة وقد عز ذلك علينا كثيرا وبلغ منا ومن بعض اصحابنا كل مبلغ
وقد حصل لكم بحمد الله الانتفاع به من وجوه احدها ان اصابتكم بتلك البلية وسلوك
الله تعالى بكم مسلك هذه الطائفة المرضية وقد قال بعضهم لا اعرف احدا لم يصبه
بلاء في هذا الا فرادا وكلا فافهموا معنا ذلك وانظروا الى كلام ابن عطاء حيث قال
ليخفف ألم البلاء عليك والمسألة الثانية بعد هذا وثانيها ان فيتكم بالزهاد والعلماء وهذا
ايضا فائدة جزيلة لان ذلك يؤديكم الى اليأس منهم وعدم الركون اليهم فينجمع همكم بربكم
وتتمكنون منه بوجود قلبكم وانظروا هذا المعنى عند قول ابن عطاء رحمه الله انما اجرى
الاذى عليهم الخ وقد سأل ابو ذر رضي الله تعالى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم عما
كان في صحف ابراهيم فذكر له اشياء الى ان قال فيها وعلى العاقل ان يكون عارفا بزمانه —
مقبلا على شانه حافظا للسانه وكلام العلماء في مثل هذا كثير مراد بهم وثالثها
خمول ذكركم وسقوطه من لنكم من قلوب بعض الناس فانكم لا تعرفون في تلك النازلة من كان
حالكم بتلك البلاء امنه من بعضكم ويجلكم فيحصل ذلك منكم عندكم وهذا ايضا من الفوائد
العظيمة وانظروا هذا المعنى ايضا عند قول ابن عطاء ادفن نفسك في ارض الخمول الخ وكلامه
في التواضع قريبا من اخر الكتاب ورابعها استفادة تكون راحة قلبكم من استشعار كونكم
مامورين بالنصيحة لعباد الله وامرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر وخوفكم من ترك
ذلك حصول العقوبة عليه وبيان ان جزمنا لانكم لا محالة تكفون بعد هذه الواقعة
عن الاخذ فيما يمكن ان يؤدي الى مثلها ولا تقبلون بعد ذلك الرهو وتبادر يا من هذا الامر
الشنيع الذي حل بكم بل تكتفون في ذلك بالنية والنية في ذلك ابلغ من العمل هذا ان كنتم
فيما قلتم وفعلتم صادقين مخلصين وان لم تكونوا على هذه الصفة بل كان ذلك منكم على

سبيل الاسف سار على مقتضى الجبلة وتتابعة العوز والسفول فيعذركم ذالك بقسمة
النفس في فعليه والانطباق فيما تشتغلون به من مثله لان هذا من التكليف الذي بها امنه رسول
الله صلى الله عليه وسلم وان تخفيا من امته وخاصتهم بما تعرفه صدر فكم من عدوكم لتنزلوا
الناس منازلهم وتعاملوا كل صنف منهم بما يليق به من المعاملة فتسلمون مع كلا [illegible]
من الظلم مع الصديق بالتعريج ومع العدو بالتهم والانشاء انكم في هذه النازلة تتعرفون
ذالك اتم تعرف فتعملون على حسب ذالك من الاستعانة والتلطف والمناصرة والتالف
وسالة شميتا استعدادكم بحضور الجواب فيه على كتابكم لان انما اصابكم ما اصابكم
كتبتم لي بذالك فلم يسعني الا ان اكتب لكم جوابه ليحصل لكم بذالك التعريف بما ذكر
الفوايد التي ذكرناها وبعدها اعلامي اياكم بانكم اخطاتم فيما فعلتم ومعرفة الانسان
خطاه من اعظم الفوايد وخطاكم في ذالك من وجوه احدها ما اخذكم فيما لا يعنيكم وعدم
اتباع رايكم فيما افرطتم عليه من ذالك بعد حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه وفي علمكم
ثم من فوايد رووا هذا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واعلانا ان ذالك مما لا يعنيكم
لان ذالك مما يجب عليكم ومن عمل ما لا يجب عليه في هذا الزمان لا يسلم من الافات
قال ابو محمد رضي الله عنه لا ينبغي الكلام الا لرجل اذا سكت خاف العقوبة على
سكوته وانما يجب ذالك على من نصب نفسه لارشاد العوام وتصدر لتبليغ الاحكام
لان ولاة الامر في فتنتهم يسمعون لهم ويستجيبون لدعوتهم فمن على ذالك اقدر
وبتعاطيكم مثل هذا اولى واجدر ولاكن الله تعالى لما اراد محنة اكثر العباد رفع اشرافهم واسفالهم
من يعنيه امر ايجاز معاولاه واصم اسماعهم وطبع على قلوبهم فاذا اصاب الناس معضلة
او ابتلوا بداهية وبجزا في ذالك اليهم لا يجدون فيهم متمسكا ولا يبشرون بهم الا من
ثم يولون مسلكا وقد ورد في بعض اخر الزمان ان الناس يعيبهم فيه بعثة فيلجئون
في ذالك الى علمائهم فيجدونهم قد مسخوا قردة وخنازير ومسخ الصور الظاهرة للعبرة فيه
والمعتبر باب صور الباطن فوقع على حسب ذالك ما اخبر به الصادق المصدوق
بالله فانا لله وانا اليه راجعون ولو افتديتم في هذا الامر بسليمان حيث قال الا اولى
هذا والا دخلهم لكان احسن على انه لم يخل من خطا في سكوته وتعاطيه عن مثل هذا
ولاكن لا امر يرضى في مثل ذالك الخطا ونبهتنا انكم لم تسلكوا كما يوافقنا رضي الله عنهم

في الكلام

في هذا الباب من الذي اذكره لكم وهو انكم لا تغفلون في هذه النازلة من التعرض بحضرتكم باهل التصوف ومحاولة
الدعاء اليه والارشاد لسبيله بين يدي الجهلة من العموم اصحاب الرسوم لان متبوعهم هو الذي
يحملون منه الا انكارا والقدح في اهله فلا تقدرون على الصبر عن الرد عليهم حسبما اعرفه
منكم حين تتنزهون وتضيقوا اخلاقكم ومن يتبرك حو معرفة نفيسة او ذوق حكيمه لا ينبغي ان
تشمخ نفسه بان يلقيها للبقار والحمير او ان يعلقها في اعناق الكلاب والخنازير ولم نر احدا
من الائمة المقتدى بهم في زمانهم الصالح يفعل شيئا من ذلك ولا قال به ولم نطلع احدا منهم
امتعذر في كتم ذلك حرجا لم يجد منه مخرجا والاخلاق بسببه مكالبة تقتضي معاتبة او
معاقبة بل تنزلوا الخلق اليه حيث انزلهم وكانوا اتاكهم براي معاملته معهم فاذا كان هذا في
تلكم الازمنة حيث الانوار في قلوب الناس مشرقة متمكنة فكيف يكون الحال في هذا الزمان
الذي عم فيه الاحتكار واستحوذت على القلوب جنود الاستكبار وخبت فيه انوار اهل الحال وجوده
مثل ما يستحقنا فيه سور الخفاء والستار ولقد رايت في بعض التعاليق عن سهل بن عبد الله
رضي الله عنه سيد هذه الطائفة وامامهم انه اوصى عند موته فقال من كان عنده شيء من
كلامنا فليرقه ولا يظهره فانه بعد سنة ثلاثمائة الى ما فوق فما يصير زمن الناس كلامهم بعد
وعبادتهم لباسهم ومعبودهم بطونهم لا يعبأ الله تعالى باعمالهم وللشيخ ابي طالب
المكي رضي الله عنه شيء من هذا المعنى في كتاب العلم لا اذكره الان قال غلب احوالهم وجد
وتجاوز الحد وتعلق منه شيء من ذلك استشعروا الفقر وهذا الباب الذي هو على
ابن البشر لا يرد منهم في مشاهدتهم مغرورنا النفسا بحال العشق لسببهم في ان لكم لما اصابكم
ذلك حزنتم وضاقت عليكم الارض بما رحبت فبيعوا انه يجوز لكم ذلك لانه موقف
صعب فلمن يثبت فيه او يسلم منه على حال غربتكم وعدم الخلافة من يبادر الى مساعدتكم
وان عيش نكد لا والاذى شماتة وعدوكم منكم بمرصد بدون ذلك فيعج هو هذا من البلاء
العظيم الذي يعجز الانسان عن الصبر عليه ولا كراء او فيما مع كذا من احرام واخص بها الا
على قلوبنا على الدوام لا يكون لنا فيه راحة ولا سلوان بل ربما زاد ذلك شيئا القضيئا
تعبا وخشما ومطلوبنا الفلاح وما يفيدنا من ذلك الناس ويعوزنا علينا ببلايانا الكبار ولا
يسعنا الا سلوك سبيل مما قاله الائمة رضي الله عنهم والحزن علينا بهم والنسج على
منوالهم فانهم لما شاهدوا محبوبهم وتنالوا من قربه مطلوبهم لم ينسبوا الى الخلق نفعا

وبهم او لم يجدوا في معاملتهم اياكم بالحلم والانتقام بردا وللاجر ابل شاهدوا بفعل الدهر
تعاقب خيراته والشرور واستهدف الشيب مغلبين به ليعرفوا فوق لهم عذرا

وان يروا ذا رغبة له حامدا * وان دعا قام بنيه له شاكرا *

وتعال ولنقتد بهم لعلنا نحصل الان شيئا من مقاصدهم فنجمع همتنا لمولانا ونلتفتوا
بذكره عن دنيانا واخرانا ونبدا ذلك بان نشتغل بانفسنا ونعتني بابناء جنسنا
ونقتنع بما رزقنا الله تعالى من كثير وقليل مع ان قليل الله تعالى لا يقال له قليل ولا
نحمل هم بروور وبعد ولا نبالي بمن قام وقعد ونستعمل الوصية التي كتبت بها اليكم في
الكتاب الذي قبل هذا فان حلت بنا مصيبة او نفذ علينا القدر ببلية ان نطلب النعم
من غير الله ونرجو النفع ممن سوى الله وندع ذلك كله بغير الله وبعد الحال وان
نكن من اهلها فلابد لنا من استشعارها ومعاودة تذكارها وتكرارها ليحصل التي
فلو بنا شيء من انوارها ونكتم اسرارها فان وقع منا هذا على قدر شيء من حكمه
دنيانا انسانا الحزن على ما فاتنا من مولانا فيقع الشيء في محله ويعرف الحق لاهله
وربعهما انكم لم تذكروا لي شيئا مما قلتموه لهم او قالوه لكم في ابتداء الامر وانتهائه يقوي
نعسنوا لي شيئا من ذلك ولم تفعلوا في ذلك شيئا واحسبوا انكم شافهتموني بالكلام
ان تكونوا حينئذ تشتغلون بكل دقيق وجليل ونذكر من كل غث وسمين ولا تدعون شيئا
مما يحتاج اليه او لا يحتاج اليه ان وقع منه وفيه والقلم احد اللسانين اما تعلمون ان
في الكلام على ان امور الجزئية المعول عليها الواحدة الكلية والتزم على العبد عند كتبه
الراحة في دنياه اذا لم يبل ذلك بمعاملة مولاه وتم بعد ان فلاح يغني عن المشافهة خ الكتاب
في الكلام عند تنائي ابن شماس وابن جسام وقد قبلت عذركم في اختصار كتابي الذي هذا
جوابه لاجل ما ذكرتم من استعجال فيه فما بال سائر الكتب التي تكتبون في تشتغلون فيها
فما يريد تعرفه منكم من امور الصغار والكبار وتذكرون فيها اشياء خارجة عن المقصود ولا
هذا نادر منكم ان كنتم في تمرون من تشغلون به في التوصيل التي تتكلفوا في ذلك من المشقة في ذالك
ما به مطالبه ففائدة للرجل معذركم مقبول اذ لا ينبغي لاحد ان يتعب نفسه فيما ليس هنالك له
ولا محمول ولو نكلت في هذا الكلام يا اخي هذا مشتملا ان لزم وانت اخو مني بالعنا
والملام وقد كتبت لكم نحو العشرين كتابا بين كبير وصغير ولم يقع لنا منكم الا كتابان

او ثلاثة بعد الحاج كثير وكتاب ممن يريد كذا فذلكم مستقيما ولاكن عقلتم عن الغزو بيني وبينكم
انا في بلاد غريبة وارض جفاء وبر وفلا يكاد يوجد عندنا ما تتشوق النفوس الى تعرفه
وكتاب الاخبار به وانتم في حضرة المملكة ودار السلطنة وشان تلك الحضرة والدار ان يجلب
اليها كل شيء عجيب وتنصرف بكل معنى غريب وبعض ما تضمنته من الجمل والمكاتيب لا توجد في
غير هذا وجميع ذلك مشتمل على اسرار وانوار يتشوق الى الاطلاع عليها ارباب البصائر والابصار
والخبر قد يغني عن العيان والدفتر المختصر قد يقوم مقام ديوان والاجل منه او ما اشبهه معنى
مثل من سكن تلكم البلاد ولاكن لا املك لنفسي قوة ولا قدرة الا ان يجعل الله تعالى
الفعال ويأذن لي في ان نرتحل او ان ننتقل فيجتمع من شملنا ما تفرع ونشاهد بابصارنا
ما كانت اذاننا قبل تسمع ولكن في هذا الكلام على حسب ما وقع لكم من المصائب العظام
كفاية ومقنع ومن قدم له الزبد والشهد بدلا من الشيء المقرع فبالقليل منه يكتفي
وباللقمة منه يشبع فتأمل ما كتبنا لك تأملا منك اجمع ووف النظر فيه حقه لتنتفع به
وتنفع فقد جعلت لك فيه جملا من كتب العرب فلا تخش في استعماله دركا ولا تفزع
بعد الثريا والقارورة والبرية تندرج تحت كل اسم رسم شرح اسود يلمع وهذه امور معنوية
باخر وتمهل لكي تتمكن واقنع بذلك لمن تستمع واقدر هذا النثر وان زاد من يعلمها او غزر
من يسمعها خلاه تبدع واسقر على هذا الكلام واقول ما قاله يعقوب الكرام على نبينا
وعليهم افضل الصلاة والسلام وما شهدنا الا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين
ولا تكثر انه انفع مقاصدنا وافتح الكلام واختم الكتاب بمقاصدنا بالرحمة والبركة ومعاد
السلام ولا انسى ان ابدل من الكلام الجزل المشتمل على الجد والهزل ما تنحل به عنكم بقايا
الهموم التي علقت بكم من اصحاب الرسوم والجملة العموم عما ابتلاكم الله به مما اهلتهم بوبس
بلايه وحال بينكم وبينهم كما حال نهر ارهم وسما به وقولوا على هذا الدعاء امين اللهم
ومن يتعلق منكم من اولاد المسلمين الذين سلموا من الذنوب وسيح لهم في الغيوب وشملتهم
بعدم تكليفهم رحمة علام الغيوب لعله يستجيب هذا الدعاء وان صدر منهم في حياة الامه
اذا كان كذا الدوا لعله يزيل العناء والتعب وحصل لهم الهناء والارب وفهمتم في نيلكم
لما لا تستوفونه غاية العجب وليس في امر الله تعالى من عجب فلو رأينا هذا العمل الخروج
ما وجه به يحيى بن احمد السراج لما تواتر الهم والغم ووده الوزغ وصاحب الياقوتة في

البتم

اليوم ولا كان الله بفضله ورحمته سلّم فاشكروا الله على ما به انعم وتأمّل هذا الرمز وتفهّم
واقرع بسمع قلبك الى الكلام على تمام المعنى الذي تقدم فاني اقول وبالله تعالى المأمول
فانتم تدرون ما استعملتم عليه تلك الكائنة من النعم الغامضة الباطنة التي اذا شئتم
رأيتموها محققة متصلة بعندكم وفضلا عما يرجى لكم من الثواب الجزيل في دار الملك الجليل
فاذا علمتم ذلك علم يقين واذ انتم سلكتم سبيل اولياء الله الموفقين لم تشكّوا
في ان الشكر احق عليكم من الصبر وان الاستبشار والفرح اولى بكم من الحزن والترح فاذا
قمتم بواجب الشكر وحييتم آلاء الله تعالى بالذكر لم تعدموا من الله تعالى المزيد والفلاح
والنصر والنجاح قال الله تعالى لئن شكرتم لأزيدنكم وقال عز من قائل فاذكروا آلاء
الله لعلكم تفلحون والشكر هو اليوم اهم المستفيد اذ قعد عليه العدو اللعين ليصدّ عنه
من تبعه من الضالين قال الله تعالى مخبرا عنه لأقعدن لهم صراطك المستقيم الى قوله ولا
تجد اكثرهم شاكرين لم يقل صابرين ولا قانتين ولا زاهدين ولا خاشعين ولا عابدين ولا متوكلين ولا
غير ذلك من مقامات الابرار والمقربين لعلمه بان مقام الشكر تنتظم فيه سائر المقامات
وتندرج فيه الاحوال والكرامات فانظروا كيف عرف الله تعالى هذا العدو اللعين منهج
الشكور بفقه ولكن حرمه من اعانته وتوفيقه وقد اوحى الله تعالى الى بعض انبيائه
على نبينا وعليهم السلام حببني الى خلقي فقال يا رب كيف احببك الى خلقك قال ذكّرهم
آلائي ونعمائي فانهم لا يعرفون مني الا الجميل او كما قال ربنا عز وجل وقد جعل
الشيخ ابو عبد الرحمن السلمي رضي الله عنه من عيوب النفس ان يكون العبد في محل الشكر
وهو يظن انه في مقام الصبر لانه مأمور بالترقي في المقامات والكون على احسن الحالات
وجعل وراء رؤية العبد نعم الله تعالى في جميع الاحوال قسم فقال بعقب ذلك فاني سمعت سعيد
ابن عبد الله يقول سمعت عمي يقول سمعت ابا عثمان يقول الخلق كلهم مع الله في مقام الشكر
وهم يظنون انهم معه في مقام الصبر وليت شعري ما الذي حمل هذا الخبيث واتباعه واشياعه
على التعرض لكم بالاذاية دون غيركم ومن المعلوم ان كلمة موضعكم لا يقدرون على السكوت
على ما هو اقل من ذلك وانتم لم تهدوا في تلك البلاد اعز منكم واما ان تكونوا ازدتم على
ايديكم في ارتكاب التنقيص واما ان صاحب الصنعة لم يصنعه عدو وبغيض ولو كان في الدنيا
شيء من الخير لكان لكم مجلس فيها الله بجلسه وكرسي فيها لكرسيه والخير تكدار البكم

كما له العين نظارة النبي فان اشتغل بقراءة كتاب من كتب الحديث اشتغلت انت بقراءة كتاب
آخر مثله وان اخذ في شرح الحديث من تلقاء نفسه فسرته انت بكلام العلماء وان قال فيه وان
استند حديثا او خبرا بغير اسناد انت عشرة احاديث وان اتى به من كثير وواحد حدثتهم به من طرق
كثيرة وان اشتغل بسبب المبتدعة من غير تغيير بدعتهم فعلت انت مثل ذلك مع تغيير بدعتهم
وان انتهم عليكم بالعامة انتم تهم عليه بالخاصة وان استعان عليكم باهل الدنيا استعنتم
عليه باهل الآخرة ولا تكن ممن يسوق في الدنيا ولا في الآخرة اخيرا بغير نفسك فيهم كالعير
وكن في حزب الله منهم كالكبير واشتغل في الجد في السير لعلك تغتنم من كل كدر وغير فتكون كل
كرب وضير فاذا بلغت الى المطلوب وانكشفت لك اسرار الغيوب وتجلت شمس القلوب
التي ليس لها افول ولا غروب انجلت عنك الهموم واسترحت من مكابدة اصحاب الرسوم
وانطلقت من وثاق عالم القوالب والجسوم وتقوا حينئذ بمنزلة الحضرة وتنعم فيها بما
تشاء من جمال وكمال الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور الذي احلنا دار
المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب جعل الله لنا منزلة المنية
وانالنا منزلة البغية وحجب عنا كل حسود ضار وحال بيننا وبين كل جبار في استكبار
والتقصير على ما ذكرناه فقد انقضى من البيان كله وكمل البدر والعين وتمت بالخير
المرجو من هذا الكاغد الجنبتين عشرا لا نرجع عن مقصودنا تحسبن خبيرا ومقصودنا
انما هو تاديبه على نشر العلم والحرص على اصلاح حال العلم والامر بيد الله ولا قوة الا بالله
وبعد فقد تبين فيما ذكرناه الذي امرتكم من السلامة والنجاة من الهلكة
فليعلم الجمع كثيرا ما التزمنا اما اشرت به اليكم في الكتابين السابقين نبينكم شيئا وقد احسنتم
في بيانها وتلك المشكلة بالواو والفاء لانه تعرفون منها الفرق كنت قسمته فيهما واهم ما كان
على بعد الذي اهابكم اشكال امر قد ذكرته لكم قبلها وهو الكيفية فان في ذلك وتحقق
له منه بغير العذر لانكم ادخلتم انفسكم في اشياء كنتم عنها في غنى من جهة فساد الوقت
وان كان بعضها حقا في تغيير الامر لكن كان يسعكم السكوت عنها وترك العمل بها لاجل
ما ذكرناه مع انكم لا تقدرون على ما تريدونه من ذلك معينا ولا ناصرا ولقد ضروا عليكم
كهني في قول الكل زدتم على ابريكم في هذا نقصه ومع هذا لم يكن ينبغي له ان يسكت في هذا الامر
وان يتغافل عنه لما يتضمن ذلك من المفاسد التي انا ذاكر مقابل بتعمد او لا الدفع عنكم

وستر باب التقول عليهم والعافية اذا فاتت بعلة وقت انهما ثمرة دين الله وحماية
اولياء الله والنصيحة لعباد الله فانه لم يبق لهم من الفراغ وقت يشتغلون به من
الفضائل العالية ان حسن ظنهم وسلامة صدورهم فيما يرجع الى تعظيم من لا يقع بنفسه
تعظيم لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم ان يتعظيمهم وذ منهم يجتهدون في اخلاد
الى سماعهم ولعل البعض في ذلك سترا من المعتقد ومنهم اذ ليس لهم من يعرف ان ذلك من الله وكمال
التصديق لما يتميز به عندهم الصادق من الكاذب والمحق من المبطل فلا لوم عليهم في الخداع
الى من غرهم بالله بل ذلك من المكلف بهم وامر المخادع الى الله فان شملته رحمته
وادركته عنايته لم يخرج من الدنيا الا وقد ورد تبديلا ولا تحويلا وان حقت عليه كلمته
واحاطت به شقوته فالله اشد باسا واشد تنكيلا. هذا لعلة ولاء ولهم فلبس عوضهم يعيشون
قد يختبرون
في ستر الله ويتمتعون بمعرفة الله فلعل ذلك ان يكون حظهم من الله اذ لا يقع لهم عزل
الغرر من الانتساب بعبد الله فلا يخافون مسيئهم من ان يكون في خبايا زمن محسنهم فلا
يعظمونه ولا يوقرونه ويدعون محسنهم ان يحشر في فرقة مسيئهم فيستهينون به
فيحقرونه ومع امرهم ان مبنى على التلبيس واخفاء الحال والحال بما يشغلونه من
مقال ومقال فلا دلالة واضحة ترد عليهم ولا امارة لائحة تشير اليهم وقد حجب الله
عباده
ولايته في خليقته كما اخفى رضاه في طاعته وسخطه في معصيته فلا ينبغي للاخوان ان يحتقروا
شيئا من هذا ولم يبلغنا عمن تقدم ولا عمن تاخر من علماء الدين انه تعرض لما تعرض له ذلك
الرجل من منع هذا المعلوم ولا جعلوا ذلك وكد امرهم ولا ابتغوا فيه مدة عمرهم ومنهم
اعين على الدين وانصح لعباد الله المسلمين منه بل فضلا في امرهم السكوت هاهنا
منهم على سلامة مع غايته بمجانبة البيوت التي هي اوهن من نسج العنكبوت ومن العوام
بشاهم
الذين لا فرق بينهم وبين ان تعلم الا في لبس الثياب وفصاحة الكلام وان تكلموا فعلته
من غافل او اجابة لمستفتي في مسائل كل ذلك يخرج على جانب اولياء الله تعالى ان يتعاطوه
للكلام وان يدعوا اليهم السماع والحاصل ان قام ابو القاسم القشيري رضي الله
عنه فانه لم يستوف الكلام في ذكر معايب المنتسبين الى معرفة الطريقة وان كان من احكم
الناس غيرة على الحقيقة الا بقدر ما خاف ان يعتقد صحة نسبة من لا يليق بها التسمية وان
كم يواب ولبس المناصب فاما ولاء عليها واراد ان يبين سننهم الماضية ودلائلهم الراسخة
العالية ليعتبر على هذا الطريق وينسج على منوالها وكان ذلك به خليقا اذ هو من اهلها

تحقيقا وأما أن يشتغل عامي بزعمه بحفظ هذا الجبل ويذكر معانيه بين العجمة والجهول
ويجعل ما يقوله أخذ فيه من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيلة الى هذه الهائمة
الكبرى وذريعة الى ما يهدم سنة المسلمين ويروج ذلك على العامة لعمايتهم ويوقعهم
من حيث لا يشعر في مساخط مولاهم فذلك من أكبر الكبائر والبدع التي لم تعهد في الأوائل
والأواخر وقد كنت أعتقد أنه لا يتصدى في تلك البلدة للكلام لما اختصت به من أرباب
المقام وأولي الفتوى على من ابن سلام فبادرني بعكس هذا الاعتقاد وتحققنا أن في
سعد في كل واد وتكلموا بما علمتم وخبروا يوم التناد ولست أتعجب من جاهل غريب
فقير في بلد ليس له فيه على الحقيقة صديق ولا حبيب فالهمته الأقلية ضلالته وبث فيه
مقالته وأراهم من هيبته كأنه ورقة من هيبة حشرات الأرض في جونيته والذي عمَّ
ثم يقتبه الى إثارة نار الفتن المحرقة والتهيء لقتل النفس المحرمة من غير دليل ولا آية
في موضع جمع المأمور والآمر والعالم والقاصر وإنما أتعجب ممن هو من أهل الدين موسوم
بالشفقة على المسلمين في حاله وقدره عند العامة والسلاطين حيث لم يتكلم في هذا
الأمر بكلمة تسمع ولا انتصب في هذا الأمر بما يكون له موقع وهو يعلم ما تضمنه من
المفاسد التي يعم ضررها كل قائم وقاعد مع أنه وجد بمحل الكلام لما فيه من الأداء
ليكون لهم عليكم من الحكام وأدنى ما يجب عليه في هذا الحال أن يقفا بلغهم بالعنف والإعلان
في المقال ويقبح لهم حالهم فيما اعتمدوا من نشر الباطل والمحال ولا يعرض لهذا وراء فالله
معاذ ربما يدخله في مراء أو جدال فهذا أقل ما يجب عليه في نصرة الدين والنصيحة
لله تعالى وللمسلمين وذلك آكد عليه من جميع ما يشتغل به في حقيم لله رب العالمين
وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا ظهرت في أمتي البدع فليظهر العالم
علمه فعليه لعنة الله ومن هذا الحديث ذكر الفقيه أبو القاسم أصبغ بن إبراهيم التجيبي
الفقيه المالكي رحمه الله في مقدمة كتاب النصائح له وجعله عمدته في كل ما بينه فيه
وبعد فلأي بدعة أعظم مما ذلك الرجل بصدده من إشكال ما يعود من قواعد الدين
وإضلال عوام المسلمين وتعنيته عليهم الحق الواضح المبين حتى صار يقرؤوا بين غني وتمييز
وليس بشيء مما وقع بنا في هذا الزمان من ضروب الفتن وأنواع الرزايا والمحن
بسبب ذلك في حقنا فقليل بل هو على ابتلائنا بما هو أعظم منه عندنا وقليل حسن
هداية الأمر الحق ومنادي بل يتمسح بها جهلة العوام وعامة أولياء الله تعالى على جلالتهم

افراديم عنزلة وثبت منزلتهم لديه علمت في اقوال المشايخ عنه على سير الليالي والايام
وعم ان بيوت الله المشرفة بمثل منزلة المساكن وسيستمر امرها في المحافل وعلى رؤوس المنابر
وشاع ذالك في النواحي والاقطار والقرى والامصار وجومع الحق تعالى بمعصيته بزلة
اثم جهار ولعظم العقوبات الواردة من الله تعالى علينا والموصلة لكل وخيمة وعار
الينا نبيد قلوبنا واستيئاسنا عن منزلة المعافاة فلا يكفي في حصول ذالك عدم تاثرنا
بها وعدم ميل همتنا اليها وذالك كله امارات وجود قسوة القلب التي من اشرها
الحرمان ونعوذ بالله من ذلك الرب صرف الله عنا عقوبته ورزقنا في كل اوقاتنا مراقبته
بمنه وكرمه على ان اولياء الله تعالى من يشتري امرهم ولا يكل الى غيرهم نعم نعم وفي
الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل من آذى لي وليا فقد
بارزني بالمحاربة وفي بعض الروايات وانا الثائر لهم او كلاما هذا معناه فهذا ما اردت
ان اذكره من الكلام في بيان ما وقع منه من الحكاية عن النازلة العظيمة غاية ما تمنيته
نبذ محصورة هنا وعن تحمله جلدا والتحيز منه لا غنية عن ذكره

والصبر يجمل في المواطن كلها الا عليك فانه لا يجمل

وكان الشيخ له منزلة السائل ولولاه لم تسمح النفس بايداعه في الرسائل ورجونا ممن
يقف عليه من اخواننا المسلمين الناصحين لله تعالى في الدين ان يحمله الغيرة الايمانية
على الشفقة على الامة المحمدية فينتصر لاولياء الله تعالى ممن قطع شيئا من اسبابهم
ووقع بقدمه على رقابهم فتخيمهم مادة تلك العلة الصعبة وينقلب اعداء الله
بالحسرة والخيبة واما انا فلا يكاد يرتفع عنهم بيد القرب واللكم فمن وقف على النهي ان
شاء الله تعالى بالكتب والرسم وجعل المحل يستحسن ويشكر واستال الله ذنب لا
يكاد ان يغفر وان اشارة تغني عن العبارة لا كل من ينكر مورد الاشارة وقد
انجز كلام بلا زيادة في ذالك يحتمله فيه ولو كان من الاربعة مثله لحصل المقصود من
النفع والردع اذ ابذل كل واحد منهم غاية الوسع ولا كان الله تعالى سالب منهم البركة
حتى يعتذروا على نظرهم للامركة والله تعالى ولي التوفيق لنا ولهم الى ما يحبه ويرضاه

والركن الذي تضمنته تلك الرؤيا معروف من اشرف الاذكار في استجلاب الانوار
ومن ذكر من النفع له في سلوكه من ابواب المعارف وفنون اللطائف فلا ريب ان حمله استعظام
وانبهار غفلة فيه على العبرة في السلوك والوقوف عن السير الى حضرة ملك الملوك

فإذا استشعر السالك ذلك وتشاغل بهذا الذكر المخصوص على الوجه الذي رسمه له مشايخ
هذه الطريقة لم يزل مدركا سيره في حله وترحاله وكان له تعكيس لازم وشرب دائم فإن كنتم
على هذه الحال فتشاغلوا به إن وجدتم شيخا بشرطه الذكر فيه وكيفية العمل فيه وفهما تحرزونه
وقد ركبت نعرفت من كتبكم السالفة أنكم رجعتم إلى الأخذ في الرواية وأنكم شغفتم بها
وأنكم سمعتم من كتب التصوف وفقه العقائد والنحو فيما مضى من تغيير في باطني وانكرت
من أجل ذلك غيرتكم فما يطلب الحكم بين التصوف وبين الاشتغال بما ضيق عليه وذاب عنه في
كعقد كثير من إخوانكم فلما رأيت ذلك منكم خفت أن يكون شأن هذه الطريقة التصوفية
لم يرسخ في قلوبكم كل الرسوخ وأن يكون عندكم كالثوب المعار والثوب العارية للإنسان فضلا
عن أن يعمل به متحققا ومتزينا به إذ لو كان ذلك فيكم راسخا لم يلحقكم تغيير في أحوال
وتقلب الأمور عند حضوركم وصدوركم بسبب فقد أب تزورونه وحصل عندكم من الوساوس
وضروب الخيالات وعندما أن فات ما لا تقدرون بأنفسكم عن التلفظ وأن تعتقدوا عنه
حتى انتهى بكم الحال إلى استيلاء المرة السوداء فصرتم ترون بسببها في عالم النوم
أضغاث الأحلام حتى أن يصل لكم مثل البراء حسبما ذكرتموه في كتابكم المتقدم وكان أكثر
عند تقلب أمركم وتغير حالكم ما فهمت منه غاية العجب لأني لم أعهد منكم أنكم قلتم
في بعض كتبكم وقد بلغني الكلام أنه تعتقدون الكلام أنه بعث بها من أبي نزل ولم تزيدوا
على معرفة ما أو اجل أن الكلام على تلك فيما كتبت فيها من التنبيهات على تلك الإشكالات
التي تضمنتها أم لا وتعذرت لم فيما قلت وقع ذلك منكم ومن قد زالت عنكم بسببه شبهة
أو أنتجت لكم جدالا أم لا فلم يتم عن ذلك شيئا ولم تعرجوا عليه بتلويح ولا تصريح
مع أني فهمت في ذلك فصدرتكم واعتبرت تعلقكم لأنكم قلتم في بعض كتبكم ما معناه أنكم
إذا كنتم تلك الكتب أصبح يكلم قلبكم ويتغير حالكم فساءني لأجل ذلك بكم والشغف
بشق الكبر فلما تعرفت أن من كتبنا بكم أنه نقل من عليكم بأن تنقاد
مما كنتم فيه ومن التعلق في أن يفيد هذه الأحد لكم من أحوال البرهان وعظيم التسيار وتفق
البيت بينما تعلق عن ذلك الكرب ولينكم حير من بذلك عليكم تركتم الأخذ فيه
بالكلية ولم يستلذوا منه بقية لأجل ما عرض لكم من الشبهة الخيالية والأكدار
السوسية أن تكدر فكم وكان لم يبق عليكم من فروض الكفاية إذ أن يكون حاملا للرواية
الرواية من أهل الشجاعة والغواية لتحصل بذلك من معرفة الفرق في دنياه وأخراه

الى

الى الغاية فابوز بغيته وانتعش من حيرته فقد لاح الصباح وبان لك من حجج الله
تعالى ما اليه ترك منه انقطاع ولا براح والله تعالى يجعلنا واياكم على ارشاد امور وبحسبنا
من مسالك الجهالات والغرور فهو بالفضل جدير وهو على كل شيء قدير

وسالتم في كتابكم دام خيركم عن المسألة التي ذكرها صاحب المقامات رحمه الله
ورضي عنه **وتلك** المسألة اشارة الى حال الخضر مع موسى عليهما السلام ساقها
رحمه الله كالدليل على ما هو بسبيله من تقرير ان ثم امورا اتفق فيها الخواص فجاوزت
الاحوال والمقامات وفارقت النعوت والعلامات وذلك هو الخلق كما قرره في بابه وصف
العبد ونعته وحقيقة التصوف راجعة اليه باجماع من اهل هذا الشان وكل ما هو من
نعت العبد فهو بالعلل ولذلك قال الابدال منهما كما قال وذكرهما لك اجماع الكلام
فيه يدور على قطب واحد وهو بذل المعروف وكف الاذى واكثر ما جرى في تلك القصة خارج
عن مقتضى ما قاله في حقيقة الخلق ليس منه في شيء من التأدب على المتعلم والمسترشد وهو
موسى عليه السلام حين قال له الخضر عليه السلام فان اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى
احدث لك منه ذكرا وهو انما اتبعه متعلما مسترشدا او من التقاعس على المتبع والسائل وهو
موسى عليه السلام حين قال له الخضر عليه السلام انك لن تستطيع معي صبرا
الى قوله هذا فراق بيني وبينك ومن خرق سفينة المساكين وقتل الغلام بغير البالغ وانت
ترى هذه المسائل كيف جاوزت مقام الخلق الذي هو حاصل امر التصوف ليست منه في شيء
ولا سبيل للاحوال يستحكم هذا ولا يستقيم ولا يمكن له وجهها ادا وجه اتفق وهذا
لم يستبعد ان يتم للخواص بامور جاوزت الاحوال والمقامات التي من جملتها الخلق وهو ما
اراد رحمه الله ان يقرره واخا لم يذكر من مسائل الخضر عليه السلام اقامة الجدار فليس
من هذا الباب وقد ذكره في باب الخلق في الدرجة الثالثة في التخلق بما وزاد ابن خلدون وهو
بخاصية الخاصة وهو ما اشار اليه هاهنا ولما كان الخلق من نعت العبد ووصفه كان ما
جاوز الخلق ليس من نعت العبد ونعني بنعت العبد حالة فلا يقتطع عن نفسه فاذا
انقطع عن نفسه زال عنه النعت ولم يكن له اسم ولا رسم فيهم حينئذ من اهل القبضة
واهل القبضة هم خاصة الخاصة المشار اليهم بقول الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم
حاكيا عن ربه عز وجل من قوله فاذا احببته كنت سمعه وبصره وكذا وكذا فبهم قد يجري على

ايديهم اشياء فيستمسكون بها كما في العلم وبالجملة فاعرض عن هذا الكلام وجمع اعتراض بجميع
وحقيقته كمسائل الخضر عليه بعد تفسيرها في الاشم مع ولو عن نفوسهم واخوذون عن
مقتضيات رسومهم فكانت النعم فان الجارية عليهم غير منسوبة اليهم وكل ما لم ينسب
اليهم لا سبيل لاحد ان يسأل عنه سؤال اعتراض وانتقاد فليس الا التسليم وجميل الانقياد
لمن الملك اليوم لله الواحد القهار لا يسأل عما يفعل وهم يسألون وقد نبه الخضر
عليه السلام على هذا المعنى بقوله وما فعلته عن امري وقوله في اقامة الجدار فاراد
ربك وانما اسند الارادة الى نفسه في مسألتي السفينة والغلام دون المسألة الاخرى
تادبا لما في كل منهما من الشناعة واحمل على هذا الاسلوب الذي ذكرنا في معنى هذه
المسألة كل ما ينسب الى الاكابر من احوال شنيعة وجوز ان يكون ذلك من هذا القبيل
لتسلم بذلك من التهمة وسوء الظن بالاكابر الذين لا تعادل في ذلك عثرة عما ترك قول النبي
صلى الله عليه وسلم او غيره لو الشك يمنع لبعض الناس اصابت عين من عيون الله وما اشبه
هذا مجمل ما ظهر لي من الكلام على هذه المسألة التي سألتم عنها على
طريقة القوم نفعنا الله بهم وهنا انتهى تفسير المسألة المذكورة وقوله لاكن
ارادة اهل التمحيص الى اخرها فلتعلم ان ما ذكره من احوال الخواص فلا يقوله بنا فيهما
على ما هو عليه من بيان او اشكال او تكلف في الكلام عليه يا اخي بما لا يد ولهذا
كله دعه لاربابه واشتغل انت بروايتك ومعنعنك وسلسلتك على طريقة ارباب
الحديث لتنال رتبتهم في هذا الزمان الفاسد الخبيث ولتكون مبلغا للشريعة المحمدية
في الفترة الجاهلية التي قد تنوسيت ما خلق كمفردها بالكلية لتنصلح بذلك احوال العالم
الفاسدة ويستنون امورهم في دينهم على اتم قاعدة اه وهل يصلح العطار ما افسد الدهر
اه ولو تأمل ان يستار حاله بعين التفهيم له وكان له حظ من عقل وانصاف لعلم ان جميع
ما ينتمي فيه مما تميل اليه نفسه من طاعة وقربة فضلا عن مباح ومعصية لا اتباعا له
عليه سوى الهوى ليتوصل به الى حظ دنيوي ينال له او يتوهم نيله ثم لا يناله ولا تحكم
له فيه في الاخرة وذلك انه لو العلم يحتاج فيه لا محالة الى تعب ومقاساة نصب
فاذا ارزق الله تعالى العبد شيئا من القناعة وقابله من روحه لا يزوه بعلم ولا يحتاج فيه
الى كبير مؤونة لهمة وحرفة وكونه فضل الاعمال وراء ذلك من اتساع المجال وكثرة المال

ينبغي له أن يقتصر على ذلك ويقنع به ولا يتشوف إلى غيره بشرط أن يقتضي وجود تعب
وشغل قلب بذلك كله ثم كلامي وأعلمه سرا وأشركه في العافية جهرا كل ما يشغل
بدن يستجلب ذلك من ينتسب إلى الدين من أهل العلم والعمل مع اعتنائه بفتح حاله
وأعظم من كل عظيم وأشر من كل شر أن يعتني بذلك بل يعمل دينه فيهما ودنياه
مستقيما ومقرا من حال الناس عفا الله عنا فإذا التزم ما ذكرناه وتطبع به ووفقنا الله لها
في دنياه حصل له عند ذلك من حظوظه الدنيوية أنفع ما أمله وأدنى ذلك حصوله
على الراحة القلبية والبدنية ونجاة وجهه من حبائل الغرور وكونه محلا للتشكك في الغرور
بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ فما قبل هذه النصيحة ممن
هو أحوج إلى أن ينتصح بها منه وقال لي يا نصيح أنت أولى بنصيحتك إذ علمت بها
انتفعت ولا كراهة أن جعلنا الله حديثا لا يسعنا إلا الصمت والنزاع أدب الوقت
خشية حلول المقت أعاذنا الله من سخطه ومقته بمنه وكرمه والمراد منكم أن تجتمعوا
مع فلان وتعتذروا له عني فإني لم أكتب له جواب كتابه وكان سأل مني فيه أن أكتب إليه
وأوصيه وكنت قبل هذا كتبت له كتابا بمثل ذلك لما طلبه مني ونبهته فيه على
الذي يفيد المطلوبة مني ومن كثير من الشكر إذ هو أكثر من الافتقار وبينت له وجوها من النعم
معه وملابسة له وأشرت له إلى كيفية الشكر عليها ليتصل بذلك إلى مزيدها ومطلوبه
من غير تعب ولا مؤونة فلما وصل إليه الكتاب لم يقنع بذلك لأنه وقف مع حال نفسه
وقبح ثم بها وشكا إلى ذلك وقال لي أنا أعرف بنفسي وتوهم أني قد خدعته واستحسنت
حاله وأنا لم أمدح أحدا إن شاء الله تعالى ولم أستحسن إلا فعله معه ودعه مقر يكون ما
كان ومقرا من حاله معه ومع غيره لو رأيت رجلا في غاية الصلاح وآخر في غاية الفساد
لسلبتهما عن حالهما وبقيت مع مراد الله بهما وفعله معهما فإذا كان هذا حالي فكيف
يستقيم مني أن أخاطب أحدا بأن يعتمد عليه بفعله ما اعتاده الناس في وصاياهم وعوائد كتبهم
من التخويف والتحذير والمبالغة في الجد والتشمير مع التغافل عما هو عليه من سوء الأدب
بين يدي الله تعالى من رؤية النفس وغلبة الدعوى وصاحب هذه الحالة بهذا لا يفلح أبدا ولو بلغ
في الجد والاجتهاد كل ما بلغ ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور والجاهل أبدا لا يسعى
إلا فيما فيه هلاكه ولا يشعر بذلك فكيف يروم مني أن أوافقه فإذا رأيتنا على حال ما أنا عليه

اني زمن تكليف الكتب من اجل العلة التي في بصري ولولا من التكلم عني وحسن بعملكم عنه في النازلة
هذه النازلة كلها ولم اذكرتها من هذه المعاني ولا اكثر ذلك من الذي حملني عليه وخفف عني
مؤنة كتبه بعسى لكم تقفون على هذا وعلى ما ذكرته لكم فيبين هذا على وجه التبيين وتقيدون
الى ذلك من عندكم ما يتيسر من وقعه لعله ينتفع بهذا المعنى من شاء الله من يحتاج له والله تعالى
يبلغ الجميع الى نهج الرشاد وهو ولينا اللطيف بمنه وفضله

وبعـــد فقد وصلني كتابكم وتعرفت منه ما التكلم في تلك النازلة الشنيعة
وقد كان من الامر ما الى خير وما دفع الله تعالى اعظم فاحمدوا الله تعالى على السلامة
وان تعتبروا منه جزيل الكرامة واما ما ذكرتم من الكره الى الاكثار اصابكم بسبب فقد ذلك
الكتاب فلم تفعلوا ذلك من بالكم فلعل في ذلك خيرا من حيث لا تعلمون وقد جاء ذلك على
مقتضى الظاهر وسررت بذلك لانه تداركت من امره ما احتجنا اليه في الكتاب الذي بعد وما
ما لا يحتاج اليه او يؤدي الى وقوع ضرر بسببه وما ذكرتم فيما مر امر الشيخ وغيره
وانكم انبتم اهلية ذلك له وحلفتم على ذلك باسم الله تعالى العلي فانا احلف ايضا مثل
ذلك اليمين على نفي ما انبتموا ونفي ما ابرمتموا وكلانا ان شاء الله تعالى في يمينه بار
لانه حلف على مقتضى ما عنده وانتم تعلمون بما يجب عليكم من تهمة انفسكم ورؤية عدم
استحقاقكم للتعظيم العالي الذي ذكرتم حين فلتلكم ما لكم وهذا دعه للاربابه الى امر الواقع
ان ذلك مني مكاشفة بما لكم ثم تبدل الكلام النكر بما ذكرتموا ولم افصح بكلامي سوى مع
ضرب من الرعاية والمزاح الذي ليس على قائلهما جناح وقولكم فهذا عني المميل الى الرواية
بالكلية ولم يتوالى الركون الى المقابلة فصحيح لو وقعتم عليه ولم تستحضروا مقابلة
ما بقي لكم من الموطأ ومثل المقابلة انما يفعلها ذلك وكأنكم اذا تركتم مقابلة ذلك الكتاب
تجعلونه سارية في جامع القرويين كيف وفي بلاد ابي مسلم والبلاد التي استولى عليها
جبابرة الاعلاج [illegible] من نسخ الموطأ وبعضها في غاية الصحة وجودة المقابلة
وتمامه ذلك قد نسج عليه العنكبوت وتعطلت به زوايا البيوت وما تشاغل به الناس
منه الترك هنا رشقة للمصالح ومفسدة للمهام فارتئيه صحيحة تنقل لكم مع قراءة التعليم
باتمامه بالمقابلة لولا وجود السوسة التي اشرت اليكم بها ان كنتم لم تفعلوا ذلك
من عندكم قبل علمتم ذلك فوجها من البطالة التي لابد لكم منها تحسنوا بها فيه

وما

وأما طلبتم من بيان ما بقي من المسألة التي وقع الكلام عليها وهو قول صاحب كتاب
المواقف لا تكن إرادة أهل التخصيص إلى آخره فقد فهمتم من الكلام الذي رسمناه على
الكلام الذي تفرع عنه تلك المسألة لم يشكل عليه شيء منها بيانه فلنقل فيه إن الخواص
مشتغلون عن أنفسهم معزولون عن حظوظهم فإذا انتهينا إلى صفة الإرادة فمنسوبة
إلى العبد وجدناها متعددة ومتعلقاتها متعددة إذ أقل مراد فيه وهو أيضا منبعثة
له أو مراد له وهو اتحاد ما به المنبعثة أو يكون ذاته مراده فإذا نظرنا إليها مسلوبة
عن العبد بالنظر إلى الشهود الجمعي لم يبق له منها شيء وهو معنى ما ذكره من التجرد
وحينئذ يشاهد ما كان متعددا من مراد أنه مراد أو واحد أفرده أنه من حيث لا تعدد ولا
تغير والعبارات في هذا المعنى ضيقة المجال وهي وإن حررت لا تخلو من إيهام فالمعول
بالحال ومحال فلا تبالوا منها ولا تشتغلوا عنها فإن ذلك لا حاجة بكم إليه الآن ولا
يليق ذكره بمثل هذا الزمان وقد قدمت لكم من كلام سهل بن عبد الله رضي الله عنه التحذير
عن مثل هذا المعنى وأما الذكر الذي طلبتم مني أن أعينه لكم لتداوموا عليه
وتتخذوه وردا فإن ذلك ليس من شأني وهو من شأن الشيوخ المربين وقد تقدم فيه
على عدم الأهلية لذلك التخلف اليسير والذكر الذي أدلكم عليه من أنواع الأذكار ما
كان منها دعاء ومن الدعاء ما يتضمن حمدا أو ثناء ويقتضي من داء الرعونات شفاء
ولم أجد ذلك إلا في المواظبة على سيد الاستغفار الذي جاءت به صحاح الأخبار لما
تضمنه من المناجاة والحضور والإقرار بربوبية الملك الغفور ثم إخلاص الوحدانية
وإبراز فاقة الخليقة وذلة العبودية ثم إكمال الحاجة في تكاليف الخدمة إلى الحق
والمعين وإن استعانة بالله تعالى فيما يريد سبحانه من عهوده اللطيف ثم الرجوع إلى الله تعالى
بالنعم وتحمل الذنب المجترم ثم سؤال الغفران والمتاب وإن اختتام بالثناء الحسن
على رب الأرباب فإن جعلتم ذلك معينا لكم في آناء أوقاتكم حصل لكم بذلك الخير
الكثير مع القيام بعشر أو نحوه بين يدي الملك القدير والخضوع والكيفية من الصلاة
على النبي صلى الله عليه وسلم فذلك من أقرب الوسائل إلى أشرف المقاصد والتزموا ذلك
فيما تيسر لكم من الحالات والأوقات واجعلوا بعوضه ما فاتكم منه عند تشاغلكم
بالأحاديث التي تروونها عن الثقات وغير الثقات وأما المستشير تموني فيما

من لبسكم للدواس بين اكثر الناس فان ذلك مما لا بد لكم فيه مع تعرضكم بذلك لكشف
العامة وسبهم ووقوع المضرات من قبلهم وأما الخانوت فرسومها مبنية مدارها على
الكتم وتغيية ولا يتم كتم ذلك اذا عرفت فيها النية فان الزمان قد بلغ الغاية في الفساد
وشملت الفتن جميع العباد الا من عصم الله تعالى منهم والله تعالى يعيذكم من شر الاشرار
وتسلط الفجار وأما الاستشعار فمونة فيها ايضا من تسميع الناس كلامكم
وحملهم بذلك على اتباع عقبكم وبركم فان غلب عليكم حال يحملكم على الكلام فلا جناح
عليكم ولا ملام اذ لعله يكون في تلك الحال مرادا منكم والا فالسلامة في ترك ذلك جملة
الا لمتجرد والمعلم ومثله وأما ذكر تمول من الرموز فليس ذالك برمز على الحقيقة
وانما اوردت لكم هنا لمغيبين كل واحد منهما صحيح فلو ذكرتم في المعشر الذي عمتهم
منه ذكرت لكم المعشر الذي ارشدت ذلك وانما قصدت بذلك كله التسلية لكم عما
كان اصابكم من الكرب بسبب ذلك الكتاب ان تركت كل صعب وذلول وايقنت في العبارات
والاشارات التي تشتمل عليها الاسماع وتلمح بمعانيها العقول وما من حرف منها الا كلمة
الا وتحتها كنايات ومحصول ليس في شيء من ذلك زيادة ولا فضول وكذالك في سائر ما نكتب
به اليكم ولاكنكم لا تشعرون به اذ لو شعرتم بذلك لاكتفيتم بالقليل منه ولا كثير لما
علمت منكم ذالك من اكثار الكتب واضع المعنى مواضع النقب والناظر في كتب
الرسائل المبعوث بها الى البلدان ينبغي له ان يدع شيئا من البيان ولا يرى تعرفه بينها
وبين ما كتبته المشافهة والعيان بل ربما كانت تلك اكثر ايضاحا وابلغ تصريحا
وابعاد كل ذلك لتحصيل المقصود من كتاب واحد ولا يحتاج معه الى مراجعة توجب
كثر الانتكار وتشوف الى وارد لا سيما فيما تباعد من الديار وتناءى من الاب فكم
وان يتكلم بشيء من لم يتسبب ويتسبب من لم يتشبث ويكون ذلك في جميعه من ينتسب
الى من اليه انتسب فالفهم الاشارة واجب عن كل ما منه بتصريح او تلويح طلب
فان يعقل ذلك تعب وان لم تعقله اخطات فليس بكر لا يتعلم عتاب من على ذالك
عتب بل بعض الامر فيه عنه قد غيب وعجب وقد حسبتم ما كنت صاحبنا ولا كذب
ولا وهم ولا حسيب بالشيء وكسب وبذا جهل وحسب ولسان الحال افصح من لسان المقال
فيما خفي وغيب وليس عليك في هذا الامر تعسف ولا محتسب وسيعلم كل من تكلم اي منقلب

ينقلب والسلام. وبعد فقد وصلني كتابكم
وذكرتم فيه انه حصل بايديكم تاليف الفقيه فلان في نحو كم يقضي بان احاديث الصحيحة
ولا باس لو نسختموه وبعثتم به لان الاحاديث النبوية مكنونة الفوائد لمن عرف ما هو بها
وطلبتم فيها بهذا العنوان ما وقع في كتابنا من العبارات المسجعة كما طالعتموه منه في
كتاب قبل هذا وذكرتم فيه ما فهمتموه فيهما وسألتم هل وافق فهمكم ما فهم
فيهما الى الاجابة ما فهمتم في الكتاب الاول بعضه وافقتم وما فهمتم الغرض في
ائتلافهما في بعض منها فعرفتم وكنت نبهتكم على هذا في كتاب كتبته اليكم قبل
هذا ولعله لم يصلكم ان لم توافقوا ما فهمتموه في الكتاب الثاني فقد رأيتم في
ذلك عن قرب بعيدا وحملتم بعض الكلام محملا ثقيلا وذكرتم في ثنايا ذلك اشياء من
النمط العالي من سائر التوحيد والحقيقة والجمع والمعرفة وغير ذلك مما عبتم
به من العبارات او ان قلتم من معنى ما وافق مع النظر الى نفسه وكذا وكذا وكذا لا يفهم
ما يعني به اولياء الله بشيء منه وكيف ما يذكرونه باشارة او تلويح وانا لم انكر الا
تعريف ابن شارة وان تعنتت في العبارات في مقام من مراد وزنه في ذلك بحسب ما يليق
بالكلام المتقدم عليه وان اوجب ذلك لكم حتى لم تعثروا على المقصود باول وهلة
والله تعالى اعلم ما تحملتم اذا تاملتم ذلك السجع بين الجمع والفرق والكلام انما ارتبط
بعضه ببعض على تقدير بقاء ذلك الجمع وانما فلما وقع ذلك نقع الكلام وحصل
ابن شكال وان يقال ومراد الكلام الجمع انما الكلمات المسجعة انما اقترنت به
الكتاب الذي كتبته في شان الرجل الذي كان عندكم واردت بذلك ان يظهر امره للناس
لينكر عليه وينكل الغرض الذي قصد اليه وكان اذ ذاك فيه فرصة تامة واطلاع ذلك
فيه بعد ان كنت تغافلت عن ذلك طلب فلا رغبة في بيان الحكم في تلك النازلة فاغتنمت
ذلك وكتبته كتابا مستقلا بنفسه لم اخلطه معه غيره فلما رأيت ان ذلك لا يعني
شيئا وانه فيه بمنزلة من يؤذن في ارض خالية مع انه قد رفعت كراهية فلا لوم ان ذلك لا في
عرفت به فيه وانا احب ان يهدر شيء لم الا ما يراد به معيبا كنت في ذلك الدار وفقنا
بعوث ذلك الكلام وقلت لك لا تطلع عليه احدا سوى الحق اذ لكن قد اعتذر
اوجب انقطاع ذلك الكلام حتى لم يحصل منه بالمرة وقصر ما قصد منه واقتصر

فلا ادري كيفه وكيف وبئسما الرقم في الحين رغب وقولوا عينيه وما كذب فما عيناه ولا
كذب في هذا وانما قصدته بهذا السجع وامثال السجع المتصل به من قبله فهو من تتمة
اغراض مفهومة مما تقدمه من الكلام فقولي كذا وكذا ليحصل المقصود من كتاب
واحد ان يحصل المقصود من جوابكم عن كل ما تضمنه كتابه بتصريح او تلويح من كتاب
واحد اكتب به اليكم ولا احتاج الى مراجعة بكتاب ثان اذ الطلب منكم فيه كذا وكذا وكذا
مما لا يحصى ولا يعد فيحتاج في ذلك الى كثرة التكرار وتشوش سيما فيما تتداعى
الديار من التكرار لذلك يشيب من لم يشب ويشيب من لم يتشيب اي اجل لذلك الحال
الغليظ للذي تشوشا كثير الارقام دعليتم من جهتكم من كتاب تخبرون فيه باشياء مما
يصلح ان يتبعه ويدخل فيه فيحيا السائل من امور واقعة بكم او بعضكم وما قيل فيها وما جرت
اليه اي غير ذلك ليحصل في بذلك بعض انس لانه فما عندنا بحال غربة لا احد من احد
فالا تناسب حاله ولا من يتبع يكفا بوقت مبي فتجده استوحش لذلك وانا من
قبله فاذا ورد علي كتاب منكم كثير الحجم فيه كلام كثير اعجبني ذلك من قبل ان اقرأه
وقلت لعل فيه شفاء فاذا قراته وجدته غير مرو بغرضي فاو ذلك كان على خلاف ذلك
وهذا وان كنتم لا تعلمون الغيبة بغير الكراء عندكم فكنية بالاشارات والتلويحات
والمعرفة بالتعريض والتفاهيم وقولي ويكون ذلك في حقيقة من ينتسب الى من اليه
انتسب هذا الكلام فمن الذي حملتموه حملا ثقيلا كما ذكرته لكم لا اكراه عليكم انكم لا تعرفون
تاويله وانما قصدت بذلك ان لم انزل اجلي في ان نتكاتب للكتاب كم انزالهم ان يكون موجبا
لغرضي تجدونه مكتوبا في جميعكم وانما عنيت العبارة لاجل القافية او ما يشبه القافية
ونعني بالانتساب النسب الذي اشتركنا فيه حسبما كنتم ذكرتموه في وقصدت بهذا الكلام
نوعا من المزاح لا انه حقيقة لانه احب ان يكون في حقيقة احد بتلاعه من قبل فضلا عنكم
وهذا انما ليست بتلاعه وانما تشبيهها في الكلام والتعبير الذي قد يتم به هذا الكلام
لا يحتمله كلام اللغة لانه عبرت فيه بمن التي هي لمن يعقل وقلت لمن اليه انتسب ولو
اردت ما ذكرتم لقلت لما اليه انتسب فمراد ما ذكرته فيه نوع من دعوى الانتساب
الى كبير القوم وانا لا اقدر ان اقيم الا بينة بالانتساب الى ذلك ولا اتجاسر عليه ولا يعترض
على هذا بقولي في مقدمة التنبيه على مقدمة ابن عطاء اذ من علينا بان نتمذهب الى من اليه

لأنكم

ولا الانتساب

والانتساب الى كريم فمناسبتهن لان الانتماء والانتساب معنا لمن ليس بحقاق الى الخلافة
بعضه فيكون ذلك دعوى وانما اشترت ذلك الى الله تعالى واعتمدت في هذا الاسناد على
في الكرم لعله وعلى غيره من اعتقاد تلك النسبة ورجوت من الله تعالى لمن الكرم من ذلك
في الكرم ان يكون مصدقا بان يقع الامر كذا لمن يحسن له والكريم اذا ادعي عليه شيء عمل في
تحقيقه فيكون الحق اومن ادعى له معتقا اليه بصدقه في دعواه ويسوغ له ضيعته وجدواه
فهذا الفقد لمن قدرته تلفيق تلك الدعوى وكان عالما بالسير والتجوز سبحانه نعم المولى
وقوله في جميع الاشارة واجب ليقع منكم الوفاء بالغرض الذي تقدم ذكرنا له وقوله
فان تفعلن ذلك فتحسب انه تقع على المقصود عنه وقوله وان لم تفعلوا اخفتم ما يجب
من حق اقتراحي عليكم ولو فعلتم لما افعل انا ضيعتم ذلك انتم اخذ كتابكم واقبلوه قبولا
بحيث لا يشذ عنكم منه شيء مما يقتضيه فيه جوابا لكم فان تركت منه شيئا فانما اتركه تعمدا
لغرض لاني لا ارى لكم فيه مصلحة ولا فائدة ويستغني ذلك فيه لمزية الشيخوخة التي
ادعيتموها لي كما شاء الله تعالى وقدره وقد وافقتكم على دعواكم لمن ذلك لما اردت
ان اذن لي به ان من واختم به هذا الفصل **فان قلت** سار الشيخ ان لا يطالب تلميذه
بشيء من حقوقه واغراضه ولا يتغنم ذلك منه ولا يتعبه ولا ينكر عليه تشنعه
وانما يشتغل فيما يعود عليه بالمصالح الدينية والدنياوية لان الشيخ قد فرغ من
تأديب نفسه وتهذيبها وانت يا ايها المتكلم لم تفعل شيئا من ذلك لان هذا الخطاب
كلها النشأ على بعضها مما يشتت الهم ويغير القلب وانت تدعونا الى ذلك وقد ضيع عليه
تحصيل الغرض الذي يعود عليه منه مصلحة معتبرة مما يقصد به الشيخ تلميذه ومريده
بل ربما اذاه وشق عليه **فالجواب** هذا كله مما يتكل دعواكم التي ادعيتم الشيخوخة
وجميع ما اشترطتم به علي فان ذلك شرائط لا يقوم على ساق وقد رضيتم بشيخوخة تصطلح
عليها البعض من الشيوخة الحقيقية في شيء بحيث يقع فيها ما ذكرتم مما ان يقع
في الشيوخة الحقيقية من طلب الحقوق والاغراض التي لا يحكم بشيء منها المريد
فلا حرج علي في ذلك ولا اصطلاحات لم يقع علينا سؤال والبينة من قدر الدين
وقد لا يستبد له الى النكير بغير بينه بعد عنه وفي حقي بعد والبيت الذي قيل فيه شهود
بعض ابن زمنه ووفاتهم فيما ان بعد تبديل وفاته من اسمائهم فيقال لي

لي

مريد لذا الزمان وانت شيخ　　　قريب من قريب في قريب

وكان في البيت شهود للمعنى هناك مريد وقائم بدلا من شيخ وان لم تحصلوا بذالك
اجبتم في هذا الذي لا بد لي الا ان نفيض على لسانكم جوابا مقنعا وان لم تقدروا فان وجدتموه
بغيرها وفوقي به كيف لا يصح عتاب من على ذالك عتب اراد ان تعادوا عن هذه
وعاتبتكم على ذالك معاتب فان عتابه اياكم لا يستقيم لان تكليفه لكم بفهم تلك
الاشارات والتلويحات والاجابة منكم على حسبها تكليف شطط يفضي للمحالة
فيه الغلط فلا يستقيم فيه العتاب ولذالك قلت في تعليله لان الامر فيه عنده قد
بسن وجب وفوقي وقولوا احبتنا ما الذي هاجنا ولا الذي غر امر ترتب على العمر
قبله والقدر ما سمعنا حاله وليس بمثل ولذالك قلت بقول ولسان الحال ابلغ من لسان
المقال فيما اخبر وجرى ونعني بذالك ان تكونوا عند مكان العتب ذالك الكتاب من ذكرته لكم
في قولي وشبه سوال من في التيه يغيب على حال تكاتبوا معنى ذالك الكلام فان رايتم من بعض من
تقرؤونه عليه بعض ادنى التوقف عما كنا ابتدا فيه من الانتصار فلتم في انفسكم ذالك
الكلام لئلا يقع منكم في شيء مما ذكرته لكم تفهيم واجماع وتعشق ما الذي هاجنا
له فيما ادعاه فيه ومعشوق ما الذي ادعا ان العلم الحاصل له بذالك علم يقيني يشبه العلم
المتلقى من العلام الملك في المعاينة والقول بحيث لا يعتريه وهم ولا اشتباه ولذالك
قلت بعقل ولا وهم واقتديت في تلك العبارة بابي ذر رضي الله عنه حين قال في قصته وبابه　ولا اشتباه
المشهورة للنبي الكريم من قبل لقائه بشارة ما الذي ولا الذي لما اخبره ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان قال له انك تموت بفلاة من الارض وتشهدك عصابة من المسلمين
او كما قال صلى الله عليه وسلم وفوقي بلا شرب ولا كرب وبلا جهد ولا تعب هذا هو الغرض
في جميع الكلام المناصحة التي ذكرتم انه نزلت فيها جميع ما ترتاته منه ذالك الكتاب بفهم
وفوقي وليس عليك في هذا الكلام من معتوب ولا معتب انه ليس عليك في التكلم بهذا الكلام
معشر من عقل ولا معتب من شرع لانه من ابواب التحرف ينحرف عنه وفوقي وسيعلم
كل من كلمه ان منقلب ينقلب فصرت به تصور تلك النازلة ان سيعلم من كلمه بقلب
لك من رؤوس وضع لك شيئا في غير مواضعها قدره الذين هم اولياء الله تعالى وخاصته
اذ قال يتكشف عليهم بالك فراغ وان ذالك الذين اشتملت عليهم ثيابهم وتنعمت على

اوليا الله

اولياء الله تعالى كلانهم روسا فيستمع منهم الكلام وتنفذ منهم الاحكام وهم اهل
سبيلا من معاين ان نعلم اي منقلب ينقلبون اذا انكشف الغطاء وبرح الخفاء وصار
به الشفعاء وانقطع من يد الراجي حبل الرجاء فهنالك يفزع المسرف نادم ويقف من التحسر
والتاسف على فرط وبعد لنا قدر منه من عظيم الذنب وشهدنا ذلك بين يدي الرب
ان يردوا الى القدم فيمحا سيئات سيئات خسروا انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون ويوم
تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون ونعوذ بالله من الخسران الذي ليس له تدارك ولا
جبران ونسئله ان يرزقنا من حسن الادب والتعظيم للاولياء الله تعالى الذين اتخذوه وكيلا
وزهدا به كفيلا ولم يرجعوا الى سوى الله تاميلا ولم يروا لهم على غيره تعويلا ولا ابتغوا
عن الثبوت على قدم العبودية له تبديلا ولا تحويلا فانه يوجب لنا منهم القبول ويشفعو
لنا شفعاء عندهم في اليوم المهول وينظمنا في سلك محبيهم ويجعلنا ممن يجيب دعوتهم
ويلبيهم *

يا عباد الاله لا غيرا * للذي حل بكم من كرب فسوى *
فاقبلوا بفضلكم وارحموا * واشفعوا فيه للاله العلي *

وبعد فقد اردت ان اذكر لكم في بيان ما اشكل عليكم ونبهكم في ضمنه على اشياء
كنتم غافلين عنها لتعملوا على حسبها ان شئتم ولم يكن في غرضي ذكرها حتى حركتموني لها
وذكرتم في كتابكم انكم تركتم الرواية بالكلية وقلوبكم في ذلك حتى بعثتم كتاب الموطا وجزءا
انفسكم بغير ذلك ولا تحتاجوا الى كل هذا ان المراد منكم ان لا تجعلوا ذلك من همتكم كل
الشغل والله يصلح منا القول والفعل ويعاملنا بالحسنى والفضل لا اله غيره لا اعلم
وبعد فقد بلغني كتابكم وانتم تذكرون فيه وفاة سيدي الحاج فالله
تعالى يرحمه ويبرد ضريحه ويجزيه عنا افضل الجزاء فعظم اجركم نعم الصاحب والحبيب
ولقد استراح من مشاغب الدنيا ومشقتها وبقينا بعده نقاسي الزائد

ليس من مات فاستراح بميت * انما الميت ميت الاحياء

ولعمر الحق ان ذي حقا ان مكابدتها متعبة الدين لاسيما ان لم يقترن بسوء الخاتمة
والعياذ بالله وسبيل نجاتنا منها في غاية الغموض والاشكال والزلازل علينا
كعنقاء مغرب لا توجد مثالا ولولا الغفران التي نحن فيه فلو بنا من اثار رمق الكلية لسنا احدا
لما ذهبنا به من المصائب التي سدت علينا ابواب الرحمة وقطعت عنا قوة العصمة

فإنا لله وإنا إليه راجعون وقد كان السلف الصالح رضي الله عنهم يخافون من النفاق
الغادحة في دياناتهم فيتوددون إلى الله بما تواعلى ما هم عليه من الصفاء والزكاء فقد كان بين أيديهم
ما يقولون به عن حالهم وإن شئت في حالهم فعوقنا الأمر له صحة إيمانهم وصفاء يقينهم بسبب
أنوار النبوة التي فاضت عليهم من رفضهم للدنيا وإيثار الآخرة عليها وبذلهم المجهود
والاجتهاد فيما يؤدي بهم إلى هذا المطلب الشريف وكانوا في هذا الحال من خشية الله من تقصير
بالكسير يتوصلون به إلى تلك كيف يشعر بوجود أحد يناله منه فيه ويغلب الله عليه فكيف ترى
يكون حاله في التمرد والتمسك وفي حديث أبي جحيفة رضي الله عنه أنه قال خرج علينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم متغير اللون فقال ذهب صفو الدنيا وبقي الكدر والموت
اليوم تحفة لكل مسلم فصار مع هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قاله وقاله
أحد من أصحابه رضي الله عنهم في زمانهم الصالح فماذا عسى أن يكون قولنا نحن ولا كن
مثل هذا القول إنما يصدر من قلب حي بالإيمان متعطش للزيادة والنقصان عالم بالصفاء
والكدر وما يبقى منهما وما بان وإنما نحن فقد ماتت منا القلوب واستولى عليها ران
الذنوب فضعف بسبب ذلك إيماننا بالله واليوم الآخر وصار حديثنا بذلك
حديث مستهزئ ساخر فركنا إلى هذه الدار التي فيها نغتني ونعيش مع أنا لم نحط
منها إلا بحملي الصراف الريش وقرنا بها أعيننا وإن كان حاصلها زورا ومينا فحيث أنا
بعد البقاء فيها ولو ساعة واحدة غنيمة باردة مع ما نلقى فيها من أنواع البلايا
وضروب الرزايا حتى إذا نزل بنا أمر نتوهم أن يكون في ضمنه الموت قامت علينا القيامة
وانقلبت الدنيا بنا على عقب وشملها الاستيشعار لنا ذلك فإن نجونا من ذلك تمسكنا فيه
الموت وتركنا به الزاد ركنا إلى الكنا من الغافرين ولا كنا أخذنا الزمان ماتت فيه القلوب
وتمكنت فيه المنكرات فحاسلب منها من أنوار الإيمان واستولى عليها من جنود الشيطان
فما أحقنا بالبكاء بغير الدموع بالدماء وما أحرانا أن نكون على حال لا نغفلنا أرضونا
تكلنا سماء واعظم المصائب علينا أنا لا نجد أحدا ينبهنا على مثل هذا وينعش
قلوبنا من حالها وعقالها وإنما نجد من نزداد به تمكنا في الباطل ورسوخا في الضلال
ومنهم الدجاجلة الكذابون الذين خاف علينا منهم الناصح لنا والشفيق علينا صلى الله
عليه وسلم أكثر مما خافه علينا من المسيح الدجال ولعمري لمن كثيرهم من قرب البحث

مما اولاه الناس فرد ابوابكم عليه واستغنا بما لديكم منه عن ان يحتاج الى كم مؤونة ومن
تعب بدن او لسان كقوله ذلك انه كفاية والكافر اذا دعا المومن الى الكفر جهارا
لم يقبل منه ولم يستجب له فاذا تلطف في ذلك واحتال عليه بالتلبيس وبامور تناسب
حال المومن يستتر معه بذلك استدراجا خفيا ويمشي معه اسيرا فلا يشعر به حتى يفضي به
يحمل على مراده لا جمع وفي حديث الفتن والتعريف بالسلطان حيث قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم فيهم دعاة على ابواب جهنم من اجابهم قذفوه فيها وقد
اجاب به حذيفة رضي الله عنه حين سأله عن صفتهم فقال صلى الله عليه وسلم هم
قوم من جلدتنا يتكلمون بالسنتنا اشار الى المناسبة والمقاربة التي ذكرناها
والله اعلم وابليس لم يقدر على اغواء ذلك العابد من بني اسرائيل حتى بنا مسجدا
فبالله مسجدا وزاد عليه في اجتهاده وتعبده وحينئذ تمكن منه والضلال يحصل بعين
ما تقع به الهداية والتوفيق يناله من سبقت له من الله العناية يضل به
كثيرا ويهدي به كثيرا **وعند كتب هذا الكتاب** وصلني كتاب منكم
تضمن اخبارا بامور من جملتها السؤال الذي سأل عنه الشريف الذي ذكرتم لا زال الاشكال
عليه في ذلك انما اتاه مما توهمه من ان الروح اذا ردت بعد خروجها مصحوبة بالمشقة
ومن اين له هذا فان قاسه على المعهود في النوم فلا مشقة في ذلك ردا ولا خروجا
وان قاسه على حال الموت فلا رد هنالك تنشأ عنه فيه المشقة وانما تنشأ المشقة
حال خروجه عند الموت وقياس خروجها في البرزخ على خروجها عند الموت لا يستقيم
بين موجب وجود الالم منتف هنالك لعدم وجود البشرية التي تشعر بالالام واللذات
الدنياوية والمشقة التي ذكر هنا تابعة لذلك وهذا القدر كاف في ازالة الاشكال
والزيادة عليه وتحقيق القول في كيفية هذا الامر فضول لا يسع الوقت ان يقال ولا اصل
كيف خفي هذا على الفقهاء والطلبة الذين ذكرتم ان السائل سألهم فلم يجد عندهم
ما يشفيه فلاما ان تكونوا احببتم ذكرتم ان مشكل لم تحرروا محله واما ان ابا حنيفة ان له
ان يحرر محله وما ذكرتم في هذا الكتاب والكتاب الذي قبله من انكم اردتم المجيء الى
مقتنا برسم الزيارة ومقابلة النسخ وتصحيح بعض ما تضمنه وسألتم مني الكلام في ذلك
فلابد له ام لا **فالجواب** والله الموفق للصواب ان السعي في هذا الزمان صالح لانه

معتبرا في حرك وقرك الا ان الفائدة فيه قليلة لا تفي بمتاعب السفر وتشتت البال وفراق
الاهل في هذا الموسم وتعلق الخاطر بالاولاد والمسير وغير ذلك مع ان الحركة يسيرة
لا يحصل في مثلها تشف ولا استراحة الى هذا الحد ولا كلام
في
ايسر فيها حتى لا قليلا اجتمعنا في مكان نسلم عليه وداعا
فمع ان تزاور الاحرار بالاسرار والبر يقوم مقام المشاهدة في مقدار ومقابلة الشرح
الوسوسة
معنى مقتضى الوسوسة التي صحبتكم من رواية الاثار وتصحيح معانيها لا على وجه التكرار
وبذكر بعد خلع العذار وقطع الزنار وعدم الوقوف مع جهة او دار فهنالك بلوغ الامال
وان وكثار في على نفسه بل فيه من هاع منزل في ولبشر له فيها نصيبه واسهم في
وتفصيل قلا رسالة ذلك الشريف بالتنفس لا يستغني فيما يكفيه الا ان النفس
فلا بد للطبع في ادخاله واخراجه وكسل ما الا من الطبع معلوم انه لا ان فيه وامثلة
وافتاد دخول الروح وخروجها من الجسد فامرغ بيب لينحرف به تشاكل ولا مناسبة
فنجد ان الى في ذلك لينبري يستبعد ولولا مشاهدتنا حال النوم واليقظة وما يجد في
دخول الروح وخروجها في ذلك من نقل ان الحلم ويعرف منه جزء الازمنة ما استشكل على ذلك
الشريف هو وهما وبعد وعلى رسول الله افضل الصلاة والسلام وقد تقدمتم
في مسئلة الشيخوخة ووردتم الكلام في حكم التنفس وعدم حكم التنفس والخلاف في ذلك
بيننا خلاف في شهادة انتم تقولون حكم تنفس محمود وانا اقول حكم تنفس مذموم ورفع
الخلاف في ذلك بينكم هو كون الى اكثر القوم ولاكن حين تقدمتم في تلك المسئلة واطلتم
واحكيتم فيما فهمته انا اورد عليكم سؤالا اشغل به بالكم واتقرب بجوابه من الخبير
التصوف مقدار ما انا الكن ليقع لي العرج وان شيتبشار اذا افادتم فيه الحق والصواب
وان كنتاب وان نكتب اذا فهم منكم عن ذلك الجواب وهو ان رجلا ممن ينتسب الى
طريقة الفقر جاء زائرا الى من لم يتصف الا بالعلم فتقبله وجعل يبكي على
ذنوبكم بهمة الفقر وخلاء الدنيا من اهلها وتبرا فيها الله منهم واستحالة ما يقدم عليه
فلما سمعت بذلك قلت للفقير هذا الرجل في منزله ولم يشتغل بزيارة احد وكان يوفر
على نفسه العناء والتعب في قطع المسافة البعيدة من ذلك مع قلة الرفق وتشويش
وخوف التهور وقلة الضعفة كان اولى به واسلم له في منقلبه فاخبرني لاي شيء هذا

وهذا الذي يظهر لكم فيه وهكذا هو هذا الزائر الذي يكون عليه في فصل الزيارة فإن أجبتموني
عن هذا الجواب بشفاء شفيتموني بذلك وعلمت أن سعيي معكم لم يضع من كل الوجوه وإنما
فلت من كل الوجوه لا من بعضها فرضاع من جهة منها وذلك من جهة ما يرجع إلى من
تقصيري وإخلال عقدي وأنا في ذلك كما شاء الله تعالى وما أثني على مثل هذا من حمل
ذا ليس أثني عليه بكثير لأن هذا كله لا يمنع من حضور الفائدة على من شاء الله عز
وجل بحجة قول النبي صلى الله عليه وسلم إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر فلا يستغني
تم محمد
لا عن قلبي على يديه أحد أن يدعي صلاح حاله فيما بينه وبين ربه لأن هذا الحديث يرد
عليه ويدفع في صدره والستر في هذا أعني والله أعلم أن من لا حظ له في حقيقة من الحقائق
وجد محلا قابلا لفائدة فيه لم يستغن أن يذكرها ولو نشر بالمناشير ومقيد على
ذلك بالبرهان الغزالي وقع نيته في ذلك نعم أو لا تبع بين يدي الله تعالى للاتكال ولا بد
من أن يفيض الله تعالى للأقوام منها من شاء الله عز وجل من مؤمن أو فاجر أو كافر أو صديق
أو زنديق واعتبر هذا المعنى بقصة الراهب الذي اجتمع به إبراهيم بن أدهم رضي الله
عنه في هو ونعته وإعطائه من قوته وباعه من تلامذته بمال من الثمن وعنايته على
عدم نفعه منهم بانتفاء ذلك وانتفاء أعزته عليهم وعظم أمره في قلوبهم مع
اعتماده على نفسه بالكفر بين يديه ودعائه إياه إلى علوم التوحيد وإبطال كل معبود
سوى الله عز وجل ولم يعتبر في ذلك ما يجده على نفسه من إبراهيم بن أدهم من عنده نعمة
وتيسير أمر له ولا بد له إلا اتباع حتى يتبركون منه فيه وينتفعون في وجهه ولكنه كان
معتمدا على ذلك لم يجد انفكاكا ولا سبيلا إلى أن لا يتكلم بذلك الكلام الحقيقي لإبراهيم
ابن أدهم مع شهوده فيه أهلية ذلك ولذلك قال إبراهيم بن أدهم في ابتداء تلك —
القصة تعلمت المعرفة من راهب وقد تعلمنا فيه إلا من هذا الوجه ما ندرة العجز له
ومسكنته وعدم تمالكه فيما تحمله يستشهد به فيما أداه إليه مما هو عليه من الكفر
من الخيانة والمكر لا أولا أن اتباع الذين يزينون هو معه ويعتقدون ربوبيته أو ما
يشبه الربوبية وما ذاك إلا أن الله تعالى أقام حجته على لسانه وقد يكون ما كان
ويمثل هذا المنزع حال جار غيرهم محمود في ذلك ولا مشكور ولا مثاب ولا مأجور
والحمد لله والشكر لله رب العالمين وانتظر ما ذكرناه مقامه لم يكن في خاطري منه

شيء دخل فلك وعلمت ان شيخي معكم غير ضايع من كل الوجوه ثم تسلسل الكلام
وجرى القلم بما ترون وهو القاصر بذوي علماء ذلك وان لم تجيبوني على ذلك بجواب شاف
فانتم تدرون ما اريد ان اقول والله تعالى يخلصنا من الفضول ويرزقنا منه القبول
وبلوغ المامول واتباع سبيل الرسول الصادق الامين في القول والفعل بمنه وكرمه
وبعد فقد بلغنا كتابكم المشتمل على المسايل المتنازع فيها
وطلبتم منا بيان ما ظهر لي فيها **اما مسئلة** رؤية الاولياء للملائكة
على وجه الكرامة اما الجواز فلا ينبغي لاحد ان ينكره واذا كانت رؤية الله تعالى
على وجه الكرامة جائزة في الدنيا على احد قولي شيخنا ابي الحسن فجوازها في حق
الملائكة اولى واما الوقوع فقد نقل جماعة من الصحابة رضي الله عنهم انهم راوا ملكا
على صورة رجل فسلم عليهما ويكفي في ذلك الحديث الصحيح الذي ذكر فيه الاسلام
والايمان والاحسان وفي اخره فقال يعني النبي صلى الله عليه وسلم هذا جبريل اتاكم
يعلم الناس دينهم **واما عائشة** رضي الله عنها ففي بعض الاحاديث انها
رات جبريل عليه السلام في صورة دحية الكلبي وفي بعضها لم تره وانما قال لها
النبي صلى الله عليه وسلم هذا جبريل يقرئك السلام فقالت عائشة وعليه
السلام ورحمة الله وبركاته ترى ما لا نرى تريد رسول الله صلى الله عليه وسلم **واما**
عمران بن الحصين رضي الله عنه فلا علم لي برؤيته لهم وانما المنقول عنه
ان الملائكة كانت تزوره وتسلم عليه كما ورد في بعض كتب الحديث وكانت الملائكة
تسلم عليه من حيث لا يراهم فلا حجة بحديثه على رؤية الملائكة للانبياء والله
تعالى اعلم **ولا فرق** في ذلك بين الصحابة وغيرهم فيما يظهر لي **وقد يقال** ان ذلك
ببركة رسول الله صلى الله عليه وسلم صحيح ان بركته لا تختص بالصحابة بل اتباعه
كلهم تشملهم بركته وسائر كرامات الاولياء معجزة له صلى الله عليه وسلم فاذا صحت رؤية
الملائكة من اولياء الله تعالى العارفين على هذا الوجه لم ينبغ الانكار عليه **فان**
قيل انما حصل العلم للصحابة رضي الله عنهم بكون الذين راوهم من الملائكة من
جهة اخبار النبي صلى الله عليه وسلم اياهم بذلك وهو الصادق المصدوق ومن اين
يعلم ذلك من بعدهم **قلنا** انه يستحيل في مقدور الله عز وجل ان يخلق الله تعالى لهم

علمنا ضروريا بذلك اذ فاتتهم رؤية النبي صلى الله عليه وسلم واختبار احواله والعلم الضروري
لا يتكلم **وقد ذكر** الشيخ ابو طالب رضي الله عنه وتبعه الشيخ ابو حامد الغزالي
والنصر له عن بعض العارفين قال كشف لي الملك فسألني ان املي عليه شيئا من ذكر الخفي
والحكاية الى آخرها **فلو فقد** نقل سيدي عبد النور في الكتاب الذي الفه من كرامات سيدي ابي
الحسن الشاذلي رضي الله عنه وجملة من علومه وكلامه حكاية عن الشيخ ابي العباس
الجاسي عن ابي عبد الله الفهدي قال سالت سيدي عبد الله الحبيبي وكان من كبار اصحاب
سيدي ابي الحسن فقلت له يا سيدي اخبرني بشيء مما رايت من احوال سيدي ابي الحسن رضي الله
تعالى عنه فقال لي نزلت معه وفتنا من جبل زغوان وهو راكب وانا امشي خلفه فقال لي يا عبد
الله اذا ورد عليك حال فاترك الدابة تمشي حيث توجهت ولا تعترض عليها في شيء فبينما نحن
نمشي واذا به قد كساه حال غيب فيه واذا بسحابة كثيفة سترت ما بين السماء والارض فقد
اظلمته واذا بأربعة من الطير يتقدمها طير كبير فانكشف ذلك الطير العظيم للشيخ فاحتضنه
وجعل منقاره في فم الشيخ وبقيت متحيرا في ذلك مدة وارتفع ذلك وذهب الطير ورجع
الشيخ الى حسه فنظر الي وقال يا عبد الله رايت شيئا فقلت له نعم رايت وذكرت له ما
ذكرت لك فقال لي اما سحابة الطير فهي ارواح الاولياء لله تعالى واما الطير الكبير الذي
يقدم الطيور البيض فهو الملك عندي وهو صاحب تلك الفم سالني في علم يختص به
ولا سبيل الى تغطية احد من هؤلاء الائمة ولا تكذيبهم فيما ادعوه في الامر النقل في هذا
المعنى لا اكتبه فليتبع الاول **واما رؤية** الملائكة على الصور التي هم عليها
فلم ينقل عن احد من الاولياء انه راهم كذلك والذي يظهر ان ذلك من خواص الانبياء عليهم
الصلاة والسلام ولعل ما وقع للقاضي عياض في ذلك انما هو في ادعاء رؤيتهم على هذا
الوجه اذ هذا الوجه قد يمنع وجود الاجماع ومراده عن ما يخالف الاجماع فقد يكفر بذلك
وكلام عياض لم اقف عليه ولم يسع الوقت استعارة الكتاب الذي هو فيه فهذا ما عندي في
والله تعالى اعلم **على** ان التشاغل بمثل هذا فضول اذ هو شيء لا يتعلق به عمل
واما المسألة التي جرت بينكم وبين فلان في السلوك والجذب فالذي يظهر
لي ان السلوك لا بد له من جذب يتقدمه والجذب لا يلزم منه ان يكون له سلوك يتقدمه بل يكون
الجذب ابتداء ثم ياخذ في السلوك ثانيا فان عنى بقوله لا بد في الجذب من سلوك السلوك

الصهلة جليلانة كرامة تعجيب
من ابي عيسى الشاذلي ولي مدرس
... تغيير ... الاحتياج الشاذلي

كذا

او قبلها كما قلت على الصوفية
علم يلبيه لم ينقل عن احد مثل
ذلك ... كذلك

اي في ثاني حال صحيح واما في الابتداء فلا يصح للزوم التسلسل وقد ذكرت هذا المعنى
في بعض كتبي تلك الكراسة واما المسألة التي تنازعتم فيها مع فلان فلا اختلاف
بينكم على الحقيقة لان الولي اذا فعل فعلا منكرا في الظاهر لا بد له من تاويل يسوغ عند الشرع
كمسائل الخضر فان العقل يفهم جواز فعلها شرعا ولا ينكر ذلك واما ما لا يمكن فيه
تاويل يسوغ عند الشرع فان الشرع لا يجوزه ولا يقع من الولي الا على سبيل الغلبة والمحو
والعقل يساعد على هذا ايضا فما اخذ به من اعتبار نكر العقل صحيح وانما اختلافه في
الاحاد الجزئيات وما اخذ به الآخر من اعتبار التاويل صحيح وانما اختلافهم في الفاظ نقل
العقل وادعاؤكم انه معزول بمجرد ذلك وليس هذا من المواضع التي ينعزل فيها نظر
العقل فان الاحكام الشرعية يوافق عليها نظر العقل لانها قوانين موضوعة لتتم فائدة
المكلفين وتعقل ذلك امر لازم وانما يكون العقل معزولا في مسائل الاعتقادات بمعنى
بمعنى انه لا يتصرف فيها بفكر ولا تكييف واما مسألة السالك المجذوب
والمجذوب السالك وتقديم احدهما على الآخر في استحقاق المشيخة
فالذي يظهر في ما قاله السهروردي رحمه الله تعالى لان المجذوب السالك انجح
تربية من السالك المجذوب فيصل به المريد في اقرب مدة لان سلوكه على بينة وبعد
تقدم جذبه معرفة بالسالك على بدايته ابدله منه فيستمد به من انوار سلوكه ويوجد
حلاوة فيه لان سلوك شيخه كان على هذه الوتيرة والارتباط بين حال الشيخ وحال التلميذ
امر متحقق فبهذا النظر يرجح للمشيخة من ذكرناه على الآخر واما ما احتججتم به
من كون المجذوب بمنزلة من اخذه الملك وخلع عليه خلعة عناية به ومحبة له والسالك
بمنزلة من قيل له سر الى موضع كذا واعطيك كذا فليس بمناسب لما ادعيتموه ومعه
نافع حتى يتم ما ذكرناه وما احتج به المنازع لكم في تقديم السالك المجذوب فهو
بعيد المناسبة فيما يرجع الى المشيخة والتلمذة لان اللازم ان ترتب للسالك المجذوب
على مجاهداته ومكابداته للاثر له في ترجيح حاله على حال الآخر في ان من ذكرناه وذكر
الآخر مثلها فقيل لا ينبغي ان يتكلم به كل من ينتسب الى طريقة التصوف لان القوم
لم يتكلموا ولم يعملوا الا بما يعتقدون نظرهم اليه ذنبا من الذنوب لان ذلك
راجع الى حظ النفس وهم انما يعملون في كل شيء على ازالة الحظ لهم حتى يتحققوا بذلك

كل

عبوديتهم وهذا هو حال اهل القرب السائرين الى الله تعالى بالقلب واما الالتفات
الى اللائح فهو شأن اللاهين العاملين بكثرة الطاعات الموقوفة على الجوارح المحسوسات
والامر على هذا والذي في هذا الآن من وقول لكن في الرد عليه ليس من شأن المتصوف البكم
الى مجاهدة انه ومكابرته ولا اهل لمن يصح له علمهما جميع فليح ومن اين لكم هذا الولاء مساعدة
الريح فاحمدوا الله تعالى ان هداكم واشكروه على ما اولاكم وتحققوا بذلك لازدياد
المعارف واهدوا الانوار منه وتمنوا ما ذا انالكم الله من فضله ودعوا الشمعة تخنق وبنار هقد

واما المولد فلا يكفر في انه عيد من اعياد المسلمين وموسم من مواسمهم
وكل ما يفعل فيه مما يقتضيه وجود الفرح والسرور بذلك المولد المبارك من ايقاد
الشمع وامتاع البصر والسمع والتزين بلبس فاخر الثياب وركوب فاره الدواب
امر مباح لا ينكر على احد قياسا على غيره من اوقات الفرح والحكم بكون هذه الاشياء
بدعة في هذا الوقت الذي ظهر فيه سر الوجود وارتفع فيه علم الشهود وانقشع بسببه
ظلام الكفر والجحود وادعاء ان هذا الزمان ليس من المواسم المشروعة لاهل الايمان
ومقارنة ذلك بالنيروز والمهرجان امر مستثقل تشمئز منه القلوب السليمة
وتدفعه الآراء المستقيمة ولقد كنت فيما خلا من الزمان خرجت في يوم مولد
الى ساحل البحر فاتفق ان وجدت هنالك سيدي الحاج ابن عاشر رحمه الله وجماعة من اصحابه
وقد اخرج بعضهم طعاما مختلفا ليأكلوه هنالك فلما قدموه لذلك ارادوا مني
مشاركتهم في الاكل وكنت اذ ذاك صائما فقلت لهم اني صائم فنظر الي سيدي الحاج نظرة
منكرة وقال لي ان هذا اليوم يوم فرح وسرور يستقبح في مثله الصيام بمنزلة
يوم العيد فتأملت كلامه فوجدته حقا وكأنني كنت نائما فايقظني لاكرامه انتهى
الحق في الغالب من اجتماع الرجال والنساء وتزاحمهم وتضامهم والاصغاء بالسمع
وارسال البصر في المستحسنات المحظورة المسموعة والمنكورة عند تشاغل الولاة
بالاذكار والاشعار وقبل استتمام قوة النهار من التي تكون فيها هذه الحالة المرضية
وتوجب للمتدين ان لا يشتغل بما يوقع في مثل البلية وان يسد هذا الباب على نفسه
بالكلية فاذا ان كثر العمل بذلك لاجل ما يؤول اليه من الفساد لا لاجل كونه بدعة
بوقوعه في كل حال من الاحوال كان تنبيهكم فيه صحيحة والاثم كن تونس الناس فيكم

الصلاح بسبب ذلك ولا حاجة لكم إلى ذم الناس بتفريطهم رجوعكم إلى الحالة الأولى وسيركم
للمسيد في ذلك الوقت لا وجه له مع أن ذلك يفوتكم منفعة الأولاد الذين جرت العادة
بإدخالهم في ذلك اليوم المكاتب لاستماع الأولاد الذين يسافرون بالبحر والكتابة وأنواع
الحرب والشبكة أن ينفعهم صاحبها للصغير في مكتبه ودوعيه فيما لم يكن قط منه
بكتابه ولا بأس بزيادة شيء في المسيد ذلك اليوم المبارك بحرفة تنبيه وتبيين عشرة
من الأيام ويجعلون فيه أربعة فقط فيها أو خمسة أو ستة أو سبعة أو عشرة وإن كان
ذلك شيء مما جعلوا حسن ويشتغل الأولاد إذ ذاك بالواجب وأما إتيانهم بشيء غير
ذلك فإذا اشتغل الصغار فإنما تعلموا الأولاد واشتركوا في ذلك قبله الأعياد
وحكم ما يعطى لكم فيه حكم ما يعطى لكم في أعياد المسلمين إذ لم يقصد بذلك غرض
فاسد في الدين وأحكم بذلك والفضلاء بما هو كتبه الإمام والسادة الكبار وعليهم التكلم وأما
فيما يجوز من ذلك وما لا يجوز فإذا أنتم فهمتم هذا كله وانشرحت صدوركم له ولم تجدوا
في أنفسكم رعونة من ترك مخالطة الناس فيما اعتادوه أو ترك موافقتهم على الكره
إلا فعلا مما أرادوه وكنتم تعيشون مما عساه يتحصل لكم من متاع الغير ويفوتكم
من ذلك بسبب ما عملتم عليه من التجارة فإنكم لا تبورون كانت حالكم صحيحة ليس فيها
سقم ولا علة ومتوقعين زهادة وتتحصنون به حالكم وتنتفعون فيه صوابكم ومحل سلمكم
والله تعالى ولي التوفيق **وبعد** فقد وصلنا كتابكم وأنتم تذكرون فيه
أشياء من جملتها أنكم سألتم عن العلة في تلك المسألة على كبر الجماعة والأدب
كيف يقبلهم عنهما ومن فتنة في كلامي علي أو مسألة من مسائل ابن عطاء ولما
كان المعنى في ذلك لا يفهمه كل أحد ولا فائدة فيه لأكثر الناس بل ربما أضر ذلك
بهم لم أذكره ولم أبسط الكلام عليه واكتفيت في ذلك بالإيماء والإشارة ومنها
أنكم ذكرتم أنكم خلوتم الجواب على تلك المسألة التي ألقيتها عليكم واستشرتم أن
جوابها راجع إلى ما تضمنه الكتاب الذي فيه جواب فلان وأن فيه الإشارة إليه ولكن
تنبيها على حيثية النازلة هو المطلوب وما ذكرتم من قولكم وبالجملة فأنتم تعلمونه
وترشدونه للأدب حيث يدري البداية أن كلامي مجمل لا يفهمه كل أحد وبعضه لا يناسب
تلك النازلة كل المناسبة ومطلوب إنما هو ما ذكرته من التنبيه بل إنه يحتاج فيه

أي

اى التطهير ولا باس بالتشاغل بمثل هذا او قطع الوقت فيه لانى اجد فيها سرور
نفسي لانى اذا بقيت بلا شغل يصيبني فتك وضيق فتجوزوا التشاغل بالشيء واعتقد
انه لا ينفعني كل المنفعة في حال ولا مال بل ربما اضر في ذلك فاحسب ان جميع الناس
مثلي والله تعالى يلطف بي فلو شعرتم بمثل هذا الحال الذي من انفسكم فدعوه وما
تشتغلون به وان تجوزوا فينبغي لكم بما اعطيتم وتغافلوا عن جميع ذلك
فقد اعطاكم الله منه ومن غيره وذكرتم في الكتاب الاخر انكم اردتم حضور
د ولقد الموكها ابل احضرتم واردتم منى الاشارة لكم بما تفعلون هل تشتغلون على
الحضور او تغيبون عن ذلك اعتزال اخذ ورنبور وكل يكفر لي ما اشير به عليكم وحضور
مجالس العلم بركة لا يكون لا تحصل للامر كانت له فيه نية صالحة محققة فلو اخبرتموني
بالذي فتح عليكم منها لكتبت انكم معكم فيها وحين لم تخبروني بشيء منه الى الان اردنا
افعلوا وقد كنت بعثت اليكم جواب الكتاب الذي بلغنا قبل هذا وتحققت وصوله
اليكم لان الحامل له شخص موثوق به وله فيه منفعة وقد ذكرت لكم ما فهمته في تلك
المسائل وكنت استعملت في كتب ذلك الكتاب وفقد علي بسبب ذلك امور
هلا انبهتكم عليها او سألتم مسألة رؤية الملائكة فذكرت لكم ما فهمته فيها ولم
اذكر في ذلك نصا لاحد من ائمتنا ولم يحضرني حينئذ اذ ذاك والمسألة قد نص عليها الامام
ابو حامد الغزالي رضي الله عنه في كتاب القلب وذكر نحو ما قلناه او ابلغ منه
فانظروه هناك والامام ابو حامد عظيم القدر

اذا قالت حذام فصدقوها   فان القول ما قالت حذام

وما نقل عن القاضي عياض مما يخالف ذلك لم اقف عليه كما لم تقفوا انتم عليه
ولعل من نسب ذلك اليه وهم فيه والله تعالى اعلم وفي الكلام على السالك
المجذوب والمجذوب السالك اشير اليه اوجبه عدم التامل منى لما كتبتم به وذلك
انكم لما استدللتم على تقديم من قدمتم على الاخر بما ذكرتم من الكلام قلت لكم ان ذلك
الكلام غير مناسب لدعواكم تقديم من ذكرتم تقديمه للمشيخة وقلت لكم انه ناقض
حتى يتم ما ذكرناه لكم وذلك كله صحيح بالنظر الى ذلك اعني تقديمه للمشيخة
ومع قطع النظر عن ذلك وادعاء افضلية احدهما على الاخر في انفسهما ربما

يظهر بادي الرأي فالأظهر لكم من تقديم المجذوب السالك على السالك المجذوب وليس يظهر
لي فرق بينهما من جهة الحقيقة لأنهما اشتركا جميعا في كون كل واحد منهما عنده ناظر إلى عمله
ولا ملتفت به حظا لنفسه وحاصل ما فرقتما أن المجذوب السالك وجد باللطف ومن
تعرف يؤدي إلى المعرفة التامة بما ابتدأ له به من السلوك واللاحق فوجد بالعنف ومن
أيضا تعرف يؤول إلى معرفة تامة بما ابتدأ له به من الجذب وكلاهما محبوبان قد خلع
عليهما خلعة العناية والمحبة والمكابدة التي لزمت أحدهما دون اللاحق بعد تحقيق
وصوله لا تنقصه كما أن الراحة التي حصلت من سبق إلى حق بعد تحقيق وصوله لا تكمله حتى
يقع تفضيل أحدهما على الآخر **فإذا اتضح** معنى الفرقان فما ملتم به خلاف الشيخين
غير موفق بالغرض في تقديم المجذوب السالك على السالك المجذوب وكلام الشيخ زروق في
لم أذكره ولم أقف عليه ولم يقع بيدي كتابه ومن أجله مني وفضل الله تعالى يطلعني عليه وقد
كنا منه في غاية الصبر لولا القدر الذي ليس للعبد منه ملجأ ولا امتناع **وقد بلغنا**
كتابكم وذكرتم فيه أنكم وقفتم على جواب المسائل التي سألتموني عنها وقد حملتها مسألة
المنزل المبارك وحكمتم بأن ما ذكرته فيهما في غاية الحسن إلا أن نفسكم اشمأزت من
اجتماع وقت السمع مع قراءة الألواح وتعلق الشك عليهما ولم يعجبني هذا الكلام منكم
لأنه تعرفت منه أنكم ما أردتم سلوكه فسلك الناس فيما يعلمونه ذلك اليوم بالكلية
وأردتم ذلك الذي محصوره أو تخالفهم بالكلية حتى تكون عليها من الجمهور ولا أريد ثم أن
يكون أحد منكم من الجهتين على وجه لا ينكره شرع ولا يتوجه فيه لمن يعقله زجر ولا ردع
وخصوصا الوجه الأول فإنه يندر وأما المنع فمنه كان تعرف سلم بعمله وأنتم حتى
صدوركم في ذاكره وأوله ومعنى المسألة إن سلكتم في معاملتكم لربكم في هذه النازلة
ليتبين بها منفعة أن طلب التوفيق الذي استضاءوا بأنوار المعرفة والتحقيق لأن العبد
من شأنه أن لا يكون له غرض من أغراضه ويود أن يوافقه مولاه عليه وأدبه في هذا أن لا
يمنع من وقوع موافقة مولاه له وأمضاه غرضه وذلك بأن يكون غرضه تابعا لما يأمر به
مولاه فإذا ورد منه ما يكون له فيه غرض فذلك معنى الذي بالشهوة والأكان غرضه
ولغير الذي به وأنتم في هذه النازلة حدتم عن كثير من الأدب وإن كنتم مما زعمتم على القيام
بما عليكم وجب والله تعالى ينفع لنا ولكم وفهمت هذا كله من فعل لكم إلا أخذكم

في ما بينا فقد قلنا ارجع اليه فلولا تشوش ولكن انى ذلك فانكم متعنتون عليه وكيف اذكر لكم ما
بيننا فقد والحال قد الجاتنا الى ما ذكرته لكم حتى لم نجد محيصا عنه لانا ان رجعنا ابتر وقد
السمع وذلك المقال المعروف لم يخل ذلك المؤكد من وقوع المنكر الحالي منذ مدة من
مدة وابن من ابن وما يؤدي الى هذا كيف يستجيز عاقل ان يجعله اتباعا لمن خالف الناس
من غير امر ولا اخر في فاذا اوقدتم من المصابيح فانيتم واشتغل الاولاد بما بينهم كل
يوم اعتبروا تكم لم يقع هنالك شيء مما يعز او ينكر وحصلت لكم الفائدة الحاصلة
ذلك اليوم من مجيء الصبيان اليكم واتيانهم بالتحف والكرم عليكم ولو اقل لكم
او فدوا عليكم الف قنديل حتى لا يوجد الى التخلص من المنكر سبيل ولكن سلكتم
لم يقولوا سكنا بين التكثير والتقليل والى ما يقارب التقليل اميل كل ذلك ليجتمع لنا
القيام بحق المولد واغتنام الفائدة المتجددة والسلامة من المنكر المذكور والله تعالى
الموفق والمؤيد ان الذين تزعموا رجالا متورعي الافريقيين يلومون ذلك المنكر بالضرب والقهر
ويدفعون الشر بما هو منه اشر فانتم اعلم وان حكام السلطنة الغالبة لا ادخل فيها

واما المسئلة الثانية وقعت بينكم وبين فلان فلم يقع منكم تحرير لها وانما تبعض
هكذا معك ان يقع الولي في شيء من مسائل العقل ان يحكم له ابدا ولا يقبله ام لا فهذا سؤال جوابه
لا يقع ذلك ولا يصدر منه الا على سبيل الفلتة والهفوة ولا ينبغي ان يفهم خلاف
هذا في فرض المسئلة وجوابها وقول القائل فلا يفهمه العقل بالكل فهذا ابين له
كما هو للعقل محمد عنه فكان صحيحا كسلام حسن والله تعالى اعلم لان الباطل في الكل ابدا واليم صحيح
صحيح ابدا او العقل ليس له حكم وانما له ادراك الحكم اعني انه يدرك كون الفعل كذا حسنا
في حكم الشرع او قبيحا في حكمه والعقل لا يحكم بحسنه ولا قبحه فاذا انضبع القائل
الشرع وعلم ان فيه امورا كثيرة واسرارا باطنة لم يتجاسر ان يحكم على احد بشرع
فيه الخير وعلم قدر قوة عقله في عقل يوما ما موافقته للشرع كثيرا وباطنه وكل
الامر في ذلك الى الله عز وجل لان يكون عقله مؤيدا بنور اليقين بحيث يلوح له
الباطل من الحق ويستبين وبهذا المعنى الذي ذكرناه من كون العقل يدرك ولا يحكم ابدا
الالزام الذي انتم متمولون نكم الى تيسير الامر وقد يصح ان يكون ام الذي انتم متمولون على المعنى الذي قلت في
تفهمونه وقد بلغني كتابكم وذكرتم فيه امورا منها انه وصلكم

الذي وجهت اليكم مع فلان وذكرتم انه لاح لكم معنى ما اشكل عليكم من تلك المسألة التي
تضمنها كتاب فلان لما تداولتم الكلام فيها ولتكلم كنتم تعلمتم هذا اول مرة فلم تحتاجوا
الى سؤال ولا مراجعة واما ما كتبتم في جواب تلك المسألة فهو في غاية الحسن ونهاية
الاتقان وقد صار فيه الغرض ونبهتم على المقصود المعتبر ولا مزيد على كلامكم فيها
فالحمد لله الذي وفقكم لذلك وجعلكم ممن حكمته بحكمة واقر عينه بها تلك لشيء ومنها الكثير (من امور)
بما هو هذا الوقت ولا يجوز واضحها الحجة مع جزمهم في الطلب وتعلقهم بكل سبب والله
يوتي فضله من يشاء واما ما طلبتم منا من بيان المسألة التي ذكرت فيها قصة
الراهب مع ابراهيم بن ادهم رضي الله تعالى عنه من قوله لا ربعه ضاع من جميعه منها
فاني لم اتذكر هذا الدفتر ولم اسمع بشيء من سوابقه ولواحقه القريبة منه بعد توجيه
فكرتي اليه بالكلية وانما تلمحت من ذلك امرا اجماليا لم انتقر لشيء من تفاصيله واظن
ان فهمتم منه لم يكن يطابق ما ذكرت فيه كل المطابقة وان كان كلامكم فيه حقا وقد
نبهت على شيء من المعنى الذي ذكرتم فيه في كتاب فلان واما مسألة فلان في المسائل
التي اخذ فيها بعض الطلبة بحثه ولا محصول لا يتعلق بها عمل ولا ينتفع منها
بمسئل وقد كان وقع منها الاشكال الذي دعتم اليه اعادة التمثيل بالروح او بالنفس
وذلك هو المقصود الملتمس ويفتح عليكم الاشكال في الفرق بين ان من يريد ما اعتنى
التمثيل باحدهما دون الاخر وانما اختير التمثيل بالروح دون النفس لان النفس امر
يقتضيه الطبع بمعنى انه لا يتخلف وجود الاثر فالملازمة فيه ذاتية والامور الذاتية
لا تتصور مفارقتها لحال كملازمة الطعام والشراب للبدن المعتبر المزاج السالم من
الافات اي وان هو حاج ولذلك لا تنقسم الملازمة على نفي الاثر بل قد تكون مقتضية لوجود
اللذة فلو مثلنا خروج الروح عند الموت كخروج النفس في عدم الالم لا ينبغي دخول
النفس وخروجه نسبة واحدة والمعروف من الحال خلاف هذا واما ملازمة الروح فليست
مقتضاة للطبع بالمعنى الذي ذكرناه بل هو ملابسة تم ضبطه بواسطة ما جعل هنا لك من
التهيؤ والقابلية والاقبال ومناسبة بين الامر العلوي والامر السفلي حتى يقتضي احدهما
الاخر الاقتضاء اللازم فاذا مثلنا خروج الروح ودخوله عند الموت وبعد البعث خروج الروح
ودخوله عند النوم والاستيقاظ استقام هذا التمثيل ولم يلزم منه في خروج الروح عند

[illegible]

الموت

الموت من عدم ان لم ما اتفق منه بمثل خروجه بالنوم كما التزمنا ذالك
في التمثيل بالتعبير والامثلاء فهذه التي ذكرتها في التعبير حتى او حيث لا
بسبب وجودها فقد ازالتم والمسافة انما عنيت بها الملاء فقد
الذاتية التي ذكرتها ان مطلق الملاء فهذا الذي اعترض علي بسببها ولم
اردها بل غلطت في امثالها والغلط يرجع من التلبيس ومن كان من
نفسه منا العصمة من الغلط والخطأ فهو من اتباع ابليس وليس
كل ما تكلمنا عليه يكون غلطنا فيه هكذا والله ولي ان يتجاوز
برحمته على ان المعترض قد يمنع هذا كله ولا يسلمه ويدعي
استواء الامرين في ان قول الذاتية والعرضية فلنسلم له ما ادعاه
ولنا اوقعه على الغرض الذي قصده ونزاه وهو دليلان على مسئلة واحدة
اقوى من دليل واحد وقد بلغ الغرض وحصل المقصد بالزائد **واما**
ما ذكرته من كلام السهروردي رحمه الله على مسئلة السالك
المجذوب والمجذوب السالك فهو كلام من ذاق ووجد ثم ادرك وقرب
وكانت عبارته عن مشاهدة وعيان لا عن تخمين وحسبان كما عندنا
به نحن والمعول انما هو على ما ذكره ارباب الشهود المتحققون بالوجود
الذين رفعت عليهم انوار الكرم والجود واما من هو غريق في بحار
الغفلة والجهل مرسوم بالدعوى في القول والفعل كحال المتكلم لكن
بهذا الجهل فلا عبرة بكلامه ولا معول على نقضه وابرامه ولنا
حكيتها بالعبث عنهم وحسن الظن منهم لا لكذا العلو ومقدارهم
وكمال انوارهم واتساع جاههم عند الاقيهم فما سترنا على
ان خرج المعاني التي فيها ياخذون والخز وعلى امثلتهم التي يرسمون عندهم
والكحيل مقبول عند الكرام فهذا بل بالبر واب كرام يا كل الكذاب
الطعام ويشغله كثير بينهم كونه المرام وتمثيل اوامره هنا الحشم يوق
والخدام ثم ينقلب عنهم مشكورا بلسان معمورا بكلام مشتغلا بينهم
بالتحية والسلام معهم القوم يشغل جليسهم **واما قالة كرهتم**

من حالكم وما انتم عليه من عيوب وذنوب فاضربوا بذلك نسبة ما انفيتموه
عني من الحال الشنيع الذي بكم وتخيلكم ان لو كان ذلك حالكم فلم تصادفوا
في شيء من ذلك الغرض كيف وانتم تعتقدون مني انه شرف عليكم
وكمال المعرفة بكم من انفسكم واني اعلم بنفسي منكم وبالله الذي
لا اله الا هو ما جميع ما ذكرتم في انفسكم من الذنوب والعيوب من حيث
تعرضكم بها الى سخط الله تعالى وعقوبته في جنب ما عندي الا مستحقر
مستقل من حيث التعرض المذكور ولا اقول هذا تأدبا ولا غضا من
النفس كما الف في العادة وكما وقع من ابي بكر الصديق رضي الله عنه
حين قال وليتكم ولست بخيركم وانما قلته حقيقة بحيث لو انكشف
الحجاب عما اثبت من ذلك في ام الكتاب لكان هذا ابلغ بهذا المنهاج
فتاج بفتاج وقد ذكرت لكم حال الراهب مع ابراهيم بن ادهم ان
لتعرفوا من ذلك حالي مع حالكم فان كان هذا العلم نافعي عند الله
عز وجل فانا خير منكم بالوجه الذي يكون به الراهب خيرا من ابراهيم بن
ادهم وان لم ينفعني هذا العلم عند الله عز وجل كنتم خيرا مني
بالنسبة التي يكون بها ابراهيم بن ادهم خيرا من الراهب والظاهر
انه لا ينفع فانه زعم او لم بالزهاد بالتوبة وما ذكرتم معهما من
المطالب الشريفة انا او انتم هذا كله مع اني لا ادري صحة جميع ما
نسبتموه لانفسكم واضعافه واضعاف اضعافه ما تملون به ديوانا
بل دواوين ولا ادري ما الذي يبحث فيه ولو سألتم عن ذلك لكان
اولى لانني لا ازيد بذلك علما بكم وبما انتم عليه ولا ادري لما كلفتم
مني التكلم على السبب الذي من اجله عسر في الحال الشيء الذي ذكرتم
حصوله منكم ان كان بذلك ولا اعلم سبب ذلك الا ضعف اليقين
الذي ينشأ عن الجهل المركب او ما يشبه الجهل المركب وانما قلنا انه
مركب او ما يشبه المركب من قبل انكم لستم عندي من العوام الذين
يجهلون ما تتضمنه العبادات والطاعات من الفوائد الاخراوية

جملة

فاذا علموا ذلك فبادروا اليه واغتنموا الثواب الموعود عليه فلو
انتم عنيتم جاوزتم حال هؤلاء فصار جهلكم مركبا او يشبه المركب
وذلك انكم لما علمتم ما شان العوام ان يعلموه كنتم مثلهم فيما ذكرناه
من المسارعة والمبادرة فلما تفقهتم واطلعتم على اشياء غير واضحة
ولم تعكفوا على ما لكم بالتوقف في مقام اتمام التفسير فيما علمتموه وعن فهمه
صار ذلك العلم الاول عندكم جهلا او كالجهل فلما حصل عندكم هذا
النوع من الجهل صار عندكم بسببه الكسل عن العمل بواسطة ما نشأ
عنه من ضعف التفسير وهذا النوع من الجهل قد راوا انه صعبة المرام
محفوفة بالمكاره واباة الاثم لان المتصف به لا يعتقد وجوده في نفسه
فيزيله بالتعلم وان تصور ان يعتقده ويتشوف الى ازالته لوجود
شيء من التهمة لنفسه كحال لكن ولذلك قلنا او ما يشبه المركب لان
صاحب الجهل المركب والعياذ بالله لا تهمة له لنفسه البتة لم
ينقص في ذلك الحكم المفروض لانه يقول بالوجه الذي انقلب علمه الاول جهلا
ينقلب هذا العلم الذي يريد ان يتعلمه لا صحبة العلم الاول جهلا فما
يزيد على الا العناء والتعب والمشقة والنصب ثم يشور على ما
هو فيه من التعب وتهمة التفسير فيرجعوا الى التعلم وفي اثناء هذه
الترددات والمجاذبات كيف يستقيم له عمل او يبلغ من الاجتهاد
في الطاعات امل وقد مثل هذا الامر الذي يستقيم وقد اشار الحق
تبارك وتعالى الى مثل هذا المعنى على ما فهمته بفهمي القاصر في قوله في قصة
اصحاب الكهف انهم ان يظهروا عليكم يرجموكم او يعيدوكم في ملتهم ولن
تفلحوا اذا ابدا فان هؤلاء القوم لما فروا بدينهم ولبثوا ما لبثوا في
كهفهم واحتاجوا الى سبب تنتعش به بنية ابدانهم بعدما ثقلوا تلك الغيبة
ولم يكن لهم بد من الرجوع الى الاعتبار بسبب ذلك حذروا عند رجوعهم
اليهم من اطلاعهم عليهم فاما ان يقتلوهم قتلا خسيسا بالرجم او يعيدوهم
بردعائهم فيهم بالرجوع الى ما كانوا عليه من الكفر والظلم ثم لا يفلح

ايضا

منهم بعد مقام الصلاح لانهم رجعوا الى الفساد بعد الصلاح والى الانحراف
في سلك الجهال وكذا وقعة الاعداء الضلال بعدما كانوا فيه من
توالي القبول والاقبال والذنب في البعد ليس كالذنب في القرب فان القرب
يرجى له الغفران ومن ابتلي به على صاحبه الحرمان والخسران وهذا
كله من مقتضى الحضرة الالاهية فان الحضرة اذا انصرف عن باب
مولاه بعد ان الفه ووالاه لا يبعث المولى ورآه له رسولا ولا يلطف
له في اسقاط ما يوجب له رجوعا ولا قبولا بل يخلي له حالته
التي اختارها لنفسه ويحسن له ما لا يشعر الى ان يحل له في رمسه

ازمن لمن غاب عنا غيبته * فذاك ذنب عقابه فيه

واذا كان المولى سبحانه يتقرب ذراعا لمن يتقرب منه شبرا وباعا
لمن يتقرب منه ذراعا وياتي هرولة لمن ياتيه مشيا فبقدر ذلك يفعل
مع من يتباعد عنه واختار من الامة فمجزيين ومعلوم انه حكيم عليم
وانما يرحم الله من عباده الرحماء فهذا هو السر فيما ذكرنا وكان الاستاذ
ابو علي الدقاق رضي الله عنه يقول ان اصحاب الكسل عن عبادته هم
الذين ربط الحق بارجلهم مثقلة الخذلان فاختار لهم البعد واخرجهم
عن محل القرب ولذلك تاخروا وهذا تنبيه لك ان الانسان كلما عمل
مقاما في علم او عمل لم يعطه الا تقاعد لنفسه وعدم وقوفه مع
عقله وحسه بل يتهم الان ما هو فيه من حال الاثر الناس فهاهنا
وليشد لو شا واذ في ذلك فهذا استدراج والخدعة واعتبر هذا بقضية
بلعام ومن في معناه وبهذا المعنى كان العوام خيرا من المتفقهة والمتعرفة
لان فلاح العوام اقرب من فلاح المتفقهة والمتعرفة لان فلاح شرار منهم
وابعد من الفلاح ونعني بالفلاح الذين لم يشموا شيئا من علوم معرفة
الطائفة ولا رقى شيء منها ولو الشيء اليسير فمن تمكنه من اوراء
نفسه فيعود الى الصحة من مرضه ونكسه واما من يملك منها
بشيء فانما اسوداد بشعر وقد البسه من معرفة وزهد وقد الغشى

تجارته وقد اعظم خسارته حيث خسارة وان خسارة لن يخسر فيها مثقالا ولا
جمالا وانما خسرت نفسه التي لا يرجوا فيها تعويضا ولا ابدالا خسروا
انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون فإذا تقرر هذا فلنرجع
الى الاحوال التي ذكرتها ولنبين سببية هذا النوع من الجهل فيها
مستعينين بالله تعالى ونقول اما الطاعات والعبادات والتمتع
بالشهوات فانك لما تفقهت في هذا العلم يوضح لك امور قد توجب
في نظرك ان يكون لشيء من العبادات المتعلقة بك خلل وقع بتركك
او تركها مصحوبة بالعلل وآفات فات وقوعها واحتمالا ولا تسمح نفسك
بالتحرز من آفاتها وان سمحت بذلك ربما لم تثق بها في التحرز فتنتفي
عنها الفائدة في نظرك فتتكاسل عنها لاجل ذلك وقد تقلد في ذلك
اناسا كثيرين ممن لم يشتغل بعباداته ولم يزهد في شهواته ولم يهم الى
ذلك عنده عناية ويرى ان ذلك من احكام اهل البداية او يعلق
بقلبه في التمتع بشهواته ما قاله ابن بيان في كتابه في الورع من ان
المباحات لا زهد فيها ولا ورع وتناوله على خلاف ما يجب له او يحمله
على ذلك موافقة الاخلاء والولد وارباب الصحاب ويرى ان موافقتهم
في ذلك من حقوق القرب او يرى ان النعم انما خلقت للتمتع بها وفضله
الاكثر منها فاذا وجدت لذتها وتذوقت طعمها الشهي شكرت الله
تعالى على ذلك بكلية قلبه كما يفعل ذلك الرجل الذي كان يبرد الماء ويتكلم
على من اختار شرب الماء الحار وتناول في ذلك قول الله تعالى قل من حرم
زينة الله الاية او غير هذا مما لم يحضرني الآن واما ترك الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر فانه تتبعه في ذلك وتعتقد سعة في العلم
بحيث يؤديك ذلك الى حسبان ما هو منكر غير منكر بضرب من التأويل
او يغلب على ظنك شهود تزجر من يصحبه شرع ولا يؤيد الورع بتغير
بذلك المنكر له وقد يصدر مثل ذلك المنكر منك فلا تبالي به ولا تعبأ به
لكثرة ما ذكرناه وقد تقلد في ذلك من ترى انه خير منك من يرى المنكر فلا

البداية

بغيره او غير هذا من الوجوه وأما ان تشتغل في طلب الرزق الذي هو
مضمون على لسان اهل الحق فانك تتعسف وتقول انا مأمور بالطلب والتوكل
لا ينافيه السبب ولو تركت السبب ولم اجتهد فيه كل الاجتهاد لاشتغل
كطمعي في الخلق فانه متى انقطع عنهم بما انا مشتغل به من امر الرزق
وايضا انا شخص معيل فان تركت السعي من ذلك ضاع عيالي ولم اقم بالواجب
لهم علي لا سيما في هذا الزمان الفاسد الذي استولى فيه الشح والبخل
على الناس وغلت الاسعار واشتعلت نيران الفتن وتعذر في ذلك
من ترك العلائق المرتبة في البدن او غير ذلك مما لا يحصى من الوجوه
العقيمة التي توقع صاحبها في كل محنة وبلية لانك اذا ركنت اليها
وعولت عليها كسلت عن العبادات والطاعات وحرصت على
التمتع بالشهوات وتركت التعرض لتغيير المنكرات واستغرقت في
طلب الرزق والفضول جميع الاوقات فاذا استمررت على هذه الامور
اعقبك الاستمرار عليها ما ذكرته من الفسولة فاذا انعكست بعض
نيتك واردت ان تشتغل بما طلب منك من ذلك كله وجدت في نفسك
من الفتور وعدم انشراح الصدر بذلك ما الله خبير عليه فاذا همت الى
عبادة او نويت الاشتغال بمجاهدة ورياضة لم تساعدك فوجدتك على
ذلك لان النفس اذا اشتملت حال الكسل بغير مقاسات ما فاتها من
شاق العمل فلا بد ان يعوق صاحبها الى ما امل ويكون حالها في ذلك بمنزلة
من يروم ان يوقف زقا فارغا او يغمس زقا منفوخا في ماء فكلما غمسه
والقى بيده منه رجع الى وجهه وان اردت ان تترك الاشتغال في السبب
او تخرج عما عساه يكون في يدك من مال او نشب مع انه ما في يدك من ذلك
شيء لم تقدر على ذلك لان النفس من البعث نضاة الاوكار والتوصل
بالمال الى اربابه من الكبار فاذا وجدت نية في بذل الفضل لمن كان او ترك
لما لك او جله او بعضه على من هو ان وقع فابن من فيه لم تجد قابلية ولم
تقدر على امضاء عزيمة ولا نية وكان حالك في محاولة ذلك بمنزلة صاحب

الورع الذي كلما اراد ان ينفق او يتصدق تقلصت فاذا ارسلها لم يستطع
ولزمت كل حلقة مكانها من جسده كما ورد بمعنى هذا الخبر ولقد صدق
ابو بكر الصديق رضي الله عنه حيث قال في وصيته لان يقدم احدكم فتضرب
عنقه في غير حد خير له من ان يخوض في غمرات الدنيا فنعوذ بالله من هذه
الحالة السيئة التي حذر منها الصديق رضي الله عنه ونسأله ان يلطف
لنا ولمن يلوذ بنا ممن كان اصحب الناس لنا واشدهم ميلا الينا حتى
لعبت بنا امواج الغرور وغرقتنا في بحار هذه الدنيا وتعرضنا للبطش.
وكنا عنها في غفلة **واما عدم تغيير المنكر** فقد ينتهي
حالك الى ما ذكرنا من انك لا تنكره فلبثت لا عملية ولا علمية بل
يشغله من قلبك موقعه ولا تغير لذلك من ارادتك ولا امنيتك وتشمئز
بالاوامر والنواهي واعتبر بجميع ما ذكرنا لك هذا مع ما علمنا كل قلب امريت
عمرك كله من ذنوب وعيوب التي ادعيت انك لو ذكرتها لملأت بها
ديوانا ولا يخفى عليك وجه الاعتبار مع ما قدمناه لك من وجود
الاستبصار فان اصابك سبب تتوقع به نزول الموت بك ثم اردت
الاشتغال بالاستعداد له بالتقوى والطاعة واخذت في ذلك لم
تقدر عليه كل القدرة لما تعودت في عمرك من الخلل والنقص
والطرد السابق لا يتعلق الرفق وما سبب هذا كله الا مسامحة النفس
في ابتداء الامر فسامحتها على ما تبعتها ثم ما زلت في السر والجهر
حتى آلت الحالة الى القسوة التي لا ينفع معها التغيير حركة ولا فكرة
والقسوة حالة ينكثف بها قلب العبد عن تعاطيه لتأمل الاعمال
التي حرك اليها ما القاه من التفهمات والتاويلات بسبب ما كان اخذه
فيه من العلوم والمعارف المكتسبات وقد داومته على ذلك وسيزداد
مع استصحاب غرضه ومقراه فيم يراد باخذ العبد بكم فيه ونعيم
بذلك انه يريد ان يحصل له المقام الاعلى مع مصاحبته للهوى ومتابعة
مقتضيات جل بسائط العقول يكاد مما من يصحبه مقراه والتي

بمنزلة المعاينة كلمنا الإشارة بقوله تبارك وتعالى ألم يأن للذين آمنوا
أن تخشع قلوبهم لذكر الله الآية فقوله آمنوا حكم لهم بالإيمان والتزام
أوامره ومقتضياته والإيمان يأمر بدليل قوله تعالى قل بئسما يأمركم
به إيمانكم ثم قال تعالى أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق
وخشوع القلب لينه وتأتيه إلى الانقياد أي لمقتضيات العبودية
ومنع ضد القساوة التي هي من الصلابة وخشوع القلب للذكر وما نزل
من الحق إنما يكون بشعوره القوي والبراءة من الدعوى وبتأمل العبد
قول الحبيب لما اقتضاه ذكره وتنزيله معاملة صحيحة خالصة
صافية من الشوائب والكدرات ثم قال تعالى ولا يكونوا كالذين أوتوا
الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم تبين في هذه الآية
الكريمة أن سبب قساوة قلوبهم إنما هو طول الأمد بعد إيتائهم الكتاب
الذي تضمن الهدى والرشد وذلك أنهم لما آتاهم الكتاب اقتضى منهم
المبادرة إلى العمل بمقتضاه من غير تعقيد ولا تأويل كما اقتضاه من هذه
الأمة المحمدية ما آتاهم من الإيمان وما نزل عليهم من القرآن ولا يتأتى
ذلك إلا بربط الهوى جملة فلما لم يرفضوا هواهم وبقوا معه سوفوا
بالأعمال واستشعروا تراخي الآجال فأعقبهم هذا الإهمال الفاسد منهم
أن قست قلوبهم بسبب ما تمرنوا عليه من الضلال والتضليل الذي
تطبعوا به عمرهم الطويل بسبب ما قبلوه من التعقيد والتأويل
فانسلخوا بذلك من الدين انسلاخ الشعرة من العجين ولذلك كان
أكثرهم فاسقين كما قال به أخبر القائلين في هذه الآية وفي
الإشارات عن الله سبحانه عبيدي إذا أتاك أمري فكن كالنار والماء إذا خلطته
النار يعني بذلك والله تعالى أعلم المبادرة إلى الامتثال من غير تردد
ولا تلكؤ ولا تراخ لأنه إذا تراخى ولو أدنى شيء تملكته نفسه واستولى
هواه وأثر له الانفعالات من أثر بهما بشهوته واعتبر هذا المعنى بحال
ذلك الرجل الذي قصد إلى قطع الشجرة التي كانت تعبد من دون الله بنية

فالضعف وعقيدة جازمة فلما تمثل له ابليس واراد ان يصده عن ذلك
لم يسمع منه ولم يعبا به فلما صار عند الشيطان من عند الرجل فلما
رجع اليه بامانيه الباطلة ومواعيده الكاذبة واخلفه في ذلك راح فقطع
الشجرة ثانيا فلم يقدر ولم يخليه وذلك فلما صار عند الرجل من عنده
وهذه الشجرة مثال لا تقدر مثل بها الامام ابو حامد الغزالي رضي الله
عنه من النعير وشهواتها وآفاتهما واعراضهما وجعل ذلك بمنزلة
شجرة اريد من بعض الناس قطعها وقلعها والاشد ان استمر فلا تكون ازالة
منها اخذ في ذلك بالجد والبدار لانه اذ ذاك قوي وهي ضعيفة فان تراخى
عن ذلك ولو شيئا يسيرا ازدادت قوتها ورسوخها وازداد هو في حسرة
ضعفا ووهنا وعلى هذه النسبة كلما تراخى عن ذلك وهذا مثال بليغ
ومعناه صحيح فاول الامور التي ينبغي ان يراعيها المريد والله
ولي التوفيق والتاييد اليه فاذا كانت التعمقات والتاويلات
مذلة لكم في هذا النهار العظيم مع انكم متشاغلون بالعلوم الحقيقية
والمناحي التصوفية فكيف ترون يكون حال غيركم من اصحاب الرسوم
اذا تفقهوا وتاولوا فلا تسالوا عما يلوا به من المصائب المشيب
ذكرها للنواحي والزوايا فترى الواحد منهم اذا تعلم مسالة او مسالتين
او مسائل فقهية تنتعش نفسه وتنتفخ ريشه ويعظم في نفسه ويتكبر
ويتقدم في المقام الراي بين يدي سواه ولا يتاخر ويستحسن حال نفسه
غاية الاستحسان وينظر الى من عداه وان علا بمنزلة الحشرات والذباب
وقلما ينتبه لمن يوقظه او يصغى بسمعه الى وعظه من يعظه اعاذنا الله
واياكم مما يليق به من سيء الاحوال وعافانا من جملة المركب الذي هو دار
عضال ومنشا كل ظلم وضلال *

لا يبلغ الاعداء من جاهل * ما يبلغ الجاهل من نفسه

والكلام في المتعبد والمتزهد كالكلام في المتعلم والمتفقه سواء بسواء
فان قلت جميع ما ذكرتموه هنا من اوله الى اخره فسمع بان القلب

قد ضيع عمله وضرب بينه وبين التوفيق بستر ادق احيط به واتبع هواه
فكيف يتأتى منه الرجوع الى المحمود من حاله الاول ومن يتصور ذلك
من المحال الذي لا يعقل

كيف الوصول الى سعاد ودونها * قلل الجبال ودونهن حتوف
الرجل حافية ومالي مركب * والكف صفر والطريق مخوف

فصل ثم يتسبب عن هذا حاله وفي ذلك يكون اشتغاله فاقول قال داع العبد بعد الحزن للبعد والتأسف على ما فات من انسه فلا بد من رجوع للذين رأس مالهم ان يتوجه به الى سيد الارباب في كل حال والمداخل على اصحاب الرسوم الذين ماتت قلوبهم ولم تنتشر منهم الهموم واثر خزان معاصيهم وذنوبهم فليكن شغل هذا العبد اللجا والافتقار والتضرع في حال الاضطرار وما احقه بهذا الامر وكل ما كان معتمدا عليه وراكنا اليه في سالف امره من علمه وعمله وقوته وحوله قد خذله واسلمه ولم يغن عنه شيئا فيما قصده ويممه بل كان جميع ذلك سببا للعذاب عليه وجالبا للبعد والمقت اليه ومن امثال عامة الاندلس [illegible] ومن هذا المعنى حال كل من عبد الكون من عقار او استخدام من مراع او حواس فاذا رفض جميع ذلك رفض النواة وانبذ منه نبذ الغزاة وحط رحله مستعيذا بالمقام الاعلى وانخ ركائب كلمه في المسالك الاسنى ونادى بلسان حاله ومقاله وقل يا ارحم الراحمين ويا غياث المستغيثين ارحم من ليس له حبيب ولا صديق من جميع العالمين فاذا فتح لك من هذا الباب الكريم حصلت على الشرف العظيم وحللت في جنات النعيم واتيت الله بقلب سليم وقلت حينئذ بلسان حكيم عليم بسم الله الرحمن الرحيم لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم وهذا افق الكلام الطيب الذي يصعد اليه من بين سائر الكلام والعمل الصالح الجاري على مقتضى هذا الذكر يرفعه اليه من غير ان يتوجه على صاحبه عتاب او ملام

الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات فيصل بعيني بذلك الاعمال والعمال
فانما كانت اعمالهم بشهود التوحيد وانما كانوا بواطنهم بالافتقار الى
العزيز الحميد فلا جرم تشرفوا منهم الملائكة بكثير ويسمعون تحت شجرة
طوبى دائما بين ويقال لهم سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين جعلنا
الله منهم برحمته آمين وفـــوق كله واشد الامر علي اذ على هذا الحال
السيئ ثم اني اطمع ان انال درجات اهل الكمال في فلا ادري درجات الكمال
التي تخيلتموها ان شيء معين ومثل درجات الكمال الا التقلب في عبودية
الله تعالى كيف ما دارت بك الحال فان تخيلت منها شيئا غير هذا وجعلت ما
شاهدته من نفسك من القبائح حجابا بينك وبين ربك خشي ان يقع ذلك
بنفسك وحدك وجهلك وحينئذ تعطي البئر بما تعطي الجهل البزة اذا
البئر ما فرغ شيئا منه كذا وكذا سنة من علوم اهل التحقيق والعشر لفقه
اشد عليك من قبوات ما تهمشه لنا الا ومعرفة فبدن معنا حينئذ بعوائده
لانك متلبس بما هو اشد منه ومن امثال العامة قيل للمجذوم اغسل
يدك فقال وما بعد الجذام علة ؛ فانتبه يا اخي من نومتك وامسح
النعاس من مقلتيك وانظر بعين ما افضل ما انتهى اليه نظرك وحقيقته
وحرفه فانك حينئذ لا تشاهد في الدارين الا الله وتنظر الى الملك العزيز
يتصرف في ملكه كيف شاء بلا منازع ولا معارض وتستغني من هذه
المشاهدة والنظر ان تعرف ان جميع تصاريف وتقلبك وتضربك وتشوقك
وكراهيتك ومحبتك شارب من شرب الهيلة التي هو كل تزع فيها وان الحال التي
كنت عليها قبل هذا النظر والشهود فشاربه نخال وتورثه في قلبك
لا تنبسط منه غم ولا خلال وحينئذ تنخلع من نفسك فمنك من لا حول له شيء
ثم همة عفوية ثلاثية فبينهما مرد اجزي في فعل ولذا قربها وفشلها وقد اخف
للاجلال الذي نقله من يعلمها *

ان عادت العقرب عدنا لها * وكانت النعل لها حاضرة

اذ تبدو فيه نكتة وصح عند الخبرة ووجد ذوا عكسية فيها ل منهما

مملكة حسيسة لا يدرك لها قدر ولا قيمة او جهة من لاح له بين يديه شيء
يتوهمه ذلك نفيسة ففيهما معرفة ذلك الفهم لتأخذهما فيجعلهما في
يده او يرفعهما عنده فاذا ابقاهما عنده في ذهنهما يمشيان بمعزل وهذا المثال
ان ذاق وذاته فلا كرمية وابغضته مع مشاهدتك لنفسك فاذا اشاهدت
افادة الخولك فيه يعود عليك بذا وسلامة والمثال الثاني وذاته ما
اثرته واحببته مع مشاهدتك لنفسك فاذا اشاهدت من قد الحق
ابا له عنه تغرد ذاتك فيه لكعبة والحرام وتمثل هذه المناكبات والمطالبات
احاطت بنفسي والكل البهاد الذي قدرتمور اولى بالمعروف ايلاف اغنيتي واسمع
يا جارة : فهذا ما اردنا ان نذكره لكم في بيان السبب فيما طلبتم والحمد
الكلام الى ما ترى والبتك بعد هذا النكم في هذا العدد مثل ما دبتا فيه
الغرض ووقفت على حقيقة المرض وجئت بالواجب المعترض اوحد ما هي
المقصود ونصرت في بذل المجهود ولم اوف بالامر الموعود واخبركم
ما الذي يظهر لكم من حال الكم عند قراءة هذه الاحرف وتأملها والنظر في
تفصيلها وجملتها فان ترتكم بها نكتة عجيبة وسقتهما قسما فاعرفها
فاما ان اوقع بالعين الذي يقع في حبالي وامّا ان احترز لما خاف من تلف في
واختيالي ونقوّل حين زلّت بالقدم الشراك لا ينبتهما كل شيء فمالك
معك الا الشغر والمترجم من فضل الله تعالى ان يضيع سعيي فيما
طلبتم وان يكون حظ احبتي الكلمة التي بعثها ابتي ذكرتم ولا افرد كلمة
واحدة بل كلمات مجتمعات ومفترقات للذي الغشتك فيها بل تبرك تجمعه
حلا وتعالج فيها ابد الدهر وسعيه بشدة يعجزهم عن تركيبها ومعرفة
اجزائها الخفية هذا العام وحيث للذي عليك من حالك اشكال
وتعرفه وتعلمت كيف تعامل مولاك في كل حال ودعك بعد هذا تعيش
او تموت بعد حصلت الكسب والياقوت وذلك من فضل الله تعالى بفيوكم
العنكبوت وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله واما ما حكيتموه
عن سيدي ابي العباس المرسي رضي الله عنه مرارا فلانه كانت موجودة في

ثبت صحيح وهو من الرأي الحسن اذ بوجود ذلك نسلم من الآفات ومجاذبة الخواطر
وبعدها مما يكون فيها المثلية التقرب بها الى الرب القادر وكون صلاة
الابدال خفيفة لا يدل على ما ذكرناه لانه لا يخلو ان الثقل والخفة امور
نسبية فقد تكون صلاة خفيفة بالنسبة الى ما هو اثقل منها وان كان
فيها طول والناس يغلطون في هذا فاذا سمعوا ان تخفيف الصلاة مطلوب
بالشرع نقروها نقر الديك ولم يعتنوا باتمام ركوعها ولا سجودها
ولا قراءتها ولا حدودها فاين هذا ممن يرجع في تحديد الخفة والثقل الى ما
ثبت في الشرع وقد ورد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى
في اواخر عمره صلاة المغرب بسورة الطور واصل هذا الحديث في الصحيح
مع ان صلاة المغرب من اقصر الصلوات قراءة فاذا حملنا على هذه النسبة
كانت الصلاة التي نصليها اليوم المغرب ونحوها خفيفة جدا وقد
اسند الحافظ ابو نعيم رحمه الله عن ابراهيم التيمي قال كان ابي وهو
يزيد بن شريك قد ترك الصلاة معنا فقلت ما لك تركت الصلاة معنا
قال انكم تخففون قلت فاين قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فان فيكم
الكبير والضعيف وذا الحاجة قال قد سمعت عبد الله بن مسعود يقول
ذلك ثم يصلي ثلاثة اضعاف ما تصلون فانظروا في هذا وقليل ان يتلمح
مراعاة السلف في الزمن المتقدم ما ذكرناه منها وذلك انهم كانوا
لا يحتاجون في صلاتهم الى تسميع مسمع كيف وقد رأى بعض العلماء
بطلان صلاة المسمع والمصلي بتسميعه ولم يشترط احد في الامام ان يكون
صيتا ولا ان يتكلف رفع صوته زائدا على الجهر به وقد كانت صلاتهم مع
هذا كله صحيحة تامة لا اختلال فيها وما ذاك الا بان صلاتهم كانت
اكثر مما جرت به عادة اهل زماننا فكان الامام اذ ذاك اذا دخل في عمل من
اعمال الصلاة اقتدى به في ذلك الذين يلونه اولئك القوم ثم اتبع الذين
يلونهم ولا يزالون يلونه هكذا الى ان يفرغوا اجمعون من ذلك العمل ثم ينتقل
الى عمل اخر هكذا الى تمام الصلاة بسكون وسكوت وخشوع وهذا الامام لـ

يحتاج الى تكميل فلابد انه ان لم يكن ذالك انسد على المامومين سبيل الاقتداء
بالامام في جميع افعال الصلاة ولزم من ذالك ان يكون الامام في ركوعه لما قوم
في ذكره اخر لا يتلافوا معه الا في قيام لقراءة او جلوس لتشهد لاسيما ان
كثرت الجماعة المصلون بصلاته ومثل هذا تخليط في الصلاة وان رفع من
الامام سمع الله لمن حمده ربما خرجوا بالصلاة فما حدث التسميع الا بعد
ان رق الدين وصارت الصلاة على الناس بمنزلة الحمل الثقيل الذي ليس
عليهم الا كرهة عن رقابهم واستخف اجتهم منه فتوصلوا بالتسميع الى
ان يقتدي المامومون بامامهم في جميع اعمال الصلاة بروعة واحدة فبقي
الذي كان يقتدي به فيه يليه يقتدون به فيه فمن صلى في اخريات المسجد الكبير
لاسيما ان كان المسمع ضعيفا او تعدد المسمعون بحيث يكون واحد يلي
الامام واخر في وسط الكبير واخر في وسط الصومعة واخر في وسط الصحن
ولقد كنت رايت شيئا من مثل ذالك بفاس ويزيد المسمع بالاصوات فان حدث
للامام سهو لم يمكنه تلافيه حينئذ الا بالتسبيح او بالتصفيق كفعل
العوام من انهم يقومون خلفه ويقولون باعلا صوته ويفرقون اليه
فيبقى من غير حضور ولا خشوع وكذالك الاخر والاخر ولولا ذالك لعسرت
صلاة القوم كل ذالك ليحصل لهم غرضهم من التخفيف مع سلامة الصلاة
من النقص في الاركان ومن الحال التي اعتاد ومثل من التباعد من الصفوف
التباعد الكثير وقيام الناس بسد الفرج الا التي في الناس من الامام بعد دولا
عن السنة فسلط عليهم البلاء والفتنة وبالله التوفيق والعصمة

وامـــــا ما ذكر مما هو من الكلام وهو قول القائل اعتدل في نظرك
في جميع المعنى امتثالا لما عند لازم في النظر هو ان يكون نظر العبد
مستندا الى الشرع وذالك بان يجعل الشرع حاكما على عقله ومن لم يكن
الاما ازال فيتحير بذالك عقيرته على المراكز المستقيم الذي لا ميل فيه ولا
انحراف ومنها اخذ الذي قال في معاولة الوصول واقف الذي درعه حلية الخبر
بعون ان يرجع العبد الى نفسه فيتهمها في غاية الذلة والحقارة بحيث لا يرى

فيها المثلية استعملا في شيء من الأشياء ولا أن نحن ولا أنتم عرفنا وهذا
هو الأصل الثاني وأما التشوق للقبول فهو أن يأخذ العبد في السعي والسير
الى مقصوده بالأعمال والطاعات والمجاهدات والمكابدات حتى يعلم
بذلك القبول حضرة العزة له ويتحقق بما ذكرناه في الأصل الثاني فيتحقق
حينئذ بالمعرفة والمشاهدة والمحادثة والمجالسة وهذا هو الكبير
بمقام الوصول الذي جعله ذلك القائل ثمرة الثلاثة الأصول فالأصلان
الأولان علميان وفقه فالأول علم يتعلق بالله تعالى والثاني علم يتعلق
بذات العبد والأصل الثالث عملي وفقهي ومن كيفية معاملة العبد
للرب هذا ما يحتمله الأمر في هذه الكلمات وأما حضوركم دولة
المولى فلا حرج عليكم في حضورها فإذا استمعتم فيها ما يكون فيه موافقة
لما بأيديكم من علوم القوم فاقبلوه وإن سمعتم ما يخالفه فينا ولو قوله
ان قدرتم وإلا تعذروا بسلموه ولا تردوه ولا تقبلوه واستروا الخلاف
عليكم إن دمتم على ذلك فستارفه لكم أتباع أهل الرسوم وكونوا مع المعلوم
المتحققين في هذا الوقت المشؤوم وقد أشرنا في هذا الكتاب الى أحوالهم
وما آل اليه وذكرتم في كتابكم الذي هذا جوابه قول الله تعالى
وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين واشرتم بذلك الى انفسكم وهذا شبه
الدعوى وإن كان فيها مقام شريف وقدرة الله تعالى على المدعين لذلك
وإن كانوا منا فبين في قوله تعالى قالت الأعراب آمنا ولا أقول لكم لا
تعتقدوا أنكم مومنون ولكن الأدب في المقال أحسن أخ ولذلك كان الاستثناء
مستحسنا فيه في قول القائل أنا مؤمن إن شاء الله فلا تعودوا الى مثله
وكذلك لا تعودوا ابتداء الى تعليقه بالله تعالى في شيء من الأشياء
فقد قلتم مثل هذا في كتابكم والتعليق بالله تعالى عكسه ولو تنوب في
كتابكم ما انبهكم عليه عن هذا والله تعالى ولي التوفيق برحمته
وقد وصلنا كتابكم وذكرتم فيه أشياء من جملتها أنكم
بلا انقلاع تقدمكم فيما كان عندكم فيه وقد كان وقع بيننا ذكره الى

وكم ترك مني انما تشاغل به لما طلبت منه ان يشتغل به في كتاب البخاري ولم
يكن غرضي في استعارته ولا كنت انتدب لكم بذلك فيتعللون خلافهم ثم فيما
لا ينتفع منه بشيء ولا فائدة فيه لاهل العلم بصحة كون الصوفية في مجرى
العادة لا يستندون الى اقامة دليل من الادلة السمعية ولا العقلية وانما
يوجبه ما يلقيه الحق تعالى في اسرار من اختصه من عباده بحيث يفهمون
ذلك ويحملهم على الاعراب به بحيث لا يسعهم التشكك فيه وهو علم
اليقين الذي لا مساغ فيه لتهمة ولا لشك ولا ارتياب وان كانت كلها من
النصوص فمحتمل بعد ومثل هذا لا يدرك بالمنى ولا ينال بالتمني فلا
مطمع للادراك بكون معتمدا في حصول ذلك اليقين ما يلقيه اليه من
الادلة المذكورة لانه لا ينعقد الا لنص فاصح لا يحتمل التاويل وهذا عين
موجود البتة ولو كان موجودا لم يقع بين الصحابة بعد اعني اهل علم
الظاهر واهل علم الباطن ما وقع من الاختلاف اذ لا يقدر احد على دفعه
واليقين اعز شيء نزل من السماء الى الارض ثم ومع ذلك فانه لم يقع له اشكال
في شيء من النصوص الشرعية ولا يبقى له فيما تعارض او لا نتائج فهو المحدث
في نكت الشريعة والحقيقة وكان من امره على اوضح ثم بعد فمن علم هذا
الامر وراء ذلك نص له هذا الكلام في ما تقتضيه الكواشف لم يحز شيئا يخلعه
من المطالبات ولم يات بشيء يوجب له قمع معاند ولا مغالبة منازع وربما
يؤدي ذلك الى تعريض الكلام بعد للانتقاد وحمل الداخل فيه على سوء
الاعتقاد ثم ان الغرض الحق مع ذلك انما هو ما ذكرته من الدعاء الى الله
تعالى والجهاد لذلك التي يطرأ حسن وذلك انما ينفع في حق من فيه علم
ممنة وزكاة فطرة وترك الصفة لا يحتاج الى غير دليل على
ذلك بفقه علماء الظاهر بل يكفيه ادنى شيء من الرمز والاشارة ومولاي
يحيى النبل لا اتق في البدء لما جاء في الخبر اعني على نفسك بكثرة السجود
وانما هؤلاء ذا انهمة دينية وفطرة زكية فغرضي به بشيء وبين هذه
الكلم بعد بحجاب للانفعال نكر العين وجعل في جميع سر الكشف العزيز

بعد

بعدم الجزم بعدم هذه الطريقة وان لا تنكر بشروطها كما هي لبعض وجهاد له
بالسيف على اقامتها كغيرها من الشريعة ففيه من عدم تعرض لها وراء ذلك فضلا
عن دين الله والمثلية من امثال الكفر فانا ان هذا الله العزيز الذي انزل لنا الكتاب
والميزان ولهذا كانت هذه الطريقة محفوظة لمخصوصين فيمن دخل معهم
كغيرهم ومن يخوض خوضهم بغير فضلهم فمن امثال هذا وجب لنا التغافل عن ذلك
مع انا لم نر احدا من ائمتنا سلك تلك المسالك والابتداع حتى من
الابتداع واما من يدخل راسه في معوشها فهو ابتداع وان اردت تحقيق
ما ذكرناه فاعلم ان ما ذكرنا دليل العقل فيه كما بينا الثبوتية على الجملة
ولا يراد اعم من ذلك على اعمال من شرع لم يقبلوه وكان فرحهم فيه اقرب من غلوهم
على كرسيه والذي يدل على ذلك اجماع الامة على ذلك فتلك الطرق من هذه الشيعة
المنكرة لدى الامة فيهم من قال بعرف ذوا ابعت ورضيت وفرقة سكتت
وسلمت والساكتون فيهم لا سبيل الى هذا بل هو ان سكوتهم تقية ومداهنة
للتعنت لعلمهم على الدين وانصح للمسلمين من ان يجملهم ذلك على السكوت على باطل
للسيما وجماعتهم عند ملوك الاعصار فاين وانتم متكلم ومتمثل في
العوالم فصار سكوت من سكت منهم كنكيرهم ولا يشترط في الاجماع
على الشيء ان ينقل القول به عن كل فرد فرد فان ذلك متعذر او مستحيل بل
يكفي في ذلك ان ينقل عن اكثرهم مع سكوت الباقين وعلمهم وهذا كله
معلوم عند من طالع الكتب ونظر في السير والاخبار ولم يقتصر على البحث
على ما ذكره اللخمي في تبصرته وابن رشد في بيانه والفاكهاني في تنبيهاته
ومعنى هذا كله تبين لمن اراد الله توفيقه ومن اراد الله تعطيله ومن لم يرد توفيقه الله
تعالى فهذا اعترض على ما ذكرناه وقدح فيه وقال كيف يصح هذا الاجماع وقد
نقل قوم بعكسه ويدعي الاجماع على نقيض هذا المطلب هذا كله اذا استدل
بالاجماع على كيفية الصوفية على الجملة واما التفصيل فلا يمكن دعوى الاجماع
فيه لان الخلاف بين الطائفتين المذكورتين معتبر وقد سمعتم بينهم شرا يسيرا
ولا كنا اذا تلطفنا وجئنا بنكت اخر يكون فيه نوع استدلال على ان الحق

في جانبهم لم يقبلوه من باب وجه من جاء به ونفسي يرد ذلك النظر انا اذا تاملنا ما اختلف فيه العارفون من المسائل لم نجدهم يعدوا احدا منهم فاما شيء يرجع الى الاعتقاد واما شيء يرجع الى تكاليف العباد ومن المسائل الفقهية اما ما يرجع الى الاعتقاد فلا ينكر احد ان بينهم فيما زاد فيها الا انهم يدعون اهل الاهواء كمن رد العقل وكل ما يتحملونه من ربهم بنذرتهم بالعيان وخصومهم انما ينكرون من بضاعة عقولهم وابن احد منهما من الائمة والاسفيل ابن حزم ينكر عليهم ذلك ومن معنى الحال انما الاسفيل ابن حزم ينكر على من يرى النبوة في امرأة في زمان نبيهم فيه ذلك الا انه ادعى امرا من امر الجاهلية وواجبنا في تعلو فرقة الجنة ولا يزوي بين الامرين فيما يرجع الى عدم تكذيب كل واحد من الفريقين لاكبر النبي والمامور برعاية الحلول في مذهبه فلا بد من جهة يكون فيها يعرفه في دعواه على يده من امر خارق للعادة وذلك معنى المعجزة وان من عجز فالمامور بذلك فلا يلزم في حقه ما لزم في حق النبي واما المسائل الفقهية فهي من ابواب الكفاية فيما امر ابن حزم اذا رجعنا الى الانصاف وتجنبنا الاعتساف فان المخطئ منهم معفو عنه وباب العذر عليهم مسدود ومنهم افراد من اول من رايتهم احكام التعذير والعكوف بالقلب على باب المولى ومعرفة الاحوال مقتضية لوجود العلوم الحقيقية والتوفيق من الله وعلى اساس ارتفاع الخلاف عنهم في جميع معناه وانكسر ما قاله الشافعي في شان شيبان الراعي رضي الله عنهما لما عوتب في شان سؤاله له قال ان معناه ووفق للعمل بما علمنا وبمثل هذا النظر احتج بعضهم على ترجيح اجتهاد اهل المدينة على اجتهاد غيرهم من قبل كانهم من التوفيق ببركة مجاورة رسول الله صلى الله عليه وسلم واقامتهم في احب البقاع الى الله عز وجل وقد حاز مالك رضي الله عنه من هذا الحظ ابن وفر اعني بركة المجاورة والبقعة ولم تزل ائمة اهل الكلام في ابن عصار الخالية ينتحلون بصوفية وقتهم ويعظمونهم ويجلونهم ويلتفتون ومنهم نفيس الكلام ويعتذرون بفضلهم على جميع الانام كان الشافعي رحمه الله يجلس بين يدي شيبان الراعي وكان سفيان الثوري يقعد بين يدي رابعة

رابعة

الغروية ويقول لها يا حبيبتي هذا ابادلي انه من كتب ادب الحكمة فتقول له نعم الرجل
انت لولا انك تحب الدنيا وكان حماد بن زيد يشتغلها في حوائج يقضيها لها
فتقول له اذا لا تستغني من السؤال اسئل الدنيا ممن يملكها وكيف ممن لا يملكها
وقال احمد بن حنبل الامام برانه الحوارى حدثني بحكاية عن شيخه ابي سليمان
الداراني ثم كان منه بذلك وسيعيد له جز كرله الحكاية التي ذكرناها في
اول التنبيه ولما صنف ابو داود كتاب السنن ورد اسمعيل بن عبد الله رضي
الله عنه فاعجبه واحب سماعه منه فبلغ ذلك ابا داود فبادر بيعثها
اليه وقرأه عليه وقال له ما كنت بالذي تعتذر انك التي حيث ان بعضهم
كان اذا اتفق له سماع كلام احد من هؤلاء او رؤية حال من احوالهم يبادروا
عليه من انكار ذلك ما يكفر به كل قدرة الا انه يجد له من كان بلا اثم استنكف
وبعثه به بسبب ذلك تحيروه منه وبحضل لهم في علومهم من مزيد فوائد
وانكار ما قد ذكرناه منهم ابن قلع ابو القاسم القشيري رضي الله عنه في اوائل
وصيته التي يذكرها في اواخر الرسالة وآب قلع ابو القاسم القشيري عكليم من
علماء اهل السنة وممن يتهم اهل الكلام بتقول كلامه في مصنفاتهم ونحو
من اعمته هذا الكلام يو رضي الله عنه ونفعنا به والاكثر لا يعرف الامثال ان
انه قائل ومعناه اجمع وذبرهم فيرهما وحديثا لم نزل نسمع خلاف
ذلك حتى جاء هذا الوقت الذي قل فيه انا لله وانا اليه راجعون ولقد
كانوا اذا اتفق لبعضهم لقي احد من هؤلاء يجد في باطنه ويظهر عليه من
السرور والفرح وما ذاك الا لما كانوا عليه من ايثار الانصاف وسلامة
الصدور واعتقاد التعبير والبراءة من الكبر الذي يخيم هذا من الاخلاق الحميدة
وليتامل المتامل في الحديث المذكور مع ابي بشر الغزني رضي الله عنه اذ قال
عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وبشر اهرك واشار على غيار اصحابه
اذ القول ان يلتمسوا منه الدعاء والاستغفار وما ذاك الا ليم يكاد يمي
اختص به والخصوصيات لا تنكر فقد يكون من عند الله تعالى اكرم
وذاك لا يكون لامر معنا الوجه المقصر الا ان روي في بعض كتب حديث الخشيم

مع موسى عليهما السلام لما قال له أنا على علم علمنيه الله لا ينبغي لك أن تعلمه
هذا وموسى حبيب الله وصفيه وكليمه ونجيه وأنكر أن كلمه له واتباعه
إياه واحتماله على كلفته وتعسره عليه وقصة الخضر التي نص عليها القرآن
وجاءت بتصحيح حالها صحاح الأخبار مما يحتج به على إثبات هذا الطريق
للأثر قبوله وتسليمه لا يتصور إلا ممن أيده الله تعالى بالتوفيق وعلى مثل
ما ذكرناه درج السلف الصالحون رضي الله عنهم في الخارج عن رسم ذلك
المنزع والسالك خلاف ذلك المسلك لم ينلج صدره بنور اليقين
ولم يحط علما بما كان عليه أئمة المتقين فهذا مع تقرير هذا النظم لا يكن
لا يسلم من اعتراض من ارتبك في الجهل وانغمر وأدركه قول لا يعرف
الفضل لأهل الفضل إلا أهل الفضل وقد روى الشعبي أن عدي بن حاتم الطائي قدم على
عمر بن الخطاب رضي الله عنهما فقال له أما تعرفني وكأن رأى أنه أهمله
توهم منه عليه شيئا فقال له عمر رضي الله عنه وكيف لا أعرفك وأول صدقة
بيضت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقة طيء أعرفك آمنت إذ
كفروا وأقبلت إذ أدبروا ووفيت إذ غدروا فالواجب على من ابتلي
بأمثال هؤلاء المنكرين أن يعرض عنهم وأن لا يلتفت إليهم وألا يذكر حديث
هؤلاء لهم وألا يرد عليهم لما يخاف عليهم من الإنكار على السادات وذوي
المحاسن أهم عند العقلاء من جلب المصالح ولا ينبغي أن يعتقد فيهم إلا
أنهم مطبوع على قلوبهم ممقوتون عند ربهم محرومون وذهب بإبعاد الحق بهم
وصدودهم وحجبهم عن الصراط المستقيم الذي تركه يعمه في بدء الاشتغال
بالرسائل فكفى بذلك خسرانا عليهم وعذابا إليهم والتماس محال لا يستقيم
كاستماع الرخيم واستيلاد العقيم ولتبيين مراده أن يكسر في معزله الكرى ينبه
الزهاد وإنما المراد أن يكون واحدا من أبناء يعطر به الفرقان وينجلي به
الظلام ويستشفى بوجهه الغمام ويكون محل النظر الملك العلام ومثل
هذا الشيخ لا يخلو منه زمان من أزمنة المتقدمين ولا المتأخرين بفضل
الله عز وجل ونحن وإن كنا لا نعرفه فإن بركته واصلة إلينا وأنواره عامة

علينا لما جعل الله تعالى فينا من التقصير في حقه ومن والاه حزبه وفريقه
وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله فهذا ما أردنا أن نذكر لكم لئن بعثوا
بعد ما عسى أن يعرض لكم من الوساوس وتتبعوا بعد ما علمتموه منا فهذا
الى هداية من أصبح في فيافي الشك حيرى والأباليس ونحن نأمركم ألا تعبأوا
بهم ولا تلتفتوا إليهم ولا ترجوا منهم صلاحا ولا فلاحا فقد أقروا بأنفسهم
عن دينهم بخلافه سمحاء وأفكارهم ذلك احتجاجا منهم في تعليل الدليل فقد
أوضح لهم الحق السبيل فأبطلوا بالرد مشكل التأويل ولو نزل عليهم
بذلك جبريل وميكائيل فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا
ذلك مبلغهم من العلم

وقد بلغنا كتابكم وأنتم تذكرون فيه أشياء مكربة لائقة
بالوقت وذلك لما اشتمل من السخط والمقت نسأل الله تعالى النجاة
من المهالك والكون في كلاءة الواحد المالك **وبعد** فإن أردنا أن نذكر
لكم أمورا كنتم تعرفونه فإن كنتم نسيتموه ذكرتموه إذا اطلعتم على
هذا المكتوب وإن لم تنسوه لم يزدكم إعلامكم بذلك إلا خيرا وهو أن تذكروا
نعمة الله عليكم في الأيام التي وفقكم الله من أنكم لن تجعلوا الحكم بين القوم بكم
منكم كما فعل غيركم بعثت أقدركم الله على تلقي شيء مما زرعتم من حب الزرع
واتساع العيش حتى وقع ما يعقبكم ذلك في أكثر الأوقات وإن كان بين هذا
عليكم لو كلفتم كليه أو وقعتم إلى استعمال بحيلة فبتذر وقعا من قبل
أنفسكم لن تعذروا على ذلك من ذلك وحصول هذا الذي من تحفظ لأشد فيه
فإن علمتموه موجودة الكم بحضروا إن تعلموه موجودة الكم فقد يكون
ذلك أحسن لكم من جهلكم به فأنتم لو خبيتم ثم لم يسلب هذا الحال عنكم
ويعطها كم بعوضها عنها ملك العراق وتبتغى لكم مع ما نيل هذا من الابتلاءات
التي يكون بعد لعقا إلى ما ذكرت لكم ما أمكنكم تعدلون به شيئا وهذا
كله من غير استحقاق منكم وهذا أن تعلم بذلك وأنتم له لولا فضل الله
تعالى عليكم ورحمته وعنايته بكم وقصده له الباب الذي ومن الله منحه

وتفضلا بالزيادة فاستذكروا هذه النعمة العظيمة ليحصل لكم بمعرفتها الشكر
عليها فيعطيكم ذلك المزيد منها وأي شيء المزيد منها هو أن يرفع الحق
تعالى الوسائط بينكم وبينه فلا تروا أمرا من الأمور إلا منه فعلا ولا جعلا وتحوزوا
بذلك المملكة التي حصلت لذلك الرجل الذي ذكرت أمره في أثناء التنبيه على
قول الشيخ رحمه الله الغافل إذا أصبح نظر فيماذا يفعل [illegible] [illegible]
عن كتاب الصقلي رحمه الله تعالى عليه فيا لها من مملكة ما أعظم قدرها وأجل
خطرها لو انقلبت السماء على الأرض والعرش على الفرش لم يكن عند صاحبها
خبر من ذلك لأنه يرى نفسه مع قبضة قبضة ومن الذي يعترض عليه في فعله
أو يعتقد خلو شيء من ذلك من نعمة وكقوله إلا الجاهلون الغافلون الذين الممالك
هم عن الله في العمى وعن السمع للخبر معزولون وهذا كله كلام يتضمن التعزية
لكم فيما أصابكم على يد بعض الناس من الأذاية الحسية والمعنوية وقد ابتلاهم
الله تعالى بذلك وعافاكم من مثله فارحموا أهل البلاء واسألوا الله العافية
فلو كنتم مكانهم وكانت أفعالكم أفعالهم أي شيء كنتم تصنعون وربكم
وربهم واحد وأنتم وهم في تصريف القدرة واقتضاء المشيئة شرع سواء
وقد كان السلف يقولون إذا ظلمنا بكلمة نعمة الله علينا إذ لم
يجعلنا ظالمين وجعلنا مظلومين أعظم مما أتانا من الظلامة وفي
بعض كلام الأخبار إذا أراد الله أن يتحف عبدا من عباده سلط
عليه من يظلمه وأما ما فعلتم في المنزل وما اعتراكم بسبب ذلك
من أمور راجعة إلى أقوال الناس فذلك كله معلوم وقد عهد فلو كنتم
أعطيتم لهم الأذن الصماء لكان في ذلك أعظم الردع لهم والكف لكم فعلتم
ذلك بهم كسرا لهم ذلا ولم ينصفوا في قراءة التراجيم وتغافلتم عن ذلك
من المطلوب منهم ومنكم ولو أمكنكم في ذلك الوقت أن تأذنوا لهم في الاشتغال
بالفرح واللعب ليستر عليكم فيه جناح مع أنفتكم من أن يعرف عنكم
أو عن غيرهم بذلك فساد في غيبتكم أو ضرر في ثاني حال لكان ذلك منكم
حسنا جميلا ولكن لا سبيل لكم إلى ذلك في هذا الوقت واشتباهه ألا ترى

ان

انكم لن تسلموا من الناس عند تشاغلكم بالمولد بقراءة كتاب الله تعالى وهو افضل
اي شيء يمنعكم من ان تعلنوا في الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولا تعجبوا من هذا الكلام الذي ذكرت لكم فان له في السنة مستندا فيمكن ان يستروح
اليه وهو ان امرأة جاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم عند قفوله من
بعض غزواته فقالت له اني كنت نذرت ان ردك الله سالما ان اضرب على
راسك بالدف فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم اوفي بنذرك او
كلاما هذا معناه والحديث اني لا اذكر من خرجه من ائمة الحديث وهو
عندهم ثابت مشهور ولا شك ان الضرب بالدف من انواع اللهو والنبي
صلى الله عليه وسلم امرها بالوفاء بنذرها لما كان بسبب ذلك
فرحها بسلامته التي يجب علينا الفرح بها ولم يجعل ذلك بمنزلة من نذر
مباحا او معصية في عدم لزوم الوفاء به فكذلك من اخرج لهذا مباحا عند
فرحه بزمان ولادته صلى الله عليه وسلم من غير ابتداع ولا انذر ان شيء يمنعه
منعه لولا التعصبات المتراكمة التي الوقوف معها والاعتماد عليها من تحكيم
البدع في الدين وكون هذا الامر لم يكن في الصدر الاول حتى انه بها رسخ
في القلوب وشرائع الاسلام مطوية على تعظيمها والانقياد اليها
الاطلاع والجنون ليس بزائد له ولا مغير وجه حيث لم يبق من الايمان
الا الاسم وكان شرائع الاسلام الا الرسم وقريب من ان يذهب من ايدي
الناس اسمه ورسمه ويسلب عنهم معرفته وعلمه فلم يبق اليوم بايدي الناس
من امر الدين الا انهم اذا سمعوا بذكر النبي صلى الله عليه وسلم تهتز
لذلك افئدتهم وتنطلق بالصلاة عليه السنتهم فمنهم يدينون له بالتعظيم
والتصديق ويعترفون بعقد التمجيد فالعاقل اليوم لا ينكر الذي
احدثوه مما يكون موافقا لاهوائهم من تعظيم من عظم الله حرمته باي
وجه يرونه تعظيما وانما ينكر الذي قد احدثوه من المناكر وامرهم بالاستهانة
بنواهيه وزواجره التي يستحقون عليه عذابا اليما واذا جاز ان يحدث
للناس اقضية بقدر ما احدثوا من الفجور جاز ان يحدثوا على رسوم فراسة في

على حفظ نفعها الدروس والدثور فإذا نزعت فيمنعهم أن شيء ينفق بأيديهم وما
كان سبب جواز تحلية المصاحف بالذهب والفضة إلا لئلا يغفلوا عن تدبر أحكامها
وتحليتها أثوابا الحرير والديباج على الكعبة الشريفة إنما استحسن لئلا
يذهب تعظيمها وهيبتها من قلوب المفسدين والأبرار حاجة للحجارة
والجدور إلى تحليتها بالحجب والستور لولا هذا الغرض المذكور ولما
كتب حجبة البيت إلى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه في شأن كسوته كتب
إليهم إني رأيت أن أجعلها في أكباد جائعة أولى من البيت أو كما قال رضي
الله عنه بل المتفقهة في هذا الوقت لو لم يلبس الناقوس ويتحلى
بالانقباض والعبوس ويلتزم هيئة مستحسنة في الملبوس لم يسمع
أحد منه فتوى والأقبل له دعوى وإن كان في علم مالك بن أنس فتلك العوام
لا يتأثرون إلا بالمحسوسات من المنكرات والمسموعات والملموسات
وأما الأمور الروحانية فهم بمعزل عنها ولما استولى الجهل والغفلة
على بني آدم بحيث جوزوا على العقلاء أن يكون فيهم ويصرفوا إليه تعظيمهم
وخشيتهم أمروا أن يتخذوا أحبوكا زرقا في أرديتهم لكي إذا نظروا إليها
تذكروا أبدا إليك زرقة السماء فيتفكروا إليها فإذا نظروا إلى السماء تذكروا
عظمة خالقها فمن جمع في هذا ولذا أصلح العامة بغير هذا الصنع فقد
جمع في غير مجمع والعزفي رحمه الله كانت له نية صالحة في ذلك الأمر
يؤجر له بها من فضل الله جزيل الأجر وهو وإن كان لم يبلغ كلية غرضه في إبطال
أمر النيروز والمهرجان فعنده مقصد تنشرح له صدور أهل الإيمان
باعتبار ما ألف في العادة من الطغيان والعدوان لأن الناس يجمعون في
ذلك اليوم فيجتمعون متجملين متشوفين إلى أن يقرع سمعهم قارع من ذكر
اسم نبيهم وحبيبهم فيلهجوا بذلك فرحا وسرورا ويجتمعوا به استبشارا
وحبورا ويتيمنون بذلك اليوم فيحفلونه فيعطلون الحمامات اشتغالهم
وحضانة أطفالهم وغير ذلك من أعمالهم ومثل هذا يضيع لهم معتبر
في قوعهم وقالهم وغيره فليستغفر والله أعلم أن يكون علمهم على هذه النية

مثله

يانسون

الروحانيات

فكبرا لما احييه من سيئ عمل الاسماء اذ كان ذلك عن غير قصد منهم ولا عمد
وقد روي في الاسرائيليات ان رجلا عصى الله فيه مائتي سنة يتمرد
ويجترئ عليه فلما مات اخذ بنو اسرائيل برجليه والقوه على مزبلة فاوحى
الله تعالى الى موسى عليه السلام ان غسله وكفنه وصل عليه في جميع
بني اسرائيل ففعل ما امر به فعجب بنو اسرائيل من ذلك واخبروا انه لم
يكن في بني اسرائيل اعصى على الله منه ولا اكثر معاصي فقال قد علمت ولكن
الله امرني بذلك فقالوا فاسال لنا ربك فسال موسى ربه فقال يا رب
قد علمت بما قالوا فاوحى الله اليه ان قد صدقوا انه قد عصاني مائتي
سنة الا انه يوما من الايام فتح التوراة فنظر الى اسم محمد مكتوبا فقبله
ووضعه على عينيه فشكرت له ذلك فغفرت له ذنوب مائتي سنة
وروي عن ابن عباس رضي الله عنه ان ابا لهب لما مات واخبر الله عنه بما
اخبر حزن عليه واهتم به اهله فسالوا الله تعالى حولا ان يريهم اياه في المنام
قال فرايته يلتهب في الكفر فسالته عن حاله فقال صرت الى النار وفي
العذاب لا يخفف عني ولا يروح الا الليلة الاثنين في كل الليالي والايام فانه
يرفع عني العذاب فقلت وكيف ذلك فقال ولد في تلك الليلة محمد رسول
الله صلى الله عليه وسلم فجاءتني امة تبشرني بولادة امنة اياه
ففرحت بولادته واعتقتها وليدة في فرحي به فاثابني الله بذلك ان
رفع عني العذاب في كل ليلة الاثنين لذلك فاذا ادركت رحمة الله
كافرا فقطع عمره في عداوته واذايته بسبب فرحه بولادته فما ظنك
بمومن صرفه في مقالته ولبذله في دعوته جعلنا الله تعالى من امته
برحمته وما طلبته من الدعاء للمسلمين فيما اصيبوا به من
البلاء ان يفرج عنهم ما نزل بهم واشتد ذلك اعراضهم عن ربهم فلا
ادري ما اقول لكن الخلق كلهم مشتركون في هذا البلاء فلا ينتهي عن
اخذهم الرغبة والدعاء ولو انشرح لكان له في ذلك اعظم العزاء
مما دهينا به من فتور الدعاء وقد قال بعضهم انا من ان احرم الدعاء

أخوف منه من أن أحرم الإجابة ومعنى استجابة ستنفعنى إما عاجلا وإما
آجلا فنسأل الله تعالى اللطف في القضاء. وأما ما ذكرتم من
كلام سيدي عبد القادر في الذي يكمن في أخلاق ما كمن لكم وقلتم ومعنى قوله
الكبر الطبيعي أسهل من الكبر المكتسب أي مع أنه أقل ضررا وأخف شرا من
الآخر لأن الكبر الطبيعي قد يمحوه أي معنى التعزز المحمود الذي أشار إليه في
ابتداء الكلام لأن صاحبه ذا عزة وحميته أي ذلك تمكن منه وقد تغلب عليه
فيكون كما وصف الله تعالى به الصحابة رضي الله عنهم في قوله تعالى أشداء
على الكفار رحماء بينهم وإن لم يظهر وحميته التي لم يؤثر فسادا كثيرا
بالنسبة أي قد يؤثر الآن ضررا واقتصر الأمر فيه على حد لا يتجاوزه ولا يتعداه
والكبر المكتسب أبلغ في الضر وأبعد غورا في الشر لأن صاحبه قبل تعاطيه
أسباب الكبر أحقر شيء وأذله وأقله فإذا وجد شيئا مما يتكبر به لم يعرف
أحدا أن يلحق الرأس بالأسافل أنف في السماء واست في الماء فلا تسأل
عن الفساد الذي يحدث بسبب تكبره وتجبره واعتبر ذلك بحال أخساء
الناس وأرذالهم إذا تولوا ولاية أو تقلدوا أحكاما من أحكام من المتجبرين
والمتنصرين فإنك تجد أحوالهم في ذلك بخلاف أحوال رؤساء الناس
من ذوي أنساب السلاطين والكبراء من قريب معا ولا يغشون من العار
والأوائل لا يخافون من عار ولا نار وقد قالوا الشريف إذا تنسك تواضع
والدني إذا تنسك تكبر واعتبر أيضا بحال أغنياء الناس وفقرائهم
إذا استغنوا تجد بين الفريقين اختلافا عظيما وتباينا كثيرا وقد
قالوا خذ الدنيا من يد من شبع ثم جاع ولا تأخذها من يد من جاع ثم شبع
وما أشرتم إليه من ارتفاع الخلاف في مسألة الغني الشاكر والفقير
الصابر وعدم تفضيل أحدهما على الآخر بالنظر للتوجيه الذي ذكرتم وتشويشكم
بين الفقر والغنى بما ذكرتم معهما من المنع والعطاء والشدة والرخاء الفقير والغني
في كون كل واحد منهما لا ينبغي أن يشتغل بهما كل من أقيم فيهما حكمة
منكم أصابتكم فيه غفلة لأن الفقر والغنى اللذين وقع الخلاف في أفضلية

اخر منهما على الاخر اذ لا يمكن الاكتساب بهما ونتصرف العبد في اختيار واحد منهما على
حسب ما تقتضيه السم بعد والكل بقدر وكون العبد غير مقيد في بحر التوحيد
والجمع لا ينافي هذا التصرف المذكور فيستغنيه بفناء الخلائق فيه فمع
هذا النظر بخلاف المنع والعطاء والتسوية والرجاء فان العبد لا مدخل
له في شيء من ذلك ولا طريق له الى جلب ولا الى الاكتساب به فهنا لا تتشوف
عندك الاحوال ولا يؤثر فيهما تفاوتها ولا تباينها فان كان او لا بد القوم
كما ترى لهم هذا الذي قلت لكم فحسن والا فلا ادري ما قالوا ولا ما اذا اشتغلوا
وماذا كرهتم من المسائل التي ذكرتم ورؤيا الرجلين الصالحين اللذين ذكرتم والنهم
لعلي نصيري ذلك ويفسر اسبابه الكلام منك والباطنة لان التنقل
من حال الى حال مما تشتريه اليه النفس ونحو بسببه الانشراح والانس
ولكن جبل بنفي ونفي ذلك بتغييرات وتعلقات من وجه تعول معتبرات
ومن وجه تعول غير معتبرات وبالجملة فانا اشتغل من اشتغالي على
الضعف في القلب والبدن والوقف على ما تعلمه من الكلمات والفتن
والمقادير التي يرد مثلها الانسان في هذا الامر بغير متفوتنا الا بدن الذي ينوجد
ولا ماذا يفعل فلا راحة يجد مثلا في الحال ولا راحة يقدر مثلا في الانتقال.
فقلبه متقلع وشمله متصدع حتى يبلغ الكتاب اجله ويرى كل واحد
منا ما قدر له هذا حالي في الجملة واما التفصيل فالحديث فيه
طويل واما فلان فقد كنت ذكرته في الكتاب الطويل الذي بعثت به
اليكم فقبل هذا ودعوت له فيه بتمام الراحة والعود الى الوطن محفوفا
بالراحة والسلامة ودعوت فيه ايضا لمرافع بامرك وعلنا الله بسيرته
وعشيرة وذلك لما وجدت عليه من الشفقة على والدته من المرض في
بلاد الغربة وفلان لكن فيه لا اسلم له فيما احدث به نفسه من الصبوة
التي كل ذلك شفقة عليه وغلبة المصلحة التي الا انه بقي مرحا له
شيء لم يعجبني وثقلت عليه ذلك لما تعلم من حالي فلما وقع منه
تشوف الى ان اسال عن حاله وحسبها فلما في كتابكم اغتنمت هذا وجرى

قوله مع غير مخصوص العباد الابريزيين بينه الا التراضي صنعنا ما اداكم

م على

م منه

فعلى المتشبه له كنتم ذكرتم في ما تفرع من كتبكم انه جاء الى معنى الكم برسم
كذا او شيء فيفعل بكذا او كذا احسن يثبت حاله ويقار وا عليه ومكنسه
ومن كتب الفقه ويفتيهم بالاحكام ولو فقد في مكانه ويتشاغل بنفسه والذي
الى من تعلق به ويشفق عليهم بكسب يزيله وهمة يزيله ولم يتعرض للناس
ولم يتشكر لهم بالكلب والحرف ويهون نفسه من ذلك في بلايا من سع
فيتشوف عنهما وكفاية منهما لا سيما في هذا الوقت المشكل الذي لا تفي للاخر
فيه غير ولا ينقلب فما يأمله الا الفقر الذي من لكان اجمل به وابلغ في
الوصول الى مطلبه فالقناعة مال لا ينفد **وفي الحديث** استغنوا
عن الناس ولو بشوص السواك **وخرج** مسلم من حديث عوف بن مالك
الاشجعي رضي الله عنه انه بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جماعة
وذكر حديثا كثيرا فيه واسر كلمة خفيفة ولا تسألوا الناس شيئا فلقد رايت
بعض اولئك النفر يسقط سوط احدهم فلا يسأل احدا يناوله اياه
وقد كان بعضهم يسأل منه ان يسأل فلا يسأل ويعطى فلا يقبل ويروى
ان سالم بن عبد الله دخل البيت الحرام فكان فيه هشام بن عبد الملك
فقال له هشام سل حاجتك فقال اني لاستحي ان اسأل في بيت الله غير الله
وفي كتاب ابي داود المسائل كدوح يكدح بها الرجل وجهه فمن شاء ابقى
على وجهه ومن شاء ترك الا ان يسأل الرجل ذا سلطان في امر لا يجد منه
بدا ولقد صدق الذي يقول *

ما اعتاض باذل وجهه بسؤاله * عوضا ولو نال الغنى بسؤال

وقد رئي بعضهم في يوم قر وهو يرتعد من البرد فسئل عن ذلك فقال

فقطع الليالي مع ايام في خلق * والنوم تحت رواق الهم والقلق
احرى واجدر بي من ان يقال غدا * كيف التمست الغنى من كيس مختلق
قالوا قنعت بذا قلت القنوع غنى * ليس الغنى كثرة الاموال والورق
رضيت بالله في عسر وفي يسر * فلست اسلك الا واضح الطرق

فهذا ما اردت ان انبهكم عليه واذكركم فان كنتم في ذلك مصيبا

فالحمد لله وان كنت متكلما فيه فانا استغفر الله ولولا ما ألجأني بذلك لما
حكيتموه التي عنه لم اذكر له من ذلك كله شيئا أيسر المقصود وقفت بمضي
ولعبة تنقضي ومن ورائها البعث والحساب والثواب والعقاب والله
تعالى المسئول ان يصلح احوالنا ويستر بصائرنا وان يلهمنا رشد انفسنا
بمنه وكرمه

أما بعد فقد بلغني كتابكم وتعرفت منه امورا لابد
في الكلام عليها على حسب العادة منها انكم قلتم عما كان اصابكم
من الغيظ من قبل ذلك الكلام الذي صدر منكم بقولكم فذكرته لكم لتخبروه
بالسبب بعد كنت علمت ذلك ولم اتغافل عن التنبيه عليه الا اني
رأيت ذلك الكلام الطويل الذي يقتضي تمثاله فاكتفيت بذلك وقولكم
ان احببنا كان على جهة اني لم ارض ذلك الكلام منكم ولم استحسنه
واعتقدت فيكم انكم قلتموه عن قصد فلم اتوهم انه وقع منكم شيء من
ذلك حتى تحتاجوا الى تبرية انفسكم منه في كتابكم بقولكم حاش
وكلا كيف ولو قلت لكم المليح بالمحال لاعتقدت فيكم انكم تقولون مقالا
من ليس له عقل بقلة ان تنسبوا الي ما ذكرتم من التضييع وانه مقال
وارب لغا وانب محال وقولكم وما ينصرك الله لتتفرج فانه بعد خرجت
فوائد كثيرة ولا يخلف لم تعرفها القولكم الا انه كفرني من كلامكم اني
حرفت فوائد كثيرة حتى قلت يا ليتني لم يصدر شيء ما صدر ولم يمنعني
من ذلك ما وقع منكم وانما منعني منه ان التكلم على الاحاديث والاخبار
لا يؤمن فيه من الخطإ والعثار لا سيما من حيثية ذلك المقصد الذي
قصدناه اولا بدا القوم لانه يستدعي تطويلا زائدا على المقدار وتأويلا
لا يحتاج عن ذكر مثله اليوم الا من يغترف بالاحجار وكذا ان تطبع
هذا اللفظ بفتح الباء وكسر الدال ونعني به المجنون او الاحمق او بضم
الباء وفتح الدال ونعني به المرجوم لا كن لا باحق وماذا عسى ان يجري
الفارس الفرس الجواد فكيف من هو مثلي راكب على ابن زياد فراينا

ان ضرب عن ذلك أولى نعم وهو من جهة راحة النفس من تعب الكتب
في الكزير أخلى وأبو زياد كنية الحمار اقتضى سياقها في المعنى
المستعار الفاقة والضمار والمعنى الذي استعير له ذلك هو النكد والفكر
والتصرف بفنون الفقر من جهة المعنى من سر فار له وفي حتى في مثل حمار رابد
فاعلم ذلك وأما قولكم في الاستخلال منهم فهذا لم يخلكم فيه إلي
قبل كتبكم فكيف بغزال فهمت منه أنكم استعملتم أمر الغيبة وزاد كونه
استعملها الامعة ما كتبت به إليكم لغزالكم فكيف ينبغي في أن استعمل منهم
بغرابيا بكم في ما تضمنه كلامه من الدعاء إلى الله وكذا وكذا وكذا ثم قلتم
فإن فعلت شيئا من ذلك استعففت أن يباشر بكتبي حقيقة فإن كنتم
تعتقدون أنكم برآء من تباعة ما وقع منكم من الغيبة فحلال عليكم من نفس
اعتقادكم لذلك بعيد وأفيدكم في ذلك الإفادة للذي معتبر بغفلة
الذين فخرجوا عن السبيل المستقيم وإن كنتم تعتقدون أنما في زمنكم
كسائر العامة وأنكم تعرضتم بسببها للعقاب والملام وإنما وقع منكم
التساهل فيها بالقياس إلى ما وقع منكم من أن عندكم على الغدر والجزع
مما أجرى الله عليكم الواحد المقتدر فقد تسلمون بهذا الاعتقاد وتستوجب
لكم تباعة عظيمة منكم في المعاد لا من يستنكر أن لا تعلقوا قلوبكم بسلامة
ولا استيهاب ولا يكون لكم نفس تنافلون عنها باسترجاع ما تعرضتم له
من العقاب ولهذا الشيء شركة أخرى وهو أن يعتقدوا في أنفسكم كونكم على
هذا الحال فيكون هذا الاعتقاد عليكم زيادة في الوبال والنكال ويخاف
عليكم من الدعوى التي هي أعظم البلوى فإن شأنها شأن الضلالة منكم من هذا
الاعتقاد الآخر وسكنتم إلى ذلك الشهود الكاذب فقد نشبتم في الوحل
والكيس بعدما أشرفتم على التخلص من الهلاك المبين وإن لم تسكنوا إليه
ولم تعولوا عليه بل كنتم بين الرجاء والخوف ومشاهدتكم الكشف في عين
العين فقد سلمتم من حيث لا تشعرون وتخلصتم من تباعات ما أنتم تورثونها
ترزون وفوق ذلك ومشاهدتكم الكشف في عين العين هو نبث التقصير لأنه إشارة

تبيينكم

الى الحال التي بها تكمل العبودية للعبيد فإذا صاحب هذا الحال لا يسمع باذنه
ولا ينظر ببصره ولا يتكلم بلسانه ولا يبطش بيده ولا يمشي برجليه
بل ولا يعقل بقلبه فاما ان يحبس في قيد في مارستان او يجلس على
منقلات اهل العرفان وكلتا الحالتين لا تنسا وفيهما الاكوان حقير ولا
خبر شئ للاستصحابهما منشا من قرة العين وهو نفيس في معنى قوله تعالى
في حق موسى عليه السلام وقتلت نفسا فنجيناك من الغم فلا تريناك عيش
الجمع حتى زال عنك ما داخلك من الغم وهذا كله كلام صحيح في الظاهر
الذي ليس بعالم فحذروا انتم منه الغايرة ودعوا صاحبه لا يعلم منهما بحروف
ولا غايرة نحن نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر وما ذكرتموه
من فلان وفلان فقد علمتم ان التغليب المسكين يقول صاحبه الى واسع اعطيكم
من ذلك لان المغلوب بمنزلة الاعمى الذي تجاذب عصاه اثنان وموضع كونه
اعمى النصح اعمى لغلب لا يمكن ان حال قياده يتبع وبه يقتدي والغالب في
هذه الازمنة الفاسدة ان لا تنفع عصاه الا بيد اعمى مثله فاما ان يقعا
جميعا في وحل او بئر في ايديهم فتحصل اعاذنا الله تعالى من مثل ذلك
الحالة واما الكتاب الذي اردتم ان تكتبوا له ثم اذا بينتم هذا لك
فمن سداد العقل لانه لا يفيد بل لا يزيد الا ضررا ليس عنه محيد لانكم
تكلفون فيه وتتكلفون وتقولون فيه ما تعتقدون وقد لا تصيبون وتغلطون
ولو كتبتم له بهذا النص لكان اقرب الى اصابة الغرض والتشفي مما
على قلبكم من جهته من المرض فتقولون من فلان الى فلان اما بعد فقد بلغني
انكم لم تقرؤوا الكتاب الذي بعث به فلان وامرته ان اكتب به اليكم وقد عز
علينا فعلكم من ذلك لانه اعتقد انه لا يكتب لاحد الا بنصيحة ينتفع بها
ابنه وكم من كتاب كتب به الذي ناتي بسببه شبهة واشكالات في عقائد
واعمال والكتاب الذي وجه الذي طلب مني ان اكتب اليكم بنسخة فيه وان
كان متضمنا لحسن الكلام ولاكنه لا يخلوا من فائدة ونصيحة لا ينبغي
ان يلغى ولا يهمل لقد عز علينا رده لنا والكز شي ولو رده ثم كتابه على

كلام بعض في تفسير قوله ... نفسا فنجيناك

لا

الستي

لكان أغنى عن كثير من ردكم للكتاب فإنه لا أرى منزلة تقليبي لا أبلغها غيره فلذلك
تجاسرت على الكتب في الفكر ولو أنكم كتبتم التي تشتكيه وأمرتموني أن أوجه
فيه الفقيه لبادرت إلى ذلك ولو احتشمتم منه فما الذي منعكم من قراءة كتاب
فلان مع أنه لم يبلغني عنه إلا المحبة والخير لكم وتلك أن ذكركم وهلا نزلت
قراءته منزلة قا شماشت لأني أعهدكم تذكرون في بعض الأوقات التي تجلسوا
فيها أشياخكم وتتفقدون من شغلكم أو تستمعون في بزكر فيما يجري من القبائل
من المغارمة والحروب وغير ذلك فلا أقل من أن تجعل قراءة كتابه بمنزلة
ذلك التفرسق ذلك على كثيرا فإن قلتم إنه جاء عندكم بقية سيدنا
الحاج ابن عائشة رحمه الله تعالى وتبع فيه قال الله عليهم لا يفعل ومن السنة
تقديم على أنكم بقية سيد الحاج حتى يتفق معه عليها وقد كتبتم من أهل له قبل
وفاة سيد الحاج ويقدره مع علمكم بأنه لم ينبغ لكم يقتده أتباع غيره بل
كان في الكم أحواله أمة وحده ثم من لكم اليوم بمثل سيد الحاج أو من يتبعه
حذو النعل بالنعل في هذه الأزمنة الفاسدة لو منتشتموا بالقبيلة لم
تجدوه فينبغي أن يعطى لكل زمان حقه ولا تحملوا الغنم حمل الجمل وإن كان
لكم أن ذلك الكتاب إنما بعثه عليه باعث الهوى فلذلك لم ينبغ لكم
أن تفردوا الكتابة فإن الرجل أعرف فيه انتقادا إذ يفعل ذلك معي في كتب
كثيرة يعلمني فيها بعلم أو يلاطفني فيها بأمر وأجره فيتمرني في ذلك غاية
التمري ويشاهد غاية الاحتياط فيه ويقول لي هذا ما فهمت وانكرت لتتبسط
وأنا قائم في نكم وتليل في ذهني أو ما معنا هذا يفعل هذا معي في كثير من
المسائل وإن شئت أن أطلعك على ذلك أطلعتك والانقلاب في أبناء
اليوم حال الكمال وإن الرجال المهذب ولو كلمت اليوم وجرأته لأعوزك
فهذا ما عرض لي أما قوله لكم تعرفوا ما جاء في فلان وإني أكثر بذلك الكلام ثم الفضل
ولكن الأجنبي تصفح ما كتبته لكم وتجاوزت عليه والله تعالى يرد لكم على
أرشد الأمور والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته فهذا كله هو
اللائق أن تكتبوا به إليه أن ردكم ذلك لأجل ما صدر منه ومن عزمه لم أبالي

ولم

ولم اعتن به وتقول العامة كل شيء يعفو الا العزل المعفو وانما كان
يعز علي ما ذكرتم من حال فلان لاني كنت ربيت عندي كصنعة في الكتاب
الاول الذي كنت كتبته له اول مرة وعمرت عندي حالا نوبة حتى حملة ذلك
على ان وعدني بمن عمر رايته فتنتني وسالت عليه لعبتي ومن ان شاء
يخبركم به اخبركم قلت امراة فتشتري فلانا اذ يذكر له ذلك فيه دل علما كان
نوال بمقاله او لا يذكر له ذلك فيه وبه مر ذلك بلسان حاله
ولسان الحال افصح من لسان المقال معنى كله ان يكمل اعتقاده في
وسقطت من عينيه وان لم يكمل اعتقاده ولا اسقطتني ذلك من عينيه بل
كانت لي عنده حالة ليس بها باس فسنا شيئا لا تسعنا في راس لا ربما كانا
تمسك باشياء الحلقة فيها انا من يد وتمسكت انا بشيء من الحلقة من
يده او لم يشتر ابنه ولم يعتن عليه وعلى كل التقدير بن امشي ان يكمل ٣
اعتقاده او لا يكمل لا يتم له انجاز موعد ولا ابلاغ مقصد ومن هو قليل
السعر ما عنده ما يعمل ومن كله مزاح معكم ومعه اذا قرا من له عليه
وبه ثم صنوا عن بها السنة والانتظار اليه حسبما اخبر من هو لنا وقع عندكم من
التمليح وقاع بينكم من التمليح حتى قال بكم الى الرحول فيما لا يعنيني
بما حكيتموه عن فلان اذ نسب اليه امر الا يتحقق ولا يستشير ولا ينكر
على المزاح بمثل هذه الاشياء فان ذلك من عادتي التي تعود فيها معكم ومراد
العادة صعب ومراتبها فيما يجوز ويستحسن ليس عليه عتب والا فمن له
الاحوال التي نقلت عنه وعن غيره او بمكرهه تصدر من التقلب والتلون والتمليح
والسقوط من العين وعدم انجاز الموعد وتعويق المطالب لو لم تقع في الوجود
ولا كان لا ولا بد القوم على التقليد جمود بل كان لهم في جهتي اعتقاد حسن
وحال فيستحسن فانه يكون احب الي مما قاله عبد الله بن عمر رضي الله عنهما
لنافع مولاه لو حفظت عني كما تحفظ عني لكان عبد الله بن عباس لكان احب الي
مما يكون لي ذو نعم زايد فقيل له افلا جعلته خيرا فقال هكذا كان في نفسي
ويكون ايضا احب الي مما قاله عبد الله بن مسعود رضي الله عنه لرجل دخل

عليه وعنده بنون ثلاثة كأمثال الدنانير فجعل ينظر اليهم فيضحك له عبد الله
فقال كأنك تغبطني بهم فقال له وهل يغبط الرجل إلا بمثل هؤلاء فرفع
عبد الله رأسه الى سقف بيت له قصير قد عشش فيه خطاف فقال لأن أكون
نفضت يدي من تراب قبورهم أحب الي من أن يقع بيض هذا الخطاف فينكسر
وبينما هو يوما في صفة له وتحته فلانة وفلانة امرأتاه إذ رأى منهم
وجها وله منهما ولد كأحسن الولدان فمسح على رأسه ثم قبله ثم ذرفت
دموعه فنكته بيده فقال لأن يموت آل عبد الله ثم اتبعهم أحب الي
من أن يموت هذا العصفور فإذا كانت أحوالهم المتوافقة وصفاتهم الحميدة
ومعاملتهم الحسنة هي بتلك المثابة علم أن الرتبة الزائفة وتكلم السخف
وفوت الكلام فإن ما خالف هذه الأحوال منهم يكون عنه من تلك النسبة
فلا جرم لا ينبغي لهم قولا ولا فعلا ولا الغايتهم جدا ولا الذي مزحا وهزلا
وهذا كله تفهم دونه عليه إن أردت سلامتي من التبعات والآفات والذ وسامتكم
فقد عرف الذي فاته وفات والله تعالى ولي العفو والمعافات وأما
ما ذكرتم أنه نسب الى زيد أو عمرو من اعتقاد أفضلية موسى عليه السلام
على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فهو من الأمور الشنيعة والأحوال
الفظيعة التي تشمئز القلوب عن سماع ذكرها وتشرئب الى تغطية عوارها
وسترها ولعل ما نسب اليه من ذلك لم يصدر منه ولا صح بنقل الثقات أو غير
الثقات عنه لأن هذا مذهب ركيك يشبه الكفر أو قل هو هو أو قل هو له
شريك فإن اعتقاد مثل هذا موجب لمعتقده وجود النقيصة لنبينا صلى الله
عليه وسلم في أمرين كلاهما هو منزه عنه أحدهما أن يقع منه نوع تقصير لأمته
بتلبيس حالته والثاني أن لا ينصح للخلق بدعوته في تبليغ رسالته وإذا
أدى هذا المذهب الى وقوع هذين المحذورين فكيف يلتفت اليه مؤمن
موحد مصدق بنبوءة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فإنه يكر على إيمانه
وتصديقه بالبطلان فيكون حينئذ لمن لقيه قبل ساو وجزاء وعلى جماره
ثم إنه إذا طولب على صحة مذهبه بدليل صحيح أو سقيم لا يجده وغايته أنه

يحتج على ذلك بآيات مختلفة تحتمل التغيير او عامة تقبل التخصيص لا يحصل
في اكثر منها الا ذلك بل لا يتم على ان موسى عليه السلام شريف المنزلة رفيع
المرتبة بحيث لا يلحقه في ذلك كثير من الانبياء والرسل عليهم الصلاة
والسلام ولو لم يكن في ذلك الا ذكره في القرآن وسوق قصصه واخباره
في مواضع كثيرة منه ومراتب شتى التي من ذكرها الان فيما اشعار بافضليته
على محمد صلى الله عليه وسلم حاشى وكلا وليت صاحب هذا المذهب ان صح
عنه توقف على التفضيل بحيث لا يرجح احدهما على الاخر في كثير ولا قليل
ومع ذلك لا يسلم من الوقوع في الضلال والتضليل لما فيه من الجفاء
لرسول الله وتمزيق خلعه وكفران نعمه وما اشبه هذه النازلة لو صحت
بمن لا رجل فقير يتطلب وقع في شيء مما سلف كان يفضل عليا على
ابي بكر رضي الله عنهما الا انه كان لا يصرح بذلك بل كان يعرض به كثيرا فاذا سمع
او ذكر عنده خبر من اخبار علي رضي الله عنه يظهر عليه من العزة والسرور
والاستبشار ما لا مزيد عليه واذا سمع او ذكر له خبر من اخبار ابي بكر
رضي الله عنه لم ير عليه شيء من ذلك وكنت اشم عليه رائحة البدعة وشبه
هذه المسالة بالتي ذكر فاهل شبه صور والذي بينهما بون بعيد في المعنى
وما احسن ما ذكر ما به فلان حين ذكرت له تلك القصة فقال نسال الله العافية
قبل انتكاس المرء في هذا السعي وجعله اقرب الخير من شر اللسان نعليه فنسال
الله العافية في الدين والدنيا وان هذا انه ولي حميد وان قلت فما
قد منعه ذكر ما من اداء هذا المذهب الى المحذور من المذكور من انه محتمل لا ينادم فيه
لذلك بعض ما تبينون ذلك بيانا شافيا نخرج به من التقليد الذي هو
عندكم من ثلج الصدر بغير لا سيما في هذه المسالة التي يعظم فيها الخطر
ويكثر الضرر وقد كنت اقول ان الامر في ذلك لا يبلغ الى الفساد في الاعتقاد
ولم يتعرض لهذا المذهب احد بالعتب اصلا ولا انتقاد ومن اسر ان جمهو بحال الواد
فاقول على سبيل ذلك بتوفيق الله ومعونته اما المحذور الاول
من الغش للامة والتلبيس للجهالة ثم يؤول ذلك الى الطامة التي نذكرها

فهو لازم عن هذا المذهب ممنوع اجماعا لان النبي صلى الله عليه وسلم من لدن
بعثه الى ان استأثر الله به لم يزل يسمع على لسانه من الاخبار وما انزل عليه
من كلام الجبار ما يؤذن ظاهره باختصاصه بالمرتبة العليا والافضلية
على جميع الانبياء الشيء الكثير الذي لا يأخذه حصر ولا تقدير ووجود هذا
مقطوع به فلو كان هذا المذهب صحيحا لكان فيما صدر عنه مما ذكرنا غشا
للامة وتلبيسا عليهم لانه يكون حينئذ ابطن خلاف ما اظهر وستر ما كان
يجب ان يظهر وهذا مما ينزه عنه احاد العقلاء الفضلاء فضلا عن خيرة
الانبياء ثم انه اذا اطلع مطلع يوما ما على افضلية موسى عليه السلام
عليه ربما نسبه الى الحسد له والنفاسة عليه فيكون حينئذ من مقتضى
شفقته على امته ان ينزع منهم موضع هذه الفتنة بان يظهر امر موسى
عليه السلام ويشيع بينهم افضليته عليه وهو صلى الله عليه وسلم لم
يفعل شيئا من ذلك ولو كان لنقل ولو نقل لبلغنا كما بلغنا حديث الرجلين
الانصاريين اللذين جعل النبي صلى الله عليه وسلم موضع الفتنة من قلوبهما
وقال لهما انها عصبية وهذا حديث مشهور وليس ما نحن بسبيله باقل موقعا
من هذا ولا مما يؤول اليه هذا من المحذور بل اشد مما يؤول اليه ذلك وغاية ما
وقع منه صلى الله عليه وسلم قوله في قصة اليهودي الذي قال بحضرة رجل
من الانصار والذي اصطفى موسى على البشر ثم لطمه الانصاري وقال تقول
هذا ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين اظهرنا ثم رفع ذلك اليه فقال
لا تفضلوا بين الانبياء او لا تخيروني على موسى وهذا لا يدل على ثبوت
افضلية لموسى عليه السلام والله تعالى اعلم بالحكمة في نهيه عن ذلك
هذا كله ان صدر منه كلام يقتضي ظاهره وجود الافضلية له صلى الله
عليه وسلم ويكون باطنه بخلاف ذلك **واما** ما صدر عنه من كلام
تكون فيه نصوصية على الافضلية فيتضح ان هذا المحذور فيه نسبة
وقوع الخلف في القول الذي في اخباره بذلك اما لمصلحة او لغير مصلحة
فيؤدي ذلك الى ان لا يوثق بقوله ولا ما يأتي به عن ربه من امر او نهي او خبر

لتجويز

لتجويز وقوع ذلك فيه وهذا امر عظيم وليس لقائل ان يقول الرسل
يخبر بافضليته ومرتبته وثبوت مزيته ثم يستجيب له احد الى اخر
الابد لانا نقول بعد تسليم انه يجوز وقوع مثل هذا منه لاجل هذا الغرض
مع انه ليس كذلك وحاشاهم من ذلك المقتضي للاستجابة له واتباعه
دعواه للنبوة مع ظهور المعجزة على يديه فقط واما الاخبار بالمزية
والافضلية والمتبوعية فلا مدخل له في ذلك وليت شعري الانبياء
المتقدمون عليهم الصلاة والسلام ما عدا موسى عليه السلام على
مذهب الخصم لما اخبروا اممهم بحال محمد نبينا صلى الله عليه وسلم
وافضليته عليهم هل اثر ذلك في صد من يتبعهم من اممهم عن
اتباعهم ومعلوم انه لم يؤثر ذلك في صدهم اذ لو اثر في ذلك لما اخبروهم
به واخبارهم بشأنه معلوم على القطع وان فرض اخبار النبي
صلى الله عليه وسلم بافضلية من يأتي بعده واخباره بافضلية من
تقدم قبله فلما لم يؤثر اخبار السابق في الزمان بافضلية اللاحق فيه في عدم
اتباع ولا استجابة لم يؤثر اخبار اللاحق بافضلية السابق في ذلك بل التأثير
في اخبار السابق بافضلية اللاحق لو تصور لكان اشد لان في حجة المدعو
ان يقول ان كان ابتعث النبي بزعمك اخبرتني ان نبيا افضل منك يأتي بعدك فدعني
ابقى على حالي فلعلي الحقه واتبعه ولا حاجة في الآن الى اتباعك مع انك لست
هو افضل منك واذا اخبر اللاحق بافضلية السابق او شيء يقول المدعو
فليحمله الحال الذي يتبعه شاء ام ابى اذ لا مطمع له في لقاء من تقدمه وفاته
فثبت بما ذكرناه انه لا يصح لقائل ان يقول هذا القول بل نزيد ونقول الذي
يناسب اخبار النبي بافضليته الاتباع والاستجابة له لان اهل الرياسة من
امته لا ينسبونه الى التكبر والترؤس عليهم فلا تسمح نفوسهم لما هم
فيه من التكبر وشموخ الانف ان ينقادوا للذي يشاركهم في الرياسة والتكبر
وعدم اخبار النبي بافضليته او وجود اخباره بافضلية غيره عليه هو الذي
يناسب اتباعه والاستجابة له لانه لا ينسب في ذلك الى التواضع والانصاف

ومعرفة القدر لزوال الافتقار أن ترى أن أهل الرياسة من قريش إنما كفر من كفر
منهم بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم وحسده من حسده منهم لمجرد سماعهم
لقوله أنا رسول الله إليكم حتى قال أبو جهل تنازعنا نحن وبنو هاشم الشرف
أطعموا وأطعمنا وكذا وكذا حتى كنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى إليه
فمن لنا بمثل هذا وقالوا كيف يكون يتيم أبي طالب رسول الله لولا نزل
هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ثم رموه بالعيوب ونسبوا له
أنواعا من النقائص والآفات فقالوا شاعر وساحر ومجنون ومفتر كذاب
ذلك نفس حسدهم لا لوجود نقيصة صلى الله عليه وقد كان بعضهم قبل أن
يدعي هذه الدعوى يقول هذه المقالة صدوقا مصدوقا أمينا مأمونا
فما كفاه لو قال لهم أنا سيد ولد آدم أو أنا خيرة الأنبياء والرسل
أو ما أشبه هذا فلو وجد الرسول صلى الله عليه وسلم إلى دعوتهم سبيلا
من غير أن يقول لهم أنا رسول الله إليكم ما قال ذلك ولا فاه به ولا ذكر لا سبيل
لعالي ذلك ولما قال له ذلك الغلام الذي قدم إليه العنب في الحائط أنا من أهل
نينوى قال له صلى الله عليه وسلم قرية الرجل الصالح يونس بن متى فقال
له الغلام وما علمك بيونس بن متى فقال له صلى الله عليه وسلم هو أخي أنا
نبي وهو نبي ولم يزد له على ذلك وهذا كان شأنه في ابتداء الإسلام والله
أعلم أعني الاقتصار على الدعوة والإخبار بالرسالة فقط فلما تمكن
الإسلام واستحكم أمره وبان وظهر دينه على جميع الأديان صدع بما
أمر به من الإخبار بمنح الرحمان ومواهب المنان ولم يحصل في ذلك بمن
بزهو وبغي ولم يبال بمن ظلم وفجر وأما بنعمة ربك فحدث فهذا أهم
الكلام على أحد الوجهين المحذورين وأما المحذور الآخر وهو كونه
صلى الله عليه وسلم لم ينصح في دعوته وتبليغ رسالته فهو لازم من هذا
المذهب السخيف لأن من عاداه وشاقه وناصبه الحروب وكايده بالمكايد
وبذل جهده في المعاداة والمباعدة والمضادة والمعاندة اليهود لا سيما
الرؤساء منهم ككعب بن الأشرف وابن أبي الحقيق وحيي بن أخطب وغيرهم

ولو كان هذا المذهب صحيحا لما بلغ بيسر إلى هذا المبلغ بل ربما
لا يعتنوا له ولا آمنوا به واستجابوا للدعوة لأن النبي صلى الله عليه وسلم
كان يمكنه أن يستأصلهم ويزيل نفورهم وأنفتهم بما يذكر لهم من أفضلية
موسى عليه السلام عليه لأن ذلك يقع منهم موقعا عظيما وينسبونه
في ذلك إلى الله تعالى لما يسمعونه منه من آي القرآن والاعتراف ومعلوم
من حال النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يتلطف في الدعوة ويستألف
القلوب التامة بكل ما يمكنه مما له أن يفعله حتى لا يبالي في جنب ذلك
بفوات حظه، كثيرا ما لا ينقصه بل لعلها من مرتبته إلى رفعة جنة ثم قد بلغ
حرصه على هدايتهم مبلغ المبالغة والمسامحة بالتعبير قال الله عز وجل
لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين فلا تذهب نفسك وقال عز من قائل
فلعلك باخع نفسك على آثارهم الآية إلى غير ذلك من الآيات وكان يبذل
لهم الأموال ويعاملهم بالحسنى من المقال والفعال فإذا كان حاله في
الاستيلاف ما ذكرناه كيف يمكن أن يبخل على أهل دعوته بكلمة يأخذ بها من (بعض)
قلبه ويقبل بها من رغب به ومعلوم أن شيئا من ذلك لم يقع له صلى الله عليه
وسلم بل تركهم تتلظى صدورهم من الغيظ والحسد وتتقطع قلوبهم من الأسف
والكمد ولم تدركه عليه الصلاة والسلام بسبب ذلك عليهم رحمة (خـ)
ولا الكشف عنهم بكلمة توافقهم وتزيل ما عنده تهمة بل واجههم بالقبيح (بالتفضيح)
والتعبير وقال لهم يا إخوة القردة والخنازير ثم نفذ الأحكام فيهم
بالسيوف وجرعهم كؤوس الحتوف وقد كان صلى الله عليه وسلم يحب
موافقة أهل الكتاب فيما لم ينزل عليه فيه وحي وليس ذلك إلا لما ذكرناه (خـ [illegible])
من الاستيلاف والمناظر أبدا إذا وافق خصمه على شيء من مذهبه وقد
قال به لم يتباعد عنه كل التباعد وأمكنه أن يستميله بذلك إلى أن يقول
بقوله ويتبعه في رأيه ويشبه مسألة المناظر وإن كان من حق الأدب أن لا
نذكر في هذا الموطن مجرد الاعتذار أنه مسألة المتنبي لم يمكنه أن يدعي
الاستقلال بالنبوة في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى [illegible] نفسه

معه واحتج لدعواه بكلمة قالها النبي صلى الله عليه وسلم في جميعه اذ كان
قد وقف عليه في جملة من وقف عليه من قومه وانما قصد بذلك ان يستنتج انه
ضلاله من امر محمد صلى الله عليه وسلم واتبع دينه والنبي صلى الله عليه
وسلم لم يفعل شيئا من ذلك بل لم يزل صلى الله عليه وسلم ينادي على
بخصوصيته ويخبر ابا بفضيلته شاء من شاء وابى من ابى وكان يقول انا
سيد ولد آدم وانا سيد الناس آدم ومن دونه تحت لوائي ولو كان موسى
وعيسى حيين ما وسعهما الا اتباعي ورحم الله اخي فلانا ورحم الله اخي
فلانا ورحم الله اخي فلانا واعطيت خمسا او ستا او سبعا وكم من مغزا
وكم ولو لم يرد عنه في ذلك الا حديث الشفاعة الطويل لكان في ذلك
ما يشفي الغليل فلا جرم ثلجت بالاخبار بذلك صدور المومنين ووافق
على الشهادة له بذلك بصائر العارفين لانهم لما خصوا به من الشهود
والاطلاع على اسرار الوجود علموا ان محمدا صلى الله عليه وسلم هو لباب
اللباب وان شيعته من الله تعالى اقرب الاسباب فسلكوا بذلك الصراط
المستقيم ولم يحتاجوا الى تطلب حديث صحيح ولا سقيم كما احتاج اليه
القوم حسبما اخبرتم به

وليس يصح في الاذهان شيء * اذا احتاج النهار الى دليل

فهذا ما اردت ان اذكره لكم في شان علم من تمذهب بهذا المذهب الردي
ولعل صاحبنا من ذلك بري وانما طولت الكلام في هذه المسألة وان كان
من حقها ان لا يسأل فيها فيما مسلك المناكر له في الامور المشكلة وان يفتح قع
كل من هب ان ذلك من مذهبه من عقوبته واد يجعل ما هو الا يوجب لا يمنع
معهود في مغلطه في كثير من الكتب اتقن في العبارات الكثيرة واذكر الكلام
الطويل في الحاجة الفهمية فاقبلوا في ذلك العذر واسألوا الله تعالى
العفو والغفر **واما** الوسوسة التي ذكرتم انها تصيبكم في جانب
الربوبية فلا ادري من اين تجيئكم الوسوسة في ذلك لان الوسوسة
انما تعتري اصحاب الرسوخ الذين لهم بمنزلة انفسهم معقول ومفهوم فلا جرم

الكلام على الوسواس

يجرون الوسوسة المتوهمة والمجنسة لانهم لا يفارقون التوهم والتشبيه والتمثيل
واما اصحاب الحقايق واهل السلوك لكم يقينهم فلا يصيبهم شيء من ذلك لانهم
في نكم من اشباح خاوية لا ينفعهم وزادهم بما عمهم به مولاهم ولا يحزنون
ان ما ازالهم ويهم ان تزول امنهم وليس ذاك ان العقول لهم والعرفان
الصحيح فلا ينوبهم حزنهم وسواس ولا يصيبهم شك ولا التباس وقد
ذكرتم في مسئلة ان ولده وانكم تشكون منهم في كونهم لم يشفوا لكم
شيئا وانكم لا تطلبون منهم واراك ضمن اب لم يزايلكم لاجل ذلك
فذلك دليل منكم على ضعف كبير واستيلاء خور وجبن ثم كثير منكم في
كلامكم انواع من الجهالات لم تعتبروا فكم منها كونكم جعلتم علامة لا تطلبوا
منهم شيئا وليس من انصافه ليليق بحالكم على ما انتم عليه من الضعف
وقولكم من اجل ارجع الطلب ليسكن ضميري جهالة ايضا فان الضمير
لا يسكن بالطلب وانما يسكن بالثقة بالله عز وجل وسواء طلبت او لم
تطلب وقولكم ومن اقول لا اطلب فاني فيه رزق لا بد ان يصل الي جهالة
ايضا مثل الاولى وقولكم تتغلب من الحالة التي على الركاب ضميري الا فيه
جهالة ايضا لان غلبة من الحالة لا تكون الا بوارد قوي يستولي على العبد
والزايد لا يكون له ضمير ولعلكم تعنون بتلك الغلبة انه يحكم لكم
ذلك بتحملون عليه وتتكلفونه ولذلك لا يسكن معه ضميري لانه
ليس لكم بحال وكذلك شكواكم الى من تشكون اليه جهالة ايضا الا اذا
كانت على كمال من اللسان من غير ان يحملكم على ذلك باعث قلبي من ازالة
منزلة العلوم وتمادها على الغنائم يصير القلب مهورا ويكسبه نورا فلا
يكون حينئذ فيه مساغ لشكوى لا حينئذ ذلك انما هو ما يصيبه من الغمة
والكلمة وقولكم فان الحالة التي ادرك الطلب منهم والاجتهاد فيه مع
السكوت عن التشكي او السكوت مع التشكي جهالة ايضا وان اشكال
في من اختير تسئلون عن الاولوية فيه من الحالتين والاخير في كل واحد منه
والوجه ان تطلب اتباعا للسنة وحذرا من الدعوى في ترك الطلب

وتشكك عن الشكوى اما الانقياد للتدبير واما الرضى بما أنتم فيه لا فرار من (تنويع)
المحبوب وفي قولكم وقد يحصل رفع الشكوى في بعض الاوقات المجاهدة حتى
اسكن عن التشكي فليس هذا من مواضع المجاهدة في شيء والمجاهدة
انما تكون محمودة اذا اثارت النفس بشيء من الدعاوى وايضا بعد فعل العبد
بما يجب عليه من احكام الشريعة والحقيقة فلا روحات في جميع ذلك مثلا
نلت شيئا من الروحات في الحالة التي ذكرتم فلا حيلة وفي قولكم وتثبت
في فتح حالي صحيح انه فتيح فان كان تثبيت لكم فيما من الوجوه التي اشرت (تنبيه)
لكم اليها فقد مثر بكم الى الصواب والا فلا ادري ذلك وفي قولكم فاحمد
واستحيي واخزي نفسي جعل له ايضا ولا كن لا على مذهب عامة الناس
وقد اشرت لكم الى ذلك في مواضع من كتب وفي قولكم مع ان اقوال جميع
شيوخ الجماعة التي انا فيها لو كان يعنا فلان لكنت كذا وكذا من اعظم
الجماعة أرأيت لو جاء فلان ذلك ما الذي كنت تصنع بما كنت صانعا
اذ ذاك فاصنعه الان فان [illegible] لو كان عندك حاضرا او غائبا وفائدة
[illegible] ان يذكر لك عشر معشار ما يرسمه لك في الكتاب ولا اكثر
تحقيقا وتدقيقا منه ولكن ان تقول للحضور معنى زائد لا يتصور وجوده
في حال المغيب وخذ ذلك من شان المحب مع المحبوب **ولما التبث** ما
تقدم ورد علي كتاب منكم تخبرونا فيه بامور منها قصة ذلك الرجل
ويشبه لغيره زيدا وعمرا وما الذي قاله له وقد وجدنا في خاطرنا علينا كما
يناسب اليه الا ما ذكرتم عنه في هذا الكتاب من قوله ان الانبياء كلهم
ما يفضل بعضهم على بعض فان هذا اختلال ما فهم عنه وهو ايضا خلال لا
ينبغي ان يلتفت اليه كيف والافضلية بينهم ثابتة بنص القرآن
وقوله لا ترفعوني وانا بشر واحد قد يكون ذلك الكلام صحيحا ولكنه لا يقتضي
نفي الافضلية وقوله لا كن لا ينبغي له ان يقول الا انه افضل من الذي قبله
ليحصل المشيعة تعظيمه والاخ يتبعوا كلام الا يسد ويساعد وقد تقدمت
الاشارة الى وجه فساد ذلك ولا باس اذا وقعت المجاورة معه في هذا ان تلطفوا

في الاطلاع على كلامه في ذلك اما من جهة جلالته او غيرها لان ما الذي يجيب به
والاطلاع على الامور فيه راحة وهما تعرفت منه فاذ كرتم من سؤاله عن
تفسير الشيخ في امتي اخفى من دبيب النمل وتفسيره هو بقوله في حكاية عنه
الشرك فيما انتم فيه وفلانة جعفر تفسيره لا جمعه فان كان اشار به الى الجزء
المذكور وان تفسير الاشتغال به والتعليق له شرك اخفى من دبيب النمل
لثبوت الاوصلية لغيره فهو تفسير منكر والاولى ذلك فما هو وانما المفهوم
في تفسيره ان كون الشرك في امتي اخفى من دبيب النمل انما هو من حيث علو قدرهم
ووفور انوارهم بخلاف غيرهم من الامم فان الشرك فيهم جلي او خفي لا يحس
ليس باخفى من دبيب النمل ويكون ذلك الكلام مسوقا في معرض المدح لهذه
الامة لا لما يحتج به اكثر الناس ويسوقونه في معرض الذم وانما وجد هذا
النوع من الشرك فيهم وهم على هذه الحالة لان اهل الاصلين منهم اهل صرف التوحيد
فلذلك هو الذي يوجب انتفاء وجود الشرك الجلي والخفي وما هو اخفى
من الخفي وهو من العبارات السنية التي لا ينبغي ان تسقط من قدر منا عن رتبة
الخصوصية هذا هو الذي ينبغي ان يفهم في معنى الحديث وقرينته بعض علماء
الصوفية على ان الحديث مسوق في معرض المدح ولا اكر لم يحرر هذا التحرير الذي
قلناه **واما** ما سألتم عنه من كلام ابي يزيد وذكرتم عنه ينكر الرجلين
انما سمعناه في الحلية فان ذلك الكلام لم اره في النسخة التي بيدي من
الحلية ونبعد ان ينقله عنه فيما لا انه اشتهر ان لا يذكر من كلامه الا ما
ليس ببعيد عن الفهم اذ ما في معناه هذا وهذا الكلام الذي حكيتم عنه لا ينبغي
ان يفهم على ظاهره بل لابد من تاويله بان يقال انه يجيب لمن عرفه كيف يرى
عبادته له لان المعرفة تبطل رؤيته وتمحو انيته والا فنحن ما راينا ذلك
الكلام او سمعناه في المجموع الذي الف من كلام ابي يزيد رضي الله عنه **واما**
ما سألتم عنه من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم للصحابي عرفت
فالزم فمعناه والله اعلم وصلت الى عين اليقين الذي تنبني عليه اعمال
المتقين فالزم تلك الاعمال ودم عليها واعمل ان دب عنه ولا تتطلع

الفناء وراء ذلك حتى يكون الله تعالى هو الذي يتولى ذلك لك كما تولى لك ما
قبله وحينئذ يكمل لك مقام العبودية وتصل الى مقام الحرية

وقد بلغني منكم اربعة كتب الاول منها غالب ما فيه مكرر
وقد تقدم منا الكلام التكلم على ما احتيج الى التكلم عليه من فصوله الا انكم
لما اخذتم في تقرير بعض المسائل التي تكررت في غيره استغربت من سياقتها
امورا لم استغربها من الكلام المتقدم لكم منها الوصية التي وقعت بها
ذلك الانسان ولده عند اشتداد مرضه وتلك الوصية والنصيحة لم يقع
بها تاريخ بل هي من اعاجيب الزمان ونوادر الايام ومنها ما ذكرتم فلان
من انه علق بقلبه شيء من قبل ذلك الرجل الذي نبهه بعد فلان وقع ومنها
جوابه له لما سأله مقارنة اشياء استحسنه اذ قال له كلام فلان يحلى
ابن عطاء وهذا مما لعله يوجب في حصول الفرح اذا استحسن كلامي وكذلك
ما ذكرتموه من جواب فلان لذلك الرجل لما سأله هل حصل عندكم او بيدكم
شيء من كتب القوم فقال له لا غير ان فلانا وضع كذا وكذا فينبغي لنا ايضا
ان نفرح به لانه قد تركنا في كتب القوم واستغنا من جملتها ومنها
ما ترددتم فيه من معنى عرفت فالزم اذ قلتم ما عرفت ولا تبع او الزمه وقفكم
ولا ترجع من اليقين الى غيره هذا معنى كلامكم وهذه الوجوه كلها ضعيفة
وما ذكرته لكم في جوابها قد يكون اضعف منها اذا نظر فيه محقق بصير ولا يكن
بسادات الزمان وخلفاء المكان من السكان فوراء وعقولهم لما شاء الله تعالى
وحكمه ومنها ان فلانا لم يزل في شدة مرضه مشغولا بالذكر وانه لم يتهاون
بما انه من قيام الليل مع تمرضه لما له عن ذلك وقد زاد في كلامكم هذا فيه
بمكتبه وتعرفت منه ومن امور اخر اطلعت عليها من غير كتابكم ان ينبه
وفي الله تعالى جانبا مرعيا محفوظا فالله تعالى يزيده من فضله وقد
بلغني اخوكم سلامه فعسى تبلغوه سلامي ومنها جوابكم على قولي
لذا اننا واياكم بلغنا معا لكنا من الفائزين اذ قلتم فيه اما انتم فبلغتموها
والحمد لله فبذلكم من حسن ظنكم بي ورؤيتكم في بعين الكمال

وعينا الرضى عن كل عيب كليلة ، وكذلك قولكم في جواب قولي لا
حرج لنا وقع مني ومنكم اعتماد على مقالة الاسباب افلا انتم تميزون وتحسون
نكلمكم في بعض الرضى ولو انكشف الغطا لا ازداد الذي يكون عندي ابدا لا تستنكروا
مني ان انادي لك بالسيادة بخلاف ما جرت به العادة ولولا خشيتي مما
خاف به عمر رضي الله عنه على الرسالة ان يا ذن له ان يدعو بعد صلاة الصبح
فقال له اخاف ان تنتفخ حتى تبلغ الثريا ولكلا مقال معنا له لبينت لك ذلك
ولا يكن خلا العدد على عقلاه وسل الصاحب العفو عما جناه فلا حول ولا قوة
الا بالله ومقالة الخشية التي ذكرنا يعني مشوبة لا حقيقة لها وما كنت
لاظن بكم ذلك **واما** الكتاب الثاني فحوا الرسالة التي احوكم وقد
تعرفت منه امورا ما فهمتها من ذلك الكتاب الطويل اليكم وقد كنت متشوقا
الى ذلك لانه كنت ذ بعثته الى رجل بعد ما قرى رجل عين له رجلا اخر ان يوصله
ذلك الرجل الذي يتخير بعده ذلك الشخص اليكم في علمكم انه اذا كثرت
الوسايط في الاسناد فبذلك يكون مكنة للقدح في صحة الحديث للمروي
وان المحدثين يحرصون على تقليل الوسايط ما امكنهم ومن تامل كلامكم الذي
كتبت له وبلغ مني التعجب منه كل مبلغ وضحكت لما قراته ضحكا لم املك
نفسي فيه ومن سوالكم لسوال الكم ان يمن عليكم بالجلوس على منصات اهل
العرفان وقلت في نفسي لاي شي اختار قبلا منزلة الحالة على الحالة الاخرى
مع تساويهما في المعنى المقصود الذي ذكرته له قلت اذ فهمت اخيت نفسي
عنكم وخفت اذا اعتنيت جوابا لا يكون مطابقا لما عندكم ثم قلت وان شي
يكون في الوجود اذا اعتنيت ما ليس بمقصود ولست باول من اخطا ولا من غلط
ولا من كان ذاكره في عليين ثم مرور وسعة الا انكم اشتغلتم الحصول في
المارستان وفرقتم بينه وبين الدخول الى البيمارستان وقلتم اذا كان الامر
بالنسبة الى قدرة الله تعالى شيئا سواء فلا ضرر ان نطلب الحالة التي
فيها الراحة والعزلة والمنفعة دون الاخرى ونعني بقولي والمنفعة الذي
تنتفعون غيركم بالارشاد والهداية لانكم تتمكنون من ذلك في معزل الخلال

كان
ايضا
الله تعالى
غير فيه
أعلى

فان كان هذا تقصيركم فقد غلطتم اما اولا فلاجل سؤالكم هذا عن الاكابر
وهذا فيه ما فيه وثانيا ان هذا النكر الذي تكتم اعلموا في حال الحجاب
الذي تطلبنا به فلو قدرنا رفع الحجاب لفعلنا هذا النكر ولكنت تقول ان ذاك
اي شيء عملت بنفسي فطلبت مريدا ورغبت اليه ان يقبلني من سفر اي
جهتي وهذه الحالات التي كنت عليهما والحالة التي استحسنتها للاشياء فما
دامت في ارادة واختيار فلا زلنا زال عني ذلك رايت قصرة في تمييز
منفعتي فهذا كان اولى في الذات اشغال اخرى مزيد من غير ان يكون للاختيار
الله تعالى ان يختار له امرا
مدخل في ذلك بل ما كان اولى في الاشياء ان يختار لي شيئا للذات من ممنوع
منه فان ارى اختيارا لي حاصلا قبل سؤال الخيرة فانون حينئذ قد اعطيت
الادب حقه في عدم سؤال تحصيل ما هو حاصل وهذا الكلام كله وان
كثرت حقيقته ليس له حاصل ايضا الا ان معانيه كلها انما تظهر في عالم الحجاب
ولاجل ضرورة التعبير حملت عليه لان من هو في حال الشهود لا يتراءى له شيء
من التوهمات التي توجب له سياقة هذه الكلمات التي لا يعتقد حقيقتها
من له ادنى نصيب في العرفان والله المستعان ومعنى هذا الكلام
كله موافق لمعنى ذلك الكلام الذي تقدم في مقام حيرة كثرت الرزق والعقب
ولكن اختلفت العبارات فيهما فان شئت ان تنسق ذلك الى معنى
او تحمل على معنى الاول او على ذلك او ترجعهما جميعا في اماكنهما والمشتاق
اللذان يقع التفرج والتنزل فيهما لا بد في حصول هذه المنفعة فيهما
كونهما منتفيين معا لان ذلك حاصل فيهما اذا تجاوزا وتقاربا وانا
في هذا الكلام كما قيل حمد الله وانتم على نفسه وان كان تقصيركم خلاف
ذلك فلا علم لي به وقد ترسم في كتابكم انكم قرأتم على فلان ما كنت
اشرت عليكم ان تقرأوا عليه ولم تخبروني بما فهمتموه عنه حينئذ ولم
تشيروا اليه بكلمة ولم يكن ذلك بعادة لكم وذلك كان المقصود وما
مثلي في ذلك الا مثل من اراد ان يرد في بير ليخرج به ماء فيرى مثل هو عذب
فيشرب به او اجاج فيجتنبه وهو عطشان وبينما هو في مكابدة اخراجه

بعد ان عرف من الماء فلا يحتاج اليه وقد بان باخذ الدلو بيده اذا انقطع
وسقط في البير فيحتاج له مع انه قد تنبه قبل ان تعب داخل في استخراجه
او تطلب دلو اخر يقوم مقامه وقد ينقطع عنقه من العكس قبل ان يصل
البير ولا لي العجلة في الكتب مع شغل الخاطر يحملكم على مثل هذه الاشياء
لا سيما ان كانت الكتب لضوء السراج وقولكم وقد تبينت في
هذه الجملة التي عمرت قلبي اني قلت حتى من اقتبس منكم ومن
علومكم فلا يزول عني ما بي من الوسواس ويقرب منه من وجد وبعض من الناس
وان بقي شيء يحمل لكم الناس فسالكين حتى يحب البعض منهم ولولا ما قصدتم من
مراعات التعظيم الذي في قولكم الوسواس والناس لكان الاولى بكم ان تقولوا
التعبير بالامر قولكم الناس لان البشر كلهم ان ... من قبل هذا ان النفس
لامارة بالسوء وقولكم في مسئلة الجزيري والجواب الذي جاء ويتمسون في
به قد كتبت جاوبتها به بنصه مع تاويلات اخر كلها راجعة الى المعنى
وقد منعني من ذكرها الا خشية كذا وكذا فلا تفعلوا ذلك فعى ابدا ان تذكروا
في كل ما يعنيكم فان ذلك يعني عن الجواب الصواب وان كان خطأ بينت خطأه وان
كان يحتمل زيادة زدتها ولا يمنعني كلامكم فيها من التكلم عليها والكلمة
تجر الكلام وسلوك هذا المسلك يتضمن تكثير الفوائد من غير شعور
منكم بذلك فانتم قصدتم الى استجلاب الفوائد من غير وقولكم وايضا
فمنعني من ذكرها ان مثلي لا ينبغي ان يمس كلام العارفين خشية حلول
المقت من رب العالمين فانا اعوذ بالله الجبار الذي يتجاسر على ذلك من غير
الكثرات منه بالعقوبة التي تؤدي اليه واهلا وسهلا بذلك اذا كنتم
تقصدون الى الكلام مستبصرين له ولعل ذلك خير من حيث لا تعلم
واما المسئلة التي وقع فيها النزاع بينكم وبين قرنكم تقول وانتم
قلتم لا شيء اشرف من مقام العبودية وقال هو ان مقام اخر اعلى منه
وقلتم انتم الحرية والعبودية مقام واحد واحدهما راجع الى الاخر
وقال هو انما هما شيئان وقلتم انتم التسمية باسم عبد اتم وقال هو

وفيها

التسمية باسم رسول او نبي اتم وكلما بينته فما يكفي في ذلك والرد
بكمفرنه انهما شيئان وان مقام الحرية اعلى وان كانت اشارات القوم
تدل على ان مرجعهما الى شيء واحد لان مقام العبودية لا يخلو من معرفة ما
ولو لم يكن في ذلك الا ملاحظة المقامات والاحوال والكرامات ادنى
ملاحظة ولا يخرج ذلك عن مقام العبودية واما الحرية فيخرج ذلك
فيها فلا يسمى حرا الا المتمحض في التجريد المتحقق في الجمع والتوحيد
الغريب الهمة فيما بين العبيد فلا مقام له ولا حال ولا لمحة ولا اعتلال
ولا حل ولا ارتحال فمن زعموا انه حاز مقام الحرية اذ لم تبق عليه منه
بقية ولم يشتغل بشيء من الآثار الكونية الظلمانية ولا النورانية
ولا حرج على من يقول التمحض في العبودية هو حقيقة الحرية والعلقة
العبودة التي يشير اليها القوم وانها ارفع من مقام العبودية كما قال ابن
الفارض رحمه الله

وكل مقام عن سلوك قطعته ... عبودية حققتها بعبودة

واما قولكم تسمية النبي صلى الله عليه وسلم باسم عبد اتم وقوله
هو تسميته باسم نبي ورسول اتم واشمل لانه على قربه منا فلنسلم
واستدل هو على قربه بما قال وذلك كله والله اعلم فهو في النكت
والحق عندي في ذلك ان نرجع الى تسمية الله عز وجل له فنعتقد ان كل
ما سماه به من اسم او اسم كان في غاية الشرف والجلال الذي لا ينبغي ان يفضل
بعض الاسماء على بعض لان الموطن الذي ناسب ان يسميه باسم مخصوص
غير الموطن الذي ناسب ان يسميه فيه باسم آخر فكل اسم يقع في موطن
من المواطن لا شيء اشرف منه والمواطن التي تناسبها الاسماء او الاسماء
التي تقتضيها المواطن ليس لنا علم بجملتها ولا تفصيلها وعلم ذلك
الى الله سبحانه فاذا اسمعنا قوله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده وقوله
الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب وقوله وانه لما قام عبد الله وقوله وما انزلنا
على عبدنا وما اشبه ذلك علمنا ان من كمال المواطن اقتضى التسمية منزا

بهذا الاسم لا ينبغي ان يسمى منه نبيه، ولا رسوله وكذلك اذ اسمعنا قوله
تعالى يا ايها الرسول ويا ايها النبي، ويا ايها المزمل ويا ايها المدثر ويس على
قول او النبي على قول او البشر على قوله وما اشبه هذا علمنا منه ان من كشفنا من
المراكش اقتضى التسمية بهذه الاسماء الذي ينبغي ان يسمى بها بعبده والعبد
بتسمية الله تعالى لا بتسمية غيره فاذا سمى الله تعالى من اختصه بخصوصية
باسم او اسم كان بغير اشرف اسمائه فلا ينبغي على هذا ان يقال ان تسمية الله
تعالى نبيه يونس عليه السلام بنبي ورسول اشرف من تسميته اياه بذي النون
وصاحب الحوت ولا وصفه اياه بالصلاح والاجتباء، ووصف آدم عليه
السلام بالاصطفاء والاجتباء والهداية باعلى مرتبة من وصفه آدم عليه
بصفة العصيان ووصفه يونس عليه السلام بصفة الاباق وعلى ما نطق به
القرآن، ويجري هذا في الاسم والوصف فيما اتصفنا لمعاني الشرف والجلال في
جميع ما يصدر عنهم من اقوال وافعال وحركات وسكنات لان الخصوصية تنافي
ان يكون صاحبها في مرتبة منحطة فارباب الخصوصيات كلهم في غاية الكمال
ونهاية العلو في المقامات وان حصل لهم احوال واذا كانوا احباء له
كانوا مرضيين عنده واذا ارضيهم اخذهم عنهم وسلبهم منهم فكانوا
اذ ذاك متصرفين في قبضة الله تعالى بتولي الله تعالى لهم ذلك فكانت احوالهم
كلها في غاية الكمال لا مجال فيها للوقوع شيء من الخلل والنقصان وكل ما
يظهر منهم من خلل او نقصان فانما يكون بمنزلة الخيلان في وجوه الحسان وليه
لا تزداد معها الا كمالا وجمالا وان لم يظهر لنا ذلك ولعل الكمال الذي ننسبه
اليهم من هذا القبيل الذي انه كمال في نظرنا لا في نفس الامر وحال كمالهم اجل
واعلى من ذلك فينبغي لنا ان ننزههم عن تنزيهنا كما نفعل ذلك في جانب
الربوبية لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك وقد ادمجت لك
في هذا الفصل ما يبرهن على جميع ما كتب فيه القاضي ابو الفضل وهو
وان كان خاليا من الدليل والحجة فقد سلكنا من التحقيق فيه اوضح المحجة
وبالله التوفيق لا رب غيره ولعلك تتلمح من مساق هذا الكلام مذهب

ذلك الرجل في نفي الأفضلية بين الأنبياء عليهم السلام ولعمر الله لتلمح
قريب أن يناد في القرآن بتعميمه وتخصيصه على ما يخالفهم وإن تثبت
فيه كيف بيد عقل قاصر فنقول إنما وقعت الأفضلية بينهم بحكم الله
تعالى بأفضلية بعضهم على بعض لأمر أجل علة موجبة لذلك وجرت في
الفاضل والمفضول من المفضول وليس أن يفضل بعض غيره على بعض وإن كان
كل واحد منهم كاملا في نفسه بالغا من ذلك الغاية التي تليق به من غير
أن يخله على ذلك وصف يكون فيهم وذلك مما يجب له بحسب سيادته والتمثيل
بالتشبيه أمر تقريبي إذ لا يخلو من المعايب والأعراض والله تعالى منزه عن
جميع ذلك ثم إن الله تعالى أعلم بما يقتضيه مقام الحكم فيه بالأفضلية
فمن أعوانه يكفر في سبب وجود الأفضلية بين الأنبياء عليهم السلام
ولا يتصور عنده إنكار لذلك وإنما أن يعتقد في سبب وجود الأفضلية
اتصاف الفاضل بصفات ليس تفقد في المفضول أو أن صفات الفاضل
نافعة وصفات أنه بفضل كاملة فهو عنده تكلف وتعسف ولا يسلم من
الوقوع في سوء الأدب وما زلت فكم استشعل ما تراكما عليه الجماء الغفير
من العلماء والمحققين حيث يقولون إن فلانا من الأنبياء كان له كذا وكان
نبينا كذا وكذا إن ما بين الحالين أو يقولون إن كان اختص بكذا فعند نبينا
ما هو أفضل من ذلك كما قالوا في انفجار الماء من الحجر لموسى عليه السلام أعظم
وانفجار الماء من بين أصابع نبينا صلى الله عليه وسلم ولم يعرفوا بينهما ثم محمد
بسوى أن الحجر قالوا منه انفجار الماء والأصابع لم يولف منها ذلك
حتى إن بعض أهل العصر الذين لقينا عضونا نظم فيه رسالة طويلة استنبط
فيها من أحوال نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ومعجزاته ما وازن به جميع
معجزات الأنبياء عليهم السلام وشبه أحوالهم وسلك في ذلك ما ذكرناه
ثم من لم ينتبه من قدر نبينا محمد عليه السلام وغيره من الأنبياء عليهم السلام
وقد أحسن في ذلك وأساء أحسن من حيث ذلك أن ينبه إلى سنتهم وأساء
لما يلزم فيه من أنه عجز أن يكافئ وما قالوا ذلك مما تقتضيه الأفضلية

نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فلسنا نفهم ومن اين لكم ذلك وان يقتضيه
افضليته لا نعرف من تلقاء انفسنا جملتها ولا تفاصيلها وانما نعرف ذلك
من قبله الامور اجملية لا يعلم حقا بفهمها الا من قبله الله وامورا
تفصيلية ربما نعلمها كقوله اعطيت كذا واعطيت كذا وفضلت بكذا
وفضلت بكذا وما معنا لما معنا فاذا اعتقدنا افضليته باخبار الله ايانا
بذلك ووقفنا على ما اخبرنا به من بعض الفضل مما يقتضيه حكم الله تعالى
له بالافضلية وقد لنا باب اطلاع على كنه ما يقتضيه ذلك الحكم منه
ثم اقتصرنا على ذلك ولم نتجاوزه الى ان نتعرض الى التماس ما يوجب وجود
الافضلية من قبل نظرنا الى ما اعطي من الايات وما طبع عليه من محاسن الصفات
وما اتصف به من محاسن الحالات وما قصر عنه غيره من الانبياء من بعض مقتضى
الاشياء كنا في ذلك متحصنين من سوء الادب مع خواصه واحبابه
والابعاد من سوء الادب والوقوع في النشب لازم لنا الزوم ما نهى وبه النهي
عنه كما فعله ائمتنا رضي الله عنهم وان قول النبي في ذلك بمنزلة من
مقدم فضلا او ثناء فضلا او مقدم فضلا والانهم بمنزلة من قدمهما
جميعا الا ان الافضل لا يجب ان يفضل بشيء لم يجعله مولاه سببا في وجود
افضليته ولا يجب ايضا ان يحط الفاضل عن مرتبته كما قال لا تفضلوا بين
الانبياء ولا تخيروني على موسى ولا يقولن احدكم انا خير من يونس بن متى
والمفضول ايضا لا يجب ان يجعل المفضولية علة لم يجعلها مولاه وهو فقد
ما اتصف به الافضل ولا يجب ايضا ان يفرق بينه وبين الافضل وفي جميعها
رسل الله عز وجل وعدم محبة كل واحد منهم هذا كله انما هو تحقق الله الا انهم
فالاستواء الادب معهم اي شهود ادب مع الله وهذا محكم فهذا الكلام حبر
النبي ما كنا بصدده من بيان ان الاسماء التي سمى الله تعالى بها نبيه محمدا صلى
الله عليه وسلم او احدا من انبيائه ورسله لا يقال في بعضها انه اشرف من
بعض من حيث تسمية الله تعالى بذلك واما من حيث تسمية غيره كما اذا اسمي
بذلك الشخص المختص بنفسه فلا ينبغي ان يسمى نفسه الا باسم العبد

ولا يختار الا ذالك كما قال صلى الله عليه وسلم خيرت بين ان اكون نبيا ملكا
او نبيا عبدا فاخترت ان اكون نبيا عبدا ولو وجد صلى الله عليه وسلم اسما
يتضمن من التلاشي والعدم اشد مما يتضمنه اسم العبد لتسمى به واختاره
فيكون اسم العبد من هذه الحيثية اشرف اسمائه كما قال الشاعر

لا تدعني الا بيا عبدها * فانه اشرف اسمائي

اي اشرف اسمائي عندي لا عندها اذ هي عندها لا تخيير له فيه والعبارة بما
عندها للإيماء عندي وقد اساء من في سياقة ذالك البيت واجحف بوزنه
ولفظه وتكرر بسبب ذالك الخلل الذي وقع له وذالك انكم انشدتموه على
هذا النحو * لا تدعني الا بيا عبدها * فانه اشرف اسمائي عندها *
وهو الذي يدل انه اشرف اسمائه عندها ولعلها لا تسميه بذالك وانما تسميه
عمرو مثلا ومثله زيدا وما اشبه هذا مما تسمى به كل قريع مغرور ولا باس اذا
كان هذا الكلام كله فيما سبق لذالك الكلام الذي تقدم منا في بيان علة ذالك
الرجحان نصا لقوله بعد مع الكلام الاول فان كان في معتقدك ذالك موافقا
لمذهبي اعني ان يعتقد وجود الكمال في كل واحد من الانبياء عليهم السلام مع
اعترافه بالافضلية بعلم الله عز وجل فهو صاحبي ونعتقد كونه انا وهو بقيمين
او اعمين فان كنا بصيرين فنحمد الله تعالى على ذالك وان كنا اعميين فنسأل الله
تعالى ان يهدينا الى ارشد المسالك وان لم يكن موافقا لمذهبي فليس لي بصاحب
على الحقيقة لكونه انا وهو متفقين في الكل بحمد الله والله تعالى الموفق ولا رب
غيره ولا معبود سواه قال في معنى قوله صلى الله عليه وسلم
انا سيد ولد آدم ولا فخر لا فخر لي بالسيادة وانما الفخر لي بالعبودية لله
الفخر امر مذموم مطلقا وهو الذي نفاه صلى الله عليه وسلم ونزه نفسه عنه فقال
ولا فخر لانه لما قال انا سيد ولد آدم خاف ان يعتقد بعض من يسمع ذالك
انه افتخر بذالك حقيقة صلى الله عليه وسلم موضع الريبة من قلوب
السامعين فقال ولا فخر اي انما اعلمتكم بسيادتي لتعلموا بذالك منزلتي ومكانتي
ولتقوموا بواجب حقوقي وتعملوا بما نزل في التنزيل بتعظيمه وامتثال امره وارشاده

ولم نقصد بذلك ما اعتمده قوله في اصحاب النعوت المتكبرة والمتجبرة من
ان من ساد منكم لا بد عند تجبره وتكبره من ان يفاخر ويباهي بذلك من لم يسد
وللاجل ذلك انف اشراف قريش من اتباعه وان يساويه وحسبوا انه تفاخر
عليهم بادعائه الرسالة والنبوءة كما قلناه في الكتاب الذي تقدم واذاه
هذا المعنى الذي ذكرته الغباوة والجهالة التي اصابت وفد بني تميم فانهم
لما وفدوا على النبي صلى الله عليه وسلم قالوا جئناك لنفاخرك فلما تكلم
خطيبهم وشاعرهم بما تكلما به من ذكر مفاخرهم التي شهرتهم ثم امر
وقام خطيب النبي صلى الله عليه وسلم ثابت بن قيس بن شماس وشاعره
حسان بن ثابت وقالا ما قالا اقروا حينئذ بالمناقب والمآثر كيف تكون
ولم يزيدوا على ان يبهم بما تعد الكثرة من المفاخرة سوى التسبب في اثارة
نقائصهم وابداء معايبهم حتى قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم ما
كان اغناكم عن هذا او كما قال صلى الله عليه وسلم الى ذكر الدلائل ثم الحديث
وقوله انا العبد في بالعبودية كلام لا احتمال له الا العبودية نسبتها الى
وان غيره نسبة واحدة فلا تفضيل لقائل بذلك العبودية التي يحق
جلاله وعظمته فلقد انا يعم العبد بما ارفع من حيث كونها منة من الله
تعالى عليه فارفع العبد هنا من هذا الوجه فلم لا يقع اجتماعه بالسيادة
ومن انها منة من الله تعالى عليه فالكامل انه نفى التفاخر النفي
المطلق ولم يقصد ذلك بسيادته ولا غيرها كما قال انا سيد ولد ادم ولا فخر
وانا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر وانا اول من تنشق عنه الارض
ولا فخر وانا اول شافع واول مشفع ولا فخر وانا اول من يحرك حلق الجنة
فيدخلها مع فقراء المومنين ولا فخر وانا اكرم الاولين والاخرين ولا فخر
فيسأل ذلك من هذا كله ان الاطلاق الاولوية والاشرفية في بعض الاسماء
دون بعض من غير نظر الى قاطن من تسمية الله تعالى وتسمية غيره قصور
في النظر وارتكاب وراء مقام العبودية مقام العلو منه واما ما فيه ثم
من ذلك التلبيس فقدحها لغته وروايته وجمعت من قوله ذلك الكلام انه

كلام رجل متأخر له شيء من هذا الفن يؤثر مثل هذا في كتاب الله عز وجل على
حسب ما يظهر له وإذ قد مر في ذلك أنه يجوز فقليل ما تراه أنه لم يؤت بمثل الذي
من سلوك الطريق الأوسط بين إفراط المتشيعة الباطنية ومن تفريط
الحشوية الظاهرية فإنه فسر قوله تعالى وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية
وقوله تعالى وإذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وذكر في ذلك أن المراد بالقرية
جنة المعارف بعض من هذا من فوق كلامه ونص على أن الأرض المقدسة هي
البعض في الكتاب وأن التفسير المذكور من الاتساع في التأويل وهذا كله
توغل في الباطن الذي لم يرتضه وجعل معتمده دون الظاهر أمور بالعيش
اليسير ثم نحى في تفسير قوله تعالى زين للذين كفروا الحياة الدنيا والآية
التي بعدها فخص الظاهر وهو أيضا لم يرتضه وجعل معتمده دون الباطن
أمور بالعيش اليسير لأن كون الكفار مترفين متنعمين لأجسامهم فيها وأن
المؤمنين هم الذين من شأنهم أن يكونوا في الدنيا زاهدين وفي الآخرة راغبين
وعند الله تعالى والتقين أمر معلوم مع أن كلامه في ذلك التفسير ناقص
لأنه فسر الذين كفروا بالمكثرين المتنعمين لأجسامهم وفسر الذين آمنوا
بالمنصرفين لحب الرزق وهذا لجزئية واحدة من جزئيات اتصف الكافرون
والمؤمنون ثم فسر قوله تعالى والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة بالتفوق
للدنيا ثم ذكر الآية الأخرى وهي قوله تعالى إن الذين أجرموا كانوا من
الذين آمنوا يضحكون وقال فيها فخر أعينهم بالإكثار من متاع الدنيا وزينتها
ولم يفسر الإيمان فيها ولا لما فسر الإيمان في الآية الأولى بالإيمان لحب
الرزق وعلمنا منه أن تفسيره هنا عنده كذلك فخصصها أيضا كما خص الأولى
ثم ذكر قوله تعالى وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين
آمنوا أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا وبعض من شأنها في هذه الآية
أنه أخذ منها التفسير المتقدم الذي تضمن التخصيص المذكور لأنهم افتخروا
عليهم بمتاع الدنيا وهذا كله إجحاف بالآيات ونحن نحقق فيها أن الآيات
التي تحتمل معنيين فأكثر لا ينبغي أن يقتصر في تفسيرها على بعضها بل تتبع

[تفسير] [ويعتمد] [فيها]

[تلو]

تلك المعاني ويبين تناول الآية لجميعها ويبقى حكم الآية على عمومه بتكثر
بذلك الفوائد والآيات التي لا تحتمل إلا معنى واحدا يقتصر فيها على ذلك
الآن يستقيم تأويلها ورد ما يقتضي الآيات التي تتضمن المعاني الكثيرة
فهذا القدر وجه التفسير والتأويل ثم انه اخذ ان يشار الى ما فهم من
تفسير ان يتبين ما ذكره من قوله صلى الله عليه وسلم يشبع ويغرى اقتضى
التعريف وقد يكون هذا المأخذ صحيحا ثم انه اتى بأمر يستشعر جدا
يكاد لثقله يتهد والاعظم الذي فيه رسم ويتكسر القلم الذي به كتب ورقم
وهو ذكر عبد الرحمن بن عوف رضوان الله تعالى عليه في هذا المعرض الذي
هو تقرير كون الحياة الدنيا مزينة للكفار ثم فسر الكفار بالمكثرين من
الدنيا ثم ذكر المهاجرين وسماهم بذلك ثم ذكر الكفر بمنزلة الثلاثة والمراد
بهم بمنزلة ذلك ثم ذكر ان اغنياء من هذه الامة وسماهم فساقا والذين
وانهم يسبقون الى الجنة بخمسمائة عام ثم ادرج عبد الرحمن بن عوف
في جملتهم وهذا اعظم القبح ما يكون ولا يزيل هذا القبح منه قوله بانه
ممن يعذر وهو بمنزلة لنوائب المسلمين يعني ماله لانه في ذلك بمنزلة
من جرح انسانا جرحا بالغا ثم اخذ خرقة فالصقها عليه فاخفى
في كرامته بجنايته ومنفعته بمضرته فلو اجرى الآية على كلا معنييها
وابقاها على عمومها او اطلقها ولم يخصص شيئا منهما ولم يقيدها ولم
يؤوله لكان ابلغ له فيما قصد وانسب لما اعتمد ولو اشرنا احد
الى ان يتعرض لان يبين هذه الآيات على خلاف ما ذكره من المتدبرين ويستنبط
منها معاني اخر يكون فيها تمام ما ذكره من مقتضى التفسير الذي اثره
مع كونه مما لا له في الكلام مساغ له ذلك لانه يقال عليه من الدنيا
التي زينت للكفار العظمة والكبرياء والترفع والاستعلاء وهذا
هو اعظم لذات الدنيا وحظوظها التي لا مدخل للتنعم الجسماني فيها
الا بالعرض ثم يتحكم وبسبب ذلك الآن يأخذ منه الاشارة الى ما يليق به
بعوام المسلمين وخواصهم من هذا النوع من الدنيا ويتدرج من كثيفه

الى الكيفية ومن كثيرها الى قليلها حتى يعلم من ذلك اخر فاين التكبر الذي
مرجعه الى رؤية النفس واستعظامها مع انه لا يتصور ان ينفك عنهما
احد من بنى ادم الا من رحم الله تعالى ومن اعظم مزينات الدنيا لمن
زينت له وتكبر بسبب ذلك العوائد التي لم يعتد مثلها في تفسير
يتضمن ذكر الامور البينة الحالية التي يعرف اهلها القاصيات الحكايات
كما يفعله الان هذا الصاحب فيفسر اعني ذلك المشرب المذكور
قوله تعالى زين للذين كفروا الحيوة الدنيا الى الرياسة فيها وحب
الجاه والمنزلة فانهم يتوصلون الى ذلك بما امكنهم حتى يتركوا في جنب
ذلك تنعمات ابدانهم بجملتها كما يفعله القسيسون والرهبان
في هذه الازمنة فانه ذكر عنهم انهم لا ياتون النساء ويتركون كثيرا
من شهوات الدنيا ليتوصلوا بذلك الى نيل الرياسة على اتباعهم فينقادون
لهم ويتبعونهم ويتخذونهم اربابا من دون الله ومن هذه مزينات الدنيا التي زينت
لهم فاذا راوا من ليس على ما هم عليه من اهل ملتهم سخروا بهم واستحقروهم
ولا شك انهم من اهل الايمان الاعظم سخرية واستحقارا لانهم يشاهدونهم
غير منقادين للاوامر والنواهي فاذا نزلت الاية على هؤلاء الكفار
المخصوصين يعود على مذهب ارباب الاعتبار ويأخذ منه حكم وامرين معنى
فاذكر ما لا اناس من المسلمين قليل علمهم بخدع النفس ومكايد الشيطان
اذا علم واحد منهم مسئلة او صلى ركعة او ترك لقمة او حبة واستشعر
بعلمه ذلك حضورا ومكانة ووجاهة عند الناس فيقع والعياذ بالله في
العجب والتكبر في الدار الاخرة وذا في نفسه عظمة وخزوانة لاتصافه
بصفات الكمال عنده ومن هذا ما هو من دنياه التي زينت له فاذا راى احدا من
عامة الناس مشتغلا بطلب الدنيا بكد الاعراق انشغل عنه بما فيه من التعبد
او التزهد او التعلم سخر به واستحقره مع ان هذا العامي قوي منه بالله
عز وجل ومن ذلك في ايمانه خوفه على نفسه واحتقاره لها ورؤيته انه
مقصر وخوفه ناج ومن ان هذا العالم او العابد او امرا فريا لربوا فيها

وان

وان شر المنقلب خير من علية ان زمن مثلية اذ من مثل هذا العالم ويعلم انه اذا
كان يوم القيامة يكون ذلك المتقي اولى بذلك احظ من المغرور والخوف في الحزن وحبط
بينه وبين معالي التقصير وتساوي من العز بوقاية قريبة لا يتصور بسببها اليه من
يضره ولا من يعزله بدون هذا العالم او الغابر او الزاهر اذا انكشف له حجاب جهله
وبان له شوه عاقبة جهله والله يرزق من يشاء بغير حساب انه يرزق الرزق
الحقيقي وهو الرزق وان جر له من يشاء انه من يريد من غير ان يكون لذلك موجب من
علم او عمل اذا نوقش فيه صاحبه ومن عوقب عليه كان معيبا ومثوبا فلا يحاسب
هذا المرزوق ولا يطالبه لما احسن حاله بايمانه ويقينه وكذلك يسلك هذا
المسلك في تقسيم الآيات انه ثم يقول فقوله تعالى ان الذين اجرموا اي اتوا بالجرم
العظيم وهو التعرض لمنازعة الربوبية بالتحكم على الناس والتحكم عليهم
بما انتفعوا به من علم او عمل او زهد كانوا من الذين آمنوا بالله تعالى ايمانا ساذجا
من غير تكلف دليل ولا كنه خال عن التشبيه والتمثيل وهذا هو حال عامة الناس
اذ لو انهم مشتغلين بطلب المعاش من وجهه يمشون من الرزق الى الرزق والحبة
الى الحبة ليصرفوا بذلك وجوههم عن المسألة ويشتغلوا به عن السؤال بين
المعضلة يضحكون منهم ويستهزئون بهم مع انهم مشفقون بحقيقة كمال الاشفاق
فيهما عبارة كما تقدم في الآية انه ثم يتمم هذا المنهج في تمام تقسيم هذا
ثم يقول فقوله تعالى واذا تتلى عليهم اي على هؤلاء الذين يتكبرون
بعلومهم واعمالهم آياتنا بينات في حال كونها بينات لا يخفى ما فيها من المواعظ
والزواجر عن تلك الخصال الردية التي اتصفوا بها حيل بينهم وبين فهمها
فلم يعلق بقلوبهم شيء منها سالمين عن آيات الذين يتكبرون في الارض
بغير الحق ويتخذ لهم مرادا ويفرح فرحا ويتفوقون على حالهم التي هي من التباهي
والتفاخر ويقولون للذين آمنوا كذا وكذا وكم اهلكنا قبلهم من قرن كانوا على
مناهجهم وسلكوا على ادراجهم هم احسن اثاثا ورئيا اي كم علوما واعمالا
لما قابلناهم بالعدل ولم نمنحهم المزيد بالفضل جعلناهم كذلك كالهباء ولم
يجتنوا من ثمرات سعيهم الا الشقاء والعناء ثم صيرناهم عبرة للمعتبرين ومثلا

م الرجل

خ وحسب

م هم

للآخرين لما يعلمنا بإبليس وبلعام وبرصيص ثم بعض هذا التجسيم لما قيل في قوله
تعالى وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة وفي أخذ الإشارة منهم وفيه لما على
القوم الذين ذكرهم بهذا الأسلوب من الكلام على هذه الآيات التي تولى هذا الرجل
تفسيرها وحملها على غير متنها ولا نصها وهو الاستكثار من المال للتمتع والتنعم
ولذا أيضا أن يتكلم على تلك الآيات بما هو أعلى من هذا كله على كم بنية أرباب ذوالي
الإشارة فيقول قوله تعالى زين للذين كفروا الحياة الدنيا أي الذين كفروا
بنعمة الله تعالى عليهم بالإيمان الذي مقتضاه أن كل شيء هالك إلا وجهه وأن كل
ما خلا الله باطل الحياة الدنيا أي الكنوز والحسابات التي يتنعمون بتذكارها
ويستطيبون بأنوارها وهو نوع مما هم فيه من بعض الأوجه وهذه دنياهم
التي زينت لهم ويسخرون من الذين آمنوا أي آمنوا بكمال كل ما يتوهمونه
تحقيقا لمقتضى إيمانهم والذين اتقوا هذه الأماني فوقهم يوم القيامة
حين ينكشف الغطاء ويبدو الخفاء ويظهر لهم الراجح في صفقته والخاسر
فيها إنهم هم الذين أشركوا من استمدوا به وسخروا منه وهم الذين حذروا
الله والله يرزق من يشاء بغير حساب أي العلوم والفهوم التي لا يحصرها
حساب ثم يجيء للآية الأخرى في التكلم عليها على هذا الأسلوب فيقول
قوله تعالى إن الذين أجرموا أي فعلوا الجرم العظيم وهو دعواهم أن لهم حولا
أو قوة كانوا من الذين آمنوا أي آمنوا بالله واعتقدوا وحدانيته ولم يشركوا
به في فعل ولا حال يضحكون لأن أحوالهم فيها مباينة لأحوالهم التي أن تقوموها
لأنفسهم من التمسك بالحيال والتشبث بالمحال لأن يتهمونهم لقلتهم مجانين
وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين أي إذا رجعوا إلى أعمالهم التي أنشروا
بها والأحوال التي استعملوها سروا بذلك وفرحوا واغتبطوا إذ يرون
بأيديهم من الرضا بين والنفائس ما ليس عند غيرهم من أهل الإفلاس والفقر
عندهم ثم يقول في الآية الأخرى وإذا تتلى عليهم أي على هؤلاء الذين حققناهم
آياتنا بينات أي بينات لأرباب البصائر خفيات عندهم ولاء الكافرين
الذين تمسكوا بالقشر ولم يعثروا على اللب وكفروا بنعم الرب قالوا الفرهم

بجهلهم

خصم
الخباط

جعلهم يعطون الامور للذين اوتوا الاجلال الذين آمنوا الائمة يزنونهم بعين النقص
ان الغير يفتي غير مفاهمنا واحسن تدريبا بغزارة منهم ولا شك ان العوام كلهم تابعون لهم
وتسليمهم لهم ما ادعوه من الخيرية والاحسنية فيما ذكروا الا ريب شاذ مقاومة في
الذين تفاخروا عليهم ان لا تعلموا ازهر ولا تكلموا سماءه ولا يمشوا الى فخر قبتهم
كثير من اولادها اذ وحدها فكيف لا يوافقونهم وهم يوافقونهم ولكن امثلكنا قبلهم
من قد يمن كان اشرف منهم اخلاقا وازكى اعمالا فاخذنا منهم عنهم واقتطعنا منهم
عن رؤية اعمالهم ومشاهدة اخلاقهم وتركنا منهم اشباحا خاوية ورسوما
خالية وذلك مما تقتضيه عزتنا ولا تعجب منه فقد رأينا من الملك اليوم
لعبد الواحد الغفار فقس ياخذ الاشارة الى مثل المعاني مما قيل في قوله تعالى
يا اهل يثرب لا مقام لكم ومثل الكتاب كله مما يمكن ان يتمم به كلام ذلك الرجل
فيعلم من ذلك انه لم يات بزيادة تجعل في التحكم او يشتمل عليها الا من
واحد فلينظر وعجبا له كيف يشاء من قولا لا ريب من الحجوب لزندقة من
عينه واسكتة سوى كتابه وصحيح ما جاء عن نبيه صلى الله عليه وسلم واين
يمر في الصحيح حديث يدخل الجنة حبوا او عرفت وبل لمن قرا مثل ذلك الاية ثم
مسح بها سبلته وقد استشهدتموه من كلامه في التقليد ليس بحسن ولا
محقول لان كل ما احتج به على ابطال التقليد ضعيف ثم انه جعل التقليد
يسوغ في بعض الاحوال والتقليد ممنوع على كل حال ولولا ان نكون يطول الكلام ٥
الذي لا يفيد لذكرنا لكم على كلامه ما هو اوسع من هذا ولكنا نقتصر على هذا
القدر ونحن نستغفر الله تعالى من جميع هذا الاكثر ومع هذا كله يجب ان ارى
كلامه في تفسير الايات على ابن خالد كان وقد يخرج في اثناء ذلك فوائد
من حيث لا شعور له بها الان ولا ادري كيف يتاتى الوصول اليه وقد
اردت ان اذكر لكم نبذة كشفت لي في التقليد تكون تتمة لهذا الكتاب واستوفها
مسائل منثورة وجواب لتتم لك الفائدة في المسألة التي استشهدتها من كلام
ذلك المصنف فنقول ونعوذ بالله من الفضول ان قلت ان الله
ذم التقليد في كل حال وكنت اعرف منكم الحكم بالضلال على كل من التمس

المنصف

يامتنا رمن زوار بياسيما الامتنان به وابتغاه ولما علم النبي صلى الله عليه وسلم
عدم الخيرية في بعض الاباء المعاصرين رجى ان يكون الخير في ابنائهم فقال في الحديث
المشهور عنه بل ارجوا ان يخرج الله من اصلابهم من يعبد الله ولا يشرك به شيئا وكذلك
كان حتى بلغ من ايمان بعض الابناء به ان قال الراوي رايناه يعني النبي صلى الله عليه
وسلم لما رايناه يمشي على الارض وحملناه على اعناقنا اوما معناه هذا ولاجل هذا
الذي ذكرناه كان اتباع الانبياء حقيقة الناس لا اشرافهم كما قاله هرقل لما سال
ابا سفيان عمن يتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم لان التكبر والتعاظم مفقود
منهم فلا استنكاف لهم من اتباعهم فلا يستنكفون لغيرهم وبعض الاشقياء لما شاهدوا
من طلبة امر الرسل عليهم السلام وعلو كلمتهم ما شاهدوا احزنوا ان يكونوا في
عوام من هدى فيهم قالوا اليهم بعض الجيل الذي احتزازهم لم تقر قلوبهم فافترحوا
عليهم من الايات ما عساه يكفيهم به وآية واحدة تكفي وتشفي لو سلمت من
التوقف ومن كانت اعينهم شيرها منهم ابتغاء التقليد كما فعله كبار قريش
في سؤالهم اليهود عن امر محمد صلى الله عليه وسلم وقالوا انهم اهل كتاب عندهم
ما ليس عندنا فقالوا نسالهم عنه فلما سالوهم واجابوهم بما اجابوهم به
من اختبارهم له بتلك المسائل ابى الله الا خذلانهم والتشويش عليهم وابقاء
الشبهة والريبة عندهم بما جرى بينهم والحق بذلك معلوم وهكذا سنة
الله تعالى في من لم يقبل الحق اول وهلة حين يلوح له برهانه فهذا كله من شؤم
التقليد الذي زاده الا به النفاسة والكبرياء ومتابعة الهوى وسفلتهم اولاء
واراذلهم تبع لهم في ما يأتون وما يذرون وان كانوا لا يتعاظمون ولا يستكبرون
ويجري هذا كله في عوام المسلمين مع علمائهم حذو النعل بالنعل فهم وان كانوا
مومنين بالانبياء الماضين ومتبعين للعلماء المتقدمين الا ان التكبر والتعاظم
مانع لهم من متابعة المعاصرين والانقياد الى المعاصرين ولو كانوا من العلماء
الراسخين ولا سيما من كان منهم غير عزيز ولا ممكن ولا ممدوح بغير سكين فاذا مات
وانقرض ونقل وعظم اوحدثت له وجاهة وكانه عند من يمتثل امره او كانت
له في نفسه ابهة وشموخ انف وكبرياء يحبسه يعرفون له المقدار ويعتقدون

من يشا ان يخرج الله من اصلابهم من
يعبد الله ولا يشرك به شيئا

البشر من اتباع الانبياء ضعفاء الناس
لا اشرافهم

لو

له بكمال الاستبصار ويصير عندهم علما في راسه نار فيعتمدون عليه في التصحيح
والصواب بكمال ويرجعون اليه في الحكم على من شاءوا بالهداية والاضلال ولا يعرفون
ان بعض هذه الاوصاف التي قد تحصل لهم من التي توجب تاخيره عند الله تعالى
ورده الى اسفل سافلين وبقاءه في لعنة اللاعنين ومن ذا كله من ركاكة العقول
وسخافتها وعمى البصائر وذهابها فمثل التغليب الذي هو من الهداية والرشد
بعيد ان يتحلوا بالحكم بحلية الاخيار ويفتخرون بحفلة الناس باتباعهم في
هذا منهم يفوزون بالجنة ويزحزحون عن النار لان العامة لما يرون من لباسهم
لتلك الحلة بسر الظاهر يعتقدون ان لهم الزلفة والقربة في الدار الاخرة وان
انهم لكم النفوس في سلك من امثالهم معتقدون ان تحكيمهم مقام من فات اقرانه هم عينهم
وان من خالفه لم يغنم جهودا في ضلال وقد يكون عند الله تعالى من الصفوة الابدال
فاختل بسبب ذلك امر الدين وانسل الناس منه انسلال الشعرة من العجين
لان ذلك يسد باب العبودية لله ويوقع في الاستخفاف بحرمة اولياء الله ومن
كان في ابتدائه نكرة ضلالة كيف يكون في انتهائه فلا جرم لما جعلوا هؤلاء اهلا
يثنون عليهم الابتداع والافتراء كان المتبوع لهم كل من يستحسنون حاله ولا
خبرة في ما يستحسنونه لعدم ادراكهم فاتبعوا من لم ياذن الله في اتباعه من
الرؤساء واصحاب الاهواء فضلوا باتباعهم عن كمال العبودية لربهم كما ضلوا
منهم فاذا كان يوم القيامة قال المقلدون لاتباعهم انا كنا لكم تبعا فهل
انتم مغنون عنا نصيبا من النار تبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا وقالوا لهم ما
قاله متبوعهم الاعظم وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي ويقولون
لهم لو هدانا الله لهديناكم فهذا هو التقليد الذي افتضح الحال انه يكون صرفا
مذموما لانه مانع عن العبودية في مجد الشريعة المحمدية فالضلال كله
منحصر في التقليد لان المتوقف من عسير والهداية منحصرة في الاستبصار اذ لا بد من
وجود التوفيق ... وانتصار فقد علمت بهذا ان المتبوع الذي يقتدى به من شيعته
لابد ان يكون على احوال المهتدين واوسط احوال المهتدين ان لا يكون لانفسهم
عندهم مقدار ولا قيمة لما استولى على اسرارهم من التجليات العظيمة فما لامهم

خ المهذبين

الذين يعمون عن الحق ويفرون منهم عن الذين يعمون عن عباد الله ولا يتمكن هذا التقليد
اذ لا يتأتى ولا يرتسم التقليد الذي ذكرناه اولا الا ان العلامة على صدق حاله ومقاله
لا يمكن والحجة لم تات بعينه وان خفيت عن اكثر العميان والحمقى ونعرف
فيه ان من فيه ذرة من كبر وحب جاه ورياسة ليس باهل ان يقتدى به ولا ان يرتضى
ولا يقدر احد منا بعينه عينا لانه من اولياء الشيطان الذين راس الضلال
ويشبه كان كل حمق وضلال ومن هذا صحوا التقليد الذميم اذ لا حجة لصاحبه عماه
تستقيم ومعرفة منزلة الاحوال في من توجد فيه لا تخفى على احد الا ادنى ذوي
فان شاهد منه ما يوجب الاتباع فليتبعه وليمتثل امره في كل ما يامره به مما
يقتضي ترخصا او تشديدا لانه ثقة وقد قالوا العلم الرخصة من ثقة واما
التشديد فكل احد يحسنه وتكون منزلة المشاهد له حجة تقتضي بانه في اتباعه
اياه وانقياده له غير مقلد وان لم يشاهد منه ما يوجب الاتباع فليتركه وليطلب
غيره حتى يقع عليه ويكون حاله حينئذ التوقف والاحتياط فلا يقدم على
فعل ولا يعقد بقلبه على شيء حتى يتمحض ذلك له من جهة الفرقة المرشدين
الذين ذكرنا احوالهم وصفاتهم وبالجملة فالتقليد كله مذموم ولا حاجة
باحد اليه ومعرضا بصاحبه غاية الضرر وانما يطلب الاعمى من هو اعمى مثله
فلو بقي على عماه من غير ان يتعلق باعمى مثله لكان خيرا له على ان هذا نوع
انتصار يمكن ان يخرج به من حال العماية ويكون له ذريعة الى الهداية فاذا
تقرر هذا علمت منه انك في ما قلته واعتقدته من انتقادك ذلك الشيخ
وتعويلك على منسوب لانك لست على حال من يهتدي باتباعه ثم اقول
ما قاله ذلك الرجل الذي دعي الى تولية القضاء واظنه ابا حنيفة رحمه الله حين
عرض عليه ذلك لا اصلح للقضاء فروجع في ذلك فقال ان كنت صادقا فقد
قلت لا اصلح وان كنت كاذبا فالكاذب لا يصلح للقضاء واما قولك فلم فالكذاب
افرد شيئا علمتنا فلانه لم ان لم تعلمنا الا في كل وقت انتشر الينا من جهة كل
ما اقوله لك ومن هذا صحوا الايمان فيه للغير واما ان اغير لسانك اذ انك تبدله
مع كونك مخيبا في معرفتها بهما او ترمقانهما بجملة الا عن له وجها واما قولك

اتعبت نفسك في كذا وفي كذا فللتعب خلقنا وانما الكد تعبنا ان ياخذ الانسان
قلما بيده ويحركه على صفحة كما غير بما يسنح في خاطره او القمح بالرحى
والحرفة بالمسحى فالحمد لله الذي قلل علينا التعب والنصب ومن عنائي
الامور الشاقة على الجسم وما يؤدي الى الفلالج والعطب. فهذا ما اردنا ان
نذكره لكم من حال التغليس مما يصلح ان يكون تماما لما تكلم به ذالك الرجل في شانه
حسبما فعلناه في الايام التي بشر منا والله الموفق لا رب غيره ونعلمكم
بان فلانا كان اخي خالد كثيرا لما انتسب مع اولاد الفوم بالجمعية الفلانية
ثم بلغني عنه بعد ذالك انه جاء الى الجمعية الفلانية على حال سيئة فلما
بلغني ذالك ادركتني شفقة عليه وقلت انه ان اكتب له كتابا اتكلم فيه
معه بما يلهمني الله تعالى من الكلام لعل الله تعالى ينفعه بذالك فها هو كم
معه لعل الله تعالى يراجع به وربما كان لكم تشوفا الى ما تضمنه ذالك
الكتاب فها انا اذكره لكم بنصه الحمد لله من فلان الى فلان وقد بلغني
حالك وما انت فيه من الضيعة والمسكنة والمكربات المتلونات وما
اعتريته من الارتباط بالظلمة والتورط في الفتن المظلمة كل ذالك بعد
ان نزلت جنوبا واستغرقت جميع ما عندك في طلب الدنيا ومتابعة
الشهوة والهوى ولم تنل منها الا مما املت بل اعقبك تعبا وافتضاحا
وسما حتى بدينك الذي رضيته من دين ونبذته خلف ظهرك ان صرت
لاخساء الناس من الفسقة والظلمة واتباعهم مواليا وقرانيا تلتمس
بذالك لقمة من طعامهم فتكون بما لك من سحتهم وحرامهم بل
لا تنقل لما منهم الا بشق النفس ومجاوزة الحد في الذل والخزي مع التفرج
في بلاد البربر وتشتت الحال وفرار الاهل والاولاد وتولي الوطن وخلاء عما
وراء ذالك مما هو اشد منه فانظر الان ما الذي رايتك المبارك
الذي تشتغل فيه بالشارة من هو اعز فيك واشفق عليك من نفسك واشد
كراهية وبغضا لما يعيبك وينوبك منك بل الضرر على ذالك اشد الاضرار
واغبطك بحالك التي انت بك غاية الاضرار ورايت عيانا سوء عاقبة

ثم تشتغل

واغتبطت

ذالك فلم تجد نفسك بارتجاع واشفقت على المعاطب والمهالك كما بار عليها
إثر توبة ولا إقلاع مع قيام الحجة عليها بما رزقها من العقل والفهم وما
علمته من العلم فأمثال هذا منك الا من شنيع وحال فظيع ثم تجري به قوله
إذ ترى نفسك من معقول ولا يقع فيه ان كل غير مقبول فلا فرق من رفدها
وان تتعثر من حيث أنت وارجع إلى الصلح فإنك تتمكن منه بما لطف الله
تعالى بك من تعويق المطالب وتعسير المآرب وتنغيص الحال
وتكدير البال إذ لو كنت ما دمت على ضد المطلوب ووصلت إلى كل مراد
ومحبوب لكان ذلك من الله تعالى لك استدراجا يجر بغرة تزل بها ووقوعا
في مهواة لا يكون لك منها تماسك كما قال أبو إسحاق الإلبيري رحمه الله
تعالى في وصيته لابنه في قصيدته التائية

فإن تنل عنده نشبت فيه ومن لك بالخلاص إذا نشبت

ولا شك أن الحالة التي أنت عليها منة من الله تعالى لديك أو ظلمها
بفضله إليك لما أراد والله أعلم من الإبقاء عليها فاغتنم هذه
الفرصة التي أمكنتك اغتنامها وخلص نفسك من الورطة التي إن داك
اقتحامها واعمل على حسب هذه النصيحة التي ألقاها إليك من أعياه
الإنكار أو بتله وشاركك في منقصتك ومصيبتك وتذكر لك عليه حق
رعاه لك بما انبعث عليه في هذا المكتوب ويود لو كان له من بيده أن يوصل
إليك كل محبوب ومرغوب ولا تخف مما تعثرت به في قبك من سوء نيتها وشر
النفس فإن الرب الذي ترجع إلى بابه وتتعلق بجنابه يعلمك من حيث لا
تشعر ولا تحتسب ولا تقدر ويؤت بالله تعالى تنال منه كل خير وإحسان
ويجود لك من حوله وقوته فقد قال الله تعالى على العرفان فإذا لم تفعل ما
ذكرته لك ودمت على أمرك وحماقتك ونعالك خفت عليك أن تقع في
نشب لا تطاق وكربة يعجز من تحملها التطاق ومن انذر فقد اعتذر ومن
بث فقد نصح والله تعالى يقلب قلبك ويفرج كربك وكربتك ويصرف عنك
نزغات الشيطان ويجعلك في كنفه وحفظه حتى لا يكون له عليك سلطان

بمنه وكرمه وبعد فقد بلغني كتابكم وقد
احسنتم في نقل كلام ذينك الرجلين الفاضلين في الفقر والغنى والعبودية
والحرية لنتعرف بذلك ما لنا وما علينا بين ان الكلام على نصوص
القوم متعذر علينا في هذا الموضع من وجوه كثيرة فإذا كتبت بشيء فإنما
اكتب بما يظهر لي من غير ان استعين على ذلك بكلام احد في الغالب فإن
اصبت المفصل في ذلك بما مثله احد في الوجود وان اخطأته فليس بملوم
باذل المجهود وقولكم وقد ذكرت لكم كلام الرجلين الا ان تعرف
ما عندكم فيه وان تزيد عنه فيه اني لا ادري ما الذي اقول لكم لاني اذا سلكت
سبيل التقليد اعتقدت صحة جميع ما قالاه فيكمل على جميع ما صححته وقلت
لك حل في الماء كل ما كتبت لك ورسمته ومن هذا الصحيح الذي ينبغي ان يجمع
اليه للامكن لا نراه يعنونه عليه وان سلكت في ذلك مسلك النظر معهما
مع علو شأنهما كان ذلك مني سوء ادب بين يعيبه عنه وفي ذلك ما فيه
ولو كان من غير امثال هذا النوع لكان الامر على اخف قليلا وان يسلم لهما ما
قالاه وان يعتقد ان كلامي وكلاميهما لم يتواردا على محل واحد تبنا وللاه وان
قال الحرية التي ذكرها ابن عطاء وانما تشتمل من شهود الاغيار كيف
يتلاقى ذلك مع ما ذكرت في معنى الحرية والاغيار على ذلك التفسير لا وجود
لهما حتى تكون مشاهدة وما ذكرته في معنى الحرية هو الذي تشير اليه نصوص
القوم الذين جمع اليهم ابن عطاء وغيره وانظر باب الحرية في الرسالة تجد
تبري مصداق ما قلناه وقد يحتمل ما يحتمل بأن ذكر معنى الحرية الا الذي
ذكرت فيه من معناها ومن ثم انتفى ما يمكن ان تنازع فيه محمول على ذلك
ووقع ذلك مني قبل انفصال الكتاب عني بيوم بعد ان كان تعلق في مدة
طويلة ارتقب فيها وجود الحامل كما ذكرت لكم بحمد الله تعالى وقلت
كان ذلك الناظر لحكمة لم اشعر بها وابقيت مع ما من ذلك ما لا يمكن ان ينازع
فيه وقد وافقت في ذلك ما ذكره الغريب الفارسي عن بعض المشايخ في
الكلام الذي حكيتموه عنه قال ادام بين العبد وبين الله بعد يسمى عبدا واذا تحققت

الغريبة يتمسكون بها وقد قال في الرد عليه لم أجمعه كما لم أجمعهم أيضا فقوله ووجد
العرفان والترجيح أن الحق إذا اطلع رجلا عوضا أن أخذ كلامه ولم يدخل لي
ذلك في سلوك فضلا عن أن يكون له عين ثبوت أو رسوخ ولعلهما قصدا في
كل مقالة تعمية مقام الحقائق عن الناس لا بعدا فرقتهم وإذ لا حاجة بهم
إليها في سلوكهم الطريق بل إن اشتهر عليه استدلالهم وقد يكون في كلامهما رموز وإشارات
يفهمها أربابها وتكليم الناس على قدر عقولهم دأب المعلمين المرشدين
فإذا جاء من تعرف فليعلم أنه مثل من لم يعرف ما وراءه ولا قام قدامه فيتكلم بكلام
ربما يشتمل بوجه ما فيه وإن وجد في حاله سلامة ربما يعتقده ذلك في ماله
من سترا ونزاهة وهكذا يفعل أصحاب الكيمياء فإنهم لا يصرحون بكلامهم من
يفهمون إفادته الأمور وراء حجاب الرموز فإذا [illegible] تلك الرموز كظهرة الكنز
الكنوز فإذا سمع العوام كلامهم وأخذوا من كلامهم ما يرون أنه مقصود منهم
وقرائنهم ثم أخذوا يحللون ويركبون على النحو الذي يعتقدون وبحسب ما إليه
يذهبون لم يصادفوا المقصود ولا المراد وقد ينفقون أموالهم في الرماد فإذا
انقطع من ثمرة عملهم رجاؤهم وضاع في تحصيل آمالهم سعيهم وعناؤهم
أحالوا ذلك على جهل الراسم لتلك الكلمات ونبذوه من أيديهم كما تنبذ
القذرات ولا كذبه بسلمه منهم باعتقادهم فيه الجهل بتلك الصنعة وإنما
لو كشف لهم عن حقيقة الأمر واطلعهم على مكنون السر ثم عملوا على حسبه
فأصابوا حقيقته فزعمه لم يسلم منهم من الوقوع في مهالك لا تحصى ولا يحيد
منهم إن أفعالهم الآن يجعلون كسالة في أيديهم ويقعون عن جمعها [illegible] وما يتناول
عليهما وعلى أمثالهما من المحققين العارفين والسنة تعلي لمن عليها بالعلم
عنهم والإصغاء إليهم والأخذ منهم وبتوفيقنا المعرفة أقدارا وألبابا بهم
المقربين وبرزقنا من عنايته وخصوصيته ما نكون به محشورين في المحبين بمنه
وكرمه والله فإن لم نتناول بعبارة معنى أوما استبعد فإنه لا إحالة أن يكون في كلام
بعض كلامهما قصور لا يمكن أن يعد من أحد ممن شم شيئا من معرفة الكم بعد
فضلا عن أمثالهما من المحققين وإذا اتضح ذلك فتأمل ذلك الذي قررته من

كلامي

كلامهما رأيت حقيقة ما قلناه ولولا العجلة لبينت لك ذلك

وأما الملامتية الذين أشار إليهم الغريب فهم الصوفية

وذلك أن البعض من أهل العلم وهو يستعمله في كتبه ينسبهم إلى الملامية (تنبيه)

كما أن الملامتية طائفة تنسبوا إلى الملامة وإنما قيل لهم ملامتية لأنهم

سلموا أمر الملامة إلى الفئة الطائفة الأخرى وإنما قلت الفئة لأنهم

ألفوا اللوم والتعيير أبدا وفي كل حال وهذا هو ما ذكره مذهبهم وقد اختلفوا في

(مطلب العالم لتفضيل الملامتية على الصوفية ومن تبعه من ...) تفضيل أحد الطائفتين على الأخرى فمذهب الحاتمي والذي يظهر من مذهب

هذا الرجل تفضيل الملامتية على الصوفية حتى أن الحاتمي ذكر أن

حالهم هو حال نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وحال الصوفية هو حال

موسى عليه السلام والكتب نقل ذلك عن الشيخ أبي عبد الرحمن السلمي

في الجزء الذي وضعه في أحوال الملامتية ومن شيوخهم حمدون القصار وأبو

حفص الحداد وعبد الله بن منازل وقد عد الحاتمي منهم أبا يزيد البسطامي

وسهل بن عبد الله من المتقدمين والشيخ أبا مدين والشيخ عبد القادر من

(مطلب ... تفضيل الصوفية على الملامتية) المتأخرين رضي الله عنهم وغيرهم لا أستحضر ذكرهم الآن ومذهب السهروردي

تفضيل الصوفية على الملامتية وحجته على مذهبه أكثر من حجج الحاتمي والله

تعالى أعلم ولست أدري هل اطلع على كلامي في الحرية والعبودية هذا الرجل الذي تنازعتم

معه وبلغني اطلاعه على الذي قلت فيه وتعجبت لكن كونكم تركتم كلامي

تلك النصوص وما أدرتم أن تجمعوا معها من كلام القوم ونضموا إليها وما

مثلكم في ذلك إلا مثل من اطلع على نصوص كثيرة نص عليها اللخمي وابن

يونس وابن رشد وغيرهم ثم تركها وأخذ يعتقد بغرض ينتحل الطالب من أهل

عصره مع أنه لم يطلع على شيء من تلك النصوص فضلا عن أن يعرف لها معنى

أو تأويلا إلا مجرد التقليد المحض وفقكم الله وكما قرأت السؤال

الذي أوردتم وقولوا على لساني بأن أخذت من وجهه لأجل كذا ولأجل كذا فصحيح أن ذلك

يقع منكم وتلك الاعتقادات منكم من حيث الكتب في كما ذكرت لكم قبل هذا

وفقكم الله ولما تحققت ثبات تلك الصفة فيكم قلت لقد حصلت في

وذكرتم انه يجب علي ان لا اعصيه ولا اخالفه في شيء وذكرتم حصلتم فيها وانا
احب ان تعصيني وتخالفني في بعض الامور لان في ذلك فائدة وهي حصولكم في ورطة
بسبب ذلك فاذا اراد من يستنقذكم منها ويقع فيها فاذا وقعتم فيها جميعا فلا
وجه لما ذكرتم من الانكسار والانحصار لان حزن الجماعة فرح والكلام في ان
هذا التقرير باطل فلا تكونوا من ذلك في امان ولا تخافوا منه فوق
العادة فيرى للاخوة المنافقين وقولكم فيه اتيت باللسان حالا وقالا
يا ارحم الراحمين افتكلفني عن التكلم في احوالي واقوالي ثم كتبت منه حسبما
كنت ثم كتبت في تلك المسألة التي كنت ذكرت لكم انكم فلتفهموها وودت لو
كنت سمعتها منكم حين فلتفهموها بلسانكم المقالي وقد ابى الغلط ان يزول عنكم
وليت شعري اين سمعتم بذلك الدعاء عن احد من محققي السلف وهل يتصور
الوصول الى تلك الحال بطلب او سبب ولعلك لما اتيت بذلك الدعاء
كنت على تلك الحال لانك على الوجه الاتم عند الله تعالى لا عندكم ولذا لم يحصل
لكم ذلك الكسر والانحصار وتكونون في ذلك بمنزلة الرجل الذي كان راكبا وهو
يناديه ويقول من اصاب لي حمارا وركبا على هذا الذي ذكرت هنا معنى الكلام الذي
ذيلته به تلك المسألة التي اشرت اليها والمسألة التي قبلها فلا فائدة
في تكرير الكلام عليهما مرة ثالثة مع ان المعنى في الجميع واحد وكل ثم يوحي بعض
الى الجامع وقولكم وهذا الامر هنا يكثر علي بعض الاوقات ثم امر به
عني في بعض الحالات واقول كذا فاعلم ان الوقت الذي تكرر عليك اصعب من
الوقت الذي يغيب فيه الكرر عنك ولو بقيت بكرر لم كان احسن لك ثم انك التمست
ذلك الامر بمعنى ذلك الكلام المختلف الذي فلتم الله عز وجل الذي اشهدني في
خصوصيته وكشف لي حقيقته هو ليس على ما انا بعينه وسلوك ثم يعنيه
واي خصوصية لي او حقيقة عني ولعلك لو اتبعتني وسلكت كم يغني لكان المثلاوي
والشفاء بك اولى واحرى ولم تبلد اذ المحرزينة مع امري وكف خاطرك من الجولان
وارح سرك من الهموم والاحزان وقلبك من التطلع لما يكون وكان وانصب
هذا الكلام كله قبالة عينك كما تنصب المصباح والسراج ولن يغنيك السراج

كما أنك بعين السراج ولا أدري كيف يؤمن بتحصيل الحاصل من عنده إذ يشتغل في
التعبير عنه بهذا المنهاج فإن لم تكن كذلك لم يفارقك الاعوجاج ولا عجبت
بك أي مزاج فإن كلفت بخلطة أمثالك من المعير والصاحب وإن رقيت متعلقا
كنت كمن يتعلق بخيوط العناكب وكأنك بعد هذا الامتثال منك تتكلم بمرة
أخرى أشد لغوا وأكثر هجرا ولا يرى إلا في مثالة الوسواس الخناس حتى تتلبس
بكلام ليس فيه بأس عند الناس هذا حال في الوجداء لأن شيخك بزعمك لم يتلبس به
حتى الآن والتلميذ لا يتجاوز في الحال شيخه حتى يموت ذلك الشيخ وأما
ما دام في قيد الحياة فلا يزال يقع معه ويقوم ويفرق ويقوم ولا يستقر على حالة
واحدة مرضية يثبت ويدوم إلا إذا أدركتهما عناية الحي القيوم فيخرجهما
إذ ذاك من كل معلوم ومرسوم ويقرب أو كما زاد فيهما وأمد نيهما من النجوم
إلى التخوم ويصير في أرجاء تلك المنازل العالية البيضاء والبوم فإذا أقر
الحال بتلك المشارب ونادى رائيهما الخربات أبرأ ملك الإحاطة بالعجائب
لم يجب نداءهما إلا أمثالهما فحينئذ يتحقق أنهما فرد مقبل في الزمانين ووارث
النبوة الأرضية من عليهما ومن جنة الوارثين والحمد لله رب العالمين الذي حبب إلينا الإيمان
والإسلام وكره إلينا الفسوق والعصيان وعبادة الأصنام حمدا لا يحصى
ولا ينتهي إلى آخر ولا يستقصى هذا هو السبيل الذي سلكته المتأدب المتقرب
فإن ختم لك أن هذا أمر نحمده يسير قليل فأقول لك قليل الله لا يقال له قليل
ثم إن كان ذلك قليلا فإنك أقل من كل قليل فهذا ما منزع من الهذيان المحمود
مني والله تعالى يرحمني ويعفو عني وأما الذي نسبته إليه فإنه أقول
من أين يعلم الفلان فقط علم أو فهم أو تحصيل وهو لم يجالس المشايخ ولم يمارس
الكلية ولولا الفلان أي هو عند أمثال الاعوجاج نعم كبيرة ولا أدري كيف
هو عنده أم بن لم يذكر شيء من ذلك فالمشكين مشكين هو ولو تكون بالحكمة
وقد رأيت لكم في بعض الكتب التي طالعت من الألفاظ العامية الحمد لله على
قلة الحسب وذلك في نازلة وقعت في بعض الأزمنة كلف فيها الشلكاز أمثل
الجهال والحسب ببعض التكاليف الشاقة فقال حينئذ بعض الأذكياء والصوفية

ذلك الكلام والألفاظ العامية كثيرة إما أسمعتها في كتبي وأصل هذا الكلام الفصيح
الغريب لأن الأمثال العامية تشير إلى معان حقيقية لا يمكن أن يستفاد مثلها إلا
من الكلمات الحكمية ثم هي من أعلق بالقلوب والنفوس من كل ما يسمع من الكلام
أو دع الدفاتر والكراريس فلذلك اغتنمتها فاعلم هذا. **أما بعد**
فقد بلغني كتابكم المشتمل على الأخبار بجزئيات كثيرة يمكن أن يتشوف
إلى أن يتكلم عليها وقد جنحتم في ذلك على الغرض والجملة فمنها ما قال الحكم
فلان أو بلغكم عنه من تقبيح تقليدكم في ذلك هو الحق الذي ينبغي أن يعتقد ولا
يتعدى ولا أكره ما أشار للتم به على حسن ذلك صحيح مستقيم موافق لما كنت
قررته لكم في تلك المسألة لو وافق ذلك ما في نفس الأمر لا كر الكلام أنه لا يوافقه
ومنها ما تراجعتم فيه الكلام أنتم وفلان وذلك من غلبة الكم الذين لا
تكادون تنفكون منه ولا كنه غلبة واقع في محله إذ نتيجة ذلك وثمرته الإقامة
فيه بل فيه كل المنفعة والفائدة ولا أقوال الفائدة فيه راجعة إلى أحد غير
من غير أن يكون في فيها نصيب بل إنه أخذ منها الحظ الأوفر والنصيب الأكبر أما
أو لا فلما عندي في مجادلة الكلام ومراد ثم من الراحة وإن انشراح ولذلك أحب
لكتابكم الذي يرد علي ويكون فيه كلام كثير وتخبرون فيه بوقائع تقع عندكم
أنتم إذا زاد الذي ذلك ويكون في اقتضاء الكلام من كغيره فلازم على أنكم لا
تتبعون لتلك المسائل التي يحتاج فيها إلى تدبيركم فيقع فيها من الكلام ما
تستحقه وما يكون فيه نوع غرابة بحيث يقول السامع لا أي شيء هذا وفي مراده
الكلام في هذا الجنس يكون الملك أو الهلك فإن كان الملك فقبضكم دائمة ونعمة
متصلة وإن كان الهلك فميتة وحية ولا كنها رضية من قبل أنه يتسبب فيها
عن دخله أمر وسلكان الإحسان من متكليتة هذا الزمان الذي إذا استمع الجفاة
بذكرهم يستحمون بأيديهم على وجوههم تبركا بهم إذ يكون لقلبهم نوع استواء
بما حضر من الناطق بالصواب حيث قال الحمد لله الذي يفعل كذا وكذا ولا أقول
إن النقيضين يتشابهان من كل وجه ولكن بينهما مشابهة خفية يعرفها أهل
الحق ولو شئت أن أقول هذا من الباب تجاوز الغلط والله تعالى ولي التوفيق والعصمة

برمته ولا كتمن لا تلمون في كتبكم الا بما يقتضي التكلم على امور بينة لا كتم غرابة
فيها عند اهل المعرفة بل هي عندهم من الواضحات الجلية لا كرمي لكشف الله
تعالى في ويحيي الله العبد وهو كذلك واما ثانيا فلما في مجاذبة الكلام ومن اذيته
من الفوائد التي مرجعها الى معرفة الفرق بين الباطل والصواب من الخطأ والحسن من
القبيح لانه في كل ما اتكلم به لا التزم له صحة ولا اعتقد فيه اصابة وانما اتكلم
فيه بمنزلة من ينقل عن امور غائبة لمن يحبس شيئا في يده ويقول لجماعة من الناس
ان شئ في يدي فيه تعيير فما في يده تتفاوت فيه ابعدهم فاذا قال واحد في يدك كذا وكذا
وفهم ذلك من امارات وقرائن لاحت له لم يقطع بصحة ذلك اذ لعل الامارات
والقرائن التي فهم منها غير ذلك خلاف ما فهمه هو الظاهر والاشهر ولا كنها قطعية عليه
فيرجع فيشير عن قوله الى قول صاحبه لكونها اذكى منها اقرب الى الحق لمن صاحب
النفس المزكية المنصفة واما الكذب لمن صاحب النفس التي تخالف ذلك
ولا يسعه خلاف الرجوع المذكور لان كل من لا يرجع الى الحق اذا فهمه ليس من العقلاء
في شئ بل هو من عتر الاغبياء واحمق الحمقاء هذا مع انه يجوز ان يكون ما تضمنه يد
الخابي شيئا اخر ولا الله لم يكلف احدا اصابة ما في نفس الامر بل ذلك فتح من الله
تعالى لارباب الكشف والشهود وانما كلف ان يغتنم ما ادى اليه صحيح النظر
لا يكلف الله نفسا الا وسعها فاذا تقرر هذا كان من الواجب على كل عاقل لم
يبلغ الى منازل الحكماء المعتبرين الاشتغال بنكتة وان يكون له تعطش تام الى ان يسمع
بفكر ان يكون فيه تكميل ما بدا من كلام من هو اكبر منه او اصغر فلقد يقع ويرتفع
قول العلماء او العلامة فان وقع ذلك ان يطلبه منه وقال بعده ان يقع بما ادعى هنا
بذلك واشرا عقبا كتابه لانه قد رجع بسبب ذلك عن خطأ انا عليه فنشتهر
ووقفه فانه اعتقد صحة قوله عز وجل وفوق كل ذي علم عليم لا سيما وانا في هذا
الموضع كما هو في البادية اذا اردت مراجعة مسألة في كتاب او طلب حديث نبوي
او اثر من اثار السلف الصالح عسر ذلك علي او تعذر وقل من الاقلياء
بهذا كله فاذا وقع منهما التنبيه لي بشيء من هذا الجنس الذي هو قليل في بي
كان ذلك اعظم غنيمة عندي والله تعالى الموفق لقبول الحق والسلوك لمسالك

الحزن لان غيره ولا لان هو وعشر ممن يقع في الوجود افراد غير قليلة
فجميع ذلك من الزمان لكن من الغرايب والعجايب ان من جملة ما كثر عندنا المسكنة والذلة
الثانية ان تعمم سوسلة اما زوال المسكنة والذلة فلما يتضمنه وقوع ذلك
من تبوئة العز في قلوب الناس ولان الذين يلبسوا بالكياس لانهم يزرون على
اهل المغرب ويفتنونهم وقد يستميلون الذين يرجعون اليه في الحل والعقد فمن ذلك كلام
اهل الخلق واذا لهم واصغرهم واخفهم يستفيد منه فابر له بحيث ربما يكون في يده
كتاب من كتب الفقهاء يتكلم فيه مسالة عظيمة من كتاب الله بما روا الندور او مسايل
ارخاء الستور ويكون استعماله فيها اخر الخلفاء او ابن عمر وجمع للنكم فيها
من في زمانه من العلماء فيتعرفه من يده ويأخذ تلك المجلدات التي لم يقصد بها
واضعها وجه الله تعالى ولا ثوابه ولو شاء ان يعلق على ذلك في الكعبة او في بيت
الركن والمقام بتقريبهم وحمله الى ذلك الموضع الشريف لفعل وحينئذ ينعزل فلان
عند الناس المذكورين من المكانة والوجاهة التي كانت في قلوبهم مع ان غلة التي
يفرقها من جلة الحمر والكتب من ذلك الواضع الفخور ولو شاء ان يعلق ايضا
على مثل ذلك في الموضع المذكور لفعل ويكفي في حصول مثل العزة والمرتبة في ان يعمموا الكون
فلا جعل ذلك الكلام امثلا ان يتكلم فيه ويقع في الاجزاء الاطلاعات وفيه كيف قال ذلك
ذلك النكر والضرر واما تعمم سوسلة فهو هنا تمثيل وكناية فان سوسلة
سلة اذا تعمم في الوقتين المعلومين في السنة لا نكاد ان نسمع فيها باذن من كثرة الصياح
والتهيج ولا نكار مثل هذا فيما خلا من الزمان واما اليوم فهو لمن له احد اسرار
الغبار الحقيقة التي تكون في البوادي ولا شك انه اذا وقع ذلك تتحصل الحالة
المسايل المشكلة والنوازل المعضلة وتجلب من حيث لا يتكلم ولا يتوهم فاذا تقرر
لنا ذلك احتجنا الا مثالة للكلام الكثير الذي يكون امتلاء ذلك البدر من الكلام الكثير
الذي جعلتم به منه استعمل تعلق من شبه ماء ان لم يمنعني من ذلك مانع واذا كنت
اذا اكتبتم في بلا على القليل اجلب عليه اساطير الاولين وانكلم فيه بالغيب والتعمية
فما كلمتكم بمثل هذا ولكني اجرني قائلا بهذا وقد فتت عليا عن تكلم المعارك واما الوقت
معنا ليك فقليلا ما يكون ذا الحد كما قال المتنبي *

الاكاغد

الغا

وإذا أتى الجذب زحل بساحته في كتاب الصغرى وحزن والنيزالي
وحينئذ تتمنون غيبتي عنكم كما تتمنون الآن حضوري معكم ثم إنه ينبغي له أن ذلك
أن ينتعش قلبه ويشتغل في باطنه وفؤاده ولكنه ليس بواضح فيخرج حينئذ عن حسه
ويزيل السنا شيئه عن راسه ويخرج منه تلك الأحوال المباركة إذ لا قدرة له في مثله
الحال على الاشتغال والمشاركة للأسماء من جهة علمية وعرفانية أو عضلة ونحن له أحسن
بشارة وإلا فإذا أسمع فلا بد ذلك وتحققوا مثل ذلك فلا تسمع عما يقع عندكم
من كلام وصلاح من غير فهم لذلك فما يكون فيه من فساد أو صلاح فيكون ذلك
سببه الاعتبار بسوء السماع المذكور لا كما في سائر الأوقات والأمور وأما قلته
وقل بعد له أن يقع لي أن فوعه فتضمن شيئا من الحق يقع في الوجود مع أنه منذ أزمنة
كثيرة معلوم ومفقود ثم هو متضمن أيضا وقوع شيء من مثل الأمور الغريبة التي
ذكر فيها مثل العز والعزل أو غير ذلك ومعنى وإن كانت من الأمور الباطلة التي ألف
وقوع أمثالها في العادة ولكنها بعيد وقوعها في أنفسها والعلم في ذلك عند الله وأما
ما قيل كما له من تاريخ المكتب بعد اختتم فيه لأني كنت متشوفا إليه ذلك الوقت
وقوله فيه ذكر فيه أشياء منكرة مستشنعة في العقائد أنها أنكرت واستشنعت
على من مذهب أهل الكفر والبدع والهوى الذين ليسوا بحجة على مثل أولياء القوم وأما
الكلام الذي ذكرت أنه حفظه عنه وبلغ عنه بذلك النص من غير أن يكون فيه تحريف أو
تغيير أو تبديل بسبب سوء السمع منه أو قصر الفهم عليه فلا فرق فيه أن يعتقد
أن ذلك من إلقاء الشيطان على لسانه في أثناء كلامه ووضعه من غير قصد منه لزلة
لتتشوش به قلوب الحاضرين وتقع به الفتنة للمستمعين ويفعل الله ما يشاء
ويحكم ما يريد ووقوع مثل هذا لا ينبغي أن ينكر وقوعه بسبب سوء السمع نعني به
سماع العوام فإنه لأنهم أكثر من يصحب الأولياء ويغلب على القرب من مجالستهم
وهم لا يعقلون ولا يدرون ما يسمعون وإذا سمعوا شيئا على وجهه لم يعرفوا كيف ينقلون
ومثل هؤلاء لا يقبل منهم ولا يؤخذ عنهم وقوله أو قصر الفهم عليه فنعني به
من عنده حظ من فهم وفطنة يمكن أن يتلقى به الكلام على وجهه ولكن لما أخذ من باطنه
من الفهم والاعتراض وتطلب الزلات والعثرات لا ينقل ما سمعه على وجهه بل يغير

فيه فيبدا او يزيد او ينقص وان كان في الكلام نوع تلفيف وادماج سبك على وجه يتم
به غرضه من الانتقاد والطعن فتلك هي التتمة التي هي من قبيل هذا فوجب ان لا يقبل
من مثله فاذا امكن وقوع احد هذين الوجهين اعني ان يكون الكلام محرفا عن وجهه
ومن قبل الامرين المذكورين او يكون ذلك الفاء على لسانه من غير ان يقصد له او يعقد
عليه او كان الغالب وقوعه لان التحريف في الكلام كثير والطعن على الاولياء عند
ولاة وقوع واحد من اثنين اقرب من وقوع واحد معين لم يجز ان ينسب ذلك الكلام
للشيخ ابي على انه قاله بنصه ويقصد اليه حتى يقع له فيه مراجعة ويكون له
عليه اضرار ونبوت ولم ينقل ذلك الحافظ الخطيب شيئا من هذا فيتبرع
الناس له ويجترئون بمجرد سماع هذا الكلام منه او من غيره نقلا عنه من غير
تثبت في ذلك لا وجه له وامتناعه هو من التكلم على الناس بعد ذلك حسن
جميل لانهم هم الذين نفروا عنه وقد قيل خير الناس من احسن قوله بابطاله معهم
وانما ازالة تلك الكلافة عن الناس فهو من ابلغ النعم عليهم نعم وعلى غيرهم
ولولا وقوع ذلك الكلام ممن وقع منه في ذلك لسرى ذلك في البلاد ولتضرر
به العباد فالله تعالى يجازي الاخذين في ذلك افضل الجزاء وينيلهم غاية ما
املوه من جزيل العطاء ولعمر وان كان فساد وكلم هو موجود الان وصار
كالسنة المستعملة يجوز للتكلم عليه ويعرفون سومه عند ابتداء فانه لا يعرف
لم يكن الان في الوجود شيء منه ولكانت الدنيا فكمثلها عند الان القلوب من ارباب
الافق قابلة للعقل الخبيث مهما دعيت الى شيء من الكيف وجدوا قرينه للاستماع ان افتهي
به هوى الرابع وحسن ليست لما وقع في معزلة النازلة ولا كرمن سلك عمسي
فلبعد عن ذلك واشتد عمله بما لذوي امعروا اوفى عليه واستمر بسبب ذلك مشكل
الفساد ولم يرجع زواله ولا بطلانه الى يوم التناد لان استمرار الغلادات
عن العمل بالشيء يوجب ثبوته ورسوخه فالله تعالى ينصح الناس منهم وقول
قائل لعلماء هذا يجب عليكم انكره الناس فيما هم فيه وكيف يستنشقون كلام
يحتاج الى نكتة لا ان قوله هذا يجب عليكم صحيح ولاكن لما ذكرناه الان من المبادرة
الى ازالة الفساد في اول حدوثه قبل ان يستحكم لاجل ما ذكره هو من قوله انكر الناس

فيما هم فيه وكيف يستسقون لانه يتهم فيه اذ ما وقع من الظلم مناف للاستسقاء
واجابة الدعاء وقد جرى من هذا في زماننا او مقام الناس يجري الدم في الجسر ولنشير الى
فيما يظهر لي بتصفح للازمنة في الاستسقاء انما هو المنكرات التي يفعلها
عوام الناس والرعية والاختلاط الذي يكثر فيها لكثرتها فيكون ما اصيبوا به من
القحط عقوبة لهم او تاديبا على ما صنعوا من ذلك فينبغي اجتنابه عند اخذهم
في الاستسقاء الى التوبة والاقلاع عما اقترفوه من ذلك لعلهم يرحمون
ولذلك اكثر ما يكون في الاستسقاء الاستغفار وقد استسقى عمر بن
الخطاب رضي الله عنه ولم يزد على الاستغفار واما قولكم ان الظلم يعني
من منكرات الخاصة وارباب الامر ومعنى من جملة العقوبات او التاديبات للرعية
والعامة بمنزلة القحط الذي ابتلوا به فالفرق ما بينها وبين الاستسقاء
حتى يتضرع فيه بذو الاستسقاء بل العلماء مما تقويه وتؤكده لانهم اذا فقدوا
الاستسقاء لم يكن حالهم الا كحالهم من هول الامر الدالة من الذنوب التي اوجبت
لهم العقوبة بعدم نزول القطر وكذلك الدالة من الذنوب التي اوجبت لهم
العقوبة بظلم اولي الامر فيستغفرون عليهم حالا او تكرارا لما توالى عليهم
من المصائب والعقوبات بارتكاب الاوزار فيكون ذلك اسرع لاجابتهم
وابلغ في اجابتهم قال الله عز وجل امن يجيب المضطر اذا دعاه واما عقوبات
الظلمة على منكرهم انهم ترفها بشيء من هذا ولكن عقوبتهم انما بالاملاء والاكثار
والاستدراج واسباغ النعم والتمكين من كل ما تمنوا حتى اذا استوفوا اخذهم
ما قدر لهم من ذلك ان يستوفوه وحان حين ان يحيق بهم من عقوبة الله ما كان
نسيه اخذه الله بغتة من حيث لا يحتسب ولا يقدر وجعله اية وعبرة
لمن يتضرع ومن يتناهى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل
يملي للظالم فاذا اخذه لم يفلته ثم قرأ وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي
ظالمة ان اخذه اليم شديد وحسبنا الفلاني كيف سلط له ما ذاله على حال
وقوة جيشه ونفوذ امره وقوة بطشه وجلالته بشيء ما ام مما الامر حاله في
ذلك من قوله مقرا الشخص ينقل عنه كذا وقد حاوله فلان في محاولة ذلك

الأمر حسن كله لينشر لأحد فيه ما يقول والله تعالى يتلقى لهذه الكلمة بالقبول ويعفيه
بسببه غاية ما أملوا من السؤال بمنه وفضله وقوله وما يفعل من يتم الجماعة إنما
يكون بكيفية تغيير يؤمن أن يقع له صحيح ولا يرى كيف يفعل إلا بطيبة النفس
ورضى المفعول له وقد استوى الجهل والشح على النفوس وكان الغير إلا في يوم من الشح
يعجبك شأنه في هذا الوقت فأي عدل من ينبغي أن لا أخلف له فيه وقد عوين
في هذا الوقت مصر وما فعلناه بالضعفاء والمساكين الذين يموتون بالجوع
والبرد وأكثرهم أطفال صغار لم يبلغوا أوان الحلم ولم يخط عليهم قلم وأصحاب
الفنادق المغلقة لا يشاطرونهم على هذه الحال ولا تدركهم عليهم شفقة أهل الأموال المزلقة
الإيمان ولا تسمح لهم نفوسهم الشحيحة بمواساة ولا اعتبار هذا في ما
يتوصل إلى القيام ببعض هذه الحال وأقام الجماعة الذي يحتاج فيه إلى مباشرة أمور
بالتغيير مع الحال فكيف يتصورون أن تسمح بذلك نفوس الناس اليوم فيحكم
حال اللازم أن لا محالة أنه يأخذوا ذلك من الناس على ما أحبوا أو كرهوا ولا شك
أن هذا الأخذ فاسد وما ينبني عليه أيضا فاسد مع أنهم أعني أئمة هذا الاعتقاد في
غاية التوسع والترفه في الدنيا وبلوغ نهاية الإمكان فيها ولا أقول الأمراء
بل أتباع أتباعهم ومن دون شيء يصلون إلى ذلك إن لم يصلون إليه بكديهم
وكسبهم أو بغير أمهاتهم لولا ما يأخذونه من الناس بالظلم والقهر أو تكلفونهم
أن يكونوا من التزهد للدنيا والتقشف فيما فعل عمر بن عبد العزيز فيقتفون فيما
فيه فكيف إلا ما أحسن تنونة كيف هذا الأمر مستقيما ومن حالة الذين المحمدي يكون
سليما لا يتبرؤون ذلك أبدا ولا يمكن أن يجدوه في مجرى العادة إلا بما أقول لكن
وذلك إذا استقامت أحوال علماء الوقت بزوال الغفلة والعمى عن قلوبهم
فإذا زالت الغفلة والعمى وشاهدوا ما الخلق فيه من قلة الدين والدنيا
أشفقوا عليهم شفقة الإيمان وحرصوا على تفهيمهم بما تعرضوا له في الآجل
من التهافت في النيران وفي العاجل من استيلاء الكلمة وأهل العدوان مع
أنهم قادرون على ذلك من أقرب وجه وأسهله وأيسره ومن أن يعمدوا إلى أرباب
الأمر فيقولون لهم أي شيء حاجتكم فيقولون لهم لا محالة ولا يسعهم أن يقولوا خلافه

ولا يجرون خلافه البتة حاجتنا ان يستقيم امر سلطنتنا ونحصل على جميع فوائدها
ونحصل مع ذلك حال رعيتنا الى صلاحهم وفلاحنا فيقولون لهم ومعنى ايضا هو
انه يريد وجهتنا ليتم لكم ما عليه ومن فوائد لرضى الله تعالى قوة في ان سلامة العواقب
وبلوغ الامال والمارب مع حصولكم على جميع اغراضكم فيقولون لهم لا محالة
نعم دلونا عليه وقد اتيناكم معنا وقد همتنا لنا حصول ذلك عن ادق المقاصد
مع السلامة من المظالم والمفاسد فيقولون لهم اما ما ذكرتم من استقامة
سلطنتكم وتحصيل فوائدها فلكم طريق الوصول لكم الى غاية امالكم من ذلك بعد
تعيينه لكم من اموال كثيرة جمعتها من تقدمكم بالظلم والغصب فمن تمكنكم الله
تعالى من اخذها عنوة اعتذارا وجوز لكم ذلك بل اوجبه عليكم من غير ان تخافوا بسبب
ذلك فتنة ولا تتوقعوا غائلة وذلك ان من اموال يعلمون اين هي وهم قادرون
على ان يعينوا من هي بيده ويبينوا كيف يتوصل الى اخذها منهم ولاكن يمنعهم
من ذلك ستر بال الدقران بعضهم ولاكن الحق احق ان يتبع ومعنى الكلام عرضها معنا
ولبس من معنا انهم ان اخذنا في تفريقها ثم يقولون لهم واما ما ذكرتم من صلاح
رعيتكم الى استقامة امركم فمنوط به بعد ان تصيروا الى كل قسم شيخ بمنزلكم بربيب
وعلم ونحل فيجعلوا امنه حكماء وعلماء وكبيرهم وذكرهم ومتسببهم ومنهم فيس
في الحكم والامر والنهي فانكم اذا فعلتم ذلك انقاد الناس لكم ومالوا اليكم
بكليتهم فيتعلم اهل الجهل منهم ما جهلوا وتتذكر اهل الغفلة منهم ما غفلوا عنه
فيعلموا فيستنير في بواطنهم مما جاءت به الرسل شيء من النور ويكون للشريعة
المحمدية في مثل هذه الازمنة الردية بعض ظهور فيقدرون بذلك على بذل اموالهم
وانفسهم في مرضات الله تعالى وفي مقاتلة اعداء الله ومواساة الضعفاء من
عباد الله فيعود فيلاعهم بذلك الى نمو اموالهم وصلاح احوالهم وحصول
البركة في جميع شؤونهم والاتهم كما قال الله عز وجل ولو ان اهل القرى امنوا
واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض وقال عز من قائل ولو انهم
اقاموا التوراة والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم
وقال تعالى ولو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا لنفتنهم فيه

الى غير ذلك من الآيات التي فيها امثال مثل المواعظ للعباد فهذا الذي رتبها سبحانه
على ان يدار و التقوى والطاعة والاستقامة فصلاح الدنيا انما هو بصلاح الدين
وصلاح الدين انما يكون بصلاح الامراء وصلاح الامراء انما يكون بصلاح العلماء وصلاح
العلماء انما يكون بان ينزع الله تعالى عن قلوبهم الغفلة والعماية فاذا انزع ذلك
عنهم شاهدوا ازمنتهم وما اختل فيها وما انتقص منها وعرفوا مبلغه ومقداره
فاشتغلوا باهم الامور وما يؤدي اخذهم فيه الى صلاح الخاصة والجمهور وذلك
ان ياخذوا مع من استخلفوا عليهم في معاملات وعلوم تكون سببا في تصحيح ايمانهم
وتقوية ايقانهم وصلاح اديانهم اما المعاملات فان يتحروا براعيتهم بالعمل
بالاخلاق التي هي مدار الذي استعباد ومنا من تعليم مشايخهم وربما هيئتهم لهم من الشفقة
عليهم والرحمة لهم والرفق بهم وادخال المسرات عليهم وايصال المنافع
اليهم واستدفاع المضار عنهم وبالجملة يعاملونهم حسبما عاملهم
من قبلهم خلفاء منهم من الانبياء والمرسلين وخذ ذلك من قصة الامام ابي
الى قال في المستنجد وابن عمر ابي الى قال له لا احسنت ولا اجملت وغير ذلك مما لا
يحصى كثرة واما العلوم فان ينشروا علوما معهم بعلوم تؤدي اليه ان يكونوا على
معرفة الاحوال السنية والشيم المرضية التي هي من اخلاق النبوة ويعلمونهم
كيف يتعبدون لربهم وكيف يتأدبون بين يديه في حركاتهم وسكناتهم واقوالهم
وافعالهم ونياتهم ومقاصدهم فيعلمونهم كيف يعظمونه ويجلونه تعظيم
مثلهم واجلاله اذ ليس في كونهم ولا وسعهم ان يقدروا الله حق قدره ويذكرهم
ءالاء الله ونعمه فيحببه بذلك اليهم ويبين لهم كيف يتوصلون الى الغبطة
بلقاء الله تعالى بعد الموت فيزهدون لذلك في الدنيا ويتجافون عنها ويتخلون
قبل رفضها ويكن اعز من هذا وكذا وجميع ذلك موجود في كلام الله تعالى وكلام رسوله
صلى الله عليه وسلم وكلام الاولياء والعلماء فليجعلوا النظر في ذلك معهم
ميسرا منهم ويستخرجوا لهم جميع ذلك من منطوقاتها ومفهوماتها واشاراتها
وتلويحاتها قبلهم في هذا المجال رغب بحيث لو امكن احدهم عمر نوح يتشاغل فيه
بذلك لم يبلغ عشر معشاره ويشتغلون بذلك من كل فقهائهم بحسب حاله

كما ذكرنا بالاعلى

ولا يبلغ

ولا ياخذون بقولهم في الدقيق من مسائل الفقه فلا تهم التي مرجعها الى استيفاء حظوظهم
دنياوية توجب شماتتهم بها لخصومهم عند الحاكم والقاضي والسلطان رجاء
الجزيل والذكر الجميل حتى يكون كما قدمنا ذكرناه من اصلاح مقاصدهم وتحسين
احوالهم لان ذلك بمنزلة اول اساس الذي ينبني عليه فاطلعوا الاجلة
وتعلموا انهم في منزلة الازمنة الغبسة لم يعقلوا شيئا من ذلك بل نكسهم الله
تعالى على رؤوسهم واعمى ابصار قلوبهم فلم يهتدوا الى العلم الحقيقي الذي به
يعبد الله تعالى ويدان لربوبيته بل عمدوا الى مسائل ليحتجوا بها على العامة
العمياء وقالوا انهم النكتة فيما هو العلم الذي تواطأ عليه العلماء فاستبدلوا
بكلام الله تعالى وكلام رسوله كلام الناس الذين هم منسوبون مثلهم او اقل الكثير
منهم وتمهروا فيه كما نصها ارباب العقول والالباب في الكتاب والسنة من
البحث والنظر والتدقيق والتحقيق حتى يستخرج احدهم من اشارات المدونة
ويجمعوا تعامل الاقوال المتعددة ما لا يؤبه بمثله ولا يبال ويستنبط
منها من ذلك احكاما ما لم ينزل الله بها من سلطان ولا يصح اعتقادها والعمل
بها من مثل النية المطلقة الدينار ولو استعمل اقل من ذلك في القرآن والحديث لكان
انفاسه كلها حسنات ولحظاته كلها قربات ولكان في ذلك من المصالح التي
مرجعها الى اقامة الدين والنصيحة لله تعالى ولكتابه ولرسوله وللخاصة والعامة
من المسلمين ما لا يحصى ولا يعد ولا يكن *

يا صاحبي يا صاحبي * لنشر الفلاح بسائب

وقد قال امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه الفقيه كل الفقيه
الذي لا يقنط الناس من رحمة الله ولا يؤمنهم من عذاب الله ولا يرخص لهم في معاصي
الله ولا يدع القرآن رغبة عنه الى غيره وقد اوجب اكبابهم على ما اكبوا عليه
من ذلك الضلال المبين في مثل هذا الوقت المسكين الا انهم وجدوا من الدلائل
الجبيرة في مزاولة امور الدنيا ووجدوا فيه ما لم يجدوا في الخدمة بالفاس وما اشبهها
من الحرف الشاقة باضعاف مضاعفة بشرى الواحدة منهم الكلبة اشبه شيء
بالعذراء المخدرة لا في الجهر ولا استحياء بل في السر ونعومة ان غطاء وهو قد

خ الشرف

جمع بين البيضاء والصفراء الآلاف والمئين ومن تشفع وتثنى ابن علي من الابناء
والسنين وتمويه الكيمياء مما لم يتفق فيها لحبيب ولم يعرف له فيها حبيب ولم
يزل في طلبها وكسبها فما كان فيه بغيته وكل فيه فتنته من القوانين
الفقهية ومسائل المدونة والعتبية والموازية بل سدوا أعينهم وتركوها
مغلقة مكففة واخذوا الأموال من غير قبل اللائق بشرع ولا ورع من أهل الكلمة
والشفقة فإذا جاءتهم المساكين محتاجا إلى فتواهم في نازلته فقعدوا فيها
النكث ونصبوا فيها بوجود الغير والبكم واكثروا فيها من العبوس والتبكم
ليلا يجيء ويرمم في الجيح وليقال أن حرمه فلا ربا بيمينه وما أفقهه وما أدق
نظره وما أكثر تحقيقه فتتعجب له الجاهلون الذي فتحها ونقص له منصوبة
الشبكة التي لجهلها واحكمها فلا جرم لما جعلوا علمهم وسيلة إلى طلب
الدنيا كيف ما كانت واستغرقوا في ذلك ووجدوا في أنفسهم تمام القابلية
عليه سلبهم الله تعالى حلاوة الإيمان وأوقعهم في حبالات الشيطان
وانتصبوا من الصفات الذميمة بما لا يأخذه عد ولا حسبان فترى المتفقه
الغبي أحرص الناس على الدنيا وأتبعهم للهوى وأبعدهم من الله تعالى حياء
واصغرهم وجها وأكثرهم تجهما وأوسخهم وأغلظهم وأجفاهم وأثقلهم
بروح وأقلهم بشكل ثم انتقلت هذه الصفات الردية عنهم وسرت سميتها
منهم إلى أتباعهم وأشياعهم والمقتدين بهم فعظم الداء وعدم الدواء وحل
الشقاء والبلاء بعموم البلوى والوانح ونسي ما كان عليه السلف الصالح
وزاد الأمر أن هذه الأخوال من العلماء مع ملازمتهم للأبوابهم ومطاعمتهم
لكلابهم يستفتكوا من أعتابهم ولم يعقلوا بهم لأنهم رأوهم شاركوهم فيها
منهم بعض ذلك من الفساد وعما ونوهم على مظالم العباد فإن فلاح يرجى مع
مثل هؤلاء أو صلاح فكلما جرى من الفساد في الدنيا والدين من لدن استئثار الله
تعالى من الأنبياء والمرسلين والخلفاء الراشدين إلى هلم جرا معدود في صحائفهم
مشهود به وحجوله منها بعينهم فبفساد الناس بفساد الملوك وفساد الملوك
بفساد العلماء وفساد العلماء بحبهم للدنيا بما استولى عليهم من العزة والعمى

فاعلموا ان الله الذي تتوكلون وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمومنون
وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون وقد
خرجنا عن المقصود وطال بنا الكلام وذهب كل قريب لا كنى فيه كيف
المعجل ونبهت على داء معضل قد استقر في الوجود وصار اهل الحق
بسببه امثال اليهود وسقته على اسلوب غريب ومنزع عجيب يعترف بحسنه
كل منصف لبيب. ثم ترجم هذه النبذة بالمزعجة المغربية في مسائل عجيبة
تضمنت ابداء بعض فضائح المعتبرين من الطلبة ليتنبه لها كل من فهم الحق وطلبه
فمن قصد في ترجمته متعرض بسبب ذلك لان يغفر له الله تعالى في رحمته
لا سيما ان جعلتها في الدامون واخذتها بالرواية عنه المسلمون والمقصود الذي
يعرف لنا عنه ان نكتب ان نفس باخراج ان هذا الذي تصرف الى الجهلاء لا سبيل
له الا اقامة خطيب من ذوي العدالة يعظ الناس ناصحا لله تعالى في التعليم والوعظ
فيبين ما يصلح من الراعي والرعية الاحوال ويقاتل عن دين الله تعالى بالنفوس
والاموال ومن لم يقدر على هذا فليقاتل عليه بدعائه وربما كان ذلك ابلغ
في نيل ذلك لبلاغته وعنايته فلو اتفق ان يكون ملازم خطيبا بجامع القرويين
حرسها الله تعالى بذكره ثم يختص بالكتب التي اضعها له ولا يتبعه فيما
يحيف ويزيد فيها او ينقص منها لرائش من المصالح في الراعي والرعية فلا تمر وله
نهاية من الفرج وتعود حينئذ بنشاطك وحماقتك يا قائل ذلك الرجل الذي ظنت
زاحلته بما علمتها ثم وجد ذلك بعد شدة حاجته اليه ونكون فيه مسامحة
فعذروا ونروا الناس حينئذ كيف يستمعون باموالهم في مرضات الله عز وجل
وحينئذ يرجع الى الدين الحنيفي بعض الشباب ويظهر في هذا الوقت المنكر ما
لم يكن لنا في حساب ومثل هذا الشيء عجاب وانما قلت خطيبا بجامع القرويين
لان فاس هي ام البلاد الغربية واستكمه بعضها ومنها ينشا الصلاح والفساد
الى سواها ولاكن الزمان يحيل بمثل هذه الخيال حتى ارى وجود له من حيز المحال ولهذا
كان ان لا نتكلم بمثل هذا ولا كنى فيه كما قال الشاعر

منى ان تكن حقا تكن احسن المنى * والا فقد عشنا بها زمنا رغدا

الراعي

خ الصلاح
الراعي

وقد اردت ان اذكر لكم هنا معنى كتاب كتبته الى فلان كما كنت كتبت لكم نص
كتاب فلان لانه اراد ذلك فما يعجبكم ان هذا الكتاب لم اوجه به اليه بعد لانه لم
يتعين حامل ولا كنت لا اذكر لكم حتى اذكر لكم شيئا من بعض كتابه الذي ينبني عليه ما اقوله
فاني في كتابه وانا والله متعلق القلب بما يرد علي من بركتكم التي لم تزل من قلبي
ومني من اعظم نعم الله تعالى علي ومتغير الحال لا يكلف جميع حاله ثم توسل
باولاد القوم الذين كنت سميتهم لكم قسم فاروا عم بكم باسيم ان كتابه هذا هو
ثالث كتبه اليكم ولم ار من قبلكم جوابا وقد ضاق الصدر لذلك وانتم تعلمون
شوقي وعشيركم الى ما يرد عليه من جنابكم وشدة احتياجه لذلك ثم قال

اما كنت ان اتاني زاهرا * بحياة نفسي وهو في الدنيا سوا
ان تقطعوا بحبلكم عن هايم * خشي النوى واحي جنابكم اوى
يا ليت شعري بعد نعم منكم * هل تسمع ان يلم في ان دنو

والسلام وقلت انا بعد ان حمد الله وحده من فلان الى فلان اخذ الله بيده
سلام عليكم وعلى من ذكرت انه سلم علي من اولاد الفقراء وقد بلغني كتابكم
صحبة فلان وقد تعرفت منه حالك ولم يرد علي منك غير هذا الكتاب لا ثاني ولا
ثالث كما ذكرت وذلك من لطف الله بي لانه كان يعز علي ان اجيبك وانا لا ادري
اجابتك لاني رايتك في كل ما فعلته متزلزلا فيتبعني فذكرت الله ورسوله والشريعة
والكل يفنى وكان الواجب عليك لما افاقك مقام الفقر وهيأ لك من ابي ينتساب
الى الدين والتقوى ما لم يتهيأ بعضه لغيرك حتى جرى منك استحسان حال اولياء
الله تعالى جرى الدمع ان تغتبط تلك الافاقة وتنجو بها عن كل ما عساه يفرغ فيها
من محبة الدنيا وايثار مهوى النفس عن علو المنزلة وانت لم تفعل شيئا من ذلك
بل سلكت مسلك المضادة بالكلية ولم تبق للصلح بقية ثم لم تقتصر على ذلك
حتى وقفت كل ما وقفت بما لاح لك من دنيا لا ان تهيمه النفس وكثير من الحمقاء
فضلا عن العقلاء ثم مع هذا كله خشيتي وبغتتي بفضله بل بفعله اذ ربما يكونا
للفضلة منفعة ومعتبرا مع اني كنت معك وكنت في علم ما تعلم ولا احتاج ان اعرفك
بتفصيله وكنت ان اعبد كنا هذا وبالجنة واورح لقرحه واغنم لحزنك وترحك

صح دينك

واشاروا

واشاركه في شرابه وضرابه واشاطره في شربه وزحامه ولم يكن عندي احد
من اغر به يعرفك ولما مشيت الى البلدة الفلانية مع اني كنت اكره ان امشي
لمثلك في ذلك من المفاسد التي وجدت بغرة اليك كنت فيها اتي تلازم حال
الفقر والمسكنة وتشغل بجهلك في مصالح من توجهت اليه بالموعظة الحسنة
والنصيحة المستحسنة وتركه على انتفاع سبيل الخير والتجنب على الشر بكل
فلم يكن بلسان حالك ومقالك للاخرة كنت ادعيت تنشط وتبتغ من المعروف
والنصيحة في مواطن كثيرة فلا عتبت لك جميع ذلك للغرابة ان هذا نفع للاسلام
والمسلمين من كل فلا عسى له تنفع كله من اعمال الدين فلما حصلت مقالتك بدل
الذنب ونزع عنك فلا بسر الحيلة ومن من اخر من الناس على الدنيا من نعيم وملذات
وان ازيدوا فلما جئتنا الى البلد الفلانية ورايتك لم اشك ولم ارتب في ان الله
تعالى فسخ قلبك وسلب عقلك ولبك ولم ار فيك قابلية لشيء من الخير في
ورد ولا صدر فلما رايته من حالك وشمايلك وما كنت استبعد انك باخر اعمالك
السلكان الذين لا تمهل عندهم في اسلام ولا ايمان فلما رايتك على هذه
الحال السيئة علمت ان الذخيرة النفيسة التي كانت في يدك سلبت في البحر
والدرة الخطيرة التي كنت ضنينا بها تخلعهما في الكنز وزادني ذلك
قرارك وبشاعة شمائلك الغراء التي هي من اعظم المصايب وان زاد ولم
اكن اجد عنها سلوانا ولا دعة ان راك الزيد وعلمه للذين يصبغ عاقل والاقرانه منهم
القبائل وان قارنت اشباه من يبيع الطنابير ومثل الحبال وركض ابن ادريس
والزوايا في ابن زكية وعلى فروع الحبال كل ذلك في الفساد وفي تكالب
العباد لا زحالك ابن وراء التي انتقلت عنها كانت في طاعة الله تعالى واتباع
مرضاته وحالتك الان هي التي انتقلت اليها كانت في سخط الله تعالى ومرضات
عدوه ابليس ولعل قد اصيب بذلك الرجل الذي صحبته من العين ابرديه كان
من كتبه حتى صدر عنه من العسف على الرعية والظلم لهم فانسأل الله تعالى
ان يوفقه للتوبة منه والاقلاع عنه وان يمن في ذلك صبرا جميلا وان
ينهج لذا الشفقة والرافة برعيته سبيلا فما ابرك ما كانت عليه صحبته

المسكينة اذا ذاقت عليه امتلكت الحرقة والتسلي فبينما انا اومل منه ارتحل عنا بعد
اليه اذا ابكى حزنا من اشاع الناس عليه ولما غلب علي اني ياس منه وكان يعتني
كالمستحيل زوال الضلال عنه حسبت انه لم تكن في الوجود واحتسبت وهيبة
وبقربه عند الله تعالى كما تحتسب كل مفقود وكنت في حفظه بمنزلة من كان له اخ او عم
اصيب بسهم او غرق في لجة يم فمن بعد ذلك لا اسال عنه ولا افرغ انسى
كلام يرد علي منه لانزلته بمنزلة المفروغ ثم ذكرت له تلك الرؤيا بنصها
او بغير نصها ثم قلت بان مما فسرت الرؤيا جمعت بينها على الجملة وقوع خلل
لأكسر مع هذه البلية المسيئة الازلية
ومشاهد في حالك ودينك والله تعالى اعلم فاذا اراد الله تعالى ان يخالف
لا اعظمها والغدرة الالاهية لا اعجز عنها فلا ذلك عليه بعزيز ولا مستحيل لا يقبل التحويل
الكثير في توبته واوبته فليس ذلك عليه بعزيز ولا مستحيل لا يقبل التحويل
بل ان الله تعالى يقول للشيء كن فيكون في اسرع من لحظات العيون مع انه تعالى
ارحم الراحمين واكرم الاكرمين يغفر ذنوب المذنبين ويتقبل انابة المنيبين سبحانه
جل وعلا ثم ان وقع ذلك فما اشد فرحنا به واعظم سرورنا بسببه لانه
اذا لم تتجدد لنا اوقات السعود وتعود اعيادا اي فبل الا انه لم تكن تكشف
ان يعود وتتمكن من سماع النعمة التي كمال عهدنا بها حيث يكون البدء والعود
وقد حملني حامل على ان قلت في معارضة ابيات ابياتا على وزنها فيما اظن لانه لا
احسن نظم الشعر حسبما تعلم مني وانت اذا قرات مثل ابن نبات وجرى اثره
في الضعف بادياعليها ومن مثله في * ...
امنا ابابك تائبا متنصلا * بحبائه نفسي ومعه في الدنيا سروا
ان زحسن نه بحلسا عن وليه عند زيد * ييزوا مقوّى يدعو الخليفة من غوى
يمنا ان وعليه اذ نكثت وقبلها * كنت الحريص على بقا التقوى
ما لتكث بما رومعرضا عن كل قس * فهو المعاب ومن جها التدا ان ما عوا
فاذا استقمت على السبيل فانه * اسمى لنا كلما امر الغرب اسروة
فيتم في المطلوب ومع بنجمة * من نعمة تسعى كما يشعر السروا
تمن الكلام وحيث جرجر اول * في روضة غناء كبينة الهوا

فتعجبن لمقالتي فوفيتهما * بالجد ذاك وحاشى أن افخروا
فالحين إن يمتعه ادركته * وكذا يكون لمن نوى فافز نوى

ألا إن ما ذكرناه من تزيينها وأوبتها لم يكمل له شيء من اللذات والعلاقات حتى الآن والله المستعان للإنسان لم تعرف نفسه بذلك الا بعد ان تنغص علينا حال الدنيا ولن نر فيها ما نفرح به عيننا وتقر فلو قدرنا أنك وجدت فيها جميع أمانيك ودام أمنك على غاية الكمال والتمام لم يقع شيء من ذلك فيها الكر فلو كنت في دعواك مقرا من العادين فأخرج إلى الله تعالى خروج الخائفين ووكل نفسك على الأكدار والشدائد التي تلحقها في مرضاة رب العالمين ولعل بذلك يتكفر لك جميع ما اسلفته في المدة التي خلعت فيها عن راسك لجام التقوى في اتباع الهوى ومحبة الدنيا فكلما اتهمت نفسك في انالتها حكمتها الحلوى والسلوى فإذا فعلت في مرضات ربك مرارة الدواء والبلوى لعلك بذلك تخرج كفافا لا لك ولا عليك وإن لم تفعل ذلك فدعواك مقرا كاذبة والدنيا عندك دائمة وراغب لك طالبة ولاكنها ليست فيك براغبة فما أحسن صفقة من باع دائم دنياه وأحسن منه صفقة من باع دائم دنيا سواه وأحسن منهما صفقة وأكثر غبنا وأسوء شغلا وأشد بعدا من حرم حكمه من مولاه

على نفسه فليبك من ضاع عمره * وليس له فيها نصيب ولا سهم

وأما أنا فلا أقدر لك إلا بالدعاء لا كراهة أعتني عليه بحسن والرجعى وحسن يحفظ الزمام على التمام ويكون في صحيفة حسناتك فأنكا بذله في ذا الدين المستعان وإن لام بالله ترى من بيت الا اكرامه على الكرام وانعلقا بعد انعدام وأما غير ذلك فلا سبيل لنا إليه ولا معول لنا عليه لأن الدنيا كلها كلام في كلام لا يسمع فيها للآخر كلام ولا يبلغ فيها مقصد ولا مرام لا سيما فيمن كان عندها ولا القوم من الجند درة والخدام وهذا ما أقوله لك والسلام

وبعد فقد بلغنا منكم الكتاب إلينا أما الكتاب الأول فقد رسم في ورود له من حبشر وأقر كل واحد منهما أمرا في أحكومة الذي تعرفون منه جزء بأن نعيم واحدة وأن كيلا على الأمور في فيه راحة والثانية وهو

أعظمها كونكم لم يمنعكم من ذلك ولم تتشاغلوا عن استماع الكلام في أمور كثيرة مما
الناس فيه من الخوف والهم وشدة الأمر بحسب الوقت مما يذكر في القيامة وتشاغل
كل أحد بهمه وغمه وغيره وكل منهم في همه وكل واحد منهم يقول بلسان حاله نفسي
نفسي وقد استفدت من ذلك أحد أمرين إما كونكم موجودين من الحال من جهة الرزق
المحسوسة وليس ذلك أن يكون عندكم زرع يكفيكم من غير أن تحتاجوا إلى أحد وهذا
الوجه مرجوح عندي لما ذكرته من الذنوب التي للوقت في منكم من غير أن يكون عندكم وإنما
بمثابة تكون لكم سعة في معيشة مع كونكم على منزلة الحال الصعب فلم يبق إلا أن تكونوا
موجودين من جهة القوة التي ربما تحصلت لكم من اشتغالكم بمعارف حقيقية
توجب من السكون والطمأنينة أي منزلة الأقدار فلا يوجد مثله ولا أقل منه في
هذا ولا في العلوم الظاهرة التي يعرفها الناس بل لا بد أن الأخذ فيها في قلبه إلا
كلاما على الكلام وفي حسن الإشارة مكابرة واقتحام فإن كنتم على منزلة الحال
فأنتم في نعمة يعجز شكرها كل من هو كذا فأتمها ومن أعلى حقيقتها والظاهر أن الأمر كذلك
فبادروا بالحمد لله قبل كل شيء إلا أنا لو فرضنا خلاف ذلك لم يتصور منكم ترك كلام
ولا إفراغ قلب لإيراد ذلك الكلام الذي جمعت من قوته ومن جمعكم الذي الصرف
التام ولو فرضنا أن يكون لكم أدلة وأفكار مثلا كما هو الحال من أكثر الناس في
هذا الوقت الصعب فإنهم نسوا الدين منهم لمكابدة دنياهم وتشاغلوا بهموم
أنفسهم عمن هو أعلى من غيرهم ولولا أنهم يتشاغلون فيما يتوقعون من نوائب
الشدائد وترادف الفقر والضر مما يرون من أحوال الفقراء فيهم والمفلسين الذين لا
يجدون ولا يبشرون به الرمق ويتسارع إليهم الهلاك والفناء أو أحوال أهل
العافية الذين يموتون بالطاعون الذي يختطفهم واحدا واحدا وجماعة جماعة
فماتوا قبل أن يموتوا والله أعلم ولا يكشف الله تعالى الكرب لبعضهم ببعض والله
لطيف بعباده فهذا هو الوجه الثالث من الوجهين اللذين فيهما ما وافقته من أن
لما ذكرته لكم وثم وجه ثالث لا أحب أن أذكره إلا أنه انتسب فعلكم بسبب ذكره
لكم ولا بد من وقوع شيء من الكلام منه على بعض فصول كتابكم المذكور على حسب
العادة ثم على بعض فصول الكتاب الآخر إن شاء الله تعالى أقسام ما أنشأته منه

فيه من الطلاع فان احببتم على كلامي وخصوصا ذلك الكتاب الكبير فقد وكلت الامر
في ذلك اليكم ووقفته عليكم فلا تفعلوا من ذلك ما احببتم ولا يكن الكلام انكم انتم
تفسرون ذلك وتكررون حفظه حتى لا تغفل فائدة وربما تكون فيه فضل زائدة
وذلك وسواه من حكم علي ان يقال لكم اذا اقرأتموه على احد لتبيينه وتسعدون به ويعم
نفعه لكم فان تثنوا على ذلك الكلام الثناء الكبير بين يدي الفقير والعدو وهذا
واشباهه من الشيم العصبية التي تثمر الغش وتهيج الحسد ويكون عنه فتنة
ذلك الغم والحزن فيقع الفساد من حيث رجاء الصلاح ويحصل الداء فلا يكون
لهم دواء فيه تأثير ولا انجاح ولا يكن التدريس الحسن في هذا الاقراء احببتم ذلك
ان لا تعرضوا على احد ممن ليس بينكم وبينه مودة ومحبة شيئا من كلامي حتى
يقع منه سؤال عن ذلك فحينئذ تقرؤونه عليه بكلمة بينة وسكون وتكون
فيما يكون كذلك بحيث لا يفهم منه صاحبه شيئا من ان تجرأ ان يكمن منه بسببه
عدم انتصاف ولا حرج عليكم ان تقولوا الابتداء من غير ان يكون منه سؤال لكم
اذا وقع بينكم وبينه محادثة ومجالسة ووقع بينكم كلام في مسألة تكلمت
فيها انا قبله فان تكلمت على هذه المسألة ولا تزيدوا على هذا شيئا فان سال الكم ان
تنقلوا القول فيه فلتفعلوا منه ما تكلمت على ذلك بحضركم ولتنقلوا القول فيه وقد
يستحسن منكم بالنسبة الى بعض ان تسمعوا من شيء من التحلي والتشويق ومكان
العشر كلمة الا في مثل هذا فقد يكون من العدل فيه التحلي اليسير ولا يكون فيه
من الكلام قليل ولا كثير وان احببتم ان ينقاد لكم بذلك كل طبع فاضل وتستميلوا
به كل قلب قابل فلتتوخوا ايراده عليه في المجالس في هذه الحال يكون
السامع له حريصا على تفهمه وتقبله وان افتتح منه عملا ان يستعمله وانما
ان ابغيتم الامر جزافا فقل ما تجدون من الناس انصافا ولا قبولا ولا اعترافا
فبهذا التدبير يرجى حصول الفائدة لكم ولغيركم ممن تطلعونه على كلامي ممن
ليس بينكم وبينه صداقة ومودة فان كان فيه قبول لذلك انتفع به وان كان
منه اعتراض عليه كان ذلك الذي اعترض على وجه من غير ان يكون فيه انتكاب
هدر او مجاوزة حد واما من بينكم وبينه صداقة ومودة فانتم معه في راحة

من هذه التكلفات التي أحوج إليها تباين القرائح وتخالف الطباع فعلى أن من
شيم الأحرار عدم تطلب العثار والإغضاء عن الزلات والتماس الأعذار
فإن قيض لنا من يكون منا وعنه فيحملنا بمنزلة الخاصية وأعظم إليه
التعظيم والمزية من غير أن يكون نخشى شيئا منه وإن بادر أحد إلى الاعتراض إظهارا للمنافسة
كان منا عيبا فيه مختصا به لا يجاوزه إلى غيره ليمكن أن يقابل به العيب الذي
هو في رسم الكلام الذي هو معرض للاعتراض فيشتغل بذلك فيتساقطان وإن وقع منه
على ذلك الاعتراض جواب صحيح مقنع كنا بذلك أفضل منه وكذلك إن لم
يصادف اعتراضه محلا فسمحنا له وصفحنا عن زلته كان لنا بذلك الفضل عليه
أيضا **والحاصل** أنه إن لم أكن خيرا من المعترض لم أكن شرا منه وإنما أكون شرا
منه لو تكلفت في إيراد اعتراضه وأوردته مورد التشنيع شاذ وطلب الحيد إلى أي
منهج السداد ثم يكون في بعض فهم توجيه الاعتراض على شيء من العناد وعدم الانقياد
ومثل هذه الحالة الحر وليه والحمد لله لم يبتلني الله تعالى بها فيما مضى وأرجو
أن لا يبتليني بها فيما بقي فإذا علمتم هذا كله كانت كرامتكم لوجود اعتراض
معترض على كلامي لا وجه لها لأن المعترض الذي يصادف باعتراضه الغرض محبوب
مقبول عند أرباب العقول وأما غيره فلا يزيد باعتراضه إلا أنه سفه نفسه وجهلها
فاعلموا هذا كله واعملوا عليه وكتبنا إليكم والحمد لله ليس فيها ما يستنكره
أحد له عقل ولب فلا ينبغي أن يكون فيها كلمة من الكلام التي يعجز عنها
أفهام العوام بل موجود مثلها أو ما هو أشد منها عند أئمتنا الأعلام —
فليرحل المعترض راسا مع الرؤوس وليضرب على الجميع بالناقوس فأما أن يكون
فيها شيء يقتضي التحقيق سترة وكتمانه تحاشيا وكلا

والستر دون الفاحشات وما * يلقاه دون الخير من ستر

وأما ما تكلمتم به على المسألة التي وقع النزاع فيه معكم فيها فكلام صحيح
موافق للحق والحكاية التي قابلتم بها ما حكيته أنا عن مسيلمة هذا فيه في ذكرها
الغرض وأما جواب فلان عن الكلام الذي تضمن الكتاب الذي كتبت به إليكم فهو الذي
يقتضيه منه الحال أن يجيب به الآن ما وقع فيه بنفسه في قوله وأنا إلى من نفسي

لنف

بعضهم

انه غلب عليهما الجوعان واستفزهما الشيطان وكذا وكذا الى تمام ذلك المعنى
فضربوا بشعيرة للخزانة واعترف فيه بانه للاهلية فيه لذلك فلما
اخذ له باب ما وجدت به نبسط من تلك الصفات الذميمة انا نصحب مثلهما
ونأخذهما معا ولا ينبلد مثل هؤلاء فان انت قدرت في هذا الاختيار عن نفسي ولم
يقدر لذلك تماما عرفت عليه مراد للاتيان الوقت فكل فعال فلنصحب محبة
الجاذبين بعضهم لبعض فان المجذوب انما يالف المجذوب لحالة في ذلك مراعاة
لانه بذلك ينتفع وقد قلنا في ديباجة كتاب العين فيها العين باعم الجلال
لانهم يحظون من رؤية بعضهم لبعض سلوانا عظيما يمنعهم من التطلع والتشوف
الى الكون على ما هم عليه الحال والاجتماع الذين لا تكشفهم بفتوحة في الكلام فهم
يفرون من العقلاء لئلا تزيد وحشتهم في بلواهم والعقلاء ايضا يفرون منهم لانهم
يخافون من عدواتهم ويفعل الله بعد ذلك معهم ما يشاء فاما ان يشفيهم على
حالهم او يرفع جميعهم او يرفع بعضهم دون بعض فهذا هو الكرم
والمقول في حق من انعم الله تعالى عليه بالصحة اما الجاذب ظاهره ولا ينتفع
عنه ولا يحمل عليه بشيء مما يلزم اذ يكون فيه افادة قلبه وجهه ان كسرها وتركها تمعن
معه في الحال للاستتار عليه بذلك ويقسم بينه وبينه البلوى كما هو المثلة

ان الكرام اذا ما اسهلوا ذكروا * من كان يالفهم في المنزل الخشن

فهذا التمثيل الذي وقع منا في هذا الفصل وهذا الفصل يتبين كيف تكون
معاملة بعضنا لبعض في ابتداء الامر وانتهائه ولا سبيل لنا في تحصيل باب الصحبة
في هذه الحالة سواء وامثال هذا تصريف في ما اخبرتك به عن نفسي عن التلمذ والصحبة
بعد استرحت منك واسترحت مني فالطالب انت كثيرا ما يراوغ والطالب انا كثيرا ما يراوغ
والله تعالى هو الهادي للجميع لان غيرك وامثالك لم تتصرف في ذلك الخبر
بالمباينة التي لا ينجبر زوالها ابدا وبينك وبينه خالطة لان الكثير القليل لانشغل نفسه
بان يراود غيره في علة مرضها اشركنا واكثر ما زاد صاحبه لا اذا كان ناقص
العقل معكوس الفكرة وعند ذلك لا يكون له فيه غناء ولا تعقبه معالجته

له شفاء كما هو حالي مع فلان فإن قاضيه من ابن عمر جاء حتى يعني مغزى الحالة السيئة
ولم يوجب في ما اقتضته من الجهالة والغباوة أن يمنعها الغرور ولا لما كان أمية فلا جرم
لم يحكم فيه بكتاب يكون فيه شفاء الصدور وتنبيه إلى أمور على أنك
لو سألته عن هذا الذي قلته لك من أنه لم يحكم فيه بكتاب للأخ الجعلابي فإن
الأخ الجعلابي يقول له يا فلان لم تفرغنا بحالك بل أنت من أين لك في عذاب
تبعث بكتاب وراء كتاب وتجيئك جوابا يعقب جواب حتى أتعبت نفسك
وشيخك وحصّلت بدلك ويدك من الكواغد ما كان أن لو كان يكتب فيه لأمر أو من
القرآن أو جملة من الأحاديث الصحيحة والحسان فإن كنت يا فلان لم تقصد
بذلك استجلاب الفوائد التي لا أعلمه فيها لها أحاجيت من أرتبت من تيسير أسبابه
لك فإنا نبعث إذنه في ذلك لك ومزادك وقلت ما قاله أيوب عليه الصلاة
والسلام حين كان يغتسل عريانا فخر عليه رجل جراد من ذهب فجعل
يحثي في ثوبه منه فلما قال له ربه ألم أكن أغنيتك عن هذا قال له بلى ولكن
لا غنى لي عن بركتك فإنك كأمر بنعمة ربك التي أنعم بها عليك على يد ابن عباد
لأنك استغفرت ما بذلك وأنت تأبى إلا الازدياد ولا أكثر على غير الوجه المحمود الذي
ذكرت لك فهذا كله مما تقوله للأخ الجعلابي لعله بذلك ينتعش ويحيى فحبيبه
الغابرة من حيث لا يكفر لأنه لم أخاطبه بذلك الأعلى لسانك يا أخي يا أبا القاسم
وإن كان هذا كله مذكورا في كتابه الذي لا ينتهي عنه من بدله ويدعيه لنفسه لا كلامي
ولعلك تزيده على ذلك من رأسك وتلقاء نفسك ومن تفضيلات مقامات رأيتها
منه وأنت أو غيرك كما فيه يوافق ما ذكرناه ويكافيه والحكمة ضالة المؤمن
لا يتعين لها موضع يحدد منها فيه فهذا ما أردت أن أتكلم به على فضل من فضول
كلامك وجوابك للأخ في في ذلك ومن هذا الذي يتضمن تنبيهك وتنبيه غيرك
على ما شاء الله تعالى من الأمور ومن تعالى عليم بذات الصدور وبالغة كلام الذي
أمللته عليه وسألته أن يكتب به التي كما قررته لربه علمت منه فقصرك
حين ذكرت المتبوع الذي صحبته ثم أعرضت عنه وغير ذلك من الأحوال والأمر في
ذلك قريب والله تعالى ينفعك بما نويت ويبلغك ما أملت ورجوت بمنه وكرمه

رابع

أي في المطلوب منه يا فلان أن تفعل وأمثال ذلك كله على فلان أن يفعل له هو ولنا مفعول عنه
السلام ومثل الذي ذكرته معناه إذا تأملتموه من أبدع الكلام وإن كان نسبته فأن تقوله
العامة من إني أذنت يا حبيبي الذي قلت لكم وكتبت فيه لكم أن تقولوه له فاطلبته منه
أن يقوله لكم ولا ذكر للغير العسل ولا تسألوا اشكر قول الله عز وجل وأما ما فهمتموه
في الكلام الذي نسب إلى الشيخ أبي طالب ثم اعترض عليه بقوله في غاية الشغوف لأن
ذلك المعنى الذي قررته من صحة نسبة الضر إلى الله تعالى كما يصح نسبة النفع إليه
بمعنى أنه هو الضار النافع أمر معلوم لا ينبغي أن يورد في تقرير ذلك اللفظ الشنيع
الذي قلتم أنه فاز والذهب مع أن الذهب عندكم له موقع عظيم كيف وهو قد أتوا به على
صيغة أفعل الذي مقتضاه في الغالب التفضيل وذلك الأمر بين أن ربي تعالى وتنزه غيره
فيكون معنى الكلام أن الخلق مضرورون منه وجميعهم من قبل الخالق وهو قبل غيره الذين
ضررهم من قبل الخالق أشد وهذا شنيع وتشنيع فظاعة للدين والأدب من كل وجه لأن
فيها مضرة الضر منسوبا فعله إلى الله عز وجل بشكل مشهود لهم بالكلية من غيره
فكيف أن يجعل له منه حصة ولغيره منه حصة ومثل هذا الكلام الركيك بتقرير
أن لا يفهم ولا يفهم منه إلا المعنى الذي ذكرتم لا يجوز أن ينسب إلى رجل عرف الفصاحة
والبلاغة وحسن الأدب في العبارة منه ممن له الدين وممارسة كتابة العلوم عن
ذلك فضلا مع أن ذلك المعنى المستفاد معلوم عند الحاضر والباد وبالأولى
من هذا كله والله أعلم على تقرير صحة ذلك الكلام عن الشيخ رحمه الله وأنه لم
يترك ولم يغير أن يتجوز في لفظ أضر ويحمل على أن يكون المعنى لا شيء أعني أو-
أعطاه للمخلوقين من الخالق لا أدري تعالى عند كثرة أمره وتجليه لا يثبت معه
شيء بل يتلاشى ويضمحل ويتلاشى وفيه تذكرة وإثبات لله وتلاشيه يحصل
له من الدنو والقرب ما هو غاية المطلوب ونهاية الآمال والمرغوب بالمخلوق
وإن عمل في الوصول إلى منزلة الحالة فما عسى أن يعمل لم يصل في ذلك فما يصير خالقه
إذا الضر له منزلة من جلاله وعظمته فيجوز أن يعبر عن منزلة الحالة بالضر وإن كان
فيها غاية النفع على الحقيقة كما قيل في مراتب ذاك ثم إنه أضر بي نياله ويكون
ذكر الشيخ رحمه الله لهذا الكلام في حال غلب عليه لم يتمالك فيه ولم يقرر

على ضبط لسانه ومنعه من ان يتكلم بكلام مستبشع في كل امره او يعبر بعضهم
عن مثل هذا بالشطح وذلك امر قد الوف وحال معروف من اهل هذا الطريق بل هو
الغالب على من هو منهم بحال السكر فان كان وقع منهم انه ترك حضور مجلسه
بسبب غلبة الحال والكلام اللسان بما يضاهي عندهم المحال فلعلهم فعلوا ذلك
مع غيرهم ولعل اكثرهم فوع واجلوا عن ان يقاتلوه ويقتلوه فهذا اولى ما يتاول به
ذلك الكلام على تقدير صحته عن ذلك الامام والله تعالى اعلم العلام واما
ما ذكرتم انه فعله فلان من وعظه للناس وتعلق بعضهم وتوبيخهم وحضور جيرانه
الا استنفادا وهذا او منه على ذلك لما نزل اللاخر الخروج حتى رجعوا بالمكبر
الذي قلتم انه عليهم في المصلى هو شيء حسن ولعل هذا في كلامكم هذا
فيه غبطة فالله تعالى يجزيه خيرا وما اقرب الى الحق واشبهه لو كان الامر
بالعكس ولا يكن هذا بعض البعض مما اقتضاه عندي النظر من ارتباط الامر الذي
اوجبته قرائنه من وكل الله امر صلاح عباده اليه بحيث صار ذلك كموقف في
عنقه حسبما ذكرته لكم فيدل هذا على ان الله تعالى لم يبح لهم ذلك بدينهم ولم
يبرمهم في حالهم على الحقيقة فهذه غير بل عاجلهم بالرزايا الكبار والزمهم
الذلة والصغار حتى صيرهم اسرى لعدوهم وفتنة فيه لدينهم وهذا الاشارة
الى هذا المعنى هنا قاله ذلك الرجل الصالح للرجل الذي شكا اليه اخاه الاشعري
ان الله نصره على اخيه فدع على معاوية باعطائه مالا وولدا وولد ولده قد ذكر او كلاما
هذا معناه فان قال واحد منهم مثلا خلاف لا اله الا الله الا الله فاسود من السوداي
وغيران السلطان يدفعهم الخزي والهوان فما ينبغي به تعبيرها فكتابة بل
الابدان والكلاب والقطعان وكعذاب الاخرة اشد وابقى واما ما حكيتموه عن
ابن البنا وقلتم ان كلامه لم يشكل عليكم معناه لوضوحه الا ان اللفظة هذا التي
اشكل عليكم لفظه فان قولكم لو كان لفظه حتى يتمكن في المذكور او حتى يتمكن
في الذاكر لكان اللفظة صوابا يدل على ان معناه لم يشعروا به ولم يعثروا عليه
ولا ادري كيف تستقيم هاتان العبارتان اللتان ذكرتموهما بحيث يكون فيهما
نوع مطابقة للمعنى المقصود والغير المستتر في قولكم يتمكن في المذكور او على ما ذا

منزل

حيث

يعود فإن عاد الى العبد الذاكر او القلب الذاكر لم يستقم مع ذلك الذكر فيه الشيء
بعده وقد يكون ذلك مؤديا الى معنى مستحيل على الرب جل وعلا الا بتقدير مثل ذلك
مضاف محذوف كقوله تعالى واسأل القرية وعند ذلك لا يكون له معنى معتبر
أو وقولكم حتى يتمكن الذاكر هو اللائق من عبارتكم الاولى لانه لا معنى لها
بالنسبة الى ما فهمنا من معنى التمكن ههنا وانكم لا تعرفونه والتمكن المذكور
ههنا معنوي ماخوذ من تمكن الشيء في المكان وثبوته واستقراره فيه ولما كان
الحق تعالى منزها عن المكان والتمكن فيه احتاج الشيخ ابن البنا ان ينبه على ذلك
ويحترز منه بقوله وليس ذلك بتمكن حلول واتحاد بل حكمة وقدرة من حكيم عليم
ثم يشير الى ذلك بما اشار اليه الآن فقال فيصير القلب بيت الحق ويمتلئ منه وهذا
هو معنى التمكن الذي ذكرناه ويؤخذ هذا من قول الله عز وجل فيما يروى عنه لم
يسعني ارضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن اللين الوادع او كما قال
عز وجل وقد تقدمت منا الاشارة الى قريب من هذا المعنى بعبارات مختصرة
لطيفة في كتاب صغير الحجم عظيم العلم كتبت به اليكم قبل هذا ولا ادري أوصلكم
ام لا وانما هذا كله من قولكم حتى يتمكن في المذكور او حتى يتمكن الذاكر فيتمكن ما ليس
بباب المجرور ويلزمه المفتوح على ان كلامكم يؤذن بان هذا الجامع لان تلك الحركات
متعلقات في الطول والفهم والاستغراقية واللغات بل الوجود كله نقطة
واحدة لها حقيقة واحدة وشيء واحد فرقه ثم عرقه وجمعه من جملة . هو شيء
يأتي بعد : وقد رأيت في بعض الكتب من اخباركم عن اولئك الناس انهم
يقرؤون ذلك التشبيه ويواظبون على القراءة عليه لأن بعضهم وهو فلان
ممن كنت اعرف منه بغض نفور عن كلامي حين كان يسمعه اذ كان يأتيني الى تلك
الطريقة ثم تبدل ذلك الآن فصار يبتدر الى استماعه والتشاغل به مع ما
ذكرتم من احواله عند سماعه وكذلك الاخر وكما ذكرتم مع انه اعلم ان ذلك
المجموع الذي سميتموه شرح التشبيه فيه كثير غرابة بحيث تقع من سامعه تلك
الاحوال الغالبة عليهم فانه قد قربت الامر فيه غاية التقريب وسقته قريبا
من مساق غيره من المصنفات المألوفة ولم يشذ الا في ... انه عند اخذ فيه معاني

امرا وإذا تركتني فبانه لأنه احتاج الى التكرار التام في كل مسألة منه وليس
فيه مسألة ولا مسألتان ولا عشرة ولا مائة فإذا تكلمت في مسألة منه بكلام قريب
يفهم من سوقه انه قد استوفيت المعنى الذي يقتضيه كما هو كلام المصنف فيما رأيت
انه في ذلك جزء من الغرض المطلوب قلت بلسان حالي سبحان من بنى وعلا ثم
رأيت بذلك خلق كثير وتشاغلت بغيرها على هذا النحو فجاء ذلك المجموع
بسبب ذلك الوهم الذي أدركني في أكثر مسائله محزوقا مفككا بحيث يمكن لو
اعيد النظر فيه مرارا أن يزاد عليه أضعافه وأن تبدل فيه عبارات بعبارات
أتم منها تحقيقا وتحريرا ولأجل ذلك وقعت الزيادات مني فيه في مواضع ضرورية
واعتبر ذلك بمسألة العلم أي مقدار كانت ثم الى أي مقدار رجعت والله تعالى
ينفع فيها بالبركة فإنه وقع مني بعد ذلك كلام كثير في ذلك المعنى بحيث لو
أضيف بعضه الى بعض لخرج منه كراسة ولا ذكر لعله الواقع من ذلك جزءا وهذه
الكتب التي أكتب لكم بها قد تعوض ذلك المجموع لأن ضمنتها نكتا عجيبة وحقائق
غريبة لم يقع مني الإلمام بشيء منها في ذلك المجموع وما ذلك إلا من قبل أن نظر
المختصر في كل واحد منها والموجب للاختصار انه يمتد نظري فيه لا يكون لي شعور بما يكون
في كتاب يكون بعده فيجيء كاملا أو شبه الكامل ولا يكون مختلف ولا حرف فإذا اشتغلت
بالكتاب الآخر عملت فيه ما عملت في الأول فيحصل بسبب ذلك المراد على التمام
وذلك المجموع بخلاف هذا كله كنت إذا اشتغلت منه بمسألة كما ينبغي المسألة
التي بعدها والتي بعدها كما تكون في همة الله في التخلي منها والتفرغ عنها قد أعلم
ما ذا أولت وكان في فلان وكنه وتأمل الفائدة الكتب التي أكتب لك بها الفرق أن
أكثر الألفاظ المذكورة فيها مقصود ذكرها معتبر لمعنى لا يفيده غيرها فتحرز
بها عن أشياء لا ينبغي إغفالها ولا يستحسن إسقاطها ولكن لما مات فلان رحمة
الله عليه لم يبق في سعة في أمره حتى فلان فلا رسالة التي يكتب بها في زمانه
إذا ورد عليه مني كتاب يكون فيه كلام محتاج يعرفه من فوق فوق ثم يكتوبه ويجعله
في الشكارة أو في الصندوق ثم يشتغل مع الأولاد فيما هو بتحصيله مهم ثم
أما أول النهار فبالتصحيح والإصلاح وأما آخره فبالعبادة والصلاح

فإذا انفرغ منهم جماعة من اشغال مهمة وامتهلوا من اللغمة فلا يتفرغ لمعاودة النظر
والتأمل بالفكر والعبر إلا في يوم الجمعة والخميس للإكراه خلاف ذلك إبليس
فإن سمع أحد بأنه جاءه مني كتاب شرع عليه يد الخنيس ولم يزل يسير ولا يسكين
حتى يعود الكلام من أوله والله تعالى ولي العفو والغفر وقولكم في الكتاب
الذي كتبته إلى فلان وما بينتم فيه لا يقدر أحد ممن يقرأه بيمينه إلا الأخ الحاج والأخ
ابن عطاء والأخ محمد الدواخر ما حكيتموه عن شيخ أبي الحسن أنه قال في سيدي أبي العباس
جميع ذلك تغافل منكم واعلموا أن الأخ الذي له في قلبي عظمة زائدة وأما استيذانكم
في قراءة ذلك الكتاب على أولائك الثلاثة نفر وتجنيبكم إياه من وتفهيمه لهم
بقراءته لكم واستحسنت منكم ما قصدتموه من ذلك وآمر الآن منكم أن لا تشتغلوا
معهم ولا مع غيرهم بشيء من ذلك المعنى حتى يشتد عليهم سنهم كما تقرر أن لا يكلفوا البتة
بتباعة انفلو منهم في رقبتي بسبب ما ربما يصيبهم من فتور في عبادة أو تقصير في
طاعة بسبب ما تضمنه من الكلام الذي ربما يوجب لارتكاب النظر العام الذين رضوا
بأخوالهم الذميمة محتجين بذلك لنفوسهم اللئيمة لا من هذه الطريقة مخصوصة
لخصوصيات دون من غيرهم من أهل الذكاء والمروءة والحياء والفتوة فهؤلاء هم
الذين يصلون إلى الله تعالى بذلك في وقت أسرع وأما غيرهم فلا يليق به إلا
العفو والمقرع كما قيل الحر بالحر والعصا للعبد ومن ذلك يمنع منهم
بأخف الضررين وأيسر الشرين وأما أن يقع لهم تغليط أو تحميل فهل لا من
تخصيص تام فلا وينبغي أن تعلم أن هذا المعنى الذي تضمنه ذلك الكتاب ونحوه والذي
أنا أحوم عليه في نكتي كلامي كالمعالم أن احرافن ولا بشكها الكلام فيه البتة
وأما تشاغلوا مع الناس بأمور أخر وما هذا إلا بقية بهم وأنا أحاسبت عليك ذلك
المعنى حتى أخرجته للوجود لا كن بعد أن بذلت في ذلك المجهود فلما رأيت ذلك ما
يشعر بأن ربما أن يخلو من أن يطمع فيه مهما اجللت بكم في أمر الدين وما يمكن أن ياخذ به
آخر من معاملات يصل بها إلى رب العالمين لم أجد سوى ذلك المنزع لأن كل فائدة
دينية ودنياوية في ضمنه موجودة وكل معونة وجمالية ودعوى فيه مفقودة
والدعوى هي التي تكدر صفو الأعمال وتوقع فيه الإهمال حتى لا ترى عند الله
تعالى أدنى ذرة من مثقال وحقيقة بيان معنى الدعوى أي شيء هو ويعني أن المتحقق

في عزلة الحالة التي ءاثرناها على ما سواها يعيش كئيب العيش في دنياه الاسيل عليه
لجنان رعنيمر ولا استكمال مرير معقر الزوبعة من اخوانه وعقباه الاسيل عليه لمنكر
ولا نكير ولا تستخبهم محاسبته ولا مساءلته لنه عن نفسه ولا تفهيم واما البراف
المستوعب المتمكن الى مقو احد من السبيل وارومق الشعر فيجوزه بفضل الله تعالى
في اسرع من لمح البصر ولكونه ممن سبقت له من الله الحسنى وحاز من ولاية الله له
في المنزل الاسنى للجنة لا البزع الاكبر وهو من الذين يقال لهم اذا دخلوا الجنة اواشرفوا
على حوضيهم مثل جزتم النار هي مثل كذا مثل كذا الا رجعوا وراءكم مدة الاشياء كلها
فيبتعضونه في وجوده ولاء الذين تعرضوا لهم الحاح ان ذلك ويقولون لهم فما جازنا
الله تعالى بفضله من جميع تلك المشغلات وان مقوال فاطلبوا غيرنا من ارباب الاشغال
والاعمال البطال فلا سبيل لكم الينا بحال والمفلس من تلك الحالة الحسنة هو
الذي جرى عليه سوء القضاء ودخل الشقاء فبقي في مكابدة امر نفسه بشامخ
الدرجات الرفيعة في دنياه التي حازها سواه فيناشئ ويحتسيها على قلوب
وشامخ المقامات العالية التي يتوهمها مقامات فيتقطع عليها ان يميل
اليها فاذا اراد الوصول الى شيء منها اتت بنفسه وبدنه وجهده لم يقدر عليه مع
الوبال الواصل بسبب ذنوب اليه فلا يزال من امره في عذاب اليم وتعب مستمر
ومقيم ويكون حاله شبيها بحال اصحاب النار لما وصفهم الله تعالى في قوله
كلما ارادوا ان يخرجوا منها من غم اعيدوا فيها وهذه من المعيشة الضنك تعالى
التي ابتلي الله بها من اعرض عن ذكره واستمهاله باذنه وذهل عن الايم وبرلك
ولم يعلم ان ما ناله من حظه يغره فيه امله وتمادى في سكره ومن اعماله حقه
وقدر له عمله فقال الله عز وجل ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره
يوم القيامة اعمى ثم قال تعالى وكذلك نجزي من اسرف ولم يومن بآيات ربه
ولعذاب الاخرة اشد وابقى واما ما سالتم عنه من بيان علامات وجود
الدعوى في العبد فاعلم ان من عرف معنى الدعوى في شيء هو لم يشكل عليه
شيء من علاماتها والدعوى عبارة عن رؤية النفس وترجيح قدرها وتعظيم
امرها فلا العبد اذا راى من نفسه تمام ادراك او وفور قوة رؤية توجب له اذا نسي
شكورا وركون الى ما يلوح له من علم نافع او عمل صالح هو مدع لانه اذا احسن من كمال

نفسه

نفسه من حيث قيام ذلك العلم او العمل به ويلازم ذلك ان يطلب علو ذلك حظا
من الحظوظ الدنيوية او الاخروية فان كان ما اتصف به من علم او عمل شيئا كثيرا او امرا
فرح بذلك لما له فيه من الحظ الكامل من رجائه واملِه وان كان ذلك شيئا قليلا او
عدمه البتة حزن لذلك لما فقده من الحظ ولولا مشاهدة نفسه لم يتصور منه رؤية
كمال اذ زاله او فواته يفرح بوجود اثارهما ويحزن لفقده لذلك فلكن الخلو من حظوظ
سواء كانوا علماء او جهلاء او ما يجري فاستغنين ان العالم والصالح يريان
بايديهما من الذخائر النفيسة ما يحصل لهما بسببها مملكة عظيمة فيفرحان
بذلك والجاهل والفاسق يريان انهما فرطا فيهما اي تلك الذخائر النفيسة التي في
قويهما ان تكون بايديهما تحصل لهما بذلك المملكة التي حصلنا للاخرين فيحزنان
لذلك فهذا كله فيمن كان عنده علما وعمل او كان فيه قابلية ذلك او قابليته
للكنه نشأ غل عنه وزال الفلاسفة عنه واما غيرهم من الجبابرة والظلمة ومن
المنغمسين في الدنيا المستغرقين فيها فلا كلام عليهم لما مر ذكرنا انهم اولا فقد
يعرفهم في الدعوى ورؤية النفس فوقية تامة ولذلك نجد كثيرا من الظلمة والفسقة
والمستكثرين من متاع الدنيا واوساخها يتواضعون ويتذللون للاخرين ويرون
انهم خير منهم بذلك فهم بل الاخرون يشتمون ويسبونهم بنسبة البدعة ويفرون تواضعهم
وتذللهم ورؤيتهم الخيرية لهم عليهم ينكبون الى غرورهم ويتعززون ويتكبرون وانهم
بغير ان عن غفار والاخرون فيهم امثلية للرحمة الرحيم الغفار فما اولى احد
الفريقين بان يخسر الدنيا والاخرة جميعا وما احرى الفريق الاخر ان يربحهما
جميعا ويكون ذلك فضلا من كريم رحيم وعدلا من حكيم عليم واعتبر ذلك
بقصة الخليع والعابد ولا يحصل للعبد البراءة من الدعوى الا بوجود الصدق
الذي يغلب لها وذلك اذا حصل له حظ من المعرفة بالله تعالى لان من مقتضيات
معرفته المعرفة ان تمحو كل ما عدا ما منه اذ كل شيء ما خلا الله باطل ومقتضى
يحصل للعبد التجرد من الظلام والتبرؤ من كل ما كان منسوبا اليه قبل ذلك
ويرى جميع ما كان يشاهده من سنن حالاته ومحاسن افعاله وصفاته بورا
ومعناه منثورا بحيث لا يبقى له عرفة بوجود ذلك وعدمه من حيث رؤيته لنفسه
في الفعل وطلب الحظ وبتحقق بمعنى قول النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه

عز وجل فلا يعبأ في كلامك ضالا انه من يعز فيه فاستغفروه امركم فلا يعبأ في كلامك جارح
انه من الجمعية فاستحكموه الحكم فلا يعبأ في كلامك عارا انه من كسوته فاستكشفه
الكشف فالمعزة الكليات جميعة فيدخل الجمهور والمحكوم في المكسوة
في الكنا من مع الظالمين والجائعين والعارين اذا لم يشاهدوا ميدانه الدين ولا الطاعة
ولا الكساءة له فاذا شاهد مقدار الغير ميدانه الدين والطاعة والكساءة له خرج منهم
فالعبرة بما هو مشاهد من الدين تعلى من منزلة الاشياء ولا عبرة بها من حيث
تلبسها ببعض فانما من منزلة الحيثية للاتسمن ولا تغني من جوع بمنزلة الضريع
الذي هو من طعام اهل النار يضارع الطعام الحقيقي لانه يشبهه في الصورة وليس
بطعام على الحقيقة وكم من شخص كثير التدقيق والتحقيق يقصر بذهنه
عقله كما تقوله العامة في المثلية عن والباسليق وهو بغفلته عن قواديه
من الكتب الضالين وكم من شخص قد تنعم من اكل الحلوا والمن والسلوى
وهو بغفلته عن مطعمه في عداد الجائعين وكم من شخص يلبس ثياب الحرير
والصوف والكتان لفكر المنزوي وهو بغفلته عن كاسيه من العارين فلا
عبرة بظواهر الاشياء وانما العبرة بالسر المكنون الذي به صار الضال مهديا والجاهل
عالما والمطعم جائعا والجائع مطعما والمكسو عاريا والعاري مكسوا وليس
ذلك الا بظهور امر الحق وارتفاع غطائه او استتاره وخفائه فاذا تحقق
ذلك التجلي والظهور استوى على ان شياء الفناء والدثور وانقشعت الظلمات
باشراق النور فهنالك يفرق بين الغني والفقير وبين الحي والميت وعند ذلك تنكشف
دعوى المدعين كما يفهم العامة بظهور ذلك في يوم الدين حين يكون الملك
لله رب العالمين وليت شعري اي وقت كان الملك لسواه حتى يقع
التغيير في قوله الملك يومئذ لله وقوله والامر يومئذ لله لولا الدعا والعريض
من القلوب المريضة واذا وقع استتار وخفاء كظهور وجود الاشياء وانتسخ
بالظلمة الضياء وعميت الابصار ان ليناء فهنالك تنتعش النفوس وتتجرد
اوقات الانكسار والنحوس وترى امواج الهوى كيف تتلاطم وكلمات الدعوى
كيف تتراكم وبعضهم تشغله منه الغوى وتغرق في بحار الدعوى وتهوى في
الغاوية مع من هوى فمن فرح بنفسه والمائل رقصا وترى جمعهم ذا انت كيف يأكل

جملة

بعض

بعضها ببعض ونعوذ بالله من هذه الحالة. فهذا ما ذكرته في بيان الدعوى
التي هي من أعظم البلوى. فأردت أن أذكر لكم شيئا من علاماتها ووجودها
في العبد. فاعلموا أن من أكثر علاماتها أن يكون عنده شيء من التدبير والاختيار
ورؤية حول نفسه وقوتها في إيراد وإصدار والمباهات والتفاخر والتظاهر
والتكاثر والجدال والمراء ورؤية الخلق بعين الازدراء والفخر والحسد والرياء
والعجب والبخل والشح وخوف الفقر وكراهية الموت وأن يحزن على ما فاته من دنياه
ويفرح بما أتاه من مقتضيات هواه ومن أخفاها أن يحسن الناموس ويتميز
بزي مخصوص ويمدح نفسه بلسانه بالمقال ويمدحها بجلوسه في صف النعال
وأن يكثر زهده بإخفائه وتواضعه بما زعما يشعر كماله من تكبره واعتلائه
وأخفى من هذا كله حتى أنها تعد في القربات والأعمال الصالحات أن يفرح بما
عمله من الحسنات ويحزن على ما اقترفه من السيئات لا لله بل لأجل ما يفوته
من جزيل الثواب ويصيبه من أليم العذاب في أخراه. فهذا ما ذكرته في بيان حقيقة
الدعوى وذكر بعض علاماتها الجلية والخفية وأخفى من الخفية ذكرت ذلك
لكم ولمن سأل عنه من غيركم ولمن أحببتم أن تطلعوه عليه سواء سألكم أو لم
يسألكم فقد أطلقت الإذن في ذلك لكم فأضيفوه إلى ذلك الكتاب واجعلوهما
كفصل واحد أو باب والله تعالى يوفقنا للصواب إنه الكريم الوهاب الرحيم
التواب. **وأما الكتاب الثاني** فتعرفون فيه بشكركم على الحق
لأجل ما ذكرت أنا لكم ولأجل ما ذكرتم أنتم فيه ولا كبر في قولكم فثم الجمعة أن هذا
وأمثاله مما تحذرون منه بعض قولكم أصابني بعض كرب فالحمد لله الذي عرفك
الحق ونسأله أن يرشدنا وإياكم إلى استعماله ويرزقنا وإياكم الكمال فيه بعد
بمنه. **وأما ما ذكرتم** من أنكم أخذتم في درس ذلك الكتاب لتحفظوه
وتجعلوه نصب أعينكم فنعم ما تفعلون وقد اخترت بعض فوائد ذلك المعنى الذي
قصدنا التنبيه عليه في ذلك الكتاب فلو لو أضفت إلى ذلك نبذا مميزة
مكتوبة في أثناء الرسائل التي أبعث بها إليكم فليست بدون ذلك لكان منكم
حسنا. **وقولكم** وها أنا أدرسه وأحفظه وأجعله نصب عيني لو فعلتم
ذلك بإن شاء الله وسكتم عن قولكم بعده تقديم المشيئة والافتقار إلى الله

لكان ذلك حسنا فإن فيه رائحة من الدعوى ومن أنتم حتى يقع منكم الإلجاء والاضطرار
ولو عقبتم ذلك بقولكم إن شاء الله لكان ذلك يكفي فيه دعوى وما ذكرتموه من
تقديم ذلك على ما ذكرتم صحيح لأن من ترك ما أنت له طالب فمن تحقق بذلك فقد
ظفر بجميع المطالب ووصل إلى غاية المآرب فاتفق ما تطلب **وقولكم** في
المسألة التي اعتذرتم عنها فلما تعينتم عن ذلك فإنه لو أرجعوا إن اتهمتم بفضل
الله ومنته في غاية الملاحة أعني قولكم ارجعوا ولو وزن قولكم ارجعوا بالذهب
والياقوت لوزنهما لما فيه من التبري من الدعوى التي تقدم الكلام عليها **وإياكم**
لا زلتم تشاهدوا هذا التبري وتتحققوا في أعظم ما يبرز منه وكن على حذر من ذلك.
وقولكم وعسى تبينوا لي ما عند ذلك الشخص من التغالي فليس يمكن علينا
التكلم عليه بل لا يحسن منا ذلك لأمر جهة أن ذلك الشخص يكون معه إذا سمع به
لأنه عني أجل منه يتأذى بذلك أو يكون معه منه بل من جهة أنه لا فائدة لكم في التكلم
على ذلك وقد يكون في ذكره ثم رقا في أيضا الإضراب عن ذلك أولى **وقولكم** وأما
تفسيركم لتلك الآيات فليس من تفسير وإنما هو تلفيق منه وقع بين تلك الآيات التي
أشكل الجمع بينهما **وقولكم** من بديع الكلام ومستحسنه صحيح ذلك من فضل
الله ومنته وقد كنت لما ورد علي ذلك السؤال منكم لم أدر ما أقول فيه ثم إن الله
تعالى ألهمني لمعنى ذلك الكلام وأنا لم أطلع على كتابكم بعد وأما ترتيب الفاتحة فقد بينت
في ذلك بعد حضوركم ذلك المعنى أكثر من ساعة زمانية **وأما** ما ذكرتم من إنذار
فلان الناس وتنبيههم على حال الوقت وما فعله من خلع ثيابه ففعل ما فعل
والله تعالى يخبر به **وقد** تقدم منا ذكر الأولوية فيما قلت منا لكم ولا زال الدنيا
مبنية على الانعكاس والاعوجاج ولولا انعكاسها واعوجاجها لم يغلط ذلك
الإنسان إن أتى إلى القاضي برسم تثبيطه عما هم به من العمل بما ندبه إليه فلا من
العمل بالحق الواجب إن لا يستعطفه في نكير الدين مستندا في تثبيطه إلى ما
لا تقوم له قائمة من الشبهات والخيالات فليت ذلك الرجل الذي همه بذلك أصابه
عمى أو عور أو وقع في بئر أو تعثر في حجر حتى يتشاغل بنفسه عن الشغب فيما يعود
بالضرر على المسلمين في دينهم ودنياهم ولولا انعكاسها أيضا واعوجاجها
خيب الله سعيهم الله تعالى أن ذلك العمل المبرور وكدرهم عنده وقومهم مع تلك الخيالات

الى

انتهى فأما ما ذكرت ان الرجال الذين هم كالسفور كانوا يفدون بالكتب بذلك الى السلطان
فلينظر بينهم ولا يسفه سفههم ولا سفرا ولعل منفعة ذلك تعم جميع البلدان ويكون
ببركة عمله بذلك واذنه فيه مما يكابد من مكابدة عدو الدين بعدو وقاية امان
وهذا المعنى من جملة ما يكون فيما يكتب له من التنبيه والبيان ليكون ذا الحجة في
لقلب السلطان ان اقتضاه هذا الخبر الذي قدمته ذلك الاتساع ولولا انعكاسها
واعوجاجها ايضا حين لم يقع شيء من ذلك كان يبادر اولا اولئك الجماعة الذين
انتهضوا للقيام بهذا الامر فيفعلون ما فعله القاضي ابو بكر بن العربي رحمه الله
في وقته فانه ضم الى نفسه من اهل الثقافة والضيعة قارة الحج في فسكه من
بين المسلمين ولا كراهة الله آيات ما ترون * بلغ

من يرد الله ان يهديه فما له * ويأبى الله الا ما يريد

وقد رأيت في مواضع من كتبكم شيئا اردت تنبيهكم عليه وهو انكم تقولون
فيما حكى الله تعالى عن فلان كذا وحكى عن فلان كذا وقد يقع مثل هذا في كلام الائمة
وهذا عندي ليس بصواب من القول لان كلام الله تعالى صفة من صفاته وصفاته
تعالى قديمة فاذا اسمعنا الله تعالى يقول كلاما عن موسى عليه السلام مثلا
او عن من غيره او فرقة من الامم لا يقال حكى عنهم كذا لان الحكاية توذن بتأخر ما
عن المحكي وانما يقال في مثل هذا اخبر الله تعالى او انبأ الله او كلاما هذا معناه
هذا مما لا يفهم من مقتضاه تقدم ولا تأخر او وقد وقفت على كتابكم
المسطر تاريخه وانتم تذكرون فيه امورا منها انه كان الفتك بكم وتشوشكم مما يرد
عليكم من جهتي واعتذرتم في ذلك توهما ان تحققنا ان سبب ذلك ما ذكرتموه
من قصة فلان وتعدد ذلك منكم سوء ادب معي ولم تعلموا حوالي شيء من ذلك
الغرض وما انكار الكتب مني لكم الا عدم الحاصل واما اعتقادكم ان ما
وقع منكم مما ذكرتموه من قصة الرجل سوء ادب معي فليكن عندكم مقررا ان ما يقع
من احد من الناس في جهتي من وقعة فلتة بزلل او وقع يكون فيه سوء ادب لا ازاله
سوء ادب من غيركم فضلا عنكم فلا يؤثر ذلك عندي انقباضا عما ربما اعتبره فيه
في جهته ولا انبهه عليه الا ان يتعلق به حق لله تعالى او مصلحة للصادر منه
ذلك فقد انبهه عليه وقد اتفق مثل ذلك نسيا منسيا لمحبة النفس

المسكينة للاطلاع على امثال ذلك وان لا يخلو علمهما عنه مثل القصة التي
ذكرتموها والله تعالى ولي التجاوز برحمته بمنه معوجا في اخبرتكم به ليلا يكون
في قلبكم شيء مما يكربكم بتكلمكم اذا او تكلم غيركم بالغيب والتسمير بالنسبة تقع
الى ما يرجع الى شرع سواء والبكم النكت فيما وراء ذلك وفوق كلم حتى توهمت
انكم وجدتم عليه بعض الوجد فما اسرع ما انسيتم ما اطلعتم عليه من قولي
لو رايتم رجلا في غاية الصلاح وآخر في غاية الفساد الى آخر المعنى الذي
ذكرته وانما يجد عليه في ذلك من من قبل عنه نفسه من الآفات والعيوب ولم
يتفطن لما مثل الذي نبه عليه الشيخ ابو الحسن الحرالي رحمة الله تعالى عليه في
المسئلة التي سالتم عنها وسالتكم عليها اذا وصلت اليها الا في التتبع
مسائل كتابكم اولا فاولا واما الكراسة التي جمعتم فيها بعض ختمتها
بالمطالعة ساعة وقوفي عليها لضوء السراج ولم يزد واضعها على ان ذكر
جملة من احاديث نبوية يفهم منها الانتصار للاعلى من مقعده في جزئية واحدة
من هاتلك الملات كما مر ويفهم ايضا من سمعها وكتبها واشهدها من الناس دعاؤ
ايانهم الى اتباع من تقدمه اذ يريهم بذلك استنادا الى الاحاديث الصحيحة
التي لا مطعن فيها وغاية ما حصل انه جمع احاديث مفترقة متعففة المعاني ومختلفها
بحسب الاحوال وجعلها في موضع واحد ولم ينص على ما اراد منها فالتكلم
عليها بحسب ما يفهم من قصده بذلك خطأ من العمل وانما يتكلم من يتكلم
عليها من غير نكر الى ذلك على وجه التفسير لها من حيث هي من غير نكر الى ما
تتعلق بها بابن شيما من اوان حوادث الازمان ومثل ذلك لا ينفع في مقصدنا فلو ذلك ينفع
صرح بمقصده اذا وقعا والتيم واشار الى استفهام الكلام عليها من حيث التعلق المذكور
وحيث لم يفعل شيئا من ذلك فالسكوت اولى واعلم ان ذلك المجموع قد يضل
به كثير من الناس ممن قبل سوء فهمهم وعدم علمهم ومن اتى للترايم واهل البوادي
ومن اشبههم من غيرهم ممن ان يكون لهم حظ من علم او فهم يحملون به الاحاديث
محاملها ويعربون مفصلها ومجملها حتى تكون احوالهم على السداد ويتبعون
في عقايدهم واعمالهم سبيل الرشاد ومن كان منهم انه عالم محقق فهو جاهل
مغرور ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور ولقد نصح لرسول الله

صلى

صلى الله عليه وسلم وحديثه من قال من العلماء فما معناه لو كان لي حكم لقطعت يد كل
من يذكر من العوام حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم محتجا به ومستدلا كذا
وكذا شتم ذكر من العوام من لا يشق له علما وقفينا غبارا ولا يخوضون له تيارا
وقال سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى الحديث مضلة الا للفقهاء يعني
لشدة جهلهم من غير الفقهاء ولذلك استثناهم واما اعتقاد ان الحديث من حيث
هو ضلال او ان المشتغل به ضلال هو اعتقاد الحمقاء الجهال وما سمعوا ابدا ان
الجموع من جهة العالمين وسراج المتقين صحيح وصلاحهم وتقواهم يمنعهم من
ان يتكلموا بجهلهم الفاحش على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ياخذوا
معانيه عن العلماء الذين هم ورثة الانبياء فهم الذين يعلمون مواقعها
ويفقهون مقاصدها كما قال من قال والفقه ابو يوسف لولا مالك والليث لضلت
وفي الحديث المشهور يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين
وانتحال المبطلين وتاويل الجاهلين او كما قال واما المناظرة التي
جرت بينكم وبين زيد وعمرو وغيرهم فالمذاكرة مستحبة او كالمستحبة الا انكم اختلفتم
فيها من وجه واحد وهو وقوعها منكم لكن لان المذاكرة انما تستحب مع من يرجى
معه حصول فائدة المذاكرة ومعرفة خطإ الخطإ اذا تبين واولئك القوم جرى
عليهم القدر بجمودهم على التقليد حتى لا مساغ فيهم لكلام احد غير من قلدوه
واستحسنوا رايه الا ترى الى قوله لكم لا اقبل منكم شيئا ولا افارق تقليده فاي
فائدة للمذاكرة مع مثل هذا او ان كان ما علمت فاشيا على الخير كما النبا الحق
مجتهدا في اعمال البر فلا يستغرب الاجر في المذاكرة مع من شانه التقليد ان
تمقوا بين راسه وبين قدمه ونعاسه وزاد في قبحها منكم كونها كانت في
المسجد حتى ارتفعت الاصوات فيه بما لا ينبغي منفعته واهدر من حرمة الله ولعله لانه
الذي فاتكم من ذلك المذكور وخلف عليكم في القيام منه لما ذكرتم كان انفع لكم من
الرجل الذي فاتكم حين احاطت بكم العامة المتعة فيه فاحذر من الذي اذاكم وانما
تستقيم المذاكرة مع من هذا شانه على سبيل التفرج معهم في موضع يليق به ذلك
من غير المسجد من غير ان يعتقد المذاكر لهم انه يرد منهم الى شيء او يصرفهم عن باطل
الا ان مقابلة الفساد بالفساد من وجوه الصلاح وان شاد ولا شك انه في هذا

خ: فذاكرنا

بذلك

الحد الذي لا يستغرق في ذلك ولا يبلغ به الى حد يكون استغراقه في ذلك وابلاغه
فيه ما يشير به راسه ودماغه ومن اعجب العجايب الدالة على المستكبر الذي دعاني الى الخروج
من بلدي بعد ما اعتدته فيه وقوع امثال هذه الامور معي وان كانت خلالها وخبالها
فان لي في رؤيتها وسماعها ووقوعها من وجد فرحها واعتبارها وفي ذلك من وجد
تغني به من حيث استناد ذلك الى مشيئة الله تعالى وقدرته لا من حيث تضمنت
وقوع شيء من هذه الفتن ومعصيته فلبثت الحمار الذي كان حملني وساقني عقيب في
بعض الفجاج حتى لا يمكنني الا الرجوع على الادراج بسبب ان يرض من هذه الموالاة
المالك او تعطله فيه مما اصابه من ذلك ولم ابق في بلد استعمد شيء بالبادية
ذات الذياب العاوية والسباع العادية ولولا تعلق قلبي بالاخبار بما
يقع عندكم من امثال هذه الاحوال لكان يصيبني من الفتن ما يضيق عنه الوسع
والاحتمال ولا اكون لعلي في الواقع من ذلك كله خبيرا واما الكتاب الذي
ذكرتم ان فلانا بعثه او بعثه الذي لا بين له فيه اشياء فلم يقع بيدي الى
الان منه شيء ولو وقع ما امكنني اجيبه حتى لا يكون له عذر في اصابة احد
معاذ بن العرب بغير وخطا الاخرين بعينيه فان استغل بذلك فاذا انه الحقوق الذي منه
يكون كلامه لا محالة في ذلك عاريا من الفايدة وربما كان فيه مفسدة زايدة
ويحمل القول فيهم ان جماعتهم لا بد من استعمال عقايدهم واعمالهم على شيء من
الباطل قل او كثر فان قيل في هذا الكلام والا فلا عتاب عليهم ولا ملام
واما قولكم اريد منكم ان تنكر والكيف يكون شر هذا السر الذي انفتح
من هذا ولا الناس فكيف يستفيد من احد ان يشر ما فتح الله تعالى في زمن يليق
به ذلك بل اقول ان شر انفتح لولا الوهم الذي غلب عليكم حتى استعظمتم
ما ليس بعظيم وقولكم وانا ما كلمت لاحد ما اقنع به نفسي تعتذرون به عن
الكلام في ذلك مهما خفتم ما يشير له عليكم فلا شيء اقنع لها من الاياس من
رجوعهم عن حالهم التي هم عليها الا ان شاء الله تعالى ذلك بامر من عنده
وقولكم انه ينهوا عنا انا نقع في فلان وغيره ممن هو منكم ممزوجة بشيء من
التصنع والرياء والله تعالى يغفر لكم لا كان الكلام بهذه العلانية لا لو افقهم ولا اسلم
لهم في نسابهم الكلي حتى يكون ذلك مؤيدا بالشرع وكل ما صدر مني من كلام مشكور

عندكم وعند غيركم دليل على ما اقوله من ذلك فليتطلب مصداق ذلك من احبه
ممن يعلم منهم نسبة بهواه وما يعقله عني واسند ذلك الذي فلست عليه بحفيظ
ولا وكيل وافوض في ذلك الى الله عز وجل وان اتعرض له بامر ولا نهي ولا معجزة ولا
ابغضه لما انا فيه وبه في نفسي من التساهل وقلة الادب والله تعالى يتجاوز عني
بفضله والمراد منكم ان تنفروا وتحذروا كلا على فلان ولا فلان حتى تعلموا اني تكلمت بالقبيح
فيهما او فيمن كان على مذهبهما وكذا الذي مسالكم تبعثون بنسخة منه الى فلان
مع من تبعثون به انه يوصلها اليه وغير ذلك ان يفرغ اسماعهم كلام فيهم
فعلكم ليس بخير من سوء ذلك والله تعالى واسع المغفرة فاما المعتزلة ليس مستبعد
في حق من ان يلحقوا نسبة بالمحسن فيتساوون في نيل رحمته وجنته الكلاب مع المجتهد
والعاصي المذنب والعواقب مجهولة مبهمة واسرار القلوب لا يعلمها الا نبي
اعلمه او ولي الهمه والحق عندي ان من جاء اليوم عندكم في نفس سيدي الحاج
ابن عاشر رحمة الله تعالى عليه في معاملاته الظاهرة والباطنة مع الحق
تعالى ومع الخلق فهو سقيم ابن خوان فاسد الاعمال لان معاملاته كلها كانت
جارية على ما اقتضاه ظاهر الشرع من غير ابتداع ولا تقصير في جميع ما تضمنته
احاديث تلك الكراسة كان عاملا به مع مراعاة آداب مشروعة ماخوذة
من تلك الاحاديث الا بما ولولا ان الغرض المقصود بهذا الكلام كله ليس الا
التفرج معكم والادخال المسرة عليكم لاني اقصد به من ايه احد ولا ارشاده
في الوقت لم يساعد على ذلك لذكرت من احوال سيدي الحاج ايضا ناتي به الاداب
وتقييدات بالسنة والكتاب ما اعلمه وهذا كله مما تقدم ونبه على من ذكرت لكم
وتكتبون به الى احبتنا واما ما طلبتم فيه من شيء ادعية موافقة لسمعيات القراء
حسبما فعله الشيخ ابو طالب المكي رضي الله عنه فقد اغنانا عن ذلك وكفانا المؤنة
فيه من ائمتنا الصوفية رضي الله عنهم محمد بن علي الترمذي الحكيم في كتابه نوادر الاصول
عند ذكره لحديث تضمن ذلك ولا ادري اي حديث هو ولا نظرته في كتابه الذي كنت استعرته
عند ابن فلان والذي ذكر فيه ادعية جميع سمعيات القرآن المتفق عليها والمختلف
فيها والذي عندي انه في السفر الثاني من الكتاب المذكور وما قولاه غير لاسيما مثل ذلك
الاملاء لا ينبغي في ان اتشاغل بمثل ما عملته فان في ذلك من سوء الادب ما لا يخفى

مع اخوانكم فى كل وقت وحين فتدبر والله تعالى يجمع اقوالنا بمنه وأما ما ذكرتم عن
الشيخ ابى الحسن الحرالي رحمه الله تعالى فيه فهو كلام صحيح مليح ولا منافاة بين كون
العبد يحتاج الى التوحيد الى الخلق وتمييز الحق لهم فيما يقع بينهم من شؤون وحقوق وبين امرهم
بالمعروف ونهيهم عن المنكر حتى لا يكون اجتماعهما الا ان الامر بالمعروف والنهي عن
المنكر انما يتعلق بما يكون في المستقبل واما ما مضى فلا تعلق له به فيقول الامر
والناهي افعل ولا تفعل ولا يقول له لم فعلت الا لقصد تعليم او تفهيم بكيفية الازالة
فيما يستقبل واما ما فات فقد فات فيجب الرفع موقف ينكر الموحد وعن ذلك يتعلق بما
مضى وينكر الامر والناهي متعلق بما ياتي فلا منافاة بينهما لاختلاف الجهتين وايضا
المنكر يعني التوحيد والحق حقيقة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر شريعة ولا
مخالفة بين الشريعة والحقيقة ولا ادري كيف خفي عليكم هذا مع وضوحه وأما
ما ذكرتموه عن بعض شيوخ المشارقة من كلامه في العبارات الرائقة والمعاني المستحسنة
الفائقة فهو اشارة الى نفس عمال من انقلاب الفوج الابليسي في كل ولا سيما في هذا
الوقت خشية وقوع المقت فانتفعوا منه بما ذكرتم انكم مشغولون من حقوق وحقوق الكلفة
ما يخرج عن الوسع والطوق **وأما الكتاب الثاني** فاكثر ما فيه مكرر في
الكتاب الاول الا انه يفهم منه انكم طلبتم منا استنساخ نسخة من التقييد ومقابلتها
لانكم اردتم درسها في اللوح والسبب في ذلك انكم مشتغلون عن ذلك بما عندكم من
النسختين اللتين اعطيتهما عندكم فان اردتم التصحيح للاحراز فابعثوا النسخة التي
وان اردتم ابعث لكم النسخة التي عندي لتتولوا انتم ذلك او تقابلوا بها من النسخة
التي بيدكم عليكم فلا بد ان قابلتها معه مقابلة لا باس بها واما اتفاق دراسة
على بعض الاخوان له فلا اذن له رحمنا على ان من تضمنه هذا منا من صفر
نتصل للنسخ معدوم وأما كونكم اردتم قراءته باللوح فلا اغلبية فيه لذلك
لانه وضع حاصل نافع لم يوضع للتدريس ولن يساعد للتحقيق فتتعبون انفسكم بلا
فائدة فيه والزيادة في الشيء كالنقصان منه والقراءة في اللوح كلام محفوظ عن رب
فكرا يستنبط من منطوقه ومفهومه ورموزه واشاراته معارف وعلوم لا تنحصر
بل تعظم وتعتقد وينبغي عليها من معاملة العبد مع الله ما يؤديه الى الاقبال والعبور
بالرضوان وقد كان سيدنا ابو القاسم الجنيد رضي الله عنه يقول فيما كان يعتبر في

فيه

فيه مع اخوانه من اهل الجمع فئة من العلوم والفهوم التي لا يقدر احد اليوم ان يرد مورده منها
او يقوم كما حق تلك الاشارات وبكلمات تلك العبارات في حال الذي يقول من يتكلم مثلي
بكلام خلف عن خلف قلب جلف فلا حول ولا قوة الا بالله وانا لله وانا اليه راجعون
فيجعلنا الله من الكون في زمان يعد فيه ما ارسمه واقوله به من الكلام المعتبر حتى يكتب
ويقرأ ويتفهم فيه بغير القلب واصغاء السمع ورؤية البصر وانه لعلم سوء
على ذهاب الاخيار وفقد العلماء والعارفين من هذه الديار والافكار كما قال الشاعر

لعمرك ما نسب المعلى * الى كرم وفي الدنيا كريم
ولكن البلاد اذا اقشعرت * وصوح نبتها رعي الهشيم

ثم انه لا حاجة بكم الى الدرس لان تكرار النظر فيه على الدوام وتعاقب الليالي والايام
مما يوجب لكم الحفظ ويحصل لكم من ذلك الكمال الحمد والله تعالى يرشدكم الى الخير ويهديكم
اليه بمنه وقولكم وان كان روحمرنت لكم نية فيما طلبته لكم في التاليف الذي كنت
فيه هذا
ذكرت لكم لان الامر شاع وبلغ الى حد العداوة فالجواب عنه تفهمونه مما تقدم
لنا في هذا الكتاب وان من احق من ذلك واخف وقولكم ينبغي ان يبين ما هو
الحق والصواب ليسلكه من اراد الله تعالى ان يهديه الى الصراط المستقيم فان كان
الحق يتبين الى الان فالله تعالى لا يبينه ولا يزيده الا اشكالا وهذا دعاء الاخير
مضى
فالحق تبين ولكن اهواء النفوس التي حجبته وغلبت عليه فان كانت لكم قدرة على
ان تقام من غرور اكثر الناس فافعلوا ذلك ولكن لا قدرة لكم عليها ولا سبيل لكم
اليها وهو شيء استاثر الحق تعالى به لم يكلفه الى ملك مقرب ولا نبي مرسل قال
الله تعالى للاكرم الخلق عليه واعلاهم منزلة لديه انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي
من يشاء وهو اعلم بالمهتدين جعلنا الله تعالى منهم بفضله

وبعد فقد بلغني منكم كتابان اثنان وافهمتمونا في احدهما انه ادركم
خوف شديد وانقباض بسبب ما تكلمتم به من الكلام الذي كان سببه التكلم على احوال
اولاد القوم وانهمتم انبساطكم في مع وقاحتهم وفلتت لكم فما بعتقد عنهم غير صحيح
فيكون ذلك كله في صحيفتي **واعلم** يا اخي انكم اذا اخفتم من مثل هذا مع
من جهة احتمال خلافه مع انه لم يقع منا في حقهم الا ما في باطنه فنفعهم
وقد بدر منهم سوء ادب زاد ذكرته عنهم صحيحا او مكذوبا فيه فما لكم يكون خوفكم

لو وقع منها ما كان ليشتم من التكلم على تلك الاحاديث بحسب ما يليق بهم من صورة الحال في جمعها
ونشرها وما يليق بهم من ارادة نفيهم بذلك للاشياء ان عنوا بكن اذ ذاك يكون كثيرا وتخلصهم منه
بتسليم الايمان وقد قال ذلك البدر الزمخشري التيمي في بعض المطول حين اخرجوا انه اذا
يضر بولد ما سلم منه أيضا ما كانت تستعجل قبله اردتم ان تتخلصوا من ذلك وتخرجوه
من قلوبكم حتى تصير كما كانت في خلا نقية واستعملوا من اول ذلك القوم من حصل منهم
ومن غاب وكذبوا انفسكم وقد قال ذلك الكثير من الائمة من الصوفية حيث عتبت عليه
فاجنا عليها احكامات لا اعتقد ولا شك انك تجد عند من تراه من التحليل
في سيما ان قصرت في ذلك بتمسكوا بذلك فتسلم بذلك من تبعاتهم وتخلص من
ملكة تبعاتهم والنصيحة من شانها ان تتلقى بالقبول ودع الملقي لذلك يكون صادقا
صادقا او كاذبا فيما يفعل ويقول الا من كان له حسب يبتغي اليه الوسيلة والقربة
بما يليق بجانبه من المعاملات التي ترضيه منه وتقربه اليه ويعلم انه يستفيد من
عينه اي خلال بخلاصة كفى بما يجب بجلاله وكماله مع انه قاصر في تحمل عن ادراكه بعض
ما من فيه عنه فيفعله او يستحكم عليه جهودهم في امر بسبب قصوره ان يقع في امر يستفيده
من غير حسبه بمعونة منه ما قلة من حكمه ونفسه فلا جرم يكون له اعظم تكلازة واذا
سماعة الكلام من يمكن بفعل منه تنبيه على ذلك كما بينا ما كان وابحكمة مالة الحوص
وخز منا من غيرهم فيه اصابت امرأة واخطأ رجل ومثل هذا النظم كان من باب البكاء يستغيرون
معرفة عيوبهم على السنة اعدائهم فعجب انك والمتكلم على كلامك من الاعداء الكذابين الذين
من خوفهم تعرضهم الحكم بكلام لما التسمعه الا ان يكون لحكمه من السامعين المنقادين لتشرع
فابن ذلك اليه تعم بذلك ما يرضى عنه حسبه وما يستحكم عليه وقل نفس سماع ذلك
والانقياد اليه في مقتضى المحبة والمعرفة لا موجب للكمال الحال الذي لا يقدر على الوصول اليه
بهما ولية العمل على ما لاح له من خبايا الرجال مع عدم سماعه لذلك وانقياده او لاكثر احد او ابعاده
فان قلت كيف للانقباض واخاه وقد عصيت ربي وانكرت عدوك ابليس مما وقع مني من عمد في
الفراق وانقطاع البر فلا تخبر بذلك الاعتبار يكون من الواقعة وامور مستنسعة للصاحب في
ابليك في ولا التعيين ضرا ولا نفعا نعمة لاترى بما كان يكون له فيه غرض فلا تبال في ذلك بخسران
دينه وبوءت بما عند ربك فلا تقول الفقر يقدر عليك بذلك وجرى القلم به فلو رمت تمريد عنه
بحيلة السما وان كان تقدر على ذرة منه ولا بد من وقوعه منك وجريانه على يديك شئت ام ابيت

9

او ما سمعت مما قاله الشيخ الحراني في تطلب العذر لاهل المعاصي والتلطف على ما يسر الله
به شيخك بن عجيبة من تمهيد العذر لهم من الرضى بقضاء الله تعالى والتسليم لاحكامه ولا يمنع
ذلك شيئا اذا استعمله فيما مضى من حاله ان تلوث على امر قد قدر عليه فبلان اخلق
وان قدر ويجد التغيير والعيب في منه على التصفيق ان من جهة طلب الشرع لعدم تمهيد العذر
للنفس بخلاف الغير وانت لم تقصر بذلك اتباع الشرع اذ لو اتبعته في ذلك لم تعذر منه
ما يخالفه فيما مر اسفر عليك من هذا فان كان خوفك عليهم اكثر فاذا عذرتهما
فيما مضى واستغفر ذلك فيما لم يتوجه عليهم طلب الا فيما تستقبله فتب الى الله تعالى
من ذلك العذر ولا تعد واما انا فقد وقع فيه ما وقع ويقع منه اصحابه واصحاب اصحابه
والاكابر في ذلك ولا امل واحدا يطلع على ذلك الخبر البر والانس والجن حتى يعلم فيه الله
تعالى عن ذلك بما شاء من قدرته ودع كل من يقع في عرضه يقع وكل من يتكلم معه يتكلم فلم
اقصد بذلك تنقيصا احد ولا عيبه ولا السخرية ولا الاستهزاء به فانما يتصور ذلك
ممن اعتقد كتابة بالتعيين وكان يقصد تعييبه وتجاهلا على تقصير كيف وانا لا اعتقد في نفسي
الا انها من شر ما خلق وانها اول من مس من اسراره وفوائده [illegible] فليتحقق ذلك من لم
يكن يحققه وانما قصدت التفريج فعلم بالحديث ليقع بذلك في قلوب بعض الناس وفعل الله
بعد ذلك ما يشاء فالعبد عبده والامر امره والملك ملكه والفعل فعله. فهذا ما يتعلق
بهذا الفصل من اعذار الكتابة ولاداء المحصلون بما اردتم من الجواب عن ذلك على فرادا العيد
ان يرجع في عملهم وتحفظهم عن ذلك بحفظ حين للاسيما ان لم تعاود والنكر فعو والمرتبس
وتشاملوا فيه كلاما فيه وكلمتين ويكون ذلك كما ذكرتموه في كل خميس واثنين فهذا ما
ينبغي ان يقرأ في اللوح ويحفظ ويشد عليه بين الصبيان والابلغ وأما ما ذكرتموه من العرس
والوليمة فان ما صنعتموه خارج عن الاستقامة في تخصيصه بعض الناس بالتمييز والكرم
دون بعض فان ذلك من انزال الناس منازلهم التي يستحقونها عند انفسهم وفي دنياهم كقصة
عايشة رضي الله عنها مع الغني الذي فرقت بين يديه الطعام والمسكين الذي ذاك وانه كسرة
الخبز ولا شك ان اهل تحيير واصحاب القماش لا يستحقون فلانا وفلانا ولا من كان معهم
لان الغالب ان يجعل الوزان الطعام بين ايديهم في كل يوم بتلك اعتبوا بها في ديارهم وتمنا ان لهم
وبين خدمهم وحشمهم ويريقون ما فضل منها في الجدار والقنوات فهم ان لم ينقصوا بشيء
يعلو وجوده في ايديهم سلاء غير ذلك ولم يقع منهم ما يقوم التيمم موقعها والجماعة المباركة

بذلك

فقد

وغيره

التي ذكرتها على الجلاء في ذلك لأنهم قد يحجبون ولا يستبعدون فيقصون ولا يبلغون وإنما
فات فلانا التخاطب في الدارين والحظ وفلانا مشغول للأمثلة في تكثير المال وفلانا افتقيته يرضى من
دنياه باليسير وفلانا زاهد لا في الغير ولا في النعيم ولقد كان عندنا يسير ذلك الرسم وفيه من
خواص الأصحاب والذي لم يغب عنا باب ولعل له في ذلك حظا وما بقي من الغرض الذي حضروا
معهم منهم من هؤلاء التمكين المستكيني فالكبريات الصغار في حقهم بمنزلة الكبائر من العادات
وما اشتملت عليه من ازدياد الكفاح بمنزلة الزجاج المستمنة التي فرقت للأولياء
الكبراء والسادات فلم يخرج بذلك عن القانون الحكمي والنكت الصوفي فاستغنى من اشتغل
به من الخلق الذين لم يحصلوا منه شيئا ولم يشفعوا عنهم من الحكماء في أعين الخلق عليه فرضا وقسمه
على فلان بالتيسير والجلاء منه بتيسر أمر ولايتي الحاضر بل المرتجي من العين الذي ينبغي أن يضمر
والأمر الذي يحب في حضور العادة إلا أن يغلو به ولا يتسع وأما شاكيا بكم الأخير فليتق
فيه ما ينقضي كذا قال إلا أنكم فعلتم فيه إنكم لا تجرون حسبنا تشتغلون به وتبشرون
شكوا إلى الله وأنكم انتشيتم بالناس لما أنتم فيه من الإفلاس إلى آخر المعنى الذي ذكرتم فالله
تعالى يغنيكم عنهم ويهم فيمنعكم عنهم ويجعل في بالكم من النور الذي يعمر ويغمر ما يتجلى
لكم به في كل غيب وكون ملكا وملكوت ومنشأ أو ظهور حتى تكون في هذا العالم كأنما فيه
لا يخرجه يجد أثر الأحوال ولا يتوقع من فضله نفعا ولا ضرا ويشتغل الأرض بأربابها ويرتفع عنهما
بالقلوب والسر مستلبونها ومضايقها وما ذلك على الله بعزيز وفي قولكم وعسى أن
لكم فائدة يكون الحالة لكم التي بها يقتضي فيبعث زائدة فأن كل ما أتكلم به إليكم فوائد ولكني
لما أشاهد منكم من الكيس والأدب أبادر بكل ما أفيد إليكم من ذلك كأنما الفيد لكم في غير
أن تحملوا به عند بعد ولكم أن يكون ما تحمله حالا لكم من غير كل جهل يسير ولا فكم من
كتاب وقال إليكم وفائدة أوردتها عليكم ثم لم يشف ذلك لكم بعلة ولا نفع لكم غلة
بل شأنكم أن تقولوا إذا بعثنا ما أصنع ما أفعله بين يدي ميني يا ليتني يا ليتني أن لم تكلفوا
بعض ذلك فقالا تقولونه حالا ولا بد أن الأصل فعلا كيف لا يكون الذي ينبني عليه
فعلا وفعلا الثمرون من الأصل الذي ذكرت والذي أشرت إلى أذكاره وأقواله وأحواله وأفعاله
ومقاله وعمله وحاله فالله تعالى يتم أذكارنا برحمته ويتولى حالنا بالكعبة ومنته [illegible]
ويقبل عثرتنا ويرحم غربتنا ومسكنتنا ويجعل خير الجزاء لكل من أدركته علينا شفقة
الأبنا من المومنين وفضل عند سماع دعائنا آمين وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد خاتم النبيين

وعلى الله الكبير المتعال من رب وفرق العقول كتابكم وتعرفت منه ما
ذكرتموه من حالكم في أمور المعيشة وعدم شكواكم التعبير الى سادات القسمة وذلك يا أخي
هو حال أكثر الخلق اليوم فلا تكاد تجد أحدا الا يشكو الى الله أو من يشكو الى الله مثل ما
نشكو اليه أو أكثر كما قال الشاعر * لم أجد غير ذي قلب جريح *

كلما رمت للاشكو علتي * لا أرى غير ذي قلب قريح
كلهم يشكو الذي أشكو به * يا لقومي ما عليها مستريح

وسبب وجود هذه الحالة لهم انهم جزعهم وشكواهم ما القبول من الانس بالعالم المحسوس
والتمتع به وقضاء الوطر منه فلما تغير الحال عليهم في جميع هذه الأمور وقع منهم ذلك
وما تم تعتبر النفوس يصعب عليها أمره فعند ما رأيت هذه الحالة منهم من جميل الوقوع
للتعبير وعتاب لما على ما يصدر منها من الجزع وأرى فيهم أن حسبهما وقع منكم كان ذلك في
حقهم عقوبة حلت بهم من الله جبار وأرفا رزق الله ما ذكرناه كان في حقهم تأديبا أدبهم به
حكيم مختار فاعرف قدر النعمة عليكم بهذا وانكم الى ما قبلتا غيركم منه مع تعليمه في السرائر
والبلايا والمصائب وان رأيا كالمعز البكر والسعير من وعكه بعيدا لو قسم حالة أخرى
لو انتقلوا اليكم نسلنا ما للكاملين السابقين الذين لا يشق لهم غبار ولا يفوتهم مقام الخوف
والابرار ومن أنهم فرحين يغرون ويضحكون والكمال يفرحون ولا يعاتبون لأنهم يشتملون أنبيتهم
استرو في قبضة الحق لا يشعرون لهم بشيء وما ينسب الوهم الى الخلق مع سلامتهم هو
مكملا لبعة الشرع جملا ولا وهم الذين يكون حسناتهم عند غيرهم سيئات لانهم يعلمون فيتهمون
انفسهم فيستغفرون الله تعالى ويتوبون اليه منها لان ذلك يشهدهم شيئا من الثبوت
لانفسهم عندهم وذلك من أعظم الذنوب المبعدة من حضرة المحبوب كما قال الشاعر

اذا قلت ما أذنبت قالت مجيبة * وجودك ذنب لا يقاس به ذنب

ولا تكترثوا بهذه الحالة تنالون بحيلة او اكتساب او يتوصل اليها بسبب من الأسباب
اذ لو تصورت ذلك لكنتم أحوج الناس ان تنالوها وتصلوا اليها ولكنكم لما انتسبتم
معي وانتسبت معكم شممتم من حقيقتي رائحة شيء لا نسبة رائحة ولا باسمين ولا أفول
فيشكل ولا اعتبار لما شعرتم بهذا منكم توهمت أن حاسة شمكم فيها استعداد لادراك
حقيقة هذه الرائحة فبمن ان تتسبب في توصيلها اليكم بأمور يحسن عليها فتجاسر
وامتثال على ذلك بجميل ولا كثير يعني شاكر فلا أقدم لما وقع فيه ومنكم اعتماده على

ذلك

تفلح

منزلة الاسباب وضرب بيننا وبين ادراك حقيقة الحقائق التي هذا كله مما يتعذر عنه
وتعبر في وجهه بحجاب مرت في ذلك كما قال امرؤ القيس *

الما على الربع القديم بعسعسا * كأني اناديه او اكلم اخرسا

ومن اعمال العامة قربة للانهدي وزبل المخرج ولاكل البيضة من قدر الديك وتسبوع عن
الازمنة لا يحصل التلاقي بهم منهم ولا لهم من تلاقيهم فراغ عيش بل بمن الله تعالى على
قلة الحسب ولا نغتفر ان لنا في ذلك خيرا من حيث لا نحتسب وما اعترضتم به
عملي فلا رجعوا عنها اذ متوجه عليه كما ان عين امر الذي كنتم ذكرتموه في الكتاب الاول
لا يتوجه عليه وقد كنت بينت كيفية عدم توجهه في الكتاب الذي بعثته مع فلان وكان لكم
واما بيان توجه هذا الذي عين اذ عليه جهوا ان الوقت على ما تعلمونه من السيرة وغلاء
السعر وكثرة الفتن وغلبة الحرام فالانسان اليوم اذا كلف ما يتقوت به يلقى
شدة وعنتا فضلا عن اكتساب ما وراء ذلك من الفضول والاشياء ان النفقة التي انفق في
تلك الحادثة ما اكماله بحيث يتصور ان يصنع به في اوقات الرخاء والسعة مادب
وولائم فانفقوا ومثله في هذا الوقت لا يخلو من اسراف وقد قال الاخير في الشرف جاه
قال وقد قال لو الله سرف في الخير واعتل الذي ذكره من انه فضل بذلك خير فلب وفلان قيلا
وفلانة فلم يقادح في ذلك كله الغرض وكان الاولى به في فصل جبر قلوب او لاية
القوم مع موافقة رضى الله تعالى وعدم الذي نقله هو ان الحيلة اللات التي اعتادها الناس ان
يعمد الى ذلك المال فيقسمه ثلاثة اقسام قسم يقيم به السنة في وليمة العرس
ثم يدعو اليها من يعد وجود تلك الاطعمة المختلفة والتمكن من اكلها غنيمة ويجعل
ذلك اليوم الذي يأكلها فيه عيدا فيفرح في محله وتعود بركة ذلك على العروس والعروسة دراهم
وذلك بسبب دعائهما لهما ومن قام في ذلك الامر فقعد واعتكر واخذ وقسم يتكفون به
لفلانة بعد التزامه للزيع الصدقات واعلامها من غير التزام فيجعله لها في تجهيز التزام
وكن في تفرقه عينهما وغير ابيها وامها اذا كانت وقسم يتكفون به لفلان فيعقبه
له ويجعله راس مال يجاول له في تجارة او زراعة يتحصل له من ذلك فوائد يتمتع بها
مع اهله ويقطع بها عنه ما يجد على حال ما هو عليه من الضعف والعذر وان قد ضنا
ان عندك ما يغنيه عن ذلك كله فيكون هذا زيادة خير الى خير ثم ان الذي قال لا يوفر منه
للانفاق والنعيم فيجده الك الولد عند الحاجة والفاقة فلا بد ان يتركه ويقيم به

او الا لان ولده حين عدم القوة على الصناعة ان لم يكن له احد او بتجارة او زراعة لئلا
تتشوف نفسه الى ان تكون له اجرة مقطوعة بتلك الحرفة من جهتها ويحصل له فوائد عائدة
من ناحيتها ومن امثلة ذلك ان يسرق او يفتري وكون من ابتلي بالامرين اعني الذي يسرق والمفتري امرأة
مطاعة ستا ذا ان سارة ابنه فيتعلق بمخالفة بالمخزن وينقرض لانواع العنف والمحن
كما كان قال فيها الله عز وجل يقدر للنساء والنبي وقولي بقدر للنساء والتي تعتبر به عن
مكابدة الامور الصعبة ولم يكابر من موصوفة في ذلك بكثافة الحوادث والله تعالى اعلم وانما
كابر ذلك في باطنه عند ما تعارضت له دلالة الريبة واشتبهت حتى انقذه الله بكلام
تكلم به بعض تلاميذه وهو قال بقدر من يمكنه خلق كثير واعتمد العمل بما
قيل له بسيرة وخبرة بما كنت اذا اجتمعت مكابدة الظاهر والباطن جزا كله اذا
قصد الى جنس او لاية القوم بالامر والنوف للجهلة من اذا دنت بينهم في نوع محل وزعماتهم م فائدة
الخبير الوهم واما الذي قصدا الى جنس قلوبهم بالذي من الحقيقي لا يحزنون الا اعتبارا
والفرح به اذا عملوا والحزن والكآبة من اجله اذا اهملوا عند تغميض اعينهم بالموت
فانه يصير الى ما فرع سمعه وجرى على لسانه ويتقوى بالابكار والتصرف به فليبدأ من
قوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا قوا انفسكم واهليكم نارا الآية وقوله عز من
قائل انما اموالكم واولادكم فتنة الآية وقوله تعالى ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم
الآية فيعمل بجميع ذلك ويوفيه حقه وينصح لله ولرسوله ولمن استرعاه الله ويرجع ذلك م حكاية
الى ان يقرر لهم ما تقرر عنده من معنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا عيش الا عيش الآخرة
ويعلمهم ان الآخرة هي التي ينبغي ان تعتبر ويسعى لها ويقدم لها وان الدار الدنيا خيال زائل
وسراب ذاهب وان العاقل الكيس من جعل جميع ما انعم الله به عليه من اتساع في الدنيا وصحة
حال في طاعة الله تعالى وما يقرب منه لا في طلب الشهوات واتباع العادات ويصبر ان
قل حظ منهم بشيء من مصائب الدنيا وبلاياها كما جرى لولده وفجيعة كبرى فيقرر
عندهم ان بلايا الدنيا هي التي يغتبط بها اولياء الله تعالى اذ لا يبقى لها شيء من العباد الا
في التوصل بها الى الاجور والثواب وان الحق تعالى لا يختص بذلك الا من احبه واصطفاه
وارتضاه واجتباه وان من ابتلي فيها بفقد بصره لا جزاء له في الآخرة الا النظر الى
وجه الله الكريم ويجعل امثال هذه الحكايات عندهم كانهم يرونها فيتسلون بذلك
عما تعلقت به همتهم واوقعهم من متاع الدنيا وزخرفها التي لا نسبة لها الا اللعب

الخمول ويكون ذلك في حقيقته من هو عند الله تعالى أجره وثوابه مع سلامته من منافسة
السؤال واستيلاء الخجل فعليه بين يدي ذي العزة والجلال ويكون هذا أنفع له في عاجله
وآجله من كل طاعة وقربة يفعلها مولاه عز وجل وهذا كله يشكل في اعتباره من جهة
القلوب وسواء كان مما اتفقوا فيه أو ما اختلفوا إلا ان حكمه بين ومرجع أمره إليه فإن
اعتقد أيضا بأن هذا ناقص وهذا يعلم مثل ما يعلمه وكذا من الصلاح والعلم في رتبة عالية
فلا يسلم له ذلك أيضا إلا بزيادة في حرفه ونبله وتعود إدراكه لا يليق به التقليد
للغير وقل من هذا لا تقليد بل هو كثير والمقصود منه في المسألة من المسائل العلمية لا يعتقدونها
ولا يعتقد فيها حتى ينقص التشكك إلى غايته لا إلى كنه حيرة ذهنية وسرعة إدراكه ينبوغ منه
في أقرب زمان ولو صح له الاكتفاء بالتقليد في هذه النازلة مع وضوح ما ذكرناه من المعاني
التي لا تتوافق من جهة التقليد بل نوزع في قدره ونقص في وجهه لكان الأولى أن يكتفي بالتقليد
لمشايخ الصوفية رضي الله تعالى عنهم فيعتقد كمال بعضهم ويوالي جميعهم ويقربهم وينفي عن
كاملهم وناقصهم ما يفعله من اقتحامهم وينافي أضدادهم وأبرارهم مع ما يفعل من بعضهم من
الإنكار والتهمة ولا يبين الخير كالعيان وهو معلوم والله أعلم كونه أعلمه الله ثم يعرف
أي ذلك كله فيمنعه إذ لزوم هذا التيه لكان له في ذلك أعظم شغل عن ينفعه فليراقب
بغرضهم له إنهم انبسر في كل نفيس بنحو هما فكيع بما اقتضى منه من التشاغل بمسائل
ليست للعمل هذا الوقت كثير حاجة إليها لا أنهم إذ ما يجمع إيمانهم بالله واليوم الآخر
أهوج فيهم إذ ولا يضطهم ؟ أي التشاغل به وإن خرجت من فضول الدنيا واتباع الهوى
يشتغلون في ذم البراغيث وهم فرار أفواه الحسنين ؟ ثم إنهم إذا ملكتهم شهوة أي شيء
سروا الغنيمة وعملوا ولا علمهم ولا دينهم من طلب التأويل البعيد وينقلون نسج
العنكبوت ويتراءى إذا كلا ؟ ألبوا أنفسهم بانفتاح سبيل ما علموا من فضل الشرع واعن
عن ذلك زوغان الثعالب ولم ؟ نكثوا ويعمر فيما دعوهما إليه من مراح من الواجب فلم يزيدوا
على أنفسهم مع عنايتهم وتعبهم إلا تكثير الحجة والانحراف عن جادة المحجة لا كرسول
العترة إذ ارتكبتا ؟ وبغا رفعا إذا تموجت واضطربت لا انزع لزعقة فلا بل ندر وقوعه
من عدو ويصم معه إذ عقلا ويرجع جميع علومهم بانتباههم للمعرفة جعلا للعالم اليوم
من أمر الله إلا من رحم فصح بهذا اعتراض من اعترض علي ولا أرى لما توجه إليه ذكرته في كتابكم
الأخير فتوجه لا يحيص عنه بخلاف الاعتراض الآخر وقلت في إزالته ما علق بقلبه ونحوي

الامر عليه الكلام انه لم يصادف الغرض ولم يقع بحو النهج المستحسن والمعترض هذا
كله من اوله الى اخره كلام على مقتضى ما كتبه من الله منه واقامه بكرمه وبالله تعالى اعلم
بالنيات والمقاصد وقد قيل هذا كله تشاغل بما لا يعني وتعريض او تصريح بالغيبة
في اشخاص معينين لم يصلوا اليك بعيب ولم يذنبوا لك ذنبا في شيء ما ولا عيب قلنا نسلم
لهذا المعترض ما ذكره ولنوافقه على ما قصده وقرره ونحن نستغفر الله تعالى من جميع
ذلك بملء الاستغفار مع الاعتذار من توبة الكذابين لانا نتشاغل بالجواب عن هذا الاعتراض
بوجه اقناعي قد يقع وقد لا يقع والوجه الاقناعي ان يقال في ذلك مسألة التقليد
الذي هو من ثلج الصدر بعيد قد قول قد رايتنا طلبة هذه الاعصار الذين يتكلمون بالعلوم ونقول
الكلامية تفقها فيها وتدريسا لها اذا ذكروا المسألة خلافية فروعية او اصولية وتعرضوا
الى ترجيح بعض اقوال من تكلم فيها ممن تقدمهم على بعض يقولون قول فلان راجح وقول فلان
صحيح وقول فلان ضعيف وقول فلان فاسد وهو قول فلان وانحطاط قول فلان وقول فلان نادر وقواعد الاصول محصك (?)
وقول فلان ليس له كبير فائدة وان حسنوا العبارة قالوا قول فلان فيه نظر وقول
فلان خفي لا يكفر وقول فلان لا الزم فيه ولا انصفه وقول فلان احتمالاته الكلامية الذي يسميه
الى غير هذا من العبارات التي مقتضاها التصحيح او الابطال مع ان اولئك القوم
قد ماتوا وانقرضوا منذ اعصار يتحاورون فيها ان يكون ما نقل عنهم من اقوالهم في المسألة كحويلة (?)
المعروفة مكذوبا عليهم او موضوعا في نسبة ذلك اليهم ولعلهم لو عاشوا لسمع
ندروا ما الذي كانوا يقولون وقد تكون هذه المسألة من المسائل التي لا حاجة اليها ولا
يتوجه الى احد طلب من الشرع باعتقادها ولا العمل بها وبحسب اخي هذه النازلة
كذلك ولا مانع لك من هذا الاستبعاد لان الذي نرد فيما ذكرناه علماء صحبناهم وحضرنا ذهبت
اليه بعض اهل العصر ورجحناه على مذهب اخر في مسألة قد انتقدتها علي كما يجري
لهم في بعض مسائلهم مع ما انضاف الى ذلك من امور اندرجت في اثناء هذا المقول
يعترف بصحتها من له ادنى تمييز ومعقول وانا فيما الذي تتبعه ايها المعترض قد نحوت
نحوهم وقصدت قصدهم واتبعت من كريم تقاليدهم سننه وجعلتهم لي اسوة ولكنها
ليست بحسنة فان كانوا مصيبين فقد سلكت كما سلكوا في قومهم وان كانوا مخطئين فلا جعل
راسي مع رؤوسهم واضرب على الجميع بالجميع فان قلت كيف ذهبت في جوابك هذا
للتقليد الذي قلت انه من ثلج الصدر بعيد وعدلت عن التحقيق الذي يفضي الى سواء الطريق

وأنت قادر على ذلك ومتمكن منه لو أردته فأقول التقليد كما قلنا في جواب أيها
السائل الذي يغلب على الظن أنك من المستأنسين به الكائنين الحق من قبله والنزاع
الخصم ما يقول به في الرد عليه وجه من وجوه التكثير فإن قلت ما ذكرته صحيح أنا
من أهله وأستغفر الله تعالى من مثله والذي بعثني على ذلك في الاستغفار الذي استغفرته
الاضطراب مثل الحال الذي أتيسر مثلها أن تبين لي ما بقي عليك بيانه من شؤون أهلية من ذكرته للتقليد
بوجه أقتدي به فأقول على تبيان ذلك إذا كنت منصفا معترفا بحالك ولاكني أبينه
لك بشيء يشبه ذهبهم ويغنيهم لا يشترى به فداء ولا ذوي فاعلم أن الرياسة بها
قوام العالم إذ لولا وجود الرياسة في بعض أشخاص الآدميين لعمل كل أحد ما أراد ولحصل
من أجل ذلك في العالم غاية الفساد ولهذا كان بالمملكة نظامه وبالسلطنة قوامه
ومما ولاه الذين اعتمدناهم في التقليد قد حازوا من الرياسة الحظ الأوفر والنصيب الأكبر
بحيث أن رياسة الأمراء والولاة كانت مضمحلة في جنب رياستهم أعني في الزمن الذي كان
فيه بعض الصلاح والفلاح وأما اليوم فأقل مرتبة وشرطي يرى أنه أكبر منهم بمثل ويجعل
على جلبابه الكبل ولا يخاف من أن تخسف به الأرض ولا أن تنزل عليه صاعقة من السماء
في أسرع من الغمض فلما كانوا من الرياسة في العالم بمنزلة المثابة كان من المتعين
في كثير من المصلحة أن تسلم لهم رياستهم وتوفر عليهم حرمتهم ويجتنب كل ما يقدح فيها
ويغض منها ولهذا يجب على من قطع ذنب بغلة القاضي في أرش الجناية بالشرع ما لا يجب
في قطع ذنب غيرها وإن كانت أجود منها وأكثر قيمة فلا جرم لما شعروا أنهم بهذا وزادوا
ما اختصوا به من الغناء الأكبر في هذا العالم السفلي وأن الناس بالنسبة إليهم كالغنم
والبقر بالنسبة إلى رعاتها وأقوى ذلك فيهم شهوات ومقوي ويسارعوا بسبب ذلك
في وسائل هذا الأمر من تعلم العلم وتقلد القضاء والحكم وجدوا واجتهدوا وأوقفوا هممهم في ذلك
كله ونفروا واتفقوا إذ كانت سلاطين الأزمنة محتاجين إليهم في نيابتهم عنهم في القيام
بما رعاياه لا يحسنونه ولا تستقيم لهم سلطنة ولا مملكة إلا به من الاشتغال بتعليم
الناس كثيرا من العلم وقطع النزاع بينهم بالقضاء بما شرع فيه من الحكم وما ذكرناه فيه
خير منه وأخفها ذمم كان أيضا في الزمن الذي كان فيه بعض الصلاح وأما اليوم فأنت تعلم
ما الذي يريد أن أقول فيه ثم هو بالنسبة إلى ما بعده كالزمن الأول بالنسبة إلى هذا الزمان
والله تعالى المستعان فكان الأمر فيهم بما ذكرناه إلى أن حصل لهم نصيب من السلطنة لما

هو

ضعف أمرهما ولم يكن لها من الاستقلال ما يتمحض به حكمها وفهمها وكلهم أو جلهم يعتقد
فيما هو الآخر فيه أنه بذاته فتولى لديه نقل وعمل بكلفة عنه وتسارع في قرقانه وميقاته
معيقات تلك الآفات بينهم حقيقتها عندهم وما هم فيه من الرياسة والنفاسة لا يكاد يسأله
الحضرة من هو معتنى بصنيعته وحامل النفاسة للأمر سبيل له بالتوفيق والهداية الفذ
وتعقول الدنيا فنعم لا تعبر ولا تعم فلما كانت لهم هذه المنزلة في منزلة الدار الدنية
المستهزئة وكانوا أصحاب الكيالسة والعمائم وأرباب الدواوين الناضرة والسيوف
الصوارم هو على كل من عداهم من أهل الذلة والمسكنة أن يكون بينهم خفية وأن يتنكر
عنهم مكانا قصيا ومن يلي شغل زينتهم وقع فيهم فليس على فنائهم وليتبعهم في
هواهم وأغراضهم لعله يعيش فيهم عيشا هنيا وقد يكون عندهم من هو بها أجنبية
ومن لم يفعل ذلك فلا تسأل عما تعرض له من الضرر الذي يجب عليه منه الحذر وقد يغلق عليه
منهم عند همة بنيته وخلافه أن يذيلوا منه ما شاء على الكتابة وقد قال سفيان الثوري
رضي الله عنه في بعضهم لو خالفت أحدهم في رمانة فقلت حلوة أو حامضة لخشيت أن
يهريق دمي أو ما تعنيه هذا فهو ما كلمته من بينا إلى كلمته من ثبوت أغلبية
من ذكرناه للتغليب على وجه أفنانيه من يصير وقد لا يصير وهذا كله من الحكم التي جرت
العادة بمنع حكم بذكرها وعدم التحاشي منها لما تعرضتم في كتابكم إلى ذكره فلا تنبت عليه
ذهبت فيها من قبل الخراج والمكاتبة وقصرت بها نوعا من التفريج والمراعبة لعلك
بها تخبرني يا شيخ بتعيين بذلك نفسا وتتمنى في كلمات كروبك من أجل وقبسا
حتى يرجع ما زحل إليك لبلادك أجيلا وينقطع كمعناه من اقتراب الفرج فلا تكون له داخلا
ولا راجلا فهذا هو المقصود بالذات وإن كان ثم مقصود آخر فالمقبل الآن بيد أرباب
وللكل مقام ومقال ولكل عمل رجال ولله در ابن الفارض حيث يقول

فلا تك باللاهي عن اللهو جملة … فهزل الملاهي جد نفس مجدة
وإياك والإعراض عن كل صورة … مموهة أو حالة مستحيلة

وإن رجعنا إلى الحقيقة رأيت هذا كله علما ينبغي أن يقرا وينسخ ليثبت معناه في الصدور
ويرسخ لأنك قد لا تجد أحدا يسلك هذه المسالك في المكاتبة والتسهيل أو يسلم من
وقوع خلل أو ولل في تفصيل أو تطويل وكتبنا هذا الذي وتوفيقه ثم يخاطب ولا تفهم فلا
تخلل وتكن فلا تمل ولا إنها إن فهمت تهمت وإن لم تكن تولت وإن لوحت أو حمت وإن صرحت

ابتهجت وان تكلمت استمعت وان نهيت اوجعت وان جرت انفعت وان عزلت امتعت وقد
قالوا عقول الناس في اطراف اقلامهم بها يستدل على مغزى نياتهم وافعالهم وتوالي هممهم
واوضاعهم يعرف الفهم والكلال في بواعثهم ويبرز الخلل في كيفياتهم فمنهم من كلامه
مقعر موعر مقعر ومبعثر ومنهم من كلامه متمكن مفيد متسلسل لين تستكيفه اذنك وفهمك
وتستحليه متى رمقته وربما تستشعره وينبلك تستجيده ولا يعزب عنك معنى المقال
فان كل فرد في تعبيره مجال والله تعالى يلهمنا ويمتعنا بفضله وقد بلغني
كتابكم وذكرتم فيه اشياء اقتضى الحال التكلم عليها بحسب العادة فمنها ما
سالتم عنه من الوجه الثالث اني قلت لكم فيه لا احب ان اذكره لئلا انتسب معكم
بسبب ذكره وقد كنت اردت ان لا اذكره ولا اكتبه لما رايت منكم الكم عنه وتشوفكم
اليه وحرصكم على ان لا يفوتكم شيء وارايتم ان التعيين اني اشرت اليه بقولكم ان كنتم
تحاجون علي في تعيين حال فلا اقول لكم اذكروا في شيئا من ذلك مما يرجع امره الى
من غير ان يعود عليكم نفع ويجب علي ان اذكر لكم ولا اكتمه منكم فالوجه الثالث
ان كتابكم اذا ورد علي مستوعبا بحيث يكون فيه جزءان كثيرا ما يعجبني ذلك لاني
احب الكلام عليه لا المجرد فصرتم تستعيرون بذلك ولا كنت اعير به وقتا ربما يمضي
علي من الاشغال ويقول الناس الجلوس بلا شغل يجمع مع اني لم يحصل في الوقت توفيق
الى عمل صالح والسعي رابح فلا تحسبوا ان لي عليكم في الكتب اليكم منة لاني من الغالب لم اقصد
الا حكمة وراحة نفسي وترجية وقتي بالترهات والمرسلات كما يفعله المتفرغون
من اهل الدنيا اذ اشتغلوا بلهو او لعب بنرد او شطرنج او غيرهما مما بل يجنح له اكثر الفقراء
والفقهاء اذ اشتغل كل واحد منهم بما سمه المعلومة لهم وان كان كل واحد منهم يعتقد فيما
هو اخذ فيه انه مواظب لمحبة الله تعالى ورضاه وهذا هو الحق فيمن وفيهم اعني انهم لم
يغلوا في فعلهم ذلك من تلبيس وغرور ولكني خلوت من ذلك وهذا من نعم الله تعالى
علي العظيمة بفضله اذا ورد علي كتاب منكم وقراته وتاملته ان لم يكن لي شغل مهم
يرجع الى محاولته فلا يحتاج اليه من امر الغداء وغيره فما يتباطا ان ابادر الى الجواب
عنه بما يلهمه الله عز وجل وابتدا ولا احتاج ان يمليه ثم اكتبه كلينا هو وقد
انطلق اليه في القطعة التي ابعث بها لا اشتغل بشيء سوى ذلك وربما تبقى تلك
القطعة بيدي ايام فكثيرا ان تفت لما حاولا فالفوائد المتعاطية وهذا هو الغالب

تشتغلوا

فارغا

وهو

وقد ييسر الله تعالى في الحال فيقع كتبهما وحملهما في زمن قريب وإن كان ثم شغل من جنس ما
ذكرته أخرت ذلك الجواب حتى أتفرغ من ذلك الشغل فهذا هو الوجه الثالث الذي قلت
لكم إنه إذا ذكرته لكم انتسب ما علمتم والذي بزغت منه ووقعت اللائمة عليه كما شاء الله وحكم
الذي لكم إذا تحققتم ذلك وعلمتم أرجو في ذلك نوع استراحة وغرضنا مفهوم الأثر عسوا
فسألة مشكلة ولا نازلة معضلة إلا وسألتموني عنهما فإذا وردت علي اقتضى الحال
التكلم عليهما وقد يكون لي في ذلك ضرر من حيث أشعر ومن حيث لا أشعر فأنا أريد منه الله
تعالى علي في أكثر المسائل التي علم الله تعالى من الكلام عليهما بسبب تغافلكم عنهما
وأن تعرفوا أنه لا ينبغي الخوض فيها وعسى أن تكرهوا شيئا الذي سلبت نفسي في هذا الأمر
الواقع بما تعلمون من ضعف بدني وإنما أتكلف التكلم بها والكتب غاية التكلف فربما تركتم
شفقة علي بسبب ذلك فتكونون قد حجبتما عن كثير من المسائل التي يحتاج فيها إلى كلام
والله تعالى ولي الإنعام ومما ذكرتم من أحوال الفقراء المانع ذلك لكم من قراءة
كلامي عليهم فهذا الأمر معلوم بأن فساد الجهال واعتقاد الباطل والجهال هو المألوف
في هذا الزمان والله المستعان ولعل من جملة كلامي فيهم ومنه إذا سأل المتحول عن حقيقته
وحاله وما الذي يشير به إليه وقلتم له قد ذكروا في ذلك لم تدر ما يقول فإذا تكلم لم
يصادف الغرض وكان كلامه في جهة وكلامي في جهة ولا بد مع هذا كله ذلك خير كثير
منهم لأنهم لم يميلوا شيئا من هذا الأمر ولم يعقلوا منهم بكثير بل سلكوا مسلك
العقلاء في البحث والتفتيش عن غير واحد من الأشياء وأبرأت من هذا الموضع الذي ليس
فيه إلا الخلاء والبلاء كما كنت ذكرت لكم قبل هذا على أنه ينبغي في وقت أن نستغفر الله
تعالى من هذا كله ولا يقع منا لهم إنكار حال ولا عيب في مقال ونسلك في ذلك نحو ما
يسلكه أصحاب التهمة لنفوسهم من الرجوع عليها بالذم والعتب واللوم كما قاله أبو
سليمان الداراني رضي الله عنه لما قال له أحمد بن أبي الحواري فلانا وفلانا لا يقعان على
قلبي فقال له أبو سليمان ولا على قلبي ولكن لعلنا أتينا من قبلي وقبلك فليس فينا
خير وليس نحب الصالحين ولقد حكيت حكاية من أقلامه خير من آت قولكم فلولا ما أخافه
من الملامة وعدم الاستماع لكتبتها وكلف إذا كان هذا حال فلان مع من يوافقه ويكاتبه
في الكلام وكيف يكون حاله مع من يقول له أخشى فلان أو لم يعثر على حقيقته ولم يعلمه
الله كم يفقه أو ما أشبه هذا الاشتباه في أنه تثور عليه المرة السوداء ويعني بيسبه

خ قلبي وقلبك

الحال محمول فيها ويكون اسلم احوالها ان يحرم القبا بركة الشي فهذا ان يعتذر بعد ذلك المعترض
لانه يتكلم فيه بعين الازدراء والمقت ولعل الحكمة اجراها الله تعالى على لسانه في ذلك لشأنه
الوقت ولنا وقفة على ما ذكرتم في هذا الفصل ثم انما لك ايضا ان قلت بان له الله فيه
مرتين او ثلاثا في مرات مختلفة وهذا في ذلك الدعاء قريبة لو انها كانت وفي حال
فستقبلهم لفتحت له من السماوات الابواب فلم يكن فيه وبين الاستجابة حجاب ولا كرفه
فيستجيب الله تعالى الدعاء من الشخص المذكور اذا قارنه معان اخر كما ورد في دعوة المظلوم
والمسافر ونحو ذلك ولعل هذا الدعاء فيه يتضمن بعضه ذلك بل ان حوال لا تقتضي رضاه
تعالى اجابة ذلك الدعاء عليه بل ينعكس اثر مقت ذلك على الداعي كيف وقد ورد
تنصيص اجابة دعاء الشخص لاخيه بظهر الغيب وقول الملك له ولك بمثله وقول
الله له بك ابدا ولست افهم من هذا الا ان الداعي للغير ينال ما طلبه له ولا بد تعلى
اذا كان فضله في دعائه له مجردا انه يحصل له في نفسه مقتضى ذلك الوعد الصادق
لانه انما هو حكمه وحصول المنفعة له وجعل دعائه لغيره واسطة في ذلك ومثل
هذا ينبغي ان يتكلم في سلك من يستجاب له دعاؤه لا محالة وليته سلم في ذا الحديث
المكالبة والمنافسة بعد احتياله بهذه الحيلة المباركة بل الابراء ينضم الى ذلك
لكتابه اخر توخذ من معنى الاخوة التي اشار اليها في الحديث المذكور وفي قول الملك
ولك بمثله ومن العبودية التي نبه عليها في قول الله تعالى يا عبدي بك ابدا ومن جملة
ذلك والله تعالى اعلم ان يلوح للداعي شيء من حكمة تحمله تلك الحكمة على محبة
المنبر التام لكل مراد ركننه من الله تعالى عناية وحقت به رعاية فيكون في دعائه له
عاملا بمقتضى ما فهمه عن الله تعالى من محبته له واختياره اياه ولا تنكر انه لما ذكرت
من التحقق به ولا كنه شممت منه رائحة تمكن يتعلق بمثلها الطفيلي فيسوغ له
من التشبه والتوسم ما لا يسوغ لغيره ولا تنكر ايضا ان كل احد يشمه له في التطفل
بل ان يشم فيه الا لمن فيه رشاقة وخفة نفس بحيث انه اذا اوغل واندرغ على قوم
في موكبهم واجتمعهم ومجلس انسهم ولذتهم ان يتكدروا به بال ولا يتغير بسببه حال
ولذلك اذا تعرض احد لان يكثره لهم من ذلك الموكب او المجلس لم يقدر عليه ولم يجد
سبيلا اليه فلا زال كل من غلبته بالحجة وستر عليه الحجة واقال الوقت باسر على ذلك
وادعاه من ليس فيه هذه الصفة لم يسلم له ذلك واول ما يلحقه بعد تعاطيه لذلك

من أن ذا أن يستغفر في وجهه ويشنع بمثليه خلاف ذلك الموضع فإن عمارهما ادنى مقادرهما
لم تر معه يتمكن خطوة او خطوتين حتى تزداد فيه وتهربون منه وليس كل سيئة يمكن
ان يغفرها الكريم ولا كل حسنة يقال لصاحبها ادخل الجنة يتطلع لذا العفو والحكمة
يتباينان ذلك والكرم والفضل لا يضاد ذلك كما منا لك قال الله عز وجل ويؤت كل
ذي فضل فضله فرتب الفضل على العمل وكم من عمل لا لذاته عمل ولا خير إلا خير له وقولكم
فلما ورد علي كتابكم انقطع رجائي مما كنت أؤمل وتحققت الرؤيا فأقول ان
ينقطع رجاء من الروح باق في جسده ولا يتحقق الرؤيا من التوهمات والتخيلات ذا بين
في خلده فالواجب أن يكون العبد ابن وقته لا يشتغل بما يكون وما كان ولعل فرج ربه
يأتيه في أقرب زمان من حيث لا يحتسب ولا يقدر فعلى هذا سار الموفقون وعليه درج
الصادقون خلق الانسان من عجل سأريكم آياتي فلا تستعجلون وقولكم انما شرعت في
نسخ هذه الكتب وجعلتها كالصحيفة حتى ما يعلم ذلك الغرض الذي قصدتم ولا باس اذا
كان ذلك قصدكم أن تضيفوا اليها الكتب الثلاثة التي توقفتم في نسخها وذلك ليحصل
فيها من يد نظر ولعل ان يقع فيها تبديل او تغيير او زيادة او نقصان ينضم جميع ذلك
وجهها من الصواب لم يكن لنا عندر سنمها في حساب وقولكم وهذا كله من نظر لنفسي
وعتبتي لئلا ان يكون فيه خلاصها فلا حول ولا قوة إلا بالله بعد ان ذكر حال الكرم وتلونكم
بين الحزن والفرح وانقباض خاطركم من مسألة معرفة الاولياء والفقراء الذين يأتون جوعا وكونكم
لا تسمعون بمقالات زلة ولا حجبة لو اجتمعت الانس والجن على ان يفهموا منكم مخة هذا
الكلام ما قدروا على ذلك ولقد قربت ان تدخل في المحمل ولكن ما اخوفني ان يفهموا
تلك المسألة على غير وجهها ولم تحيطوا علما بكنهها لا لكم فلنترك قبل هذا على سبيل
الإنكار لأني سمعت بعض الاخوان يتكلم معكم بالمخاوف والمزاجر ويقولون هذا هو
الواجب علينا والمطلوب منا وان شئتم تنكرون من هذا كيف والكل مخاطبات القرآن
والسنة وأقوال السلف انما جاءت على هذا النحو وقولكم في اثنائه بل في أمور
يرجع حاصلها للاثبات التفسير او ذكرا او ذكرا مما يتوهم منه ان المخاوف والزواجر
وقولا لقائل هذا هو الواجب علينا والمطلوب منا فهو اقبول لذلك وراجع اليه وهما
منفصلان بين المواعظ والزواجر لانه بعض الآثار محوا التبصير واشتغالهم من رمتها وتحقير
أمرها والأمر فيها في الناس مختلفة وكتابكم معترف وادراكاتهم متفاوتة فمنهم

والزواجر

من قصد حقيقة الامر بادنى اشارة ورمز يعمل عليه ولم يحتج الى تكرار المواعظ والزواجر
ومعاولة الا ايغال فلا يكون ومنهم من لم يفهم ذلك من استعمال كثير واحتاج من اجل ذلك
الى ما ذكرناه ومعاولة وهم الاكثرون ممن لم يكن حاله مثل حال صهيب وان الناس يكون
حالة مثل حال صهيب لو فتشته بالقبيلة لم تجد منهم واحدا وفي كلهم فيقول
فلم اعمل الواجب علينا والمطلوب منا كلام مستقيم لمن يشبهه ونحن فما ذكرتم من
اثبات التعبير وترجيع فدومها وتعظيم امرهما ارتباط والامناسبة بل هو بعيد منه
اسيرا بعير جاوفلت لعرزد في هذا الامر اشكالا بغزارة كنت كتبت انه مستمد
فانه لا اعلم للمواعظ والزواجر معنى الا ان يمتثل ذلك العبد فينجو من النار ويستحق
دخول الجنة دار القرار وكذلك من قول العبد هذا هو الواجب علينا والمطلوب منا
لا معنى له الا انه اذا فعل ما طلب منه وما وجب عليه نجى من النار واستحق الجنة
وان اثبات للتعبير وترجيع لعدومها وتعظيم لامرهما اشد من هذا فان كان هذا هيمنة
بلغ ورد في القران والسنة ما يشهد له وان كان محتاجا الى جميع ما تحاوله وتوضيح
البيان وتبرؤ وتعبير فيه فتفضلوا بسؤاله مستشكرا اعتقاده واعتماده في اقول
ما ورد في الكتاب والسنة من تكرار ذكر الجنة والنار والتبشير والانذار لا يدل ذلك
على انه محل المقصود وانه هو حظ في الكتاب والسنة من لم يعمل على الرجاء والخوف بل
يعمل على خلاف ذلك فليس بمعيب وما تضمنه ذكر ذلك وتكراره من اثبات النفس
واستمرار طلب حظوظهما واغراضها العاجلة لا يدل ذلك على انه ليس بمعيب ولكن
السر في ذلك ما تضمنه مثال اذكر له فتأمله واكتب به ان شئت فاقول مثال
التعبير وصاحبها التي تمسك بها وتشتد العين عليهما مع جهله بالسر الحاصل والسم
القاتل الذي فوق البنية ما ذكرناه من التمسك وسكرا البين مثال الصبي صغير لا معرفة له بالجنة
صورتها وسلمها وسوادها وعظمها ممن يريد لاخذها فاخذها بالتمييز وابوه في تلك الحال
ونظر له انه استحسنها وعلم انه لا تدعه شهوته ان يطرحها ويرميها وانه ان
مات به وتبعه على السم الذي فيها بتلاف ما لم يعرفه وانه ما جبل عليه من
الغباوة والجهل بالامور جليلها يطبع الصبي بتلك تونلتا ويبشر له علينا بتلك معك
ويقتله ولا يحرق حيلة في استنزاعها من يده وسما عنده بكر جمالا ان يريد شيئا
ما يكره بشيء ولا يكون له في استحسانه وطمعه في تناوله كثير فتراه ويعرفه

بما أمكنه من العبارة أو الإشـــارة إذ أن هذا الذي أراد إبداله والكمعة فيه غير لغوي
ذلك الشيء والمليح الذي أخذه بيده فيحصل له منه موافقة على هذا القدر فإذا حقق ذلك
الصبي رمى ذلك من يده لما أراه ما هو أملح منه وذلك هو مراد الأب فلما حصلت في
الأرض بادر إليها الأب فبشر جهة برجليه وأزال تعلق قلب ولده بها بأن أخذ تمامها
وهز وأخفاها في الطين والتراب لكي لا يتغير قلب الولد متعلقا بما الطمعة فيه أبو له
عوضا مما تركه من أجله فبينما هو في أثناء ذلك إذ كبر وحصل له نوع تمييز وأدرك الحقير
بزايت المنزلة التي استشعر عظمتها مما كان أخذه بيده واستحسنه وعرف أنه بالضحكة
حين تلطف له في استدراجه إلى أن يسمح بطرحه ورفضه فتعلق منه من هذا لها من منة
وعرف أنه بمجرد نصحه له وأن لم يكن منه الطماع منعم عليه غاية الانعام فكيف وقد
أعطاه بدل ذلك ما اشتمل عليه الغبطة التامة واللذة المستحسنة فبينما هو
في أثناء هذا عاملا بالعلية ومغتبطا بالهداية إذ ظهر له بإشارات خفية من والده أن هذا
الذي تمسك به فيه رائحة من التسمية الغريبة التي كان أبوه تلطف به في انتزاع ما اشتمل
كل
على تلك التسمية من يده وعرف أن ما كان الطمعة فيه مما ترك ذلك الشيء والأجل لم يكن
للأب فيه غرض إلا كونه عن الغفلة التي كان يعرض له بسبب تشكله بما استحسنه من
تلقاء نفسه وهو موافقة تكون على الجملة فلما رأى أن هذا المعنى حاصل فيما أخذه الآن
وتعيير به قلبه رمى كل شيء من يده ولاذ بحقوق والده متعلقا به ولازمه وعرض أمره
إليه واتبع إشارته في كل ورد وصدر ولا يسعه خلاف ذلك ولا يمكنه سواه فهكذا والله
رجع
أعلم حال الفقير مع شيخه لأن الفقير في ابتدائه أمره موصوف بالجهل وقلة العقل فتمسك
بالتقصير إنس بعالم الحس بمنزلة ذلك الصبي الصغير بذلك من السند وللوسيلة التي لم
يكن هكذا فتلطف الشيخ له في استدراجه عن ذلك بما وعده به من الثواب الجزيل الذي هو من
جنس ما ألفه من شهواته وحظوظه فيسمح بالتقصير في جنب ذلك ولما رأى ذلك بمنزلة
متاجرة ومعاوضة فمنهم من وقف ههنا وأعرض نظره على ذلك الوعد ولم يتجاوز إلى
هذا
سواه وهذا هو حال الأكثرين ولا ينبغي لأحد أن يستحقر فإن وجاعمله من الإيمان والثقة
بالوعد لا يقوم له شيء ومنهم من لم يقف ههنا ولم يقتصر نظره عليه فلاحت لما
لاح له لائح من الحقيقة فظهر له أن ذلك كله من جنس واحد لما كان متعلقا به ومستحسنا
له من حيث هو فرمى بذلك كله من يده وتعلق بحبل الله تعالى وقال أعوذ بك يا رب من كل شيء

استحسنه وإن بدا له من قبل نفسه فإنه شاهد بأسماء الجلال وما يكون تعرضه له من أشد العذاب
وأليم العقاب فليكن مستغفرا في جنب ما تعرض له بسبب ذلك الاستحسان والإيثار
من سوء الأدب بين يديه وفي حضرته مع ما لزمه من كونه حجابا عن الحضرة فإن المعرفة باستحسان
ما استحسنه وإيثار ما آثره فلما استوى عنده أمر الحق تعالى وكان راضيا به من تصريفه في
كل شيء فكان الحق تعالى هو المتولي له وهو يتولى الصالحين وصارت حالته كلها خيرة
وأحواله كلها مستنيرة وأعماله كلها مشكورة ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله
ذو الفضل العظيم وإذا جمعت هذا في جانب الوعد بالثواب جمعت مثله في جانب الوعيد
بالعقاب فإن الناس مختلفون في هذا الأمر فمنهم من ينقاد بالرجاء ولا ينقاد بالخوف
ومنهم من ينقاد بالخوف ولا ينقاد بالرجاء واجعل ميزان الخوف في حق العبيد أن يريد الأدب
سبحانه ساريا في سر العمل بموالاة أمره ونهيه بعبارة أو إشارة ثم تلوت لها الغفر
من يرد سلوكه عليه فإنه أنفع وهذا فلنرجع الآن إلى كلام المؤلف فنقول وهذا
كله من تحكمك لنفسك وتحببك لما أردت أن يكون فيه خلاف ما هو فلا حول ولا قوة إلا بالله ونكثر
نقل فيه دخل في الأولياء الكاملين أنه لا يخلو أحد من خلل الانقباض خاطركم ممن شاهدنا من أهل الكمال
الذين يبنون تربيتهم على نصحهم من الشفقة وذلك مطلوب في الشرع أن يكون الإنسان عليه فإن
لم يحملوا على مقتضاه ولم يرجعوا إلى ذلك فكان الانقباض الذي ذكرته بسبب ذلك فهو
انقباض محمود في الشرع لأنك تركت ما أمرت به أو ندبت إليه من مواساة المساكين بما
فضل عن حاجتك إن كان معك فضل ولا يلزم من هذا أن لا تكون فيه إلا فائدة لنفسك
وتحببك لما ترى أن يكون فيه خلاف ما هو الأنفع فمن الممكن أن يكون ذلك منه لمجرد حظ الله عز وجل
لا لما ذكرت وأنت متمكن منه وإن كان ذلك لمجرد تحكمك لنفسك وتحببك لما ترى أن يكون
فيه خلاف ما هما فذلك مذموم فإن كان قولك فلا حول ولا قوة إلا بالله تأسفا على
حالتك السيئة بأنها غير موافقة لرضى الله تعالى ومحبته فيكون قد اقتضاه قولك
لا حول ولا قوة إلا بالله جميعا مستقيما وتكون الحوقلة واقعة في محلها وإن
كان قولك ذلك تأسفا على ما فاتك من هذا الحظ الدنيوي فأنت في ذلك غالط
أشد الغلط وتكون حوقلتك حينئذ في غير محلها وتحتاج عن حوقلتك إلى حوقلة أخرى
والأخرى إلى أخرى ويتسلسل الأمر إلى غير نهاية لأن هذه المراتب كلها مشتركة في
الاعتلال والدخل لأنك قصرت بذلك ما فررت منه من تحكمك لنفسك وتحببك لما

ثم اذا يكون فيه خلاص منها ويكفي في ذلك تمسكا بهذه الحالة واختيارا لها لما جاء دامت لك
ارادة واختيار ولو في رفض الارادة والاختيار بحالك فعلوا وتمت لك مدخول وانت في
اسر نفسك مكبول وان قرونيتك ان تعمل على خلاص من نفسك ونيتك ان تعمل على خلاصك من
رؤية خلاصك من حيث نسبت ذلك اليك بل لو بقيت على الحالة الاولى لكان ذلك
اسلم لك من الوقوع في حكم الدعوى التي هي من اعظم البلوى فان قلت هذا العجب من
العجب كيف تجعلون السلامة من الدعوى في البقاء على الحالة الاولى ولا تجعلونها في
الحالة الاخرى مع انكم قلتم حين تكلمتم في معنى الدعوى وذكرتم علامات وجودها
في العبادات من جملة علاماتها ان يفرح بما يعمله من الطاعات لرجاء الجنة ويحزن
لما يرتكبه من السيئات مخافة من النار وهذا الذي ذكرتم تناقض لا يستقيم فاقول
ليس في ذلك تناقض والكلام مستقيم في كلا الموضعين لانك اذا عرفت ان منشا
وجود الدعوى في العبادة رؤية النفس وترفيع قدرها وتعظيم امرها امكنك ان
تعرف كيفية هذا الامر بناء على ما ذكرت لك واحكم على كل من تجد فيه رائحة من
ذلك بوجود الدعوى فالعبادة لاجل رجاء الجنة وخوف النار مجردا من غير
ان ينضم ذلك الى اساس مستقيم فرع لانه ناظر عن نفسه وحريص على
ايصال المنافع الاخروية اليها من غير مراعاة ادب ولا عمل بما يجب لله من
الادب والعمل بما يجب ان يكون عمله لوجه الله تعالى وابتغاء مرضاته فقط ويكون
طلبه لما عند الله انما هو لما اذن له فيه مولاه حتى لو لم ياذن له في ذلك لم
يطلبه ولو ان فيه حتفه او يكون طلبه لذلك ايضا من ازالة الدعوى التي
ذكرناها فلا يجب للامر واحد يكون فيه الدعوى والبراءة من الدعوى لان التصدي
لمثل مقامات الاولياء والحرص على التوصل اليها من الدعوى الفريقة ومن هو حتى
يكون اهلية ذلك فلا يسعه حينئذ الا ان ينتظم في سلك العوام ويطلب ما
يطلبون ويهرب مما عنه يهربون ولا يكون حينئذ عنده شيء من الدعوى لما تمسك به
من الادب مع ربه بالعروة الوثقى وعلى هذا في الوجهين وما اشبههما تحمل جميع
ما الا بعض كثير مما ورد عن الصحابة والتابعين والسلف الصالح مما يقتضي كلامهم
انهم لم يصلوا ولم يصوموا ولم يحجوا ولم يغزوا ولم يعملوا عملا من اعمال البر ويجتنبوا
شيئا من الشر الا لرجاء الجنة وخوف النار وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم

خ لنيل

م قصيد

خوفهم ان تزلزلوا ولا ينبغي للإخوان يعتقدوا هذا الكلام فيهم لأن في ذلك حكمهم والغض
عنهم كيف وهم افضل الناس واعلمهم بالله واقومهم بالعبودية واوفاهم بحقوق الربوبية
وان لم يكونوا افضل منا لكني سبيل الحق فهو الذي يسلكه غيرهم فقد بان لك من هذا الكلام
الحالة التي يكون العبد فيها مدعيا والحالة التي يكون فيها بريئا من الدعوى فالحالة
التي يكون فيها مدعيا اذا جعل نفسه عمدة وهو من عمل ابطال المنافع المنافي غير ان يكون
له شعور بما يقتضيه الحق تعالى منه من القيام بحق عبوديته سواء كان هذا الشخص
سالكا سبيل العامة او الخاصة الا انه عند سلوكه مسلك الخاصة اكثر دعوى لانه
لم يرض لنفسه الا المقام الرفيع وهو بعيد من عمليه ويجتهد في طلبه والحالة التي يكون
فيها بريئا من الدعوى ان يتحقق بالعبودية لله تعالى ويخشى ان ذا باطنه ولا يرى
في نفسه اهلية لمقام ولا حال وهو في الحقيقة قد حصلت له كل المقامات والاحوال
ثم يلزم الكون في درجة العوام من طلبه لزوايد الانفاس وعوايد الاكرام من غير ان
يجعل لذلك سببا من عمل يتعبد به لربه هذا هو الولي الاكبر وان كسبه الى الحكم الذي ترده
من الدعوى ويحصل في محل المشاهدة والحضور من غير ان يكون لرقيب نفسه شعور بذلك
ولا اطلاع عليه اذ لو شعر بذلك واطلع عليه لسودت سعادته واوجبت حرمانه
ويتعلق ويحصل في التمكين الدعوى التي هي اشر البلوى فما قد علمت ما قلت قد كشفت في
من كلامي المحل الذي يكون العبد فيه مدعيا او المحل الذي يكون فيه مدعيا وزال عني ما
كنت توهمته من وجود التناقض في كلامي ولاكن ضد بان اتحقق بما اكون به بريئا من
الدعوى كيف وانا في كل حال الا اشعر الا بحظي وشهوتي فتجرني ابدا اغتباطي بالدنيا
واستحليها واذا نلت شيئا منها فرحت بذلك اشد الفرح وان فاتني منها شيء ولو
الهمة اوجبة وان لم يكن في اتى ذلك كبير احتياج تقوم على الفاقة وتخرج مني الاخلاق
المبارزة فاذا كان هذا حالي فيما شانه ان يفني ويتفدين مع تفاهته وحقارته فكيف
تكون حالتي في الدرجات والمقامات التي تحصل بها الذات الابدية والكمالية
السرمدية اذا فاتني ذلك وعبتني فيه الصالحون والعابدون والزاهدون ومع نفاستها وغبنني
وعظيم قدرها ورفيع خطرها فلولا ان نفسي وافية اما في كل السور لم تكن هذه حالتي
فكيف يمكنني ان اكون بريئا من الدعوى مع هذا اخذ من الموصوف ورد مشرب فاقول
لك يا اخي كلنا في الدعوى سواء فتعال فلنطلب الدواء والا كن خل هذا كله

واجبني

وأجنبي عن شيء إذا سئل عنه الشيخ فقد يحصل في رأسه وفي أمورك فما أشرت به إليه
من أمر الدنيوي والحالة المرضية فيهما والحالة الناقصة وكذلك فسبيلها محصورة
بكلها إن تعلقت بها كثير إحسان دنيا ودين فإن قلت في لا أسكت عنه ولم أعاود لك كلاما
ولم أداولك سفاهة ولا إبلاغا فيه شيء من ذلك وإن قلت في بلوى أقوالك فقد وجدت من
ذلك مجانا فإن الغرور كثير إذ من يعجبه شأنه وجدانه مع بلوغ الغاية في الجد والاجتهاد
ومواصلة الوظائف والأوراد والتردد في الخلوات والقفار وإدمان التفكر والاعتبار
وصحبة الصالحين والأخيار وأنت تضحك منهم وتستهزئ بهم وتعتقد فيها النقص
وغيبا وتهم من أين لك هذا وبأي استحقاق نلته وبأي وسيلة توسلت حتى أعطيته
وأنت قد نشأت أحمق مع الجهال وقطعت عمرك في مجادلة السفهاء وهذا لكة الصبيان
جميعهم من المعايب ومعايشة من أعواديين في الدنيا من ومثله الذين الذي لم ينعم الله
تعالى بأيديهم نعمة ولم يكن إليهم نظر برحمة قد سلبهم دينهم بالبليات وجعلهم
ويكنا في الكلمات من غير جناية سلفت ولا خطيئة اقترفت وأنت بعيوبك ومساويك
تتقلب في النعم الدينية والدنيوية كما ترى وتمكنا فبلغها من أمانيك وشهواتك فما
يمكن أن يكون غاية المستر وقد قال بعضهم كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه إذا
خطب يقذر إلينا أنفسنا خرج أحدكم من مخرج البول مرتين وإذا سلكت مسلكه في
ذلك ولكن بنسبة ما نحن فيه وقد نسب الله تعالى الإنسان في مواضع كثيرة من كتابه
إلى معايب ومثالب تضمنتها نشأته وافتتحها بكم نقصه من الجهل والضعف والظلم
والكفر وغير ذلك كل ذلك ليذكره حالته التي تقتضي منه تركها رضا فلازمه خسران أدب
بين يديه وفهم ممن عليه وإن لا يرى لنفسه استحقاقا لشيء مما لديه بل يرى أن
قليل ما أعطاه أكثر من كل كثير بل لا يستحق نظرا إلى شيء يمكن أن يفيض به فالحكمة
فليعلم المؤمن بأنه نزر يسير وعند ذلك يحصل له من الفرح بربه ما يقتضي منه كل
بغل مستر وحال مستمسك فيقتضيه سلامة متعلقة من أن يكون بريا من الحظ الباطن
في نفي ذلك بل يشاهد حول نفسه ولا قوتها أين نفسه منه حينئذ وإنما يرى ذلك
من قبل الله تعالى وفضله ثم ينقلب نظره إلى نفسه فلا يرى منها إلا الجميل وكل ما كان يشاهد
قبل من أمر الخلل والنقصان يراه الآن في غاية الكمال لأنه في عين الجمع كما قال ابن عطاء
في مناجاته إلهي كيف لا تحسن أحوالي وبك قامت وإليك لست أعني بذلك أن تغير

تعالقة

ودنياهم صح

فيخفف صح

بسل م

المعصية كالطاعة والمخالفة تعود موافقة وانما نعني بذلك ان شهود الاشياء من
غير واحد لا يتشتت فيها نظرك ولا يتفرق لان مرجع ذلك الى شهود الكمال المطلق
فاذا كنت فيها وبجميع ما قلناه لك فافهمنا معرفا واستضاءة بهذا المصباح
والنبراس ولا زلت تذكار ما نبهتك عليه فهمنا من شهود الافلاس وقلت ما يقلقه
القلب اذا رءا الناس لم يبق عنده له ذرة من غوث تزول بك الى بلوى لانك حينئذ تتحقق
بعبودية المولى وليس التحقق بها مما يقتضي تكليفا وتعملا اذ لو اقتضى ذلك لكان
فيه اعظم الدعوى وكيف يمكن ان تكمل الدعوى بالدعوى بل هو محض هبة من الجواد الكريم
اما ان تكون هذه الهبة مرتبة على هبة اخرى من عمل صالح يوفقه له وهذا هو حال
المريد او يهب له ذلك ابتداء من غير تقدم شيء وهذا هو حال المراد ولا يلزم من حصول
هذا المقام للعبد ان يشعر به بل قد يكون شعوره به مما يكدر صفاءه ويكشف غطاءه ويكون
من جملة هواه بعد ذلك الشعور ان يجري على كما هو له من الرعونات والدعاوى وما يوجب
له نظرها لنفسه ان يستعظم كل ما يبدو من حال او مقام ثم يلقى في نفسه ان هذا النوع من
الحظ مما لا يمكن ان يكون ويكون مستندا في ذلك للاول وامارات لانتحقق كل هذا يخرج
عنه بالكلية ولا يبقى لنفسه من نفسه بقية **فان قلت** هذا كله حق وصدق بيان
ومن اين لك ما ذكرته ان من نسبتني الى مقام الولاية ان اقدر ان ارد عليه لاني في ان ارد
عليه لا اعتمد الا على ما تقرر في نفسي ان هذا من الصفات المستقبحة والافعال المستكرهة
ما لا ينضبط لمقام مع ان ذلك يحتمل عندي ان يكون له محمل صحيح ويلزم عليه ايضا
ان في نفسي على اي حالة تكون ويلزم عليه ايضا ان يصح في مقام الولاية لكل احد
ولا يتحاشى من ذلك **فاقول** اما قولك هذا كله حق وصدق بيان فقد يكون هذا
منه صحيحا وقولك من اين لك هذا فاقول لك اكثر من ان امور ولست التزم لك
ان كل ما ذكرته لك هنا هو الا يتبين وانما ذكرت لك ما ظهر لي وليس ما يظهر لي
يكون حجة على غيري ولو قدرت ان يكون حجة على غيري لا تتشبث مع اهل الدعاوى لانه لا
تسمح نفوسهم بالانقياد الى كلام لا حجة عندهم عليه بل يقدم به ربه وجده صاحبه
ولا يبالون بذلك ومثل هذا العقل ينفعهم حتى ان منهم لا انشغل بذلك وقولك
ويلزم عليه ان من نسبتني الى مقام الولاية لا اقدر ان ارد عليه فاقول انا الزم ذلك
التزمه ولا اخشى من ذلك من غير الله تعالى وانما لا تقدر ان ترد عليه لانك لا تدري

م
هذا الصلح
على قال

عند الله تعالى وليه تعالى أو غيره ولست بمأمور أن تعرف صحة الأمر في ذلك والغير من حيث
هو غير لا يلزمه أن يتعرف هل هو للآن راض عليه أو ساخط إذ لم يؤمر له في ذلك وإنما
يجب عليه أن يبذل جهده فيما يرى أنه يرضاه في ظنه وحينئذ يكون عند ربه ما كان وكما لا تقدر
أن ترد عليه في تغييرك أن تقبل قوله وقولك ويلزم عليه أيضا أن رضي عن نفسه
على أي حالة كانت فأقول ما أن تفتيشه من ذلك التزمه لأنك إذا كنت لا تشاهد
أن الله تعالى كنت محجوبا عن رضاه عن نفسك من هذه الحيثية أمر مطلوب منك فإن
عملت على خلاف ذلك مع أنه لا يمكن والله أعلم فهذا أوجب لك مناسبة وهكذا لبقية
قولك ويلزم عليه أيضا أن يصح دعوى قطع الولاية لكل أحد ولا يحتاج شرعي
ذلك فأقول لا يلزم في ذلك وليس في كلامي ما يلزم منه صحة هذه الدعوى لمن
ادعاها وغاية أن يجوز وقوع ذلك وهذا التجويز ليس له فيه متعلق ولا ينبني عليه
حكم وهو من جملة أحاديث النفس وأمانيها ووساوسها فهذا تحرير ما قلناه
هذا الكلام وعلى رسول الله الصلاة والسلام فهذا نوع من الكلام الطالوي فيه قد
جاء على لزوم غير معهود فهذا إن كنت تركت الكلام على مثله والتوغل على أمثاله
والكثير وفيت فيه بالغرض وقمت فيه بالواجب المفترض بحمد الله تعالى وحسن عونه
وما اعتمدك فلان حين قرأت عليه كلاما من كلام صاحب الرسالة حتى احتاج
بسببه إلى ادعاء الحروف في البيت بشيء ولا يحتاج إليه إذ لم يعتمد صاحب الرسالة
بذلك إلا أن اسم العبد أشرف الأسماء والمسمى به حينئذ يكون من كان فيستقيم
الاستدلال على ذلك بتسمية الله تعالى رسوله باسم العبد ويستقيم الاستدلال على
ذلك بتسمية الشارع نفسه باسم العبد وما احتج به من أن في إضافة نفسه إليها
سوء أدب ليس بشيء ولا أدري كيف صدر منه مع ما هو عليه من كمال الإدراك ونفوذ
الفهم ولكن تفوق العامة الرحلة تحجم وتغيب وكيف تكون إضافة الشارع نفسه
إليها سوء أدب وحاله في التسمي بذلك لا يخلو إما من أن أحد من يصح أن يتسمى بذلك
لأنه قريب من محبوبيته أن تسميته نفسه بهذا الاسم من رضي عنه فيكون في ذلك متبعا
لرضاه فلا يكون في هذا سوء أدب لأنه لم يحرف شيئا مما لا اتزا به عليه محبوبيته
ولكن على هذا الوجه يكون ادعاء أن ذلك أشرف أسمائه عند ربه صحيح ويستقيم ما
كنت قلته في ذلك الكتاب من قولي ولعلها أن تسميه اللازمة وهذا وقد زعمها وقد اشبع

عند

لا تقبل قوله

الأمر

هذا إنما تسمّى به كل مدّع مغرور لأن ذلك إنما صدر منه عن اختيار منه وإرادة بخلاف الذي هذا
الوجه فرحه ومرحه وعجبه من التي توجب بلاءه كلها هي ثابتة لا يعرف ولا يشغله
وإنما قلت إن هذا الوجه مرجوح لأن صاحب هذه الحال التي فرضناها من كونه يطلع
على ما يرضي محبوبه وما يسخطه يكون فيه من العيش كيف العيش مع محبوبه فيستغرق
القلب فيه فلا يكون له مساغ للتكلم مع الغير فضلا عن الشكوى إليه به كما يعلمه
هذا الشائع المتبادر لأن ذلك إنما يكون من نهاية البلاء النازل به من جهة محبوبه
من الهجر والصدود وما هو شبيه به من الإبعاد والكيد والإذلال يقول يا عمرو نادى بعمر
زهراء كان زهراء فما تلقاه وهو يطلب من عمرو أن يأخذ بيده منها وإن هذا الذي أنا
يتسمّى بذلك من قبل نفسه ولا يفهم حالها في ذلك مما رضيت به أو سخطته وهذا
هو الراجح بل المتعين لما ذكرت لك وليس في إضافة اسمه إليها باسم العبودية سوء
أدب بل هو حقيقة حسن الأدب لأنه أنزل نفسه معها في المنزلة التي لا أحط منها
بالنسبة إليها بحيث لا تكون له معها مشاركة في اسم ولا صفة فلو ذكر بدل العبد
الصاحب أو الخليل أو الجليس أو المحادي أو الحبيب لكان ذلك متضمنا ما ذكر من
سوء الأدب وغاية الأمر في تسميته باسم العبد أنه عرّض نفسه للمتكلمين والملام فيقول
له الكاذبون يا أيها المدعي العبودية فيها إنك كذاب في دعواك لأنك لم تقم بحقوق ذلك
ولم تؤد ما يجب لها عليك هذا هو متنقص وما يمكنهم أن يعنفوا عليه به لا جرم يقول
لهم هو صدقتم يا إخواني فيما قلتم وعندي من أنواع الكذب والبهتان في جهتها ما لا
تعلمون بحيث لو نسب ما ذكرتم إليه لتلاشى في جنبه واضمحل فليت شعري أي شيء
يقولون له بعد هذا يقولون له لا أنتم نفسك عبدها فإن في الواقع ذلك فيقول لهم
أي شيء اسمها دلوني عليه فلا يجدونه البتة لأن الارتباط حاصل والنسبة ثابتة
كما تقول العامة في مثل ذلك لا زوال من الزوال فلا ينتقل عن ذلك الاسم الذي تسمى
به إذ بالكبر فيها والنفاد غير ممكن بل لا يمنعها وحينئذ يكون قد حسن الأدب معها كما زعمه
من هذا إضافة نفسه إليها باسم العبودية سوء أدب ولعل كعب بن مالك رضي الله
عنه وهو أحد الثلاثة الذين خلفوا لم يلق في تلك المدة التي هجره فيها المسلمون
فلم يكلموه ولم يسلموا عليه ولم يردوا عليه من البلاء أعظم مما لقيه حين دفع إليه
النبطي الكتاب الذي كتبه إليه ملك غسان يقول له فيه بلغني أن صاحبك جفاك

بيتهم الى النبي صلى الله عليه وسلم ولم يجعلك الله بذا رفقوا ولا مضيقة بالخروج بنا
نواسيك فانه كلفة في ذلك خفة حسب وسامة فيه ان يخرج من كنف محبوبه ويتم له
الايواء اليه ويتميز غيره بالامنة بكثير من هذا الا ان مانزهه صاحبنا من اضافة
الشاعر نفسه اليها باسم العبد سوء ادب مع حقيقة حسن الادب فضل الاعراب يكون فيه
سوء ادب وقوله ومن هو حتى يضاف اليها هو شخص مسكين ذليل حقير قد قهرته بعزتها
واستولت عليه بقوتها ولم تدع له عرقا ينبض ولا عضوا يتحرك فاي شيء يفعل هذا
المسكين ان يقدر على الخروج من قبضتها والايواء الى غير حضرتها لا والله لو قدر على
ذلك ما توهم ان له قدرا او ادنى شعور بما لم تلتفت اليه بعود ولم تعده كشيء موجود
فضل الاعراب تكلفه فيما لديها من كرم وجود فالاضافة اليها حاصلة سواء فعل
ذلك او لم يفعل فيقال له يا اخي ان ما احتج به على اي حال يكون هذا الرجل فاتها بجنس
الادب سيء وما ذكرت لك انه زاد عليه رحمه الله واخبرني انه لم يرد نسبة نفسه اليها
سوء ادب ولم تعد نسكو الادب بها وكلبه من صاحبه اذ يا اخي اذا زال فيها سوء ادب بين
في ذلك رحمه الله وقال صحائف من الحذف لا يستقيم لانه لا يجوز حذف الحركات والحروف
وتغيير صيغ الكلام التي تتغير بسببه المعاني في نثر ولا نظم ومثل هذه المسألة وقد قالوا
فيها وفعل نسبه ما تقوله العامة الجنازة حصلت والميت فقط وقد كان حكم في
اول الكلام في هذه المسألة حتى ارى ما الذي يتجدد عند صاحبنا من نظم غير ما الذي
حل هذا الكلام حتى انظم فيه ولكن سمعوا الكلام في هذا جملته على رسم كل ما تقدم فان
تجدد له نظم آخر فيما نتكلم عليه ان شاء الله تعالى بما يليق به في ذاك والله تعالى ولي
التوفيق ولولا ما استاذتم في مسألة ذاك البيت او قرأته لم يقع منا هذا الكلام كله
مع الكلام المتقدم في الكتاب الذي قبل هذا ولا اظن ينفعكم ما قلنا او ينفع الله تعالى
فيه البركة فلو كنتم تعلمون علم العروض واحسنتم في سياقة ذاك البيت لم يقع منا
شيء من ذلك فاذا عرفت هذا لم يسعك ان تنكر على من يقول العلم حجاب وان كان المعنى
في هذا الكلام يخالف المعنى الذي سيقت مراحله ولكن حذرنا الاشارة فقط ثم نرجع
من هذا الى امر آخر وهو ان تعرف ان الانسان قد يحب شيئا وليس له قدرة ويكره شيئا
وفيه كل القدرة ارايت لو اني تكلفت مؤونة السفر من هذا الموضع الذي قرب وقت
الانتفاع به من الوجه الذي كنت ذكرت لكم وقد ثبت لعندكم الى فاس بلد السادات والناس

اضافة

فيه

حيث ينفرد كل واحد منكم بداره وعمته وقرابته وخطيبته ويرعيني منهما في تلك الطريقة القليلة المقدار الضيقة لاه وتكدار المستمرة في اعين التكدار التي ليس فيهما استجدار ولا انوار ولا ازهار كيف يقع في بدل هذا الكتاب العجاب المشتمل على لباب الالباب الذي اذا اجتمعت ونكرت في اوراقه لم تعرف الكثرة الكلام الذي فيه او لامس امس ولا بالهنا من كلامه وما ذاك الا الغيبة عنك التي لا تجمعها انت ولا اجمعها انا ولو كنت بحذاي لم تكن ان تسمع فيه كلمة من مثل هذا ولا ان اكتب لك ما سكن فيه فكثير من هذا ان في ولكن في غيبتي عنك وغيبتك عني خير كثير اذ ان لم يجب ذلك لا انا ولا انت أما الخير الذي في ذلك من جهة الاخ الذي هو التي في عمامته وهو مفقود له عندنا وأما الخير الذي لك في ذلك من جهة ما يحصل من مثل هذا الكتاب الذي ربما يكون فيه هو اله ومثاله ثم ينتفع الى هذا سلامة خاطرك من الهم الذي يحصل من جهتي ومن اجور ذلك انك اذا خلت على في تلك الطريقة ووجدتني مهموما مغموما تقدر بحيلة ينتعش بها الروح والنسيم لك احد من عادتك واصحابك بما تنبع عن مثل الاقلام جزاه الله خيرا واعلم لا احد ولا كن هذا كله كان فيما قبل اليوم واما اليوم فقد عم البلا واشتد الغلاء وقل ومتسع القضاء واشتد في الزمان والتلاشي على الاشياء فخرج بذلك كل احد عن عقله وحسه وصار بحيث لا يهمه الا امر نفسه نسأل الله العافية

فما الناس بالناس الذين عهدتهم * ولا الدار بالدار التي كنت اعرف
فصبرا اخي في النائبات فانها * اذا دعيت اوقاتها عنك تصرف
وثق يا اخي بحبيب يرتب في الاسى * تؤمل من فضل به ينكشف
فان مال العبد حسن يقينه * بمولى كريم وهذا ليس يخلف

وهذا كله مزاح مليح وفي ذكره هنا معناه غرض صحيح والله تعالى ولي العفو والغفران بمنه وفضله **وبعد** فقد كنا قد قدمنا لكم في بعض كتبنا اليكم ذكر بعض علامات وجود الدعوى في العبد وان من جملتها كراهية الموت وهذا ليس على اطلاقه بل لابد فيه من تقييد وتخصيص فاذا اخرج منه ما اخرج صار سائر محتملاته غير متساوية بل متفاوتة الدرجات متباينة المراتب فاردت ان يقع منا الكلام تنبيه على هذا كله لتتم بذلك الفائدة التي تذاكرنا عليها في هذا الوقت المستكبر الذي كسر فيه سوق الدين وعمي فيه اكثر الناس اجمعين الا من رحم الله تعالى فنقول كراهية الموت لا تخلو

من ثلاثة اوجه فقد يكره العبد الموت لبعضها او لجميعها الوجه الاول ان يكره العبد الموت
لما فيه من وجود الالام التي تذكر فيه والثاني ان يكرهه لما يفوته بسببه من هذه الحظوظ
التي الفها وانس بها والثالث ان يكرهه لما يفوته بسببه من الاعمال الصالحة التي يرجو
عليها الاجر والثواب في الدار الاخرة اما الوجه الاول فالكراهة فيه كراهية طبيعية
لا يتصور ان ينفك عنها بشر ومثل هذا لا يدل على وجود الدعوى في العبد ولا على صاحبها
لا يخلو من عبادة اذ لا بد له من ذلك سواء كان اوفر زهدا في الدنيا او لا والامر في
السببين ولكن يخفف منها معرفة شيء وهو ان كل ما ذكره الناس في الموت من الشدائد العظيمة
المجاوزة للحد وخصوصا المحاسبي في كتاب التوهم والاهوال والغزالي في كتاب ذكر
الموت من الاحياء ينبغي ان يتامل وينظر فيه ولا يشك في حصول الالام ولا في حصول ذلك
المقدار الذي ذكروه لم يكن عندي ان يعتمد فيه على اطلاقه اذ لم يذكروا في ذلك نصا يجب
قبولها يعتمد عليه ولا رجع اليهم احد بعد الموت يخبرهم بحال الموت وما ذلك الا امر
مما القاه اليهم هذا وغاية ما يستندون فيه الى حكايات لا تخلو من التهمة وانها
ليست في الغاية من القوة فالذي يظهر فيما قالوه واعتقدوه واعتمدوه للدين صاحبه
لا تشريحا في حاله وتكريرا في بلائه فاذا امر احوال ذلك في معنى شيء كل واحد
بدله وتخفيف الكراهية التامة للموت لا سيما ان شارفه او قاربه فيهما فعليه
عند استشعار حزن ذلك من زوال عقله قبل ان يموت وقد يقع في سوء الخاتمة فيختم له
بخاتمة السوء والعياذ بالله فالحزم يعني للعبد ان يعرض عن كل ما قالوه من ذلك المعنى
ويلتمس ان يجد ما يغير في وجهه من نص صحيح او سقيم او امارات او علامات فيستشعر بذلك
شيئا من الراحة وسكون النفس وحسن الختام ولا يعظم له ذلك شيئا فاذا اشرف على الموت
بقي على عقله وذهنه ولم يحصل له كل ذلك الكراهية فاذا وقعت المعاينة وقبض الروح
كان اذ ذاك الامر خارجا من يده فيلقى ما قدر عليه مما يوافق ما قالوه او يخالفه بعد
والحاصل من هذا ان يحرص على ان لا يكون له هم من هذا ما امكنه ولا يوقعه ذلك في حيرة
ولا يهمه فانه وانا لا اتعجب من الشيخ الغزالي في كتاب ذكر الموت فانه اكثر في ذلك
كل الاكثار وابلغ فيه واعاد وابدى في ذكر حال الموت ومنتهى شدته وشناعته في
معرض انه يستعمل منه الناظر فيه فائدة من زيادة في طاعة او نزوع عن معصية حتى
ذكر في جملة ذلك حال النبي صلى الله عليه وسلم في النزع وكذلك احوال الخلفاء

الراشدين ولكنه قال فيه فاقتنعنا فإذا كان هذا حالهم على ما هم فيه من الكرامة
والخصوصية فكيف يكون حالنا ولا ادري كيف يصح هذا اذ لا مدخل لشيء من ذلك فيما افتقر
من جملة الناس للخير الا لو كانت كلما عمتهم تخفف عنهم تلك الآلام وتخفف عليهم تلك
الشدائد العظام وذلك غير حاصل بدليل ما ذكروه مما لقي رسول الله صلى الله عليه
وسلم من شدة النزع مع ان احدا لا يمكن ان يفوقه في طاعة ولا تقوى بل لا يدانيه الناس في
ذلك البتة على حال وانما تقع الفائدة من ذكر الموت لمن تذكره من حيث لا ينبغي التمني
واما ذكر حال الموت وشدته وكربه فلا مدخل له في ذلك البتة فيما يظهر لي بل العامة
ومعظم الناس الذين لا خبرة لهم من ذلك البتة حصلوا على ان شدته ولذلك تجد نفس احدهم
في معارك الحروب ومعاطب الغزو والضرب اقوى منه نفسه ذات بخلاف من عنده اخبار من ذلك
او استشعار له فانه يفزع من كلمه فاذا انزل به ما لا طاقة له به فلا تسأل عن حاله ومقاله
كلام جرى اليه ما كنا بصدده من التكلم في هذا الوجه وانا فيه كالسائل الحسن شيء وان
كنت في جميع ما تكلمت فيه كذلك فالمراد منكم ان تعرضوه على كل من امكنكم ممن يشار
اليه بفهم او علم حتى تنكشف واما ان يوافق عليه او يخالف وتخبروني بما يكون من ذلك واما
الوجه الثالث وان كانت الكراهية فيه كراهية كيفية ايضا الا انها رعونة مذمومة
دالة على وجود الدعوى في العبد لان حبه البقاء في الدنيا على هذا الوجه انما هو لتحصيل
له منفعة جسدية والتلذذ بماله وولده مدة مديدة ولو ألف سنة فتلك انما هو سلوان
المقصود وكل شيء ينقضي ويصير لا فائدة فيه بل انما كان رعونة حين امر وجوده لانه
اذ ذاك يقع له انس بالدنيا واستئناس بها فيحصل له ما ذكرناه من كراهية الموت
وبقدر تمكنه في ذلك تشتد كراهيته له فاذا انزل به الموت كان حاله اذ ذاك حال
من ينشر بالمناشير او يقرض بالمقاريض لان ما كان له ما زعم يفوته ازواج وصلاح
يستشعر ان يخلفه في ذلك اعداؤه وكان عدوا له ثم انه في كل نفس يبقى فيه في الدنيا
بقدر ان يتعذر عليه بعض ما ألفه وانس به وعند تعذر ذلك يلقى من البلاء ما
قل ومنه ومالك وقد كان في راحة من ذلك لما قال ابن عطاء الله فما تفرح به يقل ما
تحزن عليه وبقدر حبه للدنيا يتحقق في وجود الدعوى وهذه الدعوى وان تمكنت لا
اعتبار بها اذ المحقق صاحبها انه في حاله تلك على غير شيء وكأن هذا التمني منه
على ظاهره امل من استمداد وحسن اوليائه وعلى بشرط ان يكون هذا التمني والظهور منه

لعل الله تعالى لا يستجلب به حظا ولا يبرئ من نسبته بغلط والا فيكون قد ورد من الدعوات التي
ما هو اعظم منه. **واما** الوجه الثالث فالكلام فيه وان كانت عند عامة الناس
من القربات جيدة علامة على الدعوة العريضة من العبد وفي مثل هذا يقال حسنات الابرار
سيئات المقربين لانه لو يفيق عما نوح يضر بجبهته ويعمل من اعمال البر ونحوها فيه
فلا شك ان من هذا غرضه فيما يفعل به افضل من جميع ما يفعل ولا نسبة بينه وبين ذلك
والذي يظهر لي ان التصور في هذا الوجه ان يحصر عنده ما ينبغي به وجود الدعوة عنده حسبما تقرر
من التسمية الذي قدمنا ذكره اي لا دوالكنا مع انه لا يتصور وغاية الامر ان يكون اخذه
لذلك تقليدا بحيث لا يكون له فيه كما نية قلب ولا انشراح صدر وهذا لا ينقص من
بركته من الدعوة **واما ما ذكرتم** من انكم حين قراءتكم على فلان ذلك الكتاب الذي
فيه الكلام على التفضيل بين الانبياء عليهم الصلاة والسلام مررتم ثانية بترتيب التعقيب
فيه فقال لكم كيف يقول فلان ولعلها الا تسميه بذلك وانما تسميه عند هو منه انها
وما اشبه هذا انما تسمى به كل فرع معروف مع انها قد سميته عندها في البيت الذي تقدم قوله
من اعجب ما رايته في كتابكم هذا وقد بلغ فيه التعجب كل مبلغ وقلت كيف يشكل هذا الامر
الواضح على مثله من النبلاء العقلاء فلا رد ولا رد حتى فكفوا في ذلك وقفنا طويلا
وركضوا في زوال الاشكال الذي عرض لهم بما راوه من كلام فلان ظاهرا واضحا فبينما انا انتظر منكم
ان تتكلموا من تلك المسألة على ما ادعيتم فيها من شيء تحار فيه الاذهان وتتحير فيه العقول
اذا بلغ قد جاوزتم ذلك وما وقفتم مع شيء بلغ الغاية في الظهور والبيان والله المستعان
وانما جاء لكم الاشكال في الكلام الذي ذكرته والله تعالى اعلم من قبل انكم توهمتم ان قوله في
البيت لا تدعني الا بيا عبدها اخبار من المحب عن محبوبته انها انما تقول له يا عبيد تناديه
بذلك وتسميه به فقد سميته عندها فكان ذلك من اشرف اسمائه عندها وليس ذلك
بصحيح اذ لو كان صحيحا لم يقل لا تدعني وانما يقول لا تدعيني على هذه الصيغة يكون الاخبار
عن المؤنث كما تقول هند لا تغضبيني ودعد لا تحزنيني قال الله تعالى فانظري ماذا تامرين وحينئذ
لا يتزن البيت المذكور بل لا يكون له معنى تنشرح به الصدور ولو حفظتم البيت الذي قبله
لظهر لكم الشمس ولم يبق عليكم في الكلام اشكال ولا لبس وهو قوله

* يا عمرو قلبي عند زهرائي * يعرفه الحاضر والنائي * لا تدعني الا بيا عبدها

البيت فقوله لا تدعني الا بيا عبدها صيغة نهي يخاطب بها عمرا المذكور فهو يقول له

تدعيني
تغضبيني
تحزنيني

يا عمر والتدريج الا بتلا عبوديتنا فلانه اشرف اسمائي عندي والاول يتنا الذي هو عند من هنا علينا مما ذكر تموه من
تسميتها اياه عبوديتنا في ذلك الكلام حتى احتجتم الى ما يزول به عنكم الاشكال والايهام والاجمال
ووضوح هذا الامر ولكننى رايته عند رسم هذا الكلام حتى لا ادري اصادفت فيه الغرض ام لم افهم
شيئا مما اعترف به على المعترف فهذا العوض بذلك واخبروني بما هنالك وما ذكرتموه في
الكلام صحيح المعنى من وجه لو احتيج اليه وانما قلت من وجه لانه لم يبق في كل حال من احوال
العبد يقع له الابتلاء والاختبار بل له في احواله كثيرة لا يستطيع فيها ابتلاء ولا اختبار
منها هذا الموطن الذي رضيتموه من انما سميته فيه عبوديتنا وناديته بذلك وذلك لما خبرته
والاختبار منها في غاية الصدق بما اخبرت عنه بالعبودية حتى علمت منه تحققه في ذلها بالكلية
ومن مقتضى تحققه فيه ان لا يكون له حظ ولا هوى ولا ينبض عليه عرق من عروقه ولا عرق ولو
سمعت منه ولو بجة من هذا لم تسمه بذلك الاسم ابتدأ بل لو كان شيئا لما رضي العبادات كلها
لكان من حقها ان تنبه عليه ولا تدع شيئا من المقابح الا وتنبه اليه ولا ترى من حسن نظرها
اذا ظهر بها الا ان تنبرفع منزلته ولا تظهر شيئا من محاسنها اليه لا من مقتضى الكبر المالوف
منها الا تعتقدا ذلك مع من فيه بقية من نظر لنفسه فكيف بمن تنوي فيه بقية من ذلك
فاذا رايتها لم تفعل معه شيئا من ذلك مع وجود تلك البقية علم من ذلك انها اكرمت
مقامه حاجبه وتغطية عورته والعالم بهذا ايضا لا يعتقد ايضا فيما تعامله به من معاملة
حسنة ابتلاء ولا اختبارا بل ربما يكون بهذا الاعتقاد والرؤية سببا لا دوب متخلفا الى
الشغل شاغله من اعلى الرتب واي فيمنه له او مقدار حتى يقع منها اليه ابتلاء واختبار فكل
ما ذكرتموه ان لم يقدر احد من اهل هوى ان يشتغل الى ان يستنبطه او يخترعه فيما يظهر
اذ لو قدر على ذلك لكان اولى الناس به ذلك الرجال الذين رضيناهم ولم نجد امكننا فيه
لا يخلو من قصور اذا حكيته بالمعنى الذي تحصل في يدي وتعرفت به كتبي يا اهل الحضرة انه لا
يتعطل لنا فيه الا ان كان بالنفوذ عارفا **وقد بلغنا منكم** بعض الطلبة كلاما
اثنايا بعد ان كنت متشوفا الى ان يرد علي منكم ما يسر في جانب الله ذلك ولم تزد فيما اربا
ربه وتمة من ثلاثة اوجه احدها وهو اعظمها انكم ان تركتم شيئا من حجة بما انا اتخلص فيه
وامر من اجر معكم بحاليك بعد هذا كله في ابلاغه والثاني كونكم كنتم عني ما كانت تلقيته
تلك الا من فكر المصنوع بعد ان ذكرتم الذي قصرتموه بهذا ولو لم تذكروه لما عالجتكم بذلك والثالث
وهو اخفها كونكم لم تشتغوا عنوا الاخبار بالجزء بل انتم تعلمون انه متشوف اليها جملة

هذا ابلغ الامكان
بيان خرج فيه
التحقق وبلغ

ثم
الشمس

او وجوه الثلاثة سواء تبين منكم ولا فرق الى البيه ولو سكتت عما معنا ولن ازد عليكم ولا اقابل بشكوة
ما ورد على منكم لما اوجب اهتمامي لكلام الذي فيه صوابا والخلل عليه عتابا ولا اعتابا ولاكن
لا اجعل ذالك بل اتكلم لكم على تلك الوجوه وغيرها بكلام ينفعكم ولا ادري هل يقع ذالك ام لا
فاقول اما الوجه الاول وهو كونكم لم تفهموا الجملة مما ذكرت لكم بعد ما جمعت ذالك من مواضع
من كتابكم من جملتها سؤالكم عن المقام الذي ذكرت انكم فارقتم ان تدخلوا فيه اي شيء هو ولو
كنتم احكمتم علما بالفاظ مخصوصة ومصطلحة تضمنتها الكتب اليكم لم يشكل عليكم ذالك واي فرق
بين تلك العبارات وبين العبارات التي ربما اعبر بها في بيان ما طلبتم منا سابقا فكما استعجمت
تلك عليكم تستعجم هذه بالوجه الذي استعجمت تلك واي فائدة لتكرار العبارات مع تيسير
جمعكم عنها وما مثله الا كالامثال من اراد ان يلصق كفيه بحائط بلا بين لا شك ان الشيء له
ينبو عنه ولا يقبله فان اتقن ان يلتصق به شيء فلا بد ان تكون فيه قابلية يستعبر بها منه
الحائط وقد تقرر منه اختبار لكم بالمعرفة على انكم لا تاخذ معكم في شيء من ذالك المعنى
فعلقت في الاخرة ذالك الكتاب الاول الذي تضمن الموضع الذي اشكل عليكم والغالب جمعي من
التلبيس ومن المواضع التي جمعت منها ان فلا استكم عما ذكرت لكم قولكم ان الغالب على احابنا
فتور واذا انفكت الرحلة انقبضت لاجل ما يقرب من النور فاذا افترقت عن ذالك صحا ونكرت
الى نعم المولى الذي افترقت العبر عما احد من السرور فانا مشر كانه الى التيسر رهبى ويستغيب
غلبت الحالة الاولى على حزني وعذه العبارات وان كانت صحيحة معقولة المعاني فما عند
من شئنا من الحقيقة مردود ومنكر ولو انكم تمكنتم للدخل الذي فيها وفهمتموها لما
محوتم تلك الاسطر التي اعتذرتم عن محوها لكان ذالك عليكم احق ويكم التي ومما تضمنه -
كتابكم مما يكاد ان يخرج به قلب الانسان بعذر ان كنت نهيتكم عن مثله فيما خلا من الازمان
قولكم عشي تبيين لي هذه الكلمة واخبركم بما عندي لتنظروا فيه وارجع عن جميع الغلط واي شيء
يمنعكم ان تذكروا ما عندكم ليقع الكلام في ذالك وتبين ان وقع في كل واحد ولا احتاج الى تكثير
الكلام وتطويله في امر وقع الغلط من كل كثير او المسالة التي قلت لكم فيها اخلاه ان تفهموها
على غير وجهها حتى ما تضمنه كتاب من الذي قلت انكم عزمتم على قراءته ودرسه واما الوجه
الثاني وهو انكم كتمتم عني ما تضمنته تلك الاسطر فلا ادري ما الذي حملكم على ذالك ان قلت حملني
على ذالك ما عسى ان يكون فيها من التكلم في الغير بالقبيح فلاي شيء تتهموني على المقصود
بذالك الكلام ومعلوم انكم وقعتم بذالك فيما منه فررتم مع انكم ما اثرتم على بذالك الاجرة

وتبرون خاطرى لانه احمله على محامل كثيرة فتزيح وقد لا تنزاح لا سيما وانا منسوب معه بنفع من شؤم
الكلى به في او دينه لا تنجبر وان قلتم لانه اخلاق ان يبلغه ذالك عنى فانتصر لمن فتلك فانتم
لم تخلوا من سوء الظن به في ان اعرف غيركم عنكم بما تأخذون معى فيه على وجه يلحقكم به ضرر
وان قلتم لانى بعد كتبه كمعقريه انه فيه فيكفل وبلاى شئ لم تذكروا هذا حتى ينتفى عنى برق الساحة
مما نسبتموه اليه في ذالك الكلام المحكى وان قلتم خلاف ذالك فلا ادرى ما هو ولعل فيه
تكون براءتكم من المطالبة وانا لا اعلم ثم انى فيما علمته من حالى قد اقررت بنفسى اذ ربما يكون
في ذالك الكلام المحكى ما ربما تكون في التكلم عليه فاني لا انه لا اجل عليك بمثل هذا اذا
وجدت اليه مدخلا ولو على بعد لما اتفقته منى غير مرة فقد عرفت نفسى الصالح بما علمته
من ذالك فان قلت ترى المحكى يقع انى في كتبه كثيرا فلاى شئ لم تنكر ذالك على نفسك
لما انكرته على فاقول انا وان وقع منى ذالك فلا يقع منى الا في موضع يقع فيه خلل
وفساد من جهة الترتيب وجعل الامور المتناسبة بعضها مع بعض فقد يكون الشئ لا يقتضى
التاخير فاقدمه او لا يقتضى التقديم فاؤخره وكذالك يقع منى في موضع يكون فيه خلل
وفساد من جهة العلم اعنى انما يكون قولا يخالف الحق فاخاف ان يقع ان انتشر فيه في الدار الاخرة
من قبل تابع له او اخذ به فاذا وقع منى ذالك المحو استرحت من تباعة ذالك لما علمته
في مواضع من التنبيه ولذالك اوجه ان كل كلام صدر منى يكون محوا لانه في جميعه لم اقصد به
في الحقيقة الا انت ثم انه ارى لما يلطف الله تعالى لكم لكرا لكرا فاذا كنت انت لم تنتفع بذالك
فكيف ارجو المنفعة به لغيرك واذا لم تحصل المنفعة كانت المضرة قريبة لا ريب وليتها كانت
السلامة لا مضرة ولا منفعة فكيف لا احب ان يكون ذالك كله محوا ولا كرهو عندنا عيب ومضر
اذ انهزم بالغطاء وتمارت به الرعبان واى شئ ويتبعون في الوجود ان اجعل فلان بسبب ذالك في
النار ذات الوقود مع عاد وثمود لا لكن الخوف كل الخوف ان يجعل فلان معه فيها وعند ذالك هو
بئس الحال الذى اما ان يقول فليتنى لم اره ولم اعرفه فلا واما ان يقول جمعهما لك سوءكم ولا شك ان الحالة
الاولى تخلصت من النار اعتداء وادبها كرية على اربة وتحمة على تحمة مع ما فيها من ازمة الاكلام
والحالة الثانية لانها مع ما فيها من الاستصلاح وانما كان يتعلق الخلل العظيم في الوجود اذا
تنوسى المعبود وغفل عن الرحمان الودود وتساوا وانضم الى ذالك عليان او لم ينظم فاخشر
لنفسك فانخ سبيلا لا مدخل لك في اختيارك ولا وسيلة لك اليه وقادوك تتحير وتتوسل
فانت بعيد ومتى استنكفت من بعدى هذا فانت لعين كبير ولا فرق في ذالك بينك وبين ذالك

الذي عمل له الصرح ليبلغ الاسباب او الذي صنع التابوت وجعل نفسه في جوفه واحتال به كيف
يرقى في الهواء ليرموا السماء بالنشاب الاول فرعون والثاني نمرود لكن غباوة هاذين كانت
للخاصة والجمهور والغباوة التي كنت عليها بتصغير كونك على تلك الحال لا ينكشف لها الا الخواص
الذين شاهدهم اعين قلوبهم مجاري الغيوب فاجمع هذا كله ان كنت فاهما فقيها تلخيص جميع ما اشكل
عليك مما كنت تحاميت الكلام فيه وقد شافهه الله تعالى اليد على يدي اخشى سياقه لا حي
مع كون رغبتي بالمشافهة فانك فان استعملته فعلقه في وسط البيت وان استنفعته فلا
تقل ليت واحسبه كالميت وادفنه تحت تراب الحضور والتقليس واهرق عليه المحبة —
والتنفيس ليكون ذلك شراء اهل سواه وينفع لنا ولكم التخلص من تباعة ذلك في الدنيا والمعاد
والله تعالى ولي السداد والرشاد انه الكريم الجواد **واما المسئلتان** التي يشكل ويبر فلان
بعد الرينة حالكم فيهما ورايت انكم اختلطتم فيهما من قبل انكم لم تعاملوا الزمان واهله بما
يليق بهم فلا اظن انكم تجهلون حاله بل دفع منكم ما لم تكن لكم به حاجة من الكلام الخشن وان كان ‏لبطال
ذالك الكلام محض الحق ولاكن الحق في هذا الزمان قد مات وقد جر وخرجة على قبره فليت شعري ما الذي كان
يضركم لو تركتم الفقراء الذين هو شانكم وخاطبتم فلانا بليس وشنوف وحسن محاولة ولو ادى ذالك
فقلا ان تحتقر مولاك وتحبس الله نعله ويحترق ما قلتم له انا بالعد وبالشرع كما انه تقول له انا بالله
وبعد ان او تحترف قولك بالعد وتقتصر على فلان بعد ان تكون عقيدتك سالمة وقلبك مستقيما
مع ربك **فان قلت** اذا فعلت ما اشرت به علي اذللت الدين وغيرت في وجه التوحيد والتقديس
فاقول لك انك لما فعلت فلا بد منك بذلك الحق ومتى فعلت فيها ان بل اخو الدين لا يقوم
به الا من مانت نفسه ولم يبال على اي حالة يكون والا من هو مثلك ومثلها منشوب في شهواته
وعاداته غريق في سببه حالاته ولا يسعه في التوصل الى حقيقة الذي يجب له بالشرع الا المداراة
التي تشبه المداهنة او المداهنة المحضة ومهما لم يقدر بذالك لا بد له من ارتكاب الاخف
الضررين ووقوع في اهون الشرين كما قيل * حنانيك بعض الشر اهون من بعض *
فانك اليوم ان لم يحصل لك من حقك شيء تنتشر به وتفخر به بين الناس ويحصل لك بسببه منهم الا باس
لا يبقى لك زهد في ذالك وتمادى بك الى صبر جميل ولا رضى بالقليل بل تسخطه وتشوف
ويشول ذالك بك الى ان التجاء لمن لا يرحمك والسؤال والتملق لمن لا يولك الذي فيمحو ان ما
اضمرته اثناء الحال التي ادى الى التفصيل برجل فلان او قولك بلسان حالك لا دنيا الا دنيا والنوع اللؤماء
الذين ربك كما شاهدناه من ناس كثير من اختلفت احوالهم وتعززت اقوالهم وانه لا نرى ان هذا وللا

الذين يتخوفون للكلمة وأرباب الأمور يقضون لهم الحوائج ويتقربون لهم في المهمات على يديهم إذ اسلموا
من مظالم العباد وتباعاتهم وسلمت عقيدتهم من أن يخبثوهم لما هم عليه من الجور والظلم لأنه لا
يستقيم لهم حال ولا يطيب لهم عيش إلا بذلك وقد روي يأتي على الناس زمان لا يطيب فيه عيش
مؤمن إلا باستناده إلى منافق وإن العالم أن هذا الزمان قد أتى فهذا زمنه كثير بها لكنه
بهذا الوقت المرذول الذي ابتلينا به وكيف لا يسعنا فيه أمثال ذلك ولا فساد اليوم إذا
احتاج إلى بضلة ولم يجد سبيلا إليها إلا بكبر ونحو وتشدق وفجر وهل هو بما يفعله من ذلك إلا
مكتسب دينه بعضه ببعض مخافة أن يذهب بالكلية وقد رأيت في كتاب الحلية أن نعيم
عن حذيفة بن اليمان ما يؤذن بهذا ويشير إليه وكأن ذلك قد وقع منه في زمانه الطاهر مع القرب
العهد ومع ما استوى إلى النزال بريدين فقال كنا مع حذيفة في البيت فقال له عثمان يا أبا
عبد الله ما هذا الذي بلغني عنك قال ما قلته فقال عثمان أنت أصدقهم وأبرهم فلما خرج قلنا
يا أبا عبد الله ألم تقل ما قلته قال بلى ولكن اشتري ديني بعضه ببعض مخافة أن يذهب كله
وقد قال صلى الله عليه وسلم بدأ الدين غريبا وسيعود غريبا كما بدأ وكما قال صلى الله
عليه وسلم وغربة الدين في بدايته بداية الإسلام لمن تخوف الأذية والضرر إذ كان فيه وكتمانا
لإيمان أن يتكلم بكلمة بها يكفر وغربة الدين في آخره فيها نبيح لمن تخوف مثل ذلك
أن لا يأمر ببعض المعروف ولا ينهى عن بعض المنكر كما رأيته لحذيفة رضي الله عنه أيضا في كتاب
الحلية المذكور ليأتين عليكم زمان خيركم فيه من لم يأمر بالمعروف وينه عن المنكر وإنما يكون
خيرهم والله تعالى أعلم إذا اعتقده على ذلك باعث الدين الذي يوجب له ما ذكرت من ترجيح أخف
الضررين على الآخر وأما أن يسترسل مع هواه ويتساهل في مداهنته ونفاقه فلم يقصد
حذيفة لأن يختار أحد المقامين الأرفع ويرضى بالسيف والمقرع ويفعل كما فعله أولا الذين
كانوا يعذبون بأنواع العذاب كبلال وعمار وخباب وغيرهم في ذلك الوقت وكما فعله ابن
مسعود وأبو ذر وعثمان بن مظعون وغيرهم رضوان الله على جميعهم فنعم ولكن بعيد أن يستقيم
ذلك اليوم لأنهم إنما حملهم على ذلك الإيمان الجديد الذي يزداد في كل ساعة ويقين قوي ورسوخه
بمشاهدة أنوار النبوة وقوة إيمانهم حتى أنه قد قووا بها على مكابدة الشدائد وفقدانه الولد
والوالد ولم تعترهم في ذلك شبهة ولا ريبة وأما الآن حين بلي الدين وضعف الإيمان واليقين
فالله تعالى يلطف بمن تعاطى هذا ولعله إذا حاسب نفسه لم يجدها صادقة في ذلك وكان ما
تعاطاه من ذلك مدخولا معلولا وقد خاف من مثل هذا أبو سليمان الداراني رضي الله عنه على حال

قوته وغلو مرتبته قال ابو سليمان سمعت ابا جعفر يبكي في خطبته فقال فما شغلني الغضب خـ لذ
وحضرتني نية في ان اقوم اليه فاكلمه بما سمعت من كلامه وبما اعرف من فعله اذا نزل قال ثم تفكرت
في اني اريد ان اقوم الى خليفة فاعظه والناس جلوس يرمقوني بابصارهم فيعرض علي التزين فيأمر
بي فيقتلني فاقتل على غير تصحيح قال فجلست فسكت ثم ان هذا الذي يتعاطى ذلك اذا انعكس
للرجل الذي فيه وطلب لذلك دواء وكيفما لا يجد عند احد ما لا في اليوم فما بقي لنا ان يدخل
كل واحد منهم رأسه ويعرف زمانه وناسه ويعاملهم معاملة توجب له السلامة منهم
والانعطال على خير عنهم لان الحال اليوم كما قالت المرأة من ابيعها فلبثت غزلها كمثل من
واستغفر الله ولا قوة الا بالله واما اعتراضكم علي وقلتم باشتغالي بقراءة كتاب مسلم
وشرحه فهو اعتراض غير صحيح لان الاشتغال بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بركة وعاقبته
محمودة فما الذي ينكرون علي من ذلك وانما كنتم تنكرون علي لو تشاغلت بقراءة المدونة وما
اشبههما من الكتب الفروعية لانه ان تشاغل بقراءة ذلك في هذا الوقت المخصوص لم يسعد
بذلك فلا بد ان تعتبر ان ما يحتاج اليه من ذلك الكلام عنده حاصل وزيادة وفي اخرى فيما لا يحتاج
اليه ينقطع له وقت انفس من كل نفيس بخلاف الحديث فانه متضمن الهداية التي هو
محتاج اليها ومعه غير حاجة له لانه كلام من لا ينطق عن الهوى فبقدر ما يزداد العبد فيه
نظرا واعتبارا يحصل له فوائد لا يرى لها حدا ولا انحصارا كما ان حلاوة الفتيت كلما ازداد تمها
مضغة زادته حلاوة وقولكم غير ان الرجل عنده تسليم وايمان بطريقهم ففيه نظر
اما ان عنده تسليما فمسلم واما الايمان بطريقهم فلقائل ان يمنع ذلك على ما يظهر من الامر
لان لذلك علامات تبدو على ظاهر الانسان لم يظهر على ظاهره من ذلك شيء وفي بعض الوجوه
بين التسليم والايمان ان التسليم يتصور مع بقاء الاحتمال في صحة الطريقة لان المسلم انما
اوى الى كهف التسليم ليسلم من المحذور الذي يتعرض له بتقدير الصحة فهو يقول ان كانت طريقتهم
صحيحة فقد سلمت بتسليمي لهم وقنعت بالسلامة وان لم تكن طريقتهم صحيحة فلا يضره
تسليمي شيئا الا اني لم ادخل معهم ولم اكثر جمعهم واما الايمان فلا يتصور فيه بقاء احتمال م لها
اصلا ولذلك لا يمكنه ان يقع منه الا ما يقتضيه الجازمة بها من محبة الدخول فيها والملازمة
والاعراض بالكلية والنفور عن كل ما يخالفها ويباينها وتطلب السبيل اليها عن كل من عرج
ودرج اذ لم يجعل الله تعالى لرجل من قلبين في جوفه وانما قلنا ذلك لان الايمان داع وزاجر
داع لما يقتضيه وزاجر عن كل ما لا يقتضيه فان ادعى احد الايمان ولم يأتمر للداعي

ولم ينزجر عن زواجر جهوي كاذب في دعواه وقد عيّر الله تعالى اقواما ادعوا الايمان ولم يعملوا
بمقتضاه في قوله تعالى قل بئسما يأمركم به ايمانكم ان كنتم مومنين وعلى هذا ففيهم قول من قال
الايمان بكر يقينا هذا والاية لان من ادعى بكر يقينهم فقد دخل معهم لا محالة وباي شيء يكون
داخلا معهم بان يكون محبا لهم حريصا على العمل باعمالهم معتقدا الجميع مستغفرا لهم لا يرى
الانكار اذا والابرار الا منارا وكلما قدح في ذهنه او نشأ في عقله او خاطر قربا كلية خلاف
ذلك لم يكن داخلا معهم بل كان منهم ابعد من كل بعيد فهذا نحو الولاية لمن ادعى بكر يقينهم
واما المسلم لهم فلا حظ له في مقام الولاية لانه بتسليمه لهم لم يراع الا امر نفسه اعني
ان تحظى السلامة من الخطر الذي يتعرض له القادحون والمنكرون وهو كما تقول العامة
جالس على كرسيه ثم اضمحل هل ان جعل الشبلي والثوري والحي في جمعهم مثلا فلا لنفسه انظر من
اي شيء اعطاني الله تعالى ان لو كنت معهم وان اقيموا مقام الشفاعة في المذنبين وحتى
هو السبيل الى ذلك بما ذا ان بد من التسليم لهم وترك الاعتراض عليهم وما يجب الايمان لا
يتصور عقلا ان يكونوا من اهل النار اذ لو تصور ذلك عقلا لم يكن مومنا بكر يقينهم وهذا
كلام عرض لنا بكل من الغرض ولم نقصد فيه الاتيان على الكلام في التسوية بين التسليم والايمان
بكر يقينهم واما التشكيك على فلان فلم افصل ولا هو فيه ذلك فليكن منك يا سماح في ذلك
والله تعالى يهدينا واياكم الى ارشد المسالك وقولكم وقد امرتموني ان اعرضها على كل من
امكنني ممن يشار اليه بفهم او علم ومن هذا صفته لا اعرفه اليوم ومن هو عند الناس يوسم
بشيء من ذلك هو عندي على العكس مما هو عندكم ثم انكم عزمتم على قراءته على فلان وفلان وفلان
وفلان اخطأتم في ذلك اقبح الخطأ الذي قلت لكم اعرضه على من هو عندكم من اهل الفهم
والعلم وانما قلت لكم من يشار اليه بفهم او علم لان المسألة مسألة يشترك فيها جميع العقلاء اذا
كان عندهم تحقيق في النظر ومعرفة بالحديث والاثر مثل فلان وفلان وفلان وفلان ولاهل الطب
مدخل فيها كفلان وغيره لانهم يعرفون الالام واللذات الكسبية اعني اسباب ذلك وباي
شيء تحصل وباي شيء تدفع ومسألتنا من ذلك وليست بمسألة ذوقية ولو كانت مسألة
ذوقية لم امركم بعرضها على احد ممن اعرفه الان لان الرياسة التي اكتسبتها في راسي
بسبب مزاولة علوم هذه الطريقة لا تدعني وسؤال الناس عما فيها على سبيل الاسترشاد
وطلب الصواب والسداد لان اعتقادي في ذلك قال البشر عند غيري ممن اعرفه في هذا الوقت
فعرض هذه المسألة على اولئك القوم الذين ذكرت لا بأس فيه اذ لا ندعي فيهم قوة فهمهم

ولا عنا العبتمن هراوة للابرد لو اما قلنا انه لكن ذالك الرجل حين قرات عليه فوقه هو شخص
مسكين ذليل حقير بعد قوله وقد هو حتى يخاف الهاجين فقال لكن قرانا المسكنة وهو
سمى نفسه فلولا وجود الدعوى ما سمى نفسه حتى تكون هي التي تسميه فلم يات فيها
بشيء وان كان كلامه في ذالك غنيا وهو من احسن ما قاله في تلك المسئلة من لدن شرع في
الكلام فيها الى الان وانما قلنا انه لم يات بشيء فلانه حين لم يسم نفسه ونفى عنه ما
تسميه به مجموعة من تلبد العظم الدعوى لان الفقر لازم له غاية الفقر لانه اثبت لنفسه واثبت
لنفسه الحقيقة انه تسميه ومن اين له ذالك ولعله لا يكون عنده شيئا موجودا فلا غرو ان
تسميه ويكون من الدعوى من جملة الدعاوي التي لا تليق بمقتضى الحال ان تعتبر لما تضمنته من وجود
الانانية التي تناقض حقائق الوجدانية واما الدعوى التي تلزم من تسمية نفسه مستغفر
جدا الا ان الامر في ذالك كله لم يخرج عنه بل هو مقتصر عليه وسواء سمى نفسه عبدا او
مولى او مسكينا او سلطانا وكل ما كان على هذه الحالة لا عبرة به لانه من جملة تصرفاته في نفسه
بمنزلة اكله وشربه وحركته وسكونه وجميع ذالك لهو ولعب لا تاثير له في الحقيقة وانما المعتبر
الحالة التي يكون عليها باعتبار الحقيقة ليس عند ربك ليل ولا نهار وقال القائل للذي سمع
من يقول اللهم ارنا الدنيا كما تراها فقال له لا تقل ذالك ولكن قل اللهم ارنا الدنيا كما
اريتها الصالحين من عبادك فهذا كله فقد وقعت فيه الكلام اذ ليس من النمط الذي تستخرج فيه
التاويل والافهام فافهم منه بهذا القدر من الكلام ولا يعترض علي بما ذكرناه بمثابة الكلام في
مسالة هو كان هذا اسمك فقال ما سميتني فقد اثبت لنفسه الحقيقة ان يسميه مع ان هذا
عندهم من الطراز العالي لانه لما خاطبه مولاه وسئل له اثبت له وجودا عرفا منه الفلاح
الحقيقة ان يسميه مولاه ولم يكن ذالك من الدعوى في شيء وهذا اخر كلامي من وقع في تلك
المسئلة فلا نفهمه الى سائر الكلام الذي تكلمت به فيها ولعله ينقطع هنا عنا بسبب غيبة
ذالك الرجل وبتغيبه رجوعه من السجن الا ان ما الذي يقع له فيها فلنا ان هنا ان وقع
له شيء فحينئذ يمكن ان نتكلم عليه والله تعالى اعلم **وبعد** فقد كنت وجهت
اليكم قبل هذا كتابا فذكرت فيه امورا اخرى منها اذ قلت فيه من التكليف كذا ومن النعم كذا
لاشياء لم يؤمر الانسان بالنظر فيها ولم يجعل من علمه ومن ذالك المجرى عنه احوال القيامة
والحشر والنشر والجنة والنار فهم هذا الامر في جزئياته ذالك كله الى كيفية يعتقد ما
ويعتقد هو متعذر ومتكلف كما قلنا في الصفات والاسماء فلا يشتغل لانه ينافي رضى الله

عنهم ما قالوه في الميزان من انه ذو كفتين ولسان وانه لم يوجد نص قطعي على ذلك وكذلك من
رام ان يلفق بين اشياء اعتقادات كثيرة بينها التنافض والتعارض اذ لا حاجة به الى شيء من
ذلك ويشبه ذلك ما سمعته في هذا الجنس الخلاف الذي وقع بينهم هل الحوض بعد جواز الصراط
او قبله وانهم صححوا انه بعد جواز الصراط حتى حمل ذلك بعض محققيهم على ان ينص على هذا
في عقيدة رسمها ووضعها وفي مثل هذا كله يقال سترها ويتعلم وصحة العقيدة لا تتوقف على
تعيين شيء من ذلك بل المطلوب من العبد ان يحيل علم حقائق ذلك كله الى العلام الخبير
وان يعتقد في مثل هذه الاشياء كلها ما الامر الذي هو عليه عند الله في علم غيبه ومثل هذا المجرى
ذا آيات واحاديث متعارضة في الظاهر مما لا يتعلق بها عمل للحاجة باحد الى ان يتطلب
الجمع بينهما او يتعقبه فيها بتكلفه وعقله وكذلك الآيات والاحاديث المتشابهة التي لا يجوز
اعتقاد ظواهرها لا حاجة باحد ان يتكلف تعيين محملها وجهة حملها عليه بل يجب عليه
ان يسلك فيها ما سلكه السلف الصالح من امرارها كما جاءت قال مالك رحمه الله انما
ابتدع على الناس من قولهم ما لا يعلمون وكان القاسم بن محمد يقول يا اهل العراق انا والله ما
نعلم كل الذي تسألوننا عنه ولان يعيش احدكم جاهلا الا انه يعلم ما افترض الله عليه خير
له من ان يقول على الله ما لا يعلم ومن التكلف والتعمق ان يسأل العبد عن معاني الالفاظ
من القرآن لا يتعلق بها عمل ولقد سئل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عما الاب من قوله تعالى
وأبا فقال هذا من التكلف هذا مع انه لعله قد كان سبق في معرفة تعديد النعم والمطالبة
بالاعتبار بها عملا ومع هذا اعرض عمر رضي الله عنه عن تطلب ذلك واستعظمه من التكلف الذي
نهي عنه وقال ابن عباس رضي الله عنه مكثت سنة وانا اريد ان اسأل عمر بن الخطاب
رضي الله عنه عن آية فما استطيع ان اسأله هيبة له وفي رواية اخرى كنت اريد ان اسأل
عمر عن المرأتين اللتين تظاهرتا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلبثت سنة ما اجد له
موضعا وفي اخرى لم ازل حريصا ان اسأل عمر عن المرأتين من ازواج النبي صلى الله عليه وسلم
اللتين قال الله عز وجل ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما حتى حج عمر وحججت معه فلما
كنا ببعض الطريق عدل عمر وعدلت معه بالاداوة فتبرز ثم اتاني فسكبت على يديه فتوضأ
فقلت يا امير المؤمنين من المرأتان من ازواج النبي صلى الله عليه وسلم اللتان قال الله
لهما ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما فقال عمر واعجبا لك يا ابن عباس قال الزهري
كره والله ما سأله عنه ولم يكتمه فقال هي حفصة وعائشة ثم اخذ يسوق الحديث

جملة

انى

بنسخة ... والمناسب لما ... العمر ... على ... مطلق ... بالعادة ... الشرع ...

ولو كان سؤاله عن هذا مطلوبا منه لم يجب أن يسأله عنه ولم يؤخر سؤاله ذلك إلى التأخير
ولم يكن عمر يسأله عن ذلك حسبما ذكر هذا الراوي فلما رد ابن عباس هذا السؤال نوع ما من
التعقول وتخلص عن قضاء على أن لا يفوته علم مثل هذا كانت يتخيل بعمر رضي الله عنه أن الأوقات
التي يكون فيها منتشرا في كتب التفسير فيه فقابلية للجواب عن مثل هذا فيجعله من جملة الأمور
المباحة في ذلك الوقت من غير أن يشتغل بالأصل في ذلك كما اعتقد وعباده ولذلك أعني لما
ما ذكرنا عنها من الانشراح أخذ عمر رضي الله عنه في سرد القصة عليه على طولها من أولها
إلى آخرها والحديث معروف فليعد من عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما كان من الكراهة للتكلف
والسؤال عما لا يعني وذلك لكراهية الله تعالى له وكراهة رسول الله صلى الله عليه وسلم
ينهى عن قيل وقال وكثرة السؤال حتى بلغ من كراهية عمر لذلك أن أدب عليه صبيغا
إلا أدب البالغ فقد روي أن صبيغا لهذا كان يتهم برأي أهل الأهواء وكان يسأل عن أشياء من
كتاب الله عز وجل مثل والذاريات والمرسلات والنازعات وما أشبههن من القرآن وكان يأمر
الناس بالتفقه في ذلك وأنه قدم على عمرو بن العاص بمصر فسأله عن ذلك فقال له عمرو
إنما أدلك على من يفقهك في مسائلك هذه أنا أكتب لك إلى أمير المؤمنين فكتب له إلى عمر
وأرسل معه رسولا بالكتاب وكان صبيغ مع الرسول فدخل الرسول على عمر فلما قرأ الكتاب
أو قيل أن قال فخرج الرسول فجاء به فقال ما الذي تسأل عنه فسأله عن والذاريات
والنازعات والمرسلات فضربه بجريد النخل حتى أدبر جسده ثم حبسه حتى إذا كاد أن
يبرأ أخرجه إليها فضربه ثم سجنه ففعل به ذلك مرارا فقال له صبيغ عند ذلك
يا أمير المؤمنين إن كنت تريد قتلي فاقتلني قتلا جميلا وإن كنت تريد دوائي فقد بلغني الدواء فقال
فأطلقه عمر رضي الله عنه ونفاه إلى العراق وكتب إلى أبي موسى الأشعري أن لا يجالسه أحد
قال فكان صبيغ يدور في المسجد ويجلس فيه ولا يجلس إليه أحد قال ثم كتب أبو موسى
إلى عمر أنه قد حسنت توبته فأمر عمر فخلى بينه وبين الناس فهو الذي يظهر أن هذا الأدب
من عمر رضي الله عنه لصبيغ ليس على سؤاله المجرد واستجلاب الفائدة كالسؤال الذي ذكرناه
عن ابن عباس رضي الله عنه وإنما أدبه لأنه يهم عنه أمر فتنشكرا زائدا على ذلك ومنه
أنه إما أن يكون حسب أن السؤال عن مثل ذلك من القرب والطاعات لله عز وجل الذي
إليه انقطع من قول الراوي وكان يأمر الناس بالتفقه في ذلك وإما أن يكون في أسئلته
تلك متعنتا كالبالغ للعثرات لغير معنى الله تعالى عن كثير من الأسئلة وإن لم يكن فيها شيء من هذا

قال الله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تسئلوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم الاية وقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان اعظم المسلمين في المسلمين جرما من سال عن شيء لم يحرم على المسلمين
فحرم عليهم من اجل مسالته وكان يقول ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما امرتكم به فافعلوا منه
ما استطعتم فانما اهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على انبيائهم وقال
نحوا من هذا الكلام حين ساله رجل عن الحج وقال له اكل عام يا رسول الله وعن ابي موسى
رضي الله عنه قال سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن اشياء كرهها فلما اكثر عليه غضب ثم
قال للناس سلوني عما شئتم فقال رجل من ابي فقال ابوك حذافة فقال اخر من ابي يا رسول
الله فقال ابوك سالم مولى شيبة فلما راى عمر ما في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم من
الغضب قال يا رسول الله انا نتوب الى الله فهذا كله مما ينبهك على خطر السؤال عما لا يعني
وان ذلك من التكلف والتعمق قال انس رضي الله عنه كنا عند عمر فسمعته يقول نهينا عن
التكلف وجزئيته واحدها فيما ظلمنا اهل الزمان معنى عندي من التكلف ايراد الاشكال فيه ومن ان
المدرس الذي يجلس للاقراء الناس لا بد له في الغالب من مطالعة الكتب قبل ان يجيء الى مجلس
الاقراء ويعتقد هذا من التكلف البين لان الاقراء اليوم لا ينبغي ان يشتغل به الا من يجب عليه
ويرى انه معاقب على تركه وذلك الوجوب لا يترتب الا على من عنده علم حاصل يطلب منه بثه
للغير واما من ليس عنده علم حاصل فلا يطالب بذلك ولا يجب عليه لا يكلف الله نفسا الا ما اتيها
وصاحب العلم الحاصل لا حاجة به الى مراجعة الكتب لانه انما يرجع اليها ويطالعها ليتحصل
منها اشياء يعيدها او يستعيد منها اذ الموهوب في ذلك مطلوب متسبب الى ان يوجب على
نفسه ما لم يكن عليه واجبا من التعليم لمسائل لم تكن حاصلة عنده في الوقت قبل مطالعة
الكتب وقد كان السلف يهربون من ان يفتوا في مسائل يجب عليهم فيها فان قلت انما يطالع الكتب
ليحصل له تحقيق في امور عنده مشكلة فيزول بذلك عنه الاشكال او يستعيد مسائل
لم تكن مستفادة له فاقول اما ما اشكل عليه من المسائل لا تتوجه عليه المطالبة بتحقيقها
وتبيينها للغير من حيث انه يبث للغير وانما تتوجه عليه المطالبة بتحقيقها واستفادة
مسائل اخرى من حيث احتياجه هو اليها في نفسه ابتداء اعني انه يجب عليه ان يعلمها
ويعتقدها مما يجب عمله واعتقاده ولم يعرض ذلك يطلب منه ان يعلمها للغير ومثل هذه
الحالة لا تتعين مراجعته للكتب بكونه ذلك لا يكون الا عند تعاطيه للاقراء بل يطالع
الكتب ويراجعها عندما ينقدح في خاطره ذلك الاشكال ويريد ان يستعيد مسائل لم تكن

عنها ويكون ذلك في اي وقت اتفق وكيفما اتفق بل المدرسون المعتبرة تكون الكتب عندهم قبل تعاطيهم
للاقراء منسية فاذا اخذ في الاقراء استحضرها واخرجها من الخزائن ونزلها عن المرفع وهذا دليل
على انه غير مخلص في عمله ذلك بل الرياء والتصنع والتزين بتحقيق المسائل ونقل كلام
الناس متشبث بذلك وهذا اعظم التكلف والتعلق والاخذ فيما لا يعني وهو من انفعال
نفسه ومطيع له ومتبع ما ارته بين يديه من تعليم العلم ونشره وقد يدل ذلك على كونه متكلفا تحصيله
ذلك ببعض من فضول السنة وفي وقت معلوم في ايام ذلك الفصل ونحو ذلك بين الانداد لكل احد
من هذا من شركه ومما اشبههما وتعرضه بذلك لكل غث وسمين فاذا اشرع في الاقراء وفرغ
من البسملة والتصلية والدعاء الذي الذي تبع عن الارض لا مقدار جلسته على كرسيه ولو قيل له
حينئذ مات ابوك او ابنك مثلا لم يوجب له ذلك قطعا ما شرع فيه ولا كفا عنه ولو كان مخلصا
في ذلك وعاملا لله تعالى لم يكن مما كثر الا ينتفع بتعليمه بفصل مخصوص ولا وقت مخصوص ولاتيت
ذلك من اهله ويمنعه من غير اهله واذا عرض له في اثناء ذلك حق واجب قطع ما هو
فيه واشتغل بذلك الحق الواجب ثم انه في هذه الحالة ان تقرر عنهما من فصل لتحقيق المسائل
المشكلة واستفادة ما لم يكن عنده حاصل المنهما لم يخرج من عداد المتعلمين ولا يبني يكذب
ويدرك التعليم حتى يكلف الجالسين له من الادب معه ما يليق بالمتعلم مع المعلم حتى يرى
منهم مستحسنا ان تتساوى رؤوسهم مع رجليه او تنخفض عنهما بحسب فقرا لكرسيه وطوله
فان قلت كانك يا ايها المتكلم مسلمتين هذا الادعاءات اومن بعضها فيما تكتبه انت
من الكتب ولا تحتاج في ذلك الى مراجعة كتاب ولا الى تنميق عبارة وتحسينها وتزيينها
وانك بريء من الرياء والتصنع فيما تصورك القراءة في غير الحمد وترك الحرج في عينه معترضا
فاقول انا لم ادع انه مخلص فيما افعله من ذلك ولا اتعذر انه يضيع فيه لله تعالى وانما يقع
مني ما يقع من ذلك قصد الراحة قلبي وتشغيلا للكلام معلوما جعلني في ذلك الحوصلة
او مقطنا لكلامي ان منكيني ولذلك تجرئ افرغ ذلك على كثير من هذا بعض الرياء
والدينية اما الدنياوية فيقل المستنكر تقدمه عليهما الا انه دنيا ومثلها وابلغ
منها وانما يستنكر تقديمه على الامور الدينية وذلك قد يقع مني كثيرا فقد يتفق ان يكون
في حالة يرد فيستفرح عليه ان الكتب لكم شيء فيغلب ذلك علي بحيث يسترسل خاطري في
الفكر فيه حتى يتوقف على اكثر الاشياء وانا لا اشعر بها ولا يوجد مني فيها حضور وقد يكون
في نيتي ان اقرأ اجزاء من القرآن فاجعل بدله هذا الحزب وما اشبهه من الهذيان ثم لا يقع

منه خلف لنا بعضه فيه من ذلك فيما بأيدينا من الأزمان فعلى أي شيء هذا كله علامة على الإخلاص
أو على الرياء الذي ليس له عند الله بقاء ولا خلاص كلا والله لا يجمع الله الصحيح ولا يبوء من رضاه
الله تعالى بكل معنى مستنجب ولفظ صحيح ولاكن معرفة هذا والإقرار به والإذعان لا ينفع
في النجاة والفوز بالدرجات نعمة جزيلة لان أكثر الناس لا يعرفها فإن قلت كيف
تكون نعمة مع كونها لا تنفع فيما ذكرت فالجواب ان لم تنفع في الوصول إلى كلية ذلك
للغلو في المنفعة في حصول بعضه حتى لم يجعل في أسفل سافلين من جهنم فقد نجا من
أعظم مهولها ومن وصل إلى باب الجنة ولم يدخلها فقد حصل له مبدأ الفوز وهو مطمعه
في دخولها والله تعالى أعلم وبعد فيا فقراء وجهت اليكم الكتاب الذي قبل هذا
توجهه إن الكتب لكم سؤالين وجوابيهما فاسمعوهما وعوهما واطلبوهما غاية منه
ذلك الكتاب ولا تغفلوهما وهما فإن قلت التغليب الذي حكمتم بأنه لا تأثير له
ثابت عند الشيخ الذي ذكرتم أنه يتصور منه ما ينبغي به وجود الدعوى لأن المطلوب
منه من كونه لا يفعل ما يفعله إلا من أعانه الله تعالى لا يستجلب به حكمة ولا يرى
يفعل ذلك من نفسه لم يحصل له إلا بطريق التغليب وكيف يتصور مع التغليب في
الوجه الثاني ما استبعدتم من أنه لا يتصور معه في الوجه الثالث فالجواب ما ذكرته
صحيح ولكن الفرق بينهما أن التغليب هنالك في مطلب واحد وفي الوجه الثالث التغليب
فيه مطلبين أما المطلب الواحد الذي هنالك فقد قدمته وأما المطلبان اللذان في الوجه
الثالث فأحدهما أن يعتقد أولويته فاذكرناه من تلك الذرة على عبادة في الرابعة المنفصلة
أولويته لا يتصور في هذا الموضع إلا بجواز العقد المنسبة والمشاركة في ذلك والثاني
أن يكون ذلك منه لا يصح ويسلم إلا بفنائه عن نفسه وفنائه عن رؤية فنائه وهو معنى ذلك
المطلب الواحد الذي قلنا فيه صاحب الوجه الثاني وصح به حاله ومعلوم أن التغليب في مطلب
واحد من غير وجدان ما يضاده ويعارضه أسهل من التغليب في مطلبين مع وجدان ما يضاده
ويعارضه وهو ما تقرر عنده ورسخ في قلبه من صحة الحال التي هو عليها بنصوص الشريعة
وهو الحالة الكاملة وأي شيء يشغله عن ذلك إلا الأمر الإلهي وقهر رباني فلذلك قلنا أنه
بعيد أن يتصور ما يدعو به صاحب الوجه الثالث وجود الدعوى عن نفسه ويتصور في
الوجه الثاني فإن قلت يفهم من هذا كله أن وجود الدعوى في الوجه الثالث أعظم من
الدعوى في الوجه الثاني مع أن الوجه الثالث متضمن ما هو محمود في الشرع من محبة الخير والحرص

بجم

على

على الزهد فيه منه والوجه الثاني متضمن ما هو مذموم فيه من الحرص على الدنيا واتباع الشهوة
والهوى فيلزم على هذا ان يجعل صاحب الوجه الثاني اختيار الحالة التي هو عليها مع كونها مذمومة
في الشرع على حال صاحب الوجه الثالث مع كونها محمودة في الشرع ويقول اخيرا كانت الاوجه اعظم
والخطر اشرف لا احبه ولا اختاره وابقى على الحال التي انا عليها وهذا فيه ما فيه فاقول
مقتضى النظر الحقيقي ان لا يصح له هذا الاختيار لان من المعلوم عند ارباب العقول السليمة ان
المقام العالي الذي هو الذي ينبغي ان يختار ويؤثر وان كان الخطر فيه اعظم واعتبر ذلك بما هو اهل
اهل الرياسة والسلطنة بتعذر خلو ذلك من الآفات التي تضر بالدين فانك تجد اهلية
للسلطنة لا يستحسن له عاقل ان يزهد في طلبهما وان يترك محاولة التوصل اليهما باي وجه امكنه
تعللا بالخطر والضرر الذي استهدف لهما بالنسبة الى طلبهما وبذل جهده فيهما وتحمل ما يعرض
له فيهما من الخطر والضرر بل لا يعد ذلك منه الا شجاعة وبلوغا وجبانة تعبيرا ودناءة همة
والعالي الهمة في ذلك هو الذي يقول ما قاله امرؤ القيس نحاول ملكا او نموت فنعذرا
فالعذر له في هذه الحالة انما اوجبته حملة على مقتضى ما دعاه اليه علو همته فكون الحالة
الحالة فيها خطر فيه بل فيها خير فيه اولى او اوجب لان ذلك انما يقع بحسب الذي يشير بعض اهل همته
اشرف من الاخر وما نحن فيه لا اشتراك بينهما في شرف بل احدهما هو الذي ينبغي ان يشتغل
م خلال — عنه بمعلى كل وهو حال صاحب الوجه الثاني وفي الجملة معلوم ان من ترك الطاعات ونوافل
الخيرات لاجل ما يتوقعه فيها من الآفات مغبونا في العقل جاهل الرأي محروم الحظ بل على
العبد ان يتشوف الى نيل المقامات العاليات وان كانت متضمنة لاعظم الاخطار ولا يعذر
م عن ذلك — في القعود عن تحصيلها ما يخشى فيه من الآفات والمخاطر بل كان ما يتوهمه من ذلك له فذلك
في هو فيه عنه فهو قدر ان اراد والافلا كلام عليه فيما اعجز فوزرته واحبنا الله واعلم ان صاحب الوجه
الثالث يتصور منه وجود الدعوى وان كان اذ ذاك اخذ في الطاعات وعاملا بالصالحات
واما ان كان مقصرا فيها ومسرفا بقدر انصرافه الى حوائجه العاجلة كزيد فيما اذ لو كان صادقا فيما
تضمنتها من انه انما يكره الموت لما يفوته من الاعمال الصالحة المقربة له من الله تعالى لسارع
وبادر ولم يكن منه تسويف ولا تفريط فهذا ما اردنا ان نذكره لكم تتمة لما تقدم فبه يحصل
به تمام البيان لمعنى ذلك الكلام الذي وقع منا مطلقا غير مقيد وتعميما واحملوا عليه ان
شئتم وقع في اخر الكتاب الذي كنت بعثت به اليكم فبلغ هذا ومثل الذي بعثت اليكم قبله
لعجلني حامله عن مزيد نظر فيه وان ترتب عليه من عوض الرد بلغ ما يعجبني وما لا يعجبني

وهو قوله فيه العبد من حيث هو عبد لا يلزمه ان يتعرف هل مولاه راض عنه او ساخط عليه
وهذا لا يخلو من بشاعة في كلامي ولكن عين الحق الصريح الذي لا ينبغي ان يعتقد سواه لان العبد من
حيث هو عبد لا مدخل له في شيء مما يتعلق بنفسه او بغيره الا بامتثال امره واجتناب نهيه
فقط فما خلق الله تعالى العقل في ذي العقل الا ليتوصل به الى فهم معاني الجملة والتصرف فيها
بحسب ما يرضي الله تعالى اليه لا غير فيكون فيما يحضره ذلك احمق ابكم اعمى عن نظر في شيء سوى ذلك
فيما غير ان يكون له فيه فوز وخسر عوض على ما ذكرناه من الامتثال والاجتناب فهو متعد ومتكلف
والله لا يحب المتعدين ولا المتكلفين وهذا من جملة ما تقتضيه الملة المحمدية من السماحة والسهولة
وفي قوله صلى الله عليه وسلم انا امة امية لا نحسب ولا نكتب اشارة الى هذا ولا تكمل ان السماحة
والسهولة منحصرة في نحو قصر الصلاة في السفر والافطار فيه والمسح على الخفين واكل الميتة
للمضطر وتجرع جرعة الخمر اذا غص بلقمة وما اشبه هذا من انواع الرخص بل تتناول مع ذلك
ترفيه العقول عن النظر في كل ما هو فضول من التمييز ومعرفة كونه مرضيا لمولاه او مسخوطا له
فهو متعد وكذلك الاشتغال بمعرفة هل هو شقي او سعيد او كافر او مؤمن او طائع او عاص او ولي او عدو وما يلزم
من ذلك انه لا يصح له الاشتغال بالتفكر فيما عمله من حسنات او سيئات لغير ارادة التدارك
واصلاح ما اختل منها وكذلك لا يصح له تذكار ما يوجب له خوفا او رجاء او حزنا او فرحا
او قبضا او بسطا فان هذا كله فضول ولا يصح اذ اعني جميع ما قاله الاشياخ رضي الله عنهم
وامثال هذه الاشياء مثل نظره في ان المقام الفلاني هل قام بي ام لا والحال الفلاني هل حل
لي ام لا وكذلك التفكر الى السوابق والخواتم وما نفذ به القضاء وما جرى به القلم فلا يصح اذا
من الحيثية المذكورة ما قاله سيدنا ابو بكر الواسطي رضي الله عنه لما سمع قول القائل
يا ترى اعتبتني بجرم ما تعلقت معذرة ولا ما قاله سيدنا ابو القاسم الجنيد رضي الله عنه
حين سمع قول القائل منازل كنت تهواها وتألفها ايام كنت على الايام منصورا
وانت تعلم ما الذي قاله هذان السيدان حين سمعا هذين البيتين فان هذا كله لا فائدة له
في النظر الحقيقي الا شغل الخاطر والبال هذا فيما يتعلق بالعبد واما ما يتعلق بالسيد
من فكره في قلبه ونظر عقله في وجود مولاه وتوحيده وحكمته وملكيته له لا يسوغ له ان ينظر
في شيء سوى ما يزيده في ذلك تحقيقا ورسوخا فمن وقف على اعتقاد مضمن ما يفهمه بعقله
من صفات الله تعالى واسمائه ووجوب تنزيهه وعلائه واقتصر على ذلك وجمد عليه ونفى
غيره فهو متعد وينبغي على ما ذكرناه ان لا يشتغل بالفكر في شيء مما فرع ارباب الاصول

المتعدين

على

على وجه التخفيف والتيسير بل يعتقدون ان الامر اجل من ذلك كله بشيء لا يعلمه هو ولا غيره ويقول ما قاله امام العالمين والعارفين لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك وكذلك الاول يتشوفون الى الاطلاع على كثير مما ذكره الامام ابو حامد الغزالي مما سماه علوم المكاشفة وجعله الغاية القصوى للعارفين وما اشبه هذا مما سودت به الصحف وملئت منه الدفاتر والكتب كيف ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم لم يبلغنا عنه انه امرنا عن ربه بالنظر في شيء من ذلك ولا جعله من المتعينات علينا وانما امرنا عنه بالتقوى والطاعة بفعل ما يقرب اليه ونهى عنه ان نعمل بالاعمال التي شرعها لنا ومن جملتها ما ذكرناه ولاجل هذا لما تلقى الدين عنه من عاصره من امته او بلغه عنه ممن ادركته عناية الله وتوفيقه ممن تأخر عنه لم يشتغلوا بشيء سوى ما ذكرناه ولم يحرصوا على طلبه والبحث عنه بل رفقوا احوالهم واراحوا عقولهم عن النظر في ذلك لعلمهم ان المقصود الذي طلب منهم قد حصل واحاطوا بعلمه وانهم ان تشوفوا الى معرفة ما سوى ذلك دخلوا في العجز والتقصير منتهى غايتهم ولذلك لما سمع بعضهم قول الله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره قال يكفيني هذا وكان الاعراب الجلف اذا قدم على النبي صلى الله عليه وسلم من البادية النائية ليسلم وليتعلم ما يحتاج اليه لم يلبث معه الا قليلا ربما يرجع بعيره معقولا بباب الدار وبباب المسجد بعد نزوله عنه فاذا افاده النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك الوقت المختصر ما قاله وعلمه ما شاء الله تعالى ان يعلمه من المأمورات والمنهيات انصرف عنه الى بلاده وقومه ولم يحتج الى من يعلمه ويكفي ذلك عمره كله لا يحتاج بعد [illegible] ومعلوم ان النبي صلى الله عليه وسلم قد نصحه في ذلك المجلس كل النصيحة ولم يدخر عنه شيئا مما يوجب له رفيع الدرجات وعلو المنازل في الدار الاخرة لانه كان [illegible] فلما طالت المسافة عليه وبعد البلد والاقطار وقع ما وقع من الاكثار من رسم الاشياء وتشقيق دون معانيها والمناقشة بمعالجة الاقوال والاعمال وصارت تعرف [illegible] ذلك الامر المطلوب واوائله ومسائله تتسع فيه التصانيف وتشرح فيه الرواية ويبالغ في تصنيف واحد او في جزء منه مفرد فتقع تصانيف في دواوين كثيرة لا تنضبط لرتابة ولا يكاد ان ينقطع فيها الكلام ويبرع مصنفها [illegible] اصلاح و[illegible] في جميع ذلك لم يف بالموعود ولم يلم بالمقصود من فكر حال العلماء مع المعبود وكلما تراخى الزمان تزايدت [illegible] واستمروا في الجري على هذه الجزئيات ولم [illegible] بان الذي يعثر مع ذلك على الحقيقة او يهتدي الى شيء من الطريقة نعوذ بالله من الغرور ومن ادعاء الكمال [illegible] ومما نقلته عنه العجب الخلاف الذي وقع بينهم فيمن لم يكن في اعتقاده مستند

الى دليل وبرهان على طريقة اهل علم الكلام وان ثم من يقول انه لا ايمان له ولا اسلام حتى ان جلا منا
اوائل السنة ابو حنيفة اذ ذكر انه لما حكى هذا الخلاف في مقدمة الشرح الذي وضعه على القواعد لعياض
النزع حيث يأخذ في جزئيات العقائد التي فيها بالشرح والتفسير ان يعقد هنا بدليل عقلي
كما ذكره اهل علم الكلام ليخرج الناظر في كتابه من الخلاف الذي وقع في هذا الامر ومن اوجب على
تشديد وتنطع وقع في الوجود الا فيه الخروج عن الخلاف الذي لا طائل له وتحصيل المقصود الا حصول
الجزم بالاعتقاد السني من اي وجه امكن فاذا حصل من طريق التقليد كفى ذلك كما يكفي اذا
قارنه دليل وبرهان من غير وجود فرق بينهما ولا يحتاج الى هذا ولذا الدليل والبرهان الا من
تخلخلت عقيدته بشكوك او شبه واما من هو راسخ في الاعتقاد السني كحال عوام الناس
فلا يحتاج الى شيء من ذلك وقد تكون عقيدتهم ارسخ بكثير من عقائد اولائك الذين يتعاطون
معرفة الادلة وبحثها ولومها وهذا موجود مشاهد وقد اكتفى رسول الله صلى الله عليه وسلم
من اجلاف العرب بمجرد الاقرار والنطق بالشهادة ثم ينصرفون عنه الى اهليهم ورعاية مواشيهم
بل لو تشاغل امثال هؤلاء بالادلة والنظر فيها لخيف عليهم ان تنفرج عقيدتهم وتساورهم
وخيالات وشكوك وشبه يتشبثون بها ولا يقدرون على التخلص منها وقد كان قبل ان يتشاغل
بها في امان وصحة ايمان وقد اطنب الامام ابو حامد الغزالي رحمه الله في الرد على هذه الفرقة
التي قالت بهذه المقالة الذي دل الكتاب في كتاب التفرقة وحكم بان هذه الفرقة ضيقت رحمة
الله الواسعة بان اردته بالنظر في الكتاب المذكور وهذا ايضا مما ينسلك في سلك ما ذكرناه
مما ينبغي ان نرجع عن النظر فيه العقول ويسلم علمه الى من احاط علمه بكل معلوم ومجهول
حذرا من الزلل والدخول فيما لا يحل والله تعالى اعلم واحكم. هذا كله كلام عرض لي في الوقت
ان اكتب بيد النكير وان خالف ذلك العادة من في انه لا يكون كتابه في البلد الا جوابا ولكن لما
جاء هؤلاء الناس قاصدين الى جهتكم ومعلوم ان السائلين ان اقدموا على موضع لا يقدمون الا
لفوائد في ذلك الا ان تلك الفوائد انما تحصل لهم او لمن تعلق بهم واما انتم فلا فائدة لكم في ذلك
بل ربما يوجب ذلك غلاء الاسعار ونقصان الكمية والمقدار فيتنكر عيشكم ويتنغص حالكم
فانكم ان كنتم تشترون صاع الحنطة بعشرة دراهم رجعت تشترونه بخمسة عشر درهما واكثر
وان كنت تشتري من البلكور اربعين بدرهم مثلا رجعت تشتري بها ان عشرين او اقل وقس على
هذا جميع الفوائد من حيث كونها فوائد لا يشترط فيها ان تكون كذلك في العاقبة بل يكفي في
كونها فوائد ان تكون كذلك الان في نظر المعتاد اياها بمنزلة الجراد الذي يقال له جر بشقشاق

بكلمة

فيما جاء او رد عليك كتاب من معلمي لا يكون في فقد عليك ما يدل على الطلق والعوائد

إذا حصل بيد البربر الجاهل يرى أنه حاز بذلك ملك العراق وقد يجي له الموت قبل أن ينكشف له سر
وينزع عنه ستره وقشره فتحصل له في ذلك المدة حالة جميلة وفرح جرحته فيها وإن كانت مدة قليلة وكذلك
ما تضمنه هذا الكتاب ربما نستفيد به فوائد نعيش بها أنفسا ونتخوض بها في ظلمات كروب فيسا ومن الأولى أن
يفيض الله تعلى من يكشف عن محاسنه وتلبيسه تحرث أمور وبعد الأمور أمور أقدار يموت الحمار أو يموت
سايقه والإنسان لا ينبغي له الآن يكون ابن وقته والحاصل له أن أراحة الأبدان والأرواح من هذه الفتن
التي استقبلت والمطايب التي ستنزل عقب المطايب التي قد نزلت إلا ألم برح الإنسان خالكم (؟) من
تركها واستشعار حلول مثلها بالأسباب أقدارنا فيشمل هذا الكتاب وأما غيره فيشمل اللعب
بالكعاب والأمر تطاعف عليه البلاء إذ لا بد له من أن ينفق عليه ما سبق به القضاء ونقول العاقل بتبين
في الراس تهوس **وبعد** فقد بلغني منكم كتابان اثنان أحدهما مختصر والآخر مطول وقد
العجيب ذا الثاني المطول كثيرا وتعرفت منهما أمورا منها المسئلة التي لم يوافق عليها سيدي وكان
وقولكم فيها نحا كبالد (؟) ولو أن تغيينه سلمته الصواب فيه أن تقولوا ولو أن تغيينه لو وافقت عليه
لأن الموافقة هي المطلوبة وهي التي فيها الصعوبة وأما التسليم فحاصل فيما يظهر وأما البراءة التي
التي اتتني طي كتابكم فلم أعثر لها على حقيقة ولا عرفت لعجب رموزها كثر بعقد وكان قصاري أمري أن
بقيت أنظر فيها كما ينظر الكبش في النارنج وعميت إلى الفصول فيها سواد الهمة وخصوصا
ما فيه منها علامات الأعداد وحروف أبجاد وأما الكلام الأخير فلم أدل فيه من تلمي يسير لكني لا
أعثر عليه ولا أركن إليه وعرفوا بهذا أنها بغداد نبلغوه عني السلام ونقولوا له يقول لك فلان
والله ما أخلقنا عليك بسرف الهزايل بكفوف وما زال قلبي سنتعيدي من منزع أن سيعيد الإنكار عليه
ولا الاعتقاد شيء ومما نسبه أهل الجهل المركب إليه ولكني رأيت كلامه كثير أما يعذب ويغني القلب
ويتعب وحينئذ لا يحصل منه شيء ويشبع هذر ولا يثلج به خاطر وفيه كيف وهو الذي قال في ذا الكلام
الأخير وكل غير قاطع وكل قاطع معذب نافق وهذا ينعكس لا محالة إلى قولنا كل معذب نافق
قاطع وكل قاطع غير والاعتبار كلها لا حاجة بنا إليها باعتبار مقصودنا وأيضا قولنا بأنه قصد
أن تعلم رموزه وأن تستنار دقائقه وكنوزه والظاهر أنه لم يقصد ذلك لأن كلامه لا يجري على
أسلوب واحد لأنه تارة ينبار عنى يقول القايل هو في بلاد مشترق وتارة يستعلي في الجو
المنحو وهذا شان اللاعب بألباب الناس موجب لها حصول الأشكال والالتباس كحال الحلاب (؟)
الكيمياء فيما أنا في كلامه ألحلع وأعيك وأخبط وأخلط وأتوقف في كل قبل واستنزل معاني
كلامه بلطايف الحيل وأكابد في حمل جلدي التعب والنصب وأكد في الذكر فيه بالقلب والعيش

4

إذ انه ليس عنده صبر البتة بل يحقق حقيقته ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها الا كن الشيوخ هم الذين يلبسون
الجديد ويقربون البعيد وقد شغر منهم الزمان والمكان وهنا روا في خبر كان وكلام الششتري عندي
أقرب مأخذا من كلامه أعني كلام ابن سبعين وأما أزجاله ففيها حلاوة وعليها طلاوة وهذا على
عندي في هذا الأمر ومنه تعلم مذهبي في الكتب التي سميتموها لذلك الشيخ لو قدر أن تقع بين يدي كتب
التحليل على مطالعتها من غير أن أحرص مرامي في ذلك ولا أتكلف استنساخها ولا ابتياعها
بثمن له بال وما ذاك إلا لما قلته لكم وأما مقطعات الششتري وأزجاله فلي فيها شهوة وإليها
اشتياق وأما تحليتها بالنغمة والصوت الحسن فلا تسأل عنه فقد يغني أن تقيد وأنتهاها وجد نموذج فاجعلوا
ذلك ولا بأس إذا استحسنتم شيئا مما ذكرتم من تلك الكتب وقدرتم على نسخه فلا تغفلوا ذلك لأن الشاهد
يرى ما لا يرى الغائب وطالعوا بهذا كله ذلك الرجل وفي توفيقنا هو الله عز وجل وقول الشيخ
أبي مدين في رؤيا ذلك الرجل حين سأله الشيخ أبو حامد فقال له ما زوج اللذيذ فقال نكاح البكر نكاح
البكر الطليم عندي أنه خاطب بهذا الكلام ربه عز وجل لأنه في حال اضمحل في نكاح وجوده نبيه
ووجود الشيخ أبي حامد وهذا هو عين الجمع الذي يشير به القوم فلما اتصل في هذا المقام من شهود
أراه غيبة العزيز الكريم جرى على لسانه ذكر حاله التي هو فيه فقال نكاح البكر فكان الجلال تكرار
إيلاء يوذن بغلبة منازلته وقيامه ولذا الأفعال الراك بأنه يغشيهم نور عظيم فلا تخفيهم الملائكة
ولا يكون هذا الأمر مقابلة التجلي واستيلاء الفناء والتلاشي وكانت أسئلة الشيخ أبي حامد
موجبة لترقيه إلى هذا المقام الكريم وقد يصح أن يكون الشيخ أبو مدين خطابه ذلك إلى النبي
صلى الله عليه وسلم أو يبقى على كنايته من مخاطبة الشيخ أبي حامد وسواء قدرنا مقام أبي حامد
أعلى أو مقام الشيخ أبي مدين أعلى لأن في هذين الوجهين بعدا وفي تقرير حقيقتهما طولا كثيرا
ما قد فاله إن لم يكن الناسخ حرف الكلام فقلب المقال كما قد يكون ممكن أن يكون نكاح البكر بل نكاح
وبعود على الله عز وجل ولا يحتاج فيه إلى مؤونة والله تعالى أعلم بهذا كله وبحقيقته وأما كلام
الشيخ أبي مدين ومراجعة الشيخ أبي طالب له في ذلك في الرؤيا الثانية التي وقفت عليها في جزء
لبعض المحدثين مشوش كله ولا يخفى على من شم شيئا من علوم هذه الطائفة فقيهم من قوم القوم في
هذه الطريقة وأنت تعلم حاله مع ما كان من هذا الجنس أعني المراءي النومية وأنا لا أتتبعها ولا
أبحث عنها وإن كان منها ما فيه نوع علم كهذه الرؤيا لم تتوجه الهمة مني إلا إلى ما يلوح منها
من بعد فهو وإذا أعلمت هذا عرفت أنه لا أجد في نفسي قابلية لما طلبتموه مني من بيان
ما أشكل عليكم من ذلك الكلام كله أو بعضه وما اقتصر لكم في هذه الحكاية من أن مقام سبك

الفوايد

تنبيه

لو

ابعد بين ارفع واعلى من مقام ابي طالب وابي حامد وان سيدي ابا الحسن الشاذلي على حسب ذالك لا يشق
له غبار فقد يكون ذالك صحيحا واي شيء يستنكر من مثل هذا وانا نخبر بعض المتاخرين من الاولياء قد اعطوا
من اللطايف ومنحوا من العلوم والمعارف ما لم يصل اليه في ذالك اكابر المتقدمين وخذ هذا من قول ابي
بكر الشبلي رضي الله عنه في ابي يزيد لو ادرك زماننا لتادب بصبياننا او كما قال ومن كلام ابي عبد الله
الترمذي الذي حكاه عنه صاحب كتاب لطايف المنن او فالله من تلفظ وتنبيه كما قال عمر بين جلدتي هذا الله
مما معناه ان الاولياء لا يزدادون مع كثرات العبتر الانوار مع استيلاء الظلمات على الامم الا استفادة
وظهورا ولعل في كلام سيدي ابي الحسن وسيدي عبد القادر وسيدي ابي العباس المرسي ما يوفيه كلامهم في تلو عنهم
رتبة الكمال التي اعجزت احاد الرجال ولم يقع مثل ذالك لاحد ممن تقدم ربنا ما خلقت هذا باطلا
سبحانك وقد يمكن ان لا يحصل لبعض الرؤيا حكم مثل هذا ولا يوخذ منها ما ذكرتموه لان للرؤيا اسرارا
واغوارا والله اعلم بحقيقة امرها وانما المعتبر في هذا الكشف والشهود الذي يكون للاولياء وبه لهم
تعرف الاشياء وتتبين مراتب الاولياء هذا ما عندي والله تعالى اعلم واما كلام الجنيد الذي نقلتموه
من طرة نسخة كتاب الترمذي ومن ودكم ان اكون نقلته في الكتاب الذي ذكرتم حيث يليق به فحيل فيه نظر
لان الحديث ورد مطلقا او عاما وهذا التقييد له او التخصيص وابقاؤه على الاطلاق وعمومه اولى
والله تعالى اعلم لمثل الفقراء في الوجود من سعة الرحمة وشمول النعمة فيتناول الحديث كل فقير وكل
غني فيهما امثلية دخول الجنة فالفقير العالي الرتبة الذي اشار اليه ما نقلتموه من كلام الجنيد يدخل الجنة
قبل الغني العالي الرتبة في الغنى كالموثر المتصدق وما اشبه ذالك بخمسمائة عام والفقير الذي
هو ادنى رتبة مع الغني الذي هو ادنى رتبة كذالك ولا مانع يمنع من هذا مع بقاء الحديث على الاطلاق وعمومه
وليت شعري حين قيد الفقير بتلك الصفات ايدع الغني على الاطلاق ام يقيده فان تركه على الاطلاق لم يستقم
ذالك لان فيه ايضا مراتب لا تكون نسبتها مع ما ذكرتم نسبة واحدة وان قيده عاد الى ما قلناه
ولعل هذا النوع من التخصيص في تفسير الايات والاحاديث لا احبه كما لا احب التضييق الذي
ضيقه الامام ابو حامد حين تكلم على الخشوع وحضور القلب في الصلاة ورد الى صلاة من لم يحضر قلبه
فيها ساقطة عن رتبة الاعتبار موجبة لصاحبها القضاء والتوبة وان الفقهاء انما قصروا مع الناس
في الحكم الدنيوية وان المصالح الاخروية ليس النظر فيها من شانهم وهذا شيء لا احبه لان الناس فيهم
الضعفاء والاقوياء وعوام وخواص والتكاليف الشرعية شاملة لجميعهم وقد ابرز الرحمة واجراها عليهم وكل
احد ياخذ منها حظا واجرا على حسب حاله ومقاصد الفقهاء لا يقدر على حمل الجمال بل الصواب عندي
ان يقال من اتى بالصلاة على الوجه الذي ذكره الفقهاء فقد قام بالواجب عليه وكان له ثواب مثله

وقد أتى بالصلاة كذلك وأطلق أيضا فيها ما اشترطه الإمام أبو حامد من معنى ابتداء حديث عنه وهو
مناسب عليها وعلى ما اعتبره من علامة المراقبة والحضور أصلا وفرعا فلو كلف الناس كلهم أن
يصلوا على النحو الذي ذكره الإمام أبو حامد لم يقدر على ذلك أكثرهم بل لم يوجد منهم واحد من ألف
وأما الكلام الذي نقلتموه عن الجنيد رضي الله عنه لو صح عنه أو رأيتموه له في كتاب معتبر لأجبت
نفسي فإني لا أتهافت على نقله في الكتاب الذي ذكرتم فقد رأيته هكذا كلمة وقد انقله لاستخرج منه معنى
غير ما ذكرتم من ذلك التعسير والتخصيص وأما ما ذكرتم من ذلك التأويل للعلة التي ذكرتها فكيف
وقد انضاف إلى ذلك أنه منقول من كراسة كتاب ليس له رأس ولا رجلان ولا يدرى من نقله ولا من
كتبه ومثل هذا اليسير في كتاب منه شيء والحمد لله لا موضعا ولا موضعين وأذكر الآن من ذلك
كلاما كنت نقلته من كتاب كان الذي عندي فيه حكايات لم أعرف من ألفه وهو ذو خطوط مليحة
وربما فيه تراجم بالأحمر وعلى ذهني أنهم قالوا فيه إن والذكر رحمه الله كان من كتبه ولا أدري
نقلت منه إنما هو كلام معناه كالمجمع عليه فلم احتج إلى تصحيح نقله وثم موضع آخر نقلته
من كتاب الترغيب الذي كنت استعرته من ابن بلال وهو كلام مذكور عن الحسن في صفة الفقيه
حين قال فيه هو كذا وهو كذا وعدد صفات حسنة كثيرة لم أرها مجموعة إلا في كلمه ذلك
الكتاب لأني رأيتها بخط ابن بلال وهو ممن تعلم ضبطا وإتقانا مع أن بعض تلك الصفات
أو أكثرها قد صح نقلها عن الحسن ولا يبعد أن يكون في كتاب بناء من هذا الجنس موضع وأما نسبته
هذا الكلام لهو الذي يمنعني من نقل ذلك الكلام مستدلا به على ذلك المعنى من التخصيص
وإن كان قد تضمن من صفات الفقراء المتخففين في الفقر ما يعترف بحقيقته كل ذي لب ودعوى
أنه تكون مثل الطير أو كطالب التمر إلى خيبر وأما ما استبعدتموه من شهرة الباجي
وبأحاديث به الإمام ومختصراته مشاركة طاعن على الإمام أبي طالب بكلام الخطيب فيعضده
بشهادة الباجي له وأما في تقرير منزلته وعلو درجته فلا ولو كان الإمام له غير مطعون
عليه لأن هذه الطائفة بينهم وبين غيرهم في ذلك ترايد فتنازعهم الله بعضا بجحود وقد شهدوا
بشيء كثير في القرشي بل إن هم حدثوا بشيء لم يصيبوا وجه المدح به وإن قد صحوا بمثل ذلك
وقد يذمون بما يمدح به ويمدحون بما يذم به لاستغفارهم وعدم استبصارهم كما قال
ابن حزم في قصيدته البديعة ... وربما غاية ما يعتذرون به ... يقوى من الحصر ما
يشتملون الكمال ... يريد بذلك ... وكان في قوميه أن الباجي متقدم بالزمان على
الخطيب بن ثابت وبأن استغرب تأخره بحيث روى عنه وأما رجوعه إلى الرواية

من ظهر

حيث

والتنقل

والتشاغل بحرفتنا واختبرنا اللاخل بهذا او غيره فلا ادرى ما افول فيه وكل احد البيوع خاطر بنفسه
ما فصلا لا كيف يفطع وقد جاء كان مطيعى المسوفة من جهة الفهم اشتغل بهذا وبغيره من
انواع الفضول وأما لم يكن مطيعى المسوفة الخصر وكنه ولبثه في ذاليك الامر ولم يكن فيه منفع
لغيره واذا لم يوجد البيوع اضر فيه فلا بليه لعمل طالع خالص من الهوى والشهوة يتعبد به
لربه عز وجل في وقت اعراض الناس عن ذالك ورعيه ابليهم خلف كثير منهم فلا لامر رحمه
الله تعلى فلذا عرفت هذا ولم يكن عندى اعتراض بخالك فاشتغل بالرواية او بالقراءة
او بما شئت من انواع الفضول فانك لست بنا فيه فعلا ولا زايد وانما هو وقت تقطعه كيف
ما اتفق الا انك تستحب فطعه بالفقه كما ذكرته وغيرى ممن الف فطعه بالفسوق
والمجون كذالك ولما العزيز الذى هو بمنزلة الكبريت الاحمر والذهب الابريز من وقف الله
تعلى في خرق همته نفسا عن الى غيا دمة يفاعل بها فولاه ويجد ثمرتها في اخراه من غير ان
يكون له فيها غرض دنياوي وفـ ـولكم لو كان فيه معجيك لاضربت عن ذالك صفحا في جلادهم
اى شي تفعل الحبيب ان دخل الخلوة على قدم ام تزيد غلوا وسني كلا البشر شي من الداعى
بلا فتى الا القيل والقال وتحميل كثير منا من الاوزار والاعمال الثقال بالغرور والاطال
والكتب في هذا الى كلية لعظم وبا والمعتقل يلطف لنا في الفضاء وفـ ـولكم مع ان اهلها
تعني هذا الك اهل الرواية لم نصرهم بأحوال اهل الحقيقة صحيح ولاكن لا ادرى اهل ما
للبيوع الذي لا يكذبون ولا يبيومون وقد يكونون لهم العقل الرصين وادراك المتين في تحقيق ما
ينقلون ويسلم مع ذاليك الانسان في هذا الستيهم من مسارقة الطباع وتغير الاوضاع
والغلة فيه عليكم فيهم من حيث لا اشعر وفـ ـولكم ومنهم بصير لعلل الفقه فان عندهم
غلطا وعدم شفقة صحيح ذالك النقاد والله تعلى اعلم ولاكن ان اردتم منهم ايضا فشانكم
وايلهم وقـ ـد بلغنا كتابكم وتعرفت منه حالكم وقد كنت اظن ان شيئا من
ذالك لا ابدا ان يقع فالحمد لله الذى قدر الامر فيما اجراه على يدى فلان من الخير حتى جمع بينكم
وبين ذى الرجل ولم تفعلوا شيئا مما ذكرتم له فانك المستلفتون وقع لك منكم في انكم لم تذكروا
له انكم سالتموه عن ذالك ابدا وقد بنيتم عليه لانكم وجدتم بعضا للزالك وما اختلتم به من انكم خصم
اليه حضور منه ما يوجب اعتراضا وانكم لا تعبون ذالك فليس بشي واى ضرر يقع في الوجود
اذا اعترض احد على كلامه وما كتبت كل ما كتبت وجزني به الفرو ونعزية الفضاء لا وقد جعلته
معروفا للاعتراض وموقع المطاعن من اجل القلوب الصحاح والمراض اما لم يكن ذا الدعاء فلا يسكون

لا تحالفه واجل الاكرام كان ذالك عاجلا كان نصف المهم لانه اعرف بذالك مما ما وما علي وفوليس
نصف المهم بل ازاد ليس عندي من ذالك مهم ولا نصف مهم ولا ربعه ولا ثمنه ولا عشره ولا عشر عشره
بل انا محب لذالك لما فيه من تكثير الكلام وان كان من جملة المزاح والله تعالى يتجاوز عنا بفضله
ومن الطرف ما رايت في كتابكم حتى قضيت منه العجب ورايت ان كتابكم هذا بسببه بان كل ما كتبتم
في كتب لما اشتمل عليه من نادرة لا يقدر ان ينتفع بها الا من نشأ في ما عنده وفي السماع التي
لم نلت بعد وان الوانت لا ادري ما الذي كان يكون الحال وذالك قولكم حتى انه اود لو جعلت عندكم
شيئا من المشاشات والطلعت عليه من الاخبار بالمغيبات بعد تقرير ما اردتم ان تقرروه من
حملكم على ان لا يكون لاحد ممن يتصف بصلاح او علم ذكر معي فصرا منكم بذالك الى من الناس الذي واخذهم
عنه لانهم لا ينفعلون الا الزالة وهذا الكلام منكم تجنيا وجعل احد منهم سائلا وليس بكلام من
الكلام ان لا تعتقدوا ان الله موجود اعني ولا اني اخبرتم ان يوجد ذالك لي وتجعلوه عني من اجل
ذالك الغرض وهذا حسن وغرض صحيح مستقيم لو سلمتم من الجهل بحاله الذي استولى عليكم واتضا انه
ان تعتقدوا وجود ذالك عني الا انكم جعلتموه فتريدون ان تعرفوه وتجعلوه لتذكروه لغيركم وهذا
الوجه هو الظاهر من كلامكم لانكم قلتم لو جعلت عندكم ولو اردتم الوجه الاول لقلتم لو وقع
منكم وجعلت كذا وكذا فبان كان هذا مرادكم فقد جهلتم من وجهين احدهما اعتقادكم ان مغانم
الولاية لا بد وان يجري على صاحبها شيء من خوارق العادات على النحو الذي ذكرتم وليس ذالك بلازم
مبينا وانظر هذا المعنى عند قول ابن عطاء ليس كل من ثبت تخصيصه والثاني اعتقادكم وجود
هذا المقام في ان اسكت ما علمنا والخاص في الكلام عليه لان كل ما ان تعلم به في محاولة ازالة هذا
الاعتقاد منكم لا تحمله على وجهه ولو بلغ في التحرير والتصوصيف كل مبلغ ولا يمكن لاحد ان يخليكم
في هذا الموكل من فلابد من حكاية فحزا التي ذكرتها لكلامكم ثم اعقب ذالك بشيء من المزاح معكم حكاية
ان فيها بناء عن نفسي ولو كنت حاضرا معكم لاستغنيت عن شرح ما فيه الحكاية بصوت ربي مستشنع
يخرج من فيه الشخص لان ذالك في المالوف والعادة ابلغ في المعنى المقصود به من كل كلام ملفق
وقد نمق ويكون في ذالك اسوة وقدوة بابي ذر رضي الله عنه فانه يفعل ذالك جهرة في الحال لا فراد
بعض الناس ويتكلم في الزهد وعليه ثياب رقاق وازار دامعية بادية عليه امثال العلا
وبناء على هذا حكاية كانت وقعت سمعته قبل هذا وهو ان بعض المشايخ دامت مذاكرته في
بعض الايام نوع بسط وتمام انشراح ووجد فابليه لان يقول ام يقال له وفي الوالد المسائل اغتنموا
ذالك منه ما غنمناه المالوف من حال المشايخ انهم يتعجبون تلامذتهم بتعجبه يزداد بها يقينهم

وايمانهم

وايمانهم بكرامة مشايخهم وذلك بان يذكروا لهم شيئا مما اختصهم به مولاهم من انواع الكرامات
وسنى الهبات وعدوا من ذلك اشياء من نحو الطيران في الهواء والمشي على الماء واجابة الدعاء (م ذلك)
وغير ذلك ونحن نريد ان تذكر لنا شيئا مما اكرمك به مولاك والخصك واختصك فلما سمع منهم
اطرق قليلا ثم رفع راسه وقال لهم نعم انا اخبركم والحكم واذكر لكم الكرامة التي بها اكرمني
والخصوصية التي بها اختصني وهي كونه امهلني ولم يرسل علي صاعقة تحرقني او كوكبا نسا
يغرقني او بلاء من الارض فيبتلعني بعد ما علم الكرامة التي بها اكرمني والخصوصية التي بها اختصني
بجنوا ذلك او دخول او كما قال لهم هذا الشيخ رحمه الله تعالى عن الخبر اما سمع هذه الحكاية (م ذلك)
ولو كنت شيخنا الفلالي لكان مثل ما قال هذا الشيخ لان لا على النحو الذي قاله ولما قلته للعلي النحو
الذي قاله لان الصحة هذه المقالة منه وما لبث عنه منها شيء اذ هي مما يحسن الظن بجميع المسلمين
وليس عندي من ذلك الا الخبر ان الخبر واهتبال المزاح الى ان يبدو اوحى فعلم [illegible] حكاية احكيها
لكم عن بعضهم وهي ان رجلا ممن يحسن الظن بي مرض له ابن او ابنة في هذه الايام القريبة كان يحبهم
حبا شديدا او الوالد الكثير العطاء التي [illegible] فجاء [illegible] برسم ان رفى
له ذلك ليستشفي به لما وصف له مقدار ما بلغ به وجع علتهم فاجبته الى ذلك ودفعت (خ ما طلبه)
ما طلبه منه ثم انفصل عني وهو يرى انه قد حصل على مطلبه وبلغ الغرض الذي رغبه فلم يكن الا يسيرا
نحو ذا ابيضاء جاء الي واخبرني ان ابنته قد ماتت فحضرت جنازتها ثم بعد ذلك بيوم جاء الي
واخبرني ان ابنه قد مات فحضرت جنازته ثم جاء الي بولد له بقي له اكبر من اخيه وقال لي
خادم له صغير قد يموت له فلم يلبث الا يومين واذا به قد مرض ثم دخل قبره في اليوم الثالث وحضرت
جنازته فهذه صورة من صور الكرامات صدرت منا رضي الله عني فاذا الخبر ثم اخرجا خبرنا
بهذا وما اشبهه ولو كان عنا شيء مما يخاف منه هذا الخبر نحكم به ولم ابخل به عليكم والظاهر
من حال ذلك الرجل انه مات اولاده ببركته بقدر ما على حسن الظن في ولا تتعجب من ذلك فقد وقع
مثل هذا لذلك الرجل الحنفي جاءه ابنه رجل ذات يوم بابنين له ليدعو لهما بالبركة ثم رجع
اليه منها بعد حين اخبره انه قد سقط في البير والاخر قد اكله الذيب وسالته ان اجاب عنه لمولود
ولد له ان يطول عمره فجعل هذا الولد يرجع مشققا برجع الى منزله مسرورا فوجد ابنه يعالج
الموت وقد مات من يومه وسمع على هيئته رجل استشفى بشيخه فاصبحت عيناه وشيخ راسه
[illegible] فرعا فاحيشا وفرع كل مولود ولد له بعد ذلك وقع هذا كله لم يمتنع فلما يلهم من ان
يقول في حقه * كم ابتلى [illegible] * كالشمس تطلع من غمامته * واذكر قوله تطلع من غمامة

صاحب الغنامة الذي رواه في نوعيد فلان والمراد منكم ان تقولوا الذي يقول لك فلان فقد قال النبي صلى الله
عليه وسلم لا يلدغ المومن من جحر مرتين وانت يا اخي كان لك فيما خلا من الزمان متبوع تتبعه وتقتدي
به ثم خرجت لما بدا لك منه فما ينبغي ان يكون هذا الاخر مثله او شرا منه فلا تعتمد على قول قائل
تراه في المنام ولا تلتفت الى الصفات الا صلاح وشغول العامة الجهال في الجزاء ولا الشرح الا ان تر
وقوله مثله او شرا منه كلام مكمل لا بد من تفصيل لا انه او فيقته على حاله فقبل حصول النسبة
ومولهم فيعلمه الله ولو بعد تحقيقها في النسبة وتشاع الخاصية بضلته والعجز واستغفر الله
العظيم من هذا كله وبعد فقد بلغني كتابكم وقد تعرفت منه امورا منها استوفكم
لتلك المسئلة التي كان حرمها فلان بنصها ولو علمتم هذا او لا لكنتم ارحتموني من الكلام فيها
بما تكلمت به ولكنتم اهل ثموت فانا في حرجة بعلم مالم اكن اعلم من تلك الوقائع والخطابية
التي ابدا بها التعقيب المنافق له الشيخ الخاتمي رضي الله تعالى عنه ومثله يتكلم بذلك
الكلام التعقيب البديع واما كلامي فيها فهو خشني رسمي وانا فيه بمنزلة الخراز اسلمي
يتبع في حرز التعقيب ولا يتجاسر يخرج عنه يمينا ولا شمالا والله تعالى يلطف لنا بفضله لا كيف
في ذلك الكلام واعجبت بقصر هذا الشيخ الذي ذكرتم والتوهم الذي توهمتموه هو ما توهمته انا
والاعتراف الذي اعترف به لكم اخبر انه اعترف انا له وهذا القدر في حقه كاف شافي والحمد لله
واما ما ذكرتم من حال فلان في التسليم بخلاف الموافقة وحيرتكم بخروج بالموافقة في التسليم
لا ينفع في تلك المسئلة اذا بقيت عرجاء حتى يسخرج الله تعالى فيبرمهما بالموافقة ونعيم
نعيم بما منه لا ينفعني ولا يضرني الا ان دعمها فلان ولي اذا وعمها فلان بل عمها فلان بالضرورة ولا
مطمع في نعيم فلان فلا مطمع فيما يتبع ذلك فبقيت المسئلة لذلك فلت ليت من العرو حجة
ولا فرق الا بالله واما الكلام الذي محوتموه من كتاب فلان وقيدتموه عندكم ولم تعلقوه من يدكم حتى
تحققوا علم حقيقته فاعلموا ان الكلام في نفسه صحيح ان تحقق ذلك الشرط الذي اشترطنا له ولا
وتحقق ذلك الشرط هنا وهي اشبهنا الحال في العادة فاذا لم يتات تحقق هذا الشرط فينا
وانما ذلك المقصد اجلت قدرا وامر به خطرا ولما تتشوق اليه وتستميل لعبقتنا عليه
ولعرف انفسنا بتحقق ذلك الشرط فينا على وجه الاعتراف وحصل بسبب بقا ذلك الكلام
من شوم ان العساد ما لا يزيد عليه من رايت الا ولي عقوه وتعقيبه الي ولعل ما في كتبكم التي
عندكم من تلك المعاني ما لا يحصى كثرة ولكن ما عني ما اعمل اذا غلقت لكم العوهنا لا يحجبكم فيه
هذا الصوت فان طادهكم هذا او واحد من الصبيان فيعرض عليكم اعرابه لا شر ونحنا يقول ومثل

عنه

فتلو

تنور عليكم تلك الاخلاق المباركة فتزدرون غبطة الحمار على البردع وان سكت عن ذلك ففيه ما فيه
والله تعالى للجميع ولي واما ما سالتم عنه من العبارات التي ذكرها شيخنا ابو القاسم الجنيد رضي
الله عنه ونفعنا به فالامر فيها قريب فان شئتم جعلتموها شيئا واحدا وان شئتم جعلتموها
متغايرة مرتبا بعضها على بعض وكلام العارف لا يلزم منه ان يكون مختصرا ولا ان لا يكون
مكررا والظاهر انها متغايرة مترتب بعضها على بعض كما ذكرت التي لان قطع العلائق امر
متحقق ومتقدم ولا يلزم من حصوله ان يجمع الهم ولكن لا يحصل الهم الا بقطع العلائق فقطع

جمع

العلائق اعم وجمع الهم اخص وكذلك ان الجمع بعده وان قطعت علائقه لا يلزم ان يحضر مع
ربه ولكن حضوره مع ربه لا يتصور الا بجمع الهم فقطع العلائق فهو اخص منهما وهما اعم
منه كما يقال قرشي وهاشمي وعلوي فالقرشي لا يلزم ان يكون هاشميا والهاشمي لا يلزم
ان يكون علويا والعلوي فيلزم ان يكون هاشميا وقرشيا والهاشمي يلزم ان يكون قرشيا

بل

على ترتيب تلك الثلاثة الامور من شيخ السالكين لان اول ما يؤمر به قطع العلائق وهو كل
المأمور به فاذا قطع علائقه منّ الله سبحانه فيجمع همه ويحضر معه كما قال تعالى
والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وهذا المجذوب شيء اخر واما ما ذكرتم من
انصرام همم الناس الى ما ذكرتم فالناس على دين الملك فالله تعالى يصلح الراعي والرعية
ويوفقهم جميعا الى الاعمال المرضية وقد بلغني منكم كتابان اثنان اما الاول منهما
فبعثت بجوابه مع رجل كان ساق الينا كتابا من فلان واما الاخر فبعثت بجوابه مع اخيكم
فلما كان الان جاء الي الرجل الذي يصل اليكم ان شاء الله تعالى هذا الكتاب على يده والكنه
الرجل الذي كنتم بعثتم معه الكتاب الاول منهما وطلب مني كتابا اعرفه به ورايت فيها
ان يجيء بكتاب ويرجع بلا كتاب ثم انه طلبت ما الذي اكتب لكم به فلم اجد الا ما في ذينك
الجوابين استوفيت فيهما ما يحتاج اليه من الكلام فعلمت اعلم ان تجديد السلام فيه
البركة ولا ينبغي لاحد ان يستحقر هذا لما تضمنه من اسمه الكريم جل وعلا واسماء الله تعالى
يتيمن بها مقولة بالالسان ومرقومة بالبنان ومذكورة بالجنان اسماء عظيمة كريمة
اذا استصحبها احد كانت له عزة وقيمة ينشرح هو بها عن نفسه شرها خلوة رب
العلى ويأتي بها مستصحبها في السر والعلن والحزن اسماء جميلة جليلة اذا انشرح
بها قلب عبد اوجبت له احوال الاسرار رشيقة من رغبة ورهبة وانس وهيبة وقبض
وبسط وسكر وصحو وغيبة وحضور وفناء وبقاء وغير ذلك من احوال الاولياء والاصفياء

ثم يترقون من ذلك الى احوال شريفة توجب لهم الوصول الى مقامات عالية منيفة ومجمعها
الى شهود التوحيد والتحقق بالتفريد وصفاء التجريد ولذلك يلهج بذكر اسماء الله تعالى
الاحباب ويصغي الى سماعها اولو الالباب فاذا انجلت لهم معانيها لم يكن بينهم وبين المسمى
بها حجاب فعند ذلك تحق الحقائق وتنجلي الطرائق وتتسع المضائق ولا يكون هناك
شيء من العوائق والعلائق فليهنأ صاحب هذا ما حصل له من المنائح الالاهية والعز السرمدي
قال الله عز وجل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين مع قوله من كان يريد العزة فلله العزة
جميعا وهذه عبارات مشيرة الى معنى ما حكاه ابن البناء عن الصوفية من تمكن المذكور
سافهمنا اليه قد بذر الامور من حيث لا تتكشف ولا تتكلف فلا تقنع بذلك ولا تطمع في الزيادة
عليه اذ هو شيء لا حاجة بنا ولا بكم اليه ولا الصمدية جلت ان يتنبه ولما فرغت من وصف
والاحدية نفوسهم عن ان يعبر عنها بالعبارة وحرف جمعي راح ذلك وقع في الشطح وحصل
في مهواة من الخطإ والغلط فسقط بذلك في جملة من سقط وهذا كله كلام سمح به الخاطر
في هذا الزمن الاخر وهو نفس يشبه انفاس الاكابر فانه عين العسل والانسل واحمد الله عز وجل
وهذا الكتاب وان كان صغير الجرم فهو كبير على التحقيق لما تضمنه من ذكر الله تعالى والتنبيه
على الثناء على اسمائه الحسنى من غير ان نمزج ذلك بشيء من الكلام الغير المتعلق بالاغيار
والاكوان * فكل كمال البشر فيه نقيصة * وكل حديث لبشر عنه قد عبرى * ولولاك لم ينطق
لساني بذكره * ولولاك لم اسمع ولولاك لم ارى * واعتبر ما ذكرناه من الكبر والصغر بالبطاقة
التي توضع في كفة الميزان فترجح بها وتطيش السجلات التي كانت مجعولة في الكفة الاخرى
وذلك لما تضمنته من شهادة التوحيد جعلنا الله تعالى من اهلها في الحال والمآل
بمنه وكرمه والسلام الذي يليق بهذا كله بسنيه معاد عليكم وبعـــد فقد بلغني
كتابكم وتعرفنا منه امورا منها ان فلانا اخذ نسخة ذلك الكتاب في حقي فالله تعالى
يجزيه خيرا ومنها انكم قراتم ذلك الكتاب الذي فيه الاوجه الثلاثة على رجل لم تسميه
في الاسم انكم اثنيتم عليه بالفهم والنبل وان فلانا وفلانا وفلانا كانوا يثنون عليه ولو عرفت
اسم هذا الرجل لكان حسنا وقوله لكم حيث باشر في الكتاب وجاء على خاطري والله ما
كنت الا اجد من ذلك في نفسي شيئا لا اسميها اذكر امرا انه ينتصر له على صفة ابو فيد
يهوديا ونصرانيا وان ذلك يفتي في حيا ليبصر في كلامي ما يعيبه ولما يثبته الا الذي تكلمت
عليه فيه من الالام التي تذكر عند النزع وما ذكره هو من جملة الكلام التي يخاف منها اذا ذا

اربابُ

تعالى

ذكر اسمكم

كرؤية ملك على صورة مقبولة او انكشاف الغطاء في النشأة والبشرى بشيء هو اقوى مما ذكرناه
من الآلاء الكبرى فيه فمنا شبعة والا رزقنا كل وبلا اذى من ابن اخذنا من قليلها ولم استغرق الا
كله في ذهني ومنها اماذا ذكرتم حين رجعتم ان الكلوب الشعير انقص خالصكم من اجل انكم في
نعمة ذو وفي العلة تقول بشرب الحليب لما هو امر وافق الطبع ثم نجد الشعير لا يحل الا
النواة واما الفم فمقدار من جملته الا وفيه التي يصيبها الطبيب للمرض وفيه ولكم فاذا
اشتغلتم ذلك انظروا الى تلك الحكاية التي فيها انما هي قوة جوع فما ابالي بأي شيء رددتها
كذلك ينبغي ان يكون العاقل فان الشبع والتخمة وتكثير الاطعمة وانتخابها مضرة لصاحبها
في كل حال وانتم وان كنتم رجعتم الى مثل الحالة فرحا فلعلكم تنقلبوا الى ان يكون ذلك كفوعة
منكم واختيارا لحال ذلك الرجل وقال الشيخ على الدين بعزيز وفيه ولكم فلا انظر الى الكلمة
الكبرى ومعنى الناس فيه هو خير منه بالرغم ضعيف يموتون جوعا فلينظروا حمد الله واشكر هذا
حتى منكم لا يتبعكم بسواه لانه هو ادنى لما ورد في الحديث انظروا الى من هو اسفل منكم ولا
تنظروا الى من هو فوقكم فانه اجدر ان لا تزدروا نعمة الله عليكم وقد حملته انا على عمومه
اعني في امور الدنيا وفي امور الدين وحمله غيري على امور الدنيا فقط والله اعلم بالمصيب في
ذلك من المحتملين واما ما سألتم عنه من امر المعاد وما عندي فيه فاعلم ان الذي عندي فيه
ما كنت اشرت به اليكم من انه لا ينبغي ان يبحث عنه ولا ينظر فيه وانما الواجب ان يعتقد
فيه ما نطق به الوحي من وجوده وصفاته واحواله وتفصيلاته وان يوقن العبد بجميع
ذلك ايمانا واذعانا [illegible] تفتيش وتحقيق وتدقيق واما النظر فيه هل هو جسماني
او روحاني او حسي او معنوي فهو من الفضول الذي ينبغي ان يتجنبه ارباب العقول وكلم
من اخذ الوقوع فيه عنوان يكون في الرقاع اذ انما حمله على ذلك ما هو فيه من الراحة
والفراغ ثم انه لو علم تلك الاعيان وكان علمه بها كالعيان لكان ذلك من العلوم التي
لا تنفع وكل ما لا ينفع علمه لا يضر جهله وبعض ما لا يضر جهله قد يضر علمه وانما العلم
النافع بالمعاد وكذلك بكثير مما يتعلق بالاعتقاد ان يعلم ذا الله كما قلناه على سبيل الاجمال
ومنفعة العلم بالمعاد انما هي ما ينتج ذلك العلم للعبد من رجاء وخوف يبعثانه على
العمل الصالح والتقوى والابهام في الاشارة [illegible] الا قرب ابلغ من التعبير لان كل ما يحيط به فهم
الانسان وعلمه فانه بحسب قصوره يقل ما يترتب عليه من التأثير بخلاف ما لم يحط به علمه
ولذلك كان قوله تعالى نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم ابلغ

في الدار الآخرة الرجاء والخوف من الأمور التي لا نسبة بينهما في الإجمال إلا بمغفرته ورحمته وعذابه كل ما اقتضى
فيهما فمن الإنسان أن تعيين شيء لم يستقلب لذا الحق إلا بإيقاع الأمر فيهما وجوز وجود ما هو
أعلى من ذلك وكذلك في عمر كتب هذا أن الرجاء إنما نبين أن يبين الكريم بمعنى أغلب من الخوف في
وجميع الكلمتين إذا يدوس على ما ذكر أئمتنا رضي الله عنهم في ذلك ولا يعقل أن يكونوا ذكروهما
ولذا أن يمتاز أحدهما تقديم في آية الرجاء وتلي في آية الخوف وتقديم الشيء يؤذن بالتهمم به
كما قال سيبويه والثاني ذكر في آية الرجاء الصفات العلية والأسماء الحسنى وذكر في آية
الخوف فعله فقط وهو عذابه الأليم وبينهما ما بينهما وما ذكر غيره وأنكم لن تقفوا على
نص الغزالي فيه وكذا لا إنما اتفقا عليه وقد ذكر في كتاب ميزان العمل شيئا يشعر أن يؤخذ له منه
مذهب في المعاد الروحاني والله تعالى أعلم وقولكم في الكتب الأربعة لو وقع فيه القناطير من
الذي أنفقه تأبيد ولو عرضنا في أبدان العالم وناديت عليها فمن يقول لا يشتري ذلك ولا يجمع ما
عندكم من جوالة مسوسة ولا على الثمن أفردت بذلك فقد اعترفت بأن عندي قناطير مقنطرة من الياقوت
ومعلوم أن شيئا من ذلك لم تشتغل به عن طلب الدين الذي قبله زيد وعمرو ولم يوقع ذلك عندي
جوعا ولا عريا ولا بردا ولا إيجاد إلا لأنه ينبئ من الأسرار الملكوتية التي نعتمدها بالتشوف والتوسل
والمجاهدة والخلوة والأذكار ولا الفقراء المبتكرون وإنما هو حسن في عينك غاية ومن جاوزته في
استحسانه واستعماله مبلغ النهاية بحيث استحقرت القناطير المقنطرة من الياقوت أو يعطى
فيه من غير أن يكون لذلك أصل ولا تحصل بل هو شيء أنزل في قلبك من غير كسب ولا فعل فإذا تقرر هذا
فلتعرف مقدار كل أحد في أسبابها فيه وقيمته عند كل مثل القيمة التي عرضتها كل من يجر بها
لدينا من هو غير راع حرمة عنه أو تقبيحه لديه فقد تعالى أن أرشادها ولا ينبغي لأحد إذا أن يجري من أجله
في حق أحد عرض شيء زين لديه ولو يكون ما ذكرنا من تحقيق أو حزمات ولا يعتمد في ذلك من غير أن أراد أو رغبت
عيشة معه وما أحسن المعاملة التي يعامل بها أولاد الناس في هذا الزمان لأجل ذلك لا تكاد تخبر
أحدا يطلق فيه لسانه بذم ولا عيب على ما أنا وأنت عليه من ضيق العيش ولا ندري كيف نعيش في هذا
الزمان والله تعالى يلطف لنا بلطفه الخفي الذي لا يخفى بها لأحد أو عوض غير كبير ولا لكن إذا لم يجمعنا الله
الحقيقة رأيتها حال الناس وما هم عليه من ريب وعيش واحد ولا أفضلية لمتسع على ضيق ولا لمتمول على فقير
على متسع إلا بما يحصل به قول الله أكرمكم على الله أتقاكم بما يحصل به الاطلاع لنا على كنهه وقد لا
يكون لنا شعور به ولذلك يخبر أن يستوي العالي بغير الذي تتميز به نفوس العالمين فيكون فيه خاصية محمودة
لو وزنت بالياقوت لوزنته إنما أشير بمن هو موقعه في الحال المحمود ولعل بتلك الخاصية يستوي

والله تعالى المنزلة العالية ويغتبط بتتبعها كل حالة رديئة وإنما شفقتك على هذا الكلام كله لتقادح
قلبك سالكنا ونفسك معاودتنا إذا ذكرت لك حالتي مع فلان حين جاء إلى هنا والتعلم من ذلك أنه في (خ هادنة)
ستوى المعاني وربط بعضها ببعض صانع وكل طريق ينبغي إلى الجامع ونعني بهذا ما قدمناه كي من أن
على الحق عند نفسه جزء لا يتجزى ولعلك ترى فوقه إذا ذكرت لك حالي مع فلان فتجرك نفسك بأنه كانت
بيني وبينه حالات ومودات كالكلام بكل شيء من ذلك وإنما الرجل جاء إلى هنا وبقي يوما أو يومين أو ثلاثة
ولم ألتق معه ولم يلتق معي أما عدم التفاته إلي فهو الوجه لأنه قادم والقادم له حق في أن يجاء
إليه وأما عدم التفاتي معه ولا أعلم له سببا معتبرا إلا أن يكون الموقوف مع هذا التعبير ولا أدري ما الذي
يؤول إليه ذلك والله تعالى يتجاوز عنا برحمته وفضله ولكم ومن كشف غوائل المغرب في هذه الأزمنة
نعم علم أنه غوائل ما ذكرت لك ولي لا أكن براغب على ذلك إلا أنك لم تخبرني هل وافق عليه فلان
أم لا فإن اتفق أن يوافق عليه فلا أبالي بعد من وافقه من خالفه منهما والثالثة إلا أنا في جهتها يستقيم
ومنع الفقر والحاجة في ذلك إلى الرابع ولا خفاء أن المقصود قد حصل وأما ما ذكرتم من شكايتكم عن الدعاء
بسبب نظركم إلى القضاء والقدر وأن الدعاء لا يرد ولا ينفع فهو قصور منكم وجهل لأن الدعاء من جملة
الأسباب التي أجرى الله تعالى سنته بترتب المسببات عليها من غير أن يكون لشيء منها فعل أو جعل
فمن أكل الخبز شبع ومن شرب الماء روي ومن جلس في الشمس من الظلال إلى الكلال أو تردد إلى القاضي في
الشرك والخصام ربما يحصل في يده ما يكون فيه فوائد أو رد له وكذلك من دعا في شيء استجيب له وهذه
كلها أمور عادية متساوية في السببية وقد قال بعض العلماء في قول من قال أجمل ما أكل الرجل
من كسب يده أن نسب يدخل هو بعينها إلى الله تعالى بالدعاء عند الفاقة والحاجة فإذا كان هذا
كله أسلوبا واحدا في كل شيء فتجعلون البعض دون البعض وقد لكم ربما تغالبون أخذ في الدعاء
لكونه إظهارا للعبودية فلا أدري أي شيء تعتقدون في وجه كون الدعاء إظهارا للعبودية فإن (خ تعتقدونه)
كنت تعتقد فيه أن تكون في حال دعائك معترضا متبركا لا أرب لك في استجلاب شيء على وجه دعائك
إذ لا يكون القدر يعارضه وإنما تنادي بالدعاء لأنه عبادة في نفسه فذلك اعتقاد غير مستقيم لأن
فيه من الدعوى ما لا يخفى وإن اعتقدت في وجه ذلك أن تكون في حال دعائك كالباحث شيئا رأيته
أن لك فيه مصلحة من غير أن تدعي استغناء من ذلك ولا استخفافا بنفسك بيده ومن غير أن ترى دعاءك سببا
موجبا لحصول ذلك الشيء المطلوب دون الحكم الأزلي فهو اعتقاد مستقيم سالم من الدعوى وتكون
في دعائك هذا الذي فيه طلب المآرب والحاجات مظهرا للعبودية لا استجلاب لك في إظهارها سوى
هذا الذي ذكرته بمعنى أنه لم ينشغل عن مولاه بحال لأن الله تعالى لما رغبك في كسبك قد بعث إلى

العبد تاركا لها وشريفة نشر بها وبرغوث نفسها عند اداءه وقد ارتفع عنه همها وعدوا له التفصي منه
عنه وجود هذا كله ان تدعوه وتتضرع اليه وتلح في مسئلته ليعافيك عنه ما احمد من ذلك بل لما
خلقه ولعلك لان تكون ملاحظا لاختيار تقول للشيء كن فيكون وتكون من المقربين منه والدنو بحال لا يصفه
الواصفون ولا يعبر عنه المعبرون ولم يمكنك التوصل الى ذلك والتشاغل باسبابه حيلة ولا قوة
(لانه اقتضى منك ان تسأله ذلك وترغب اليه فيه ليعينك على ركعة تنتفع بها وتعلقه حسنة
تبتدرها وتكون في حقايق في هذه من الامرين اعني الدنياوي والاخراوي والحاجة وبما العبد فيه
مطيع الله تعالى ومتعبد له بذلك وموافقا لمرضاته ومظهرا للعبودية ومنافيا لحظوظ الربوبية
ولا ينافي في ذلك ان تكون مفوضا متوكلا راضيا لما ذكرنا في ذلك التكسب والتسبب وقد قال ان يكون العبد
بحال تسببه وتكسبه لا محبة له ولا ميل الى ذلك الشيء الذي يطلبه ويستجلبه ولا حرص عليه
بذلك (بل اذا تغير قلبه واضطرب وتشوش عند عدم ادراك سببه الى مطلبه فينبغي ان يتهم
انه غافل مطلقا من تلك المقامات العلية ولو اخذ الدنيا في صورة تكسبا وطلبا بالكلية
وكذلك الموازح في الدعاء والسؤال وطلب الحاجات والتوق العرف قال النبي صلى الله عليه وسلم
في بعض دعائه اسئلك الرضى بعد القضاء او كما قال صلى الله عليه وسلم فمقتضى هذا ان الرضى بعد
القضاء هو الحال المطلوب واما قبل وقوع القضاء فالجزع منه لا يضر لانه من مقتضى
الجبلة التي تكره وقوع البلوى والرضى به لا ينفع لانه حديث نفس ومجرد دعوى قال قيل
اذا كان العبد محبا لما يحصل له بتكسبه وتسببه وطالبه ولا شك انه اذا لم
يحصل له ذلك ينقلب حبه بغضا لان محبة وجود الشيء مقتضية للبغض لعدمه
فكيف يستتب لك هذا فالجواب ان ذلك صحيح الا ان ذلك انما يجيء بمقتضى الطبع والجبلة
وذلك انما يذهب ويزول بما يرد عليه من جنود ايمانه ويقينه ومعرفته فيمنعه ذلك وهو
بمنزلة الطايف الذي ينهزم بالتذكر في قوله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طايف من الشيطان
تذكروا فاذا هم مبصرون ولم يقل لا يمسهم ذلك او لا يصيبهم كيف والبشرية للانسان امر
لازم لا يغادره ومن شانها التالم والتاثر قال الله عز وجل ولا تهنوا في ابتغاء القوم ان تكونوا
تالمون فانهم يالمون كما تالمون وترجون من الله ما لا يرجون فلم يحكم لهم بعدم التالم عند
نزول البلاء والى حكم لهم بكون ذلك التالم مغمورا بقوة الرجاء ولم يكلف الله تعالى عباده ان يكونوا
في اجسادهم مثل الحديد لا يتالمون ولا يتغيرون كيف والانبياء عليهم السلام والاولياء لم يخرجوا
عن حكم بشريتهم في التالم لما اصابتهم الالام الفريبة وضروب الآفات البدنية وتغيروا لها

وانما اذا كان لا يتغير قلبه ولا يضطرب ولا يتشوش عند عدم ما ذكرنا فهو حاصل في تلك المقامات العلية ولو بـ

وتأثروا ونالهم بما أصيب به سيدهم وحبيبهم يوم أحد بل قد اجترأ عليه من سفهاء أهل الطائف
حين عرض نفسه عليهم ثم انصرف عنهم آيسا من إجابتهم من أن استهزأوا به استصغارا ورموه
بالأحجار حتى قال صابرا أو من أكثر ذلك الحال في اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني
على الناس إلى آخر الدعاء. وروي أنه لما أصيب بما أصيب به يوم أحد أنشد هذا البيت المتضمن من
قول خرنقة بنت العفيف * وكلهم ذو الفن بن أشر تفاضة * على التبشير من وقع الحسام المعتبر *
ولا كان ذلك منهم معمورا أو مقهورا أو مغلوبا بما كانوا فيه من المشاهدات السنية والمقامات
العلية لم يخرجهم إلى الإحساس بذلك ولا وجود التأثر به حينئذ ولا أخذه لذلك إلا أن كل أحد منهم لذلك قد
أخذ بما ذكرناه بل زاد بهم ذلك في حال العبودية ومقام العبد قوة ورسوخا ولست أوجب أن ينفكوا
من وجود الألم في كل حال بل قد يكونوا في بعض الأحوال الإلهية لا يشعرون بالألم وإن كانوا من لحم ودم ويكون
هذا من جملة الكرامات التي يكرمون بها كما يصيب أهل الحال والوجد فقد يبلغ بعضهم من قوة الوجد
أن يضرب بالسيف في وجهه ولا يحس بذلك وقد حكي مثل هذا عن الجنيد عن السري رضي الله عنهما
واستنكره ثم بان له صحته وكذا جرى للحسين بن منصور فإنه ذكر عنه أنه كان تقطع أطرافه ولم تتغير
حكي
منه شعرة وقد يصرف الله تعالى الألم عن بعض الناس بلطيفة يخلقها لهم فقد ذكر الشيخ محيي الدين
ابن العربي في بعض كتبه قال رأيت فاطمة بنت التاج بمكة وقد أخذها أبوها يؤدبها لأمر كرهه
منها فيه فضربها بعصا كثيرا وهي قاعدة ما تجد شيئا من ذلك فقالت إنه لما أن يضربني والدي
وأخذني شيء أحسست بشيء رمى بنفسه علي وغطاني فكانت العصا تنزل في كمه وذلك الذي لبسني
واسمع وقع العصا ولا أحس بشيء منها في كمي وكنت أضحك تعجبا من ذلك ولا كمثل هذه الأحوال
وإن جلت والمواهب وإن عظمت وقلت فلا تقتضي أفضليتها الحال إلا الأوقات المعتادة التي
ذكرناها فهذا ما ظهر لي في كيفية الدعاء لإظهار العبودية والقيام بحقوق الربوبية فينزل
عليه كلام ابن عطاء فهو عنه في الحقوق الذي لا يسر عليه عطاء وليس بمستبعد أن يكون هذا المعنى فيما
قلته من التحقيق المذكور مما يفهمون من أهل هذا الكلام ويولد لا ينكر منهم وجود الاعتراض لأنهم لم يروا
الاستواء في الحالين من غير أن يعرفوا له معنى أو يعتقدوا الدعاء أصلا وقد ينبهوا على غيرهم من أهل
حكم وحادولا
الظاهر فقد يردوا بغضهم عليه ولا يطيلون بقدح ولا اعتراض إليه فقولكم ومن أخفت منه أن
يكون كمن دق على الباب للنكاية الحجاب فلست بمجرد تركه الدعاء محجوبا ولا كان الجفل بهذه
المعاني فيما يكون سببا في ذلك فإذا عرفتها الآن فقد فتح لك الباب ورفع عنك الحجاب
فادخل فتفرج ولا تنصرف عنه ولا تفرغ ولتستكثر من الدعاء والسؤال حتى في الأمور

انني ليس بها بال لما قال رسلني حتى علم بجميعه وتعلق شأنك وافعل في مكة لبيك كلمتها كما كنت
تفعله حين كنت تدعوا على فلان بالإلحاح والتطويل وتجعل ذلك بين الجمعة والمنويل ولأي
إذا فعلت ذلك في أمر تبين لك فيه صلاح وسداد فلتكن حينئذ مجتنبا شيئين العمل وإن اعتقاده
أما شؤم العمل فأن تكون عند عدم إجابة الدعاء إياك فيما طلبته منه متشوشا متغيرا وأما
شؤم الاعتقاد فهو أن ترى الدعاء منك سببا موجبا فإذا أسلمت في دعائك من هاذين المحذورين
فادع فيما أحببت حتى ما تتعذر به وما تتعسر وقد عينا فيما لديه ذهبت فأنك تعنى في ذلك
تركا ولا تخشى والله تعالى أعلم وقولكم في حالي في هذا الوقت فالمقصود أن أتفرغ لقراءة الحرف
من كتاب الله ولم أزد على الحرف شيئا مع كونه أي العقوبة أقرب بل أحوى وأوجب فهو كلام في
بساور سماعة وليس له رفاعة أي بخيمة ودعامة وليت شعري وقد ترى حالك فيه غير ملفق
أوأ الحرف الثلاثة فأنت بسببه للعقوبة غير مستحق لهم إذا جاء ذلك الوقت لتبتلى
فيه بكلامه كبرى ولا يمكن فيه حزينه مع أخرى وأما استشرتموني فيه من عزمي ما ذكرتم
على فلان أن فلانا لم يوافقكم على ذلك فاعملوا إن شاء الله على ذلك إذ لا خير في شيء لا يوافق
عليه مع أنه أعلم بحال ذلك الرجل منكم وقد كنت ذكرت لكم الشيء في عرض كلامي على
الناس فالزموا ذلك واعملوا عليه والله الموفق وبعد أن كتبت هذا ورد على
منكم كتاب على فوق الخاطر من جهة الاستيفاء ولكن لم يجئ على الخاطر فيما فهمت منه من عدم
حصولك من مرضك بسبب ما أنا العافية وإنما تدل على الراحة والشفاء أما الاستيفاء فلم
نزع فيه لقائل ما يقول وأما عدم حصولك على الشفاء فلا بد لنا منه قبل من أن نتكلم فيه بكلام
معقول ومقبول إن شاء الله وحكم وذلك أنك لما حكيت في جملة ما حكيته تلك المسائل
القسمة فلا ثالث لهما أعمل عليه فلا تعقبهما بقولك ولولا هذه رتبة الدخول في الحضار
والله أعلم فما وسعني أن أكتب شيئا من ذلك وفهمت أن المعنى في أن تكون نفسك عند الابتلاء
بها على أي حالة تكون فلا تنازل عنهما ولا تسعى فيما فيه فلا بد منهما ومن جمعيتهما ولا تغير
فيما بينا لهما من خير أو شر أو سعادة أو شقاوة بل ما كان عند لهذا من الحضار أن استعملت
بسببه أن تستوي تلك الحكايات أنني لا يجوز لك سوقها واستعملت إيضا تقول في كل ما
أنبهك على خطبه فيه الحمد لله أني أمضي قدره فيه ومن أنا حتى أكون لذلك وتقول حين حكيت
قوله بعد أن كنت متشوقا الذي أمرت بره على ما يسره فأبى الله ذلك الحمد لله أني الخمر ما سبق من
قدره وأراد به فيه من مثله في الوجود إذ الحضرة أنه محل النفوذ قضاء الله إلا المعبود

ثم تعلى

وفروده

وقولك وان لم اشم منه رائحة اي شيء يقع في الوجود وانما المقصود ان ينفعني ما سبق
من القضاء ويكشف ما سكن في ام الكتاب من سعادة او شقاوة وما اشبه هذا من الكلمات
فكان حالك معي في هذا كله كما تقوله العامة من اين ما ضربت لها تجري فلوك مثلا وقد
كمقرة في برقاء عظيم بين حالك الان وحالك الذي ذكرته في الكتاب الذي تقدم لنا في هذه الاوراق
الجواب عليه فان كان حمدك وشكرك على تلك الحالات المكروهات مع كراهيتك لها ونفور
طبعك عنها وتمنيك ان لا تكون عليها فقد يكون ذلك صحيحا والامر فيه قريب وقد كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم حمد الله من غير قال اذا اصابه ما يكره قال الحمد لله على كل حال واذا
اصابه ما يحب قال الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات او كلاما هذا معناه والكلام ان
هذا المعنى هو الذي فهمت ولكن لم تفصح عنه بكلامك وان حمدك وشكرك على تلك الحالات
المكروهات مع عدم كراهيتك لها وعدم نفور طبعك عنها وعدم محبتك ان لا تكون عليها
او تشوفك الى ان يحصل لك عدم الكراهية والنفور والتمني لان لا تكون عليها كما هو ظاهر
كلامك فقد اخطأت في ذلك غاية الخطا لان التكلم على هذه الحالة يستدعي طولا
كثيرا ولكنا نختصر في تحريره بافصاح ما امكننا الان ويكون مع تحريره واختصاره مفهوما
قريب المرام لمن اصغى اليه بقلبه ولبه وتامل كل حرف منه ولا ياخذه جزافا ولا يعتقد ان
فيه لغوا ولا حشوا فان هذا الذي يشرع في شأنه في كل ما افصح به من بيان والله تعالى المستعان
ونبدا اولا بالفصل الذي علينا وهو الحاضر ثم نرجع ثانيا الى بيان خطائك في افراطك واجحافك
بعزة الله تعالى وقوته فنقول اما قلت في مقامنا وان شيء يقع في الوجود الى الكلمات
فيما ذكرت ونحو على سنن المتقدم فقولك لو سلكت مقامنا وكوشفت الكتاب وبعثت به
اليك بلا زيادة عليه فانت حينئذ ليس امورك لانك اما ان ترضى بسكوت مقامنا وبما تحمد
عليه من الخطا وتسلك تلك المسالك التي سلكت في تلك الكلمات واما ان تشوف الى
مزيد كلام على ما ذكرت ولا ترضى بخطاك وهذه ثلاثة اوجه لا زائد عليها فاعلم انها بان
الحال الاول فلا اقدر ان تتوافق عليها مع انها موافقة لمن يقبلها من الذي جاء هذا العرفان
وليس رضاك بدخول جهنم بل قرب من رضاك بسكوتنا عن الزيادة على التكلم واستمرارك على
الخطا المتقدم فتبين بهذا ان حالك الان انك غالط في رضاك بغلطك اذ لو كنت فيه
قصيرا لجزت الباب بجرة واحدة فان قلت ارضى بهذا الحال واجزم فيه على مذهبي واستمر على
مذهبي فاذا قلت في هذا القدر لا يسعني ان اقول لك الا اللائق بالعافية لانك حيث رضيت

بغفلتك وسكرة عن فكان غفلتك لم يبق فائدة الكتاب ولا السؤال ولا الجواب واسترحت منه
واسترحت مني ومعلوم انك لا ترضى بهذا ولو رضيت بالشكوك الميتة بكفر انه لا بد لك
في مقامنا من التوبة من ذلك المذهب ثم انك لا بد لك من ان تنتقل اما الى الحالة الثانية او
الثالثة اما ان تنتقل الى الحالة الثانية فلا وجه له وفيها من التناقض ما لا يخفى ويجري
الكلام عليها مجرى الكلام على الاولى وهي اذ رضي برضاك بالخطأ ويبقى رضاك بل لا يبقى
لك فيه كلام لانك رضيت بالخطأ من حيث هو فتعطاه من الدين تعلق وقدر وكنت انت اهلا
له وفعلا وكذلك يلزم في الحالة التي لم نرضها فان التزمت هذا اجري مقامنا الكلام كله
الذي وقع منا على الحالة الاولى وان لم تلتزم هذا ونعتقد عقباه وتله في هذا الذي فرقه ولا يجري
عليها ونكتا ليس بالكلام الذي ارتضيته فيه فاذا قولك بالحق لا ينقلب فيه شيئا ينعكس
بلا فائدة فنستغفر مما هو عندهم فائدة لان الذي اريد بكلامي كله اما ان يكون عن الخطأ والانسي
نفسي ان لم يك همنا انت به راض فان انجمعت مقامنا ورايت مقاد الامر فالك كلا وهما
لن قد ارتبت ايضا من هذا المذهب فيتعين عليك الانتقال الى الحالة الثالثة ومن ان لا ترضى
بخطائك ولا بسكرة وهذه الحال هي الحالة منك ولا كنا قدرنا ما ذكرناه من الانتقال
الى كذا او الى كذا على ما اقتضاه كلامك ان اخذناه مذهبا فكم من هذا ان كلامك كله
هذا لم تعتبر به عن حالة ثابتة راسخة فيك وان سائر اقوالك التي ذكرناها عنك حين قلت الحمد لله
على كذا الحمد لله على كذا فيشار في تغزلك بما حصل له معنى منا الا انك متوهم راسخ في الحالة
الثالثة وان لم تشعر بذلك من نفسك ومعنى الحالة التي تخلو عنها عاقل لم يتكلم بالوجود
ولم يغب في الشهود فاذا اعترفت بهذا الذي اريد منك كيف تكون في الحضرة مع كونك عليها
ابني على هذه الحالة الثالثة ولنعترف ذلك في مسألة مخصوصة لئلا يتشعب الكلام ومتى
ما وقع منك من انك لا تسمح بذلك المساكين هنا عندك فنقول الوجه ان تعترف بان هذه علة
فيك فانك تعلم انها غير مرضية في الشرع فاذا اعترفت بذلك فلا بد لك من ان تذوق الهم
عندك فان سمحت نفسك جعلنا لها وسمتنا بذلك فلا كلام وان لم تسمح ولم تسمح فلا بد لك
من ان تتكدر لذلك الذي نا قررنا انك بان في مقام انك تحب وتبغض وكونك من هذا تمامه لكونك
على تلك العلة ثم ان كونك على تلك العلة اما ان تعتبره بالنظر الى الماضي او النظر الى المستقبل
فان اعتبرته بالنظر الى الماضي وتقول يا ويلي لو انقطع على زمان وانا بتلك العلة مثلا فيقال
لك ما مضى فات فالكرب لاجله لا وجه له والحب والبغض المتعلقان بالماضي لا فائدة لهما

بالكرب

فالكرب والحب والبغض في هذا الوجه ينبغي للعبد أن ينفيه عن نفسه ما استطاع فإذا انفصل
عن نفسه لا يدعي فيه فيقول بلسان حاله الكرب زال عني والحب والبغض ليسا عندي ولكن يظهر
التشوق إليه والتمني له لأن هذا هو المناسب لحال العبد ومعلوم أنه إذا انفصل عن نفسه
فالتفصي يكون في محاولة ما ينفي به وجود الدعوى عنه مطلقا بحيث لا يبقى له عليه وجود ولا تحمله
عليه فريضة وجد فإذا أثار قلب الإنسان يشكو من كرب يكون على ما مضى لا بد أن هذا على أنه حاول
بذلك البراءة من الدعوى لأن ثوران القلب على خلاف مقتضى البراءة كما قلنا لو هو حاله في
زمن شكوت التي تعرضت لك في كتبك كلها أنها كانت متعلقة بالماضي وكنت فيها تعتذر
جدا في المضمار من جهة كونك أنك بت على شيء مضى وفات وإن قد رزقنا أنه انتفى عنك الكرب
لم يزل ما ابتليته من الشكوى على نفي الدعوى لأنها خرجت من صميم القلب وكان حقها إذ ذاك
أن تكون من خوف وحذر من شيء من هذا الذي يقع منك فإن قلت إن الحكمة تقتضي انتفاء الكرب من
أمور كانت في الماضي وأطلقته ولم تقيده كما قيده الإمام الغزالي فإنه ذكر حال العبد التائب
الباكي على تضييع السالفة ومثله بالذي يحتاج إلى جواز نهر عليه جسر فيهم هذا
الرجل أن يخرب هذا الجسر فيخربه ثم يلجئه الحال إلى جواز ذلك الماء فيحزن لفقد
القنطرة ويبكي فإذا جاوزه وقد غابر ما كابده من الشدائد والمشقات في جوازه أقبل يبكي
على تخريبه لذلك الجسر فقال هكذا مثل الإمام الغزالي ومعناه أنه لم يكن إقامة جسر آخر
يحتاج أن تدعو نفسه إلى تخريبه فلا وجه لاشتغاله بالبكاء على أمر قد فات فلا فائدة وإن
كان إقامة جسر آخر فإنه يستحسن منه ذلك ليبقى الحزن والخوف ملازمين له فيكون ذلك
مانعا من أن تدعو نفسه لتخريب جسر آخر فيلقى من العناء والتعب إذ ذاك ما كان لقيه قبل
فتكون هذه فائدة بكائه وإن كان هذا البكاء على أمر قد مضى وإن هذا المعنى تشبه المسألة
المفروضة عندهم في نسيان الذنوب وتذكرها وأظن هذا الذي ذكرته هاهنا هو معنى
ما ذكره الغزالي وفي سفير وقد مر لي الطالع ذلك ولم تمكنني مطالعة النكتة فيه إذ لم
يحضرني الكتاب الذي ذكره فيه فأقول لا وجه لهذه التفرقة ومعنى نفي الدعوى لأنه جعل
معتمد أمره في بكائه أن يصاحبه الحزن والخوف فيمنعه ذلك الأمر تخريب الجسر الذي أقامه
وهذه دعوى لأنه شاهد فعل نفسه في تسببه إلى أن لا يخرب الجسر الذي أقامه مرة أخرى فهل
لا جعل معتمد أمره الالتجاء والافتقار إلى الله تعالى والعلم بأن ليس بجبر أو ضعف فإذا كان معتمد
أمره هذا كان الآخر يحسب التبع أعني رؤية فعل نفسه فلا يقع في بكائه كل المبالغة

الا ما يقع له من هذا الجنس انما ينبغي ان يكون قصد به ان ينفي عن نفسه دعوى الاستغفار والافتخار
فلا يكون له فيه اجتهاد ولا ابدار كما ذكرناه ولا كان القصد الذي نفي هذه الدعوى فيما ذكرناه انما
يكون مع السعة وعدم استحكام الكرب في النفس واما اذا كان الوقت ضيقا وخشي فوات
الفاتحة فلا وجه لتشاغله بالبكاء متكلفا فليبلغ في ذلك وليأخذ منه ما لعله يغنيه ويخف
ولا يعرج على شيء في هذا مما انا حملني على عدم تغيير كلامه كما فسره الغزالي رحمه الله تعالى
فان قلت فقد ذكرت على ما مضى لو لم يكن مستحسنا مطلوبا لم يفعله الاولياء والانبياء
والاطباء بكوا وما اخروا وتباحثوا على وجه لم يقصدوا به نفي الدعوى عنهم كما ذكر فالجواب
فالجواب انه يعسر علينا الجواب عن هذا السؤال لما ذكره الامام الغزالي رحمه الله ونقول في تقريره
على ما كان حصل في ذهني منه ان الانبياء والاولياء اقتدوا بمقام الامامة والاقتداء ومن شان
الاقوياء ان ييسروا ويبشروا الضعفاء فلو لم يظهروا على كثير منهم ذلك بل كانوا اظهروا ما وقع
شيء كثير من حيث لا يلحقهم خوف ولا فزع لربما ذلك اتباعهم منهم فلم يحملوا على وجهه ولم
يفهموا علمهم بكنهه فيفهموا البكاء في غير محله فيهلكوا وقد يمثل هذا بالمعزم الحاذق
الماهر باخذ الحية ومنها ولعله اذ ينفر عنهما ويفرق منهما وانما يفعل ذلك لئلا يراه ولده
يأخذها فيأخذها هو فتهلكه ومن هذا الوجه الذي ذكره الغزالي حسن احتمال ان يكون ومن
قدر ان يستنبط وجها غيره فبشأنه وانا لا اجد هذا كله كلام على الوجه الاول وهو كربه
على كونه على تلك العلة المذكورة في الزمان الماضي واما الوجه الثاني وهو كربه على كونه
على تلك العلة في الزمان المستقبل فهو كرب صحيح مطلوب لكن العبد عليه لانه يصير
ذلك الكرب نشاطا وحسن همة على معاناة تلك العلة وكلما اشتد الكرب عظمت العناية
بذلك وهو حاصل عن مقام الخوف الذي هو محمود في الدين والشرع وهو الذي يثاب عليه العبد
بالخشية التي ذكرها الله تعالى في كتابه الكريم نعم قد يخف هذا الكرب بامر وهو حسن
ظنه بالله سبحانه انه لا يدعه وتلك العلة بل يرجو منه ان يعينه ويقويه على عمل
يكون منه في معاناة تلك العلة حتى يبرأ منها واما عمله هو بمجرده فلا يعتمد ولا يلتفت
اليه وان لم يعتمد ولم يلتفت اليه لا يعد له في نفسه تقللا بل يتوهمه نقيصا متهما
ففي هذا الوجه يخف الكرب عليه بعض الخفة وتكون هذه الخفة محمودة له لا مذموما عليه
فيها اصلا واما اذا اخفت الكرب او انتفت بالكلية فلا خير في هذا لان ذلك علامة على
الاستهزاء للطاعة والتهاون بالمعصية ثم يؤول به هذا الحال السيئ الى حال الاباحة

يشير خ

ومن قدر انه خ

والزنو

والترخص واعتقاد انتفاء التكليف بنوع تاويل فاسد وهذا خروج عن الدين والعياذ بالله
وباء ادعيت ان تثبت انتفاء هذا الكرب عند اهل ما سميتموه التوحيد وانه نوع نفاه عن النفس
وحرص على استعمال العلوم الحكمية لقاهر عوالمهم بالكلية وشاعرتها ملقفة شافية وهذا امر كونها
لم تنقطع عن الحب والبغض والابتلاء شيء لم تشاهد التوحيد ولم تتناول عن النفس ولم تعرض
على طلب استعمال العلوم الحكمية في الهدى وحينئذ اذا اصبحت البقا ومعلوم ان من عرج سما حتى لا يبرز الى
لم يكن الا الحكمة بل يكون بحكمة ايضا ما تشاهدت به في جانب الدين ويكون الحنبل لك على هذا
ايضا التسامح نوعا من الغرور بادعاء المشاهدة التي تاثرت بالمعرفة بزعمها وتعينها عليه
فعف ان يبادر بالوعد والوعيد والحشر والنشر ومن لم حالة هذه ولة ناقضة للشريعة
والحقيقة جميعا اما مناقضتها للشريعة فبين واما مناقضتها للحقيقة فلانك رايت
هذا الراي واستحسنته واستصوبته واعتمدت عليه ومن عقله من اهل الابطال هذا
كيف ورايتم من هذا انتباه الحقيقة المباينة التامة فان الحقيقة عبارة عن معنى يقتضي
انه لا يكون للعبد بعلومه ومفهومه وجميع صفاته وجود ولا تبرا من هذا المعنى الا الشرايع
التي جاءت بها الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام لانهم جاءوا باشياء تعجز العقول
البقاء واشياء لا تنتهي العقول اليها ومن جملة الاحكام التعبد بها العباد ووجود بها من التي
بهما ابكلمات الاراء والتعقلات بالشريعة الا ان الشيء المتعقل والشيء الغير متعقل اذا فرضنا هما
شيئا واحدا كان ذلك الشيء لا متعقلا ولا غير متعقل فكان شيئا خارجا عنهما واذا كان
شيئا خارجا عنهما لم يكن للعبد اذا وعلومه ومفهومه وجود البتة فيكون اشبه شيء
بالاعتراف بزيادة وبقاء ولا معنى للحقيقة الا هذا فالشريعة هي الحقيقة والحقيقة هي
الشريعة فمن خالف الشريعة خالف الحقيقة ومن خالف الحقيقة خالف الشريعة ولولا ما رحم
الله تعالى العباد ببعثة الرسل والانبياء ليهديهم الى الحقيقة بما بينوا لهم من الشريعة لتاهوا
في ظلمات الاراء كما وقع لمن لم يقتد بشرايع الانبياء قال الله تعالى في معنى اتحاد الشريعة
تعلى والحقيقة والله اعلم بما يشير الى الذين يبايعونك انما يبايعون الله وقال الله تعالى من يطع
الرسول فقد اطاع الله وما احسن ما قاله في هذا المعنى الجنيد جعفر بن محمد الصادق رضي الله
عنه علم الله تعالى عجز خلقه عن طاعته فعرفهم ذلك لكي يعلموا انهم لا ينالون الصفو
من خدمته فاقام بينه وبينهم مخلوقا من جنسهم في الصورة البسه من نعمته الرافة والرحمة
واخرجه الى الخلق سفيرا صادقا وجعل طاعته طاعته وموافقته موافقته فقال من يطع

الرسول فقد أطاع الله وقال تعالى وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين وفي مسلم عن عبد الله بن عمر
رضي الله عنهما فقيل له يا أبا عبد الرحمن إنا نجد صلاة الخوف وصلاة الحضر في القرآن ولا نجد
صلاة السفر فقال ابن عمر إن الله بعث إلينا محمدا ولا نعلم شيئا فإنما نفعل كما رأيناه يفعل إلى
غير هذا مما ذكر والتشاغل به تشاغل بما هو معلوم فالواجب على العبد أن يكون أصم أعمى
لا يرى إلا ما أراه الشرع ولا يسمع إلا ما أسمعه الشرع وفي معناهما القلب واللسان وسائر
الجوارح والأركان ويكون في حاله كحال ذلك الرجل الذي قيل له أتشهد أن محمدا رسول الله فقال
نعم فقيل له أتشهد أن مسيلمة رسول الله فقال لا أسمع وأعجب من هذا أن الناس الذين
عرفوا الدين وجزؤوه وفصلوه بعقولهم وفهمهم وتصرفهم وكثر هذا فيهم ونشأ بعده وحقيقة فالواجب
هذا التجزيء والتبعيض لا فعل فصور النكث أن يشتغل كل واحد منهم ببعضه دون البعض
الآخر متبعا في ذلك هواه وما رآه فيه فإذا المعرفة ذلك واستعمال كل البشر ثم سوى ما أنا
عليه وتأكيل كل ما عداه ومعلوم أن الطباع مختلفة متباينة فيأخذ كل واحد بطرف والقرائح
ويحوم بسببه بما غلبه فيه واستحلاه لذا النفس فيستوزرون من مفاهيم الائتلاف والاختلاف
ما لا مزيد عليه ولا ثم من ينبه على هذا الغرور إذ عم الخاصة والجمهور وهل ثم إلا دين
واحد تعبد الخلق به ربه واحدا تعبدا واحدا في قلوبهم وأبدانهم ثم ينقسم إلى فرائض ومنه
وفضائل والفرائض مختلفة المراتب والفضائل كذلك فاتسع الدين بسبب هذا ودخل
الناس فيه كل على قدره ثم من كانت فيه كزازة وشكاسة وفظاظة وزعارة بسبب طبعه
التي تعلقت من عنقه ولم تدعه يتقين بنفسه كم في غير كان ونعل أن يتمسك بالفرائض
القلبية والبدنية وبعض الفضائل المتعلقة بهما ولا كد بعد إن لم يكن له بشيء من فضائله
مما يستحسنه ويستلمحه بمثل هذا العود المزوي الذي نشأ عنه قلوب الصبيان وضعفة
النساء ومن كان منهم فيه حدة طبع وكرم سجية وكمال انقياد وتمام قابلية تمسك
بالفرائض كلها وأضاف إليها الفضائل من غير أن يحتاج في ذلك إلى تلويح بشيء يرغب
له سماحته بالطاعة ليس في شيء سوى هذا أو ما يشبهه أو ما يلحقه وما علاه عشو
البدع لا كدر لا يرجع ولا ينفع فإن قلت هذه شهادة على نفي ومن غير متقبلة عند
العقلاء فاتقوا شهادة النفي متقبلة في بعض الأشياء وهذا منها فهذا أمر ينبغي
لك أن تأخذه مني وتحمله عني وكل ما جاء عني بما يخالف هذا فلا تعول عليه بالنار والويل
المرض والجنون والإفراط به في البحر الزخار فإنه لا أحد الأعداء يتجاوز الحد ويتهاون

بالإدام

بالأمر المعبود من غير حياء ولا حشمة ثم يرى في ذلك أنه أخذه منه ونقله عنه فلا يقبل
ريثما يقول نعم ولا يستكثر عنه فإنه شخص أثقل كاهله كثرة الأوزار وعموم التفريط والتضييع
آناء الليل وأطراف النهار وإنه محتاج إلى التوسل من ذلك والاعتذار والتوبة والاستغفار
لا كرما تقرر من ذلك وقد كان ينبغي إن لا أنكر له فعل ما عرفت نفسي في هذا رجلا يزول عني
ذلك الكرب وإن اغتمام لا من ذلك في رقيته يفتح لي فيه العلم أن أخفف ذلك عن نفسي
في بغيرانه وقد كان يعثر الرجاء بغير المساكين والضعفاء وإن كان ادعى أنه زان فيه بالعقاب
والعذاب أو أن نعمر قدرة الله تعالى فهو من جملة العجاب بهذا الشيء وكلا وكل آخر يعرى عن كلمه
على المعصية ولولا كل أمية التعبير والاطلاع الغير على عيوبها لذكرت لك منها ما لا ترتاب
معه فيه على الوصف الذي ذكرته والله على ما نقول وكيل فإن قلت كيف يستقيم لك هذا الكلام
مع قولك وأي شيء يقع في الوجود أو أجعل ابن عباد في النار ذات الوقود فلا إشكال في هذا
إنك تعرف الكرب لما تعلقه من الذنب في ماض أو مستقبل فأقول نعم كنا مرة ذلك لم أعني
به إن أنه لما وقع فيه الذنب ينبغي أن لا أنكرت له بالنظر إلى ما مضى وأنه لو وقفت بأثر لهن
عني أن لا أبالي أن تقعد أن لا أنكر فإن دخل جهنم عليه لأن الكرب في ذلك يعني منتفي
وأما في المستقبل فلم أتعرض له البتة فإذا فهمت هذا كله فلنرجع إلى مسائلك التي
خرجت فيها عن الاختصار وأبين لك كيف ينبغي أن تكون عليه إذا جاء فأقول أما موافقتك
المختار عندي في هذه المسائل والمتاجير ولا تسمح لهم بصرفه إن ما مضى من حالك هذا
ترضى به ولا تنكر بسببه لأنه شيء قد مضى وفات ولا ترى مع ذلك أنك راض ولا فرح وقد
تستقبل تنكر بأمر أجله لتتوصل بذلك الكرب إلى أن تكون على حال تسمح فيه نفسك بالمواساة
فكن يحيف عندي هذا الكرب بما ترجوه من هؤلاء من التوفيق والهداية إلى ذلك وإياك أن
تتشكر إلى أن تكون ممن تتأخر عن نفسك ولا تعمل على خلاصها من ذلك منه سوء أدب
وإما أن أدعيت ذلك فقد انضاف إلى سوء الأدب افتراء الكذب وكذلك في المسائل التي
حكيتموها عن فلان من ما فيه ذكر الغبن والنقص والعيب فإذا تقرر عندك أن ذلك محظور ينبغي
لك أن لا توافقه على حكايتها فإن غلبتك شهوتك وكتبت به وقارفت الكتاب فيكون حظ
لك في المختار أن لا تتكلم بذلك لأنه أمر قد مضى وفات وإما أن تفرح بذلك فأنت حينئذ مأمور
بمحوله وإبطاله فإن لم تتكلم بهذا فقد رضيت بالمعصية وأنت متمكن من تلافيها وهذا فيه
ما فيه وإن أنكرت لذلك وأبين محوله وإبطاله لما تعلم من أنه أحب أن أعلم مثل ذلك كله

فليحصل ذلك الكرب عن أن تقول بأثره ولولا مقاربة الدخول في الحضرة لما وسعني أن أكتب
لك بشيء من ذلك ولا يكون ذلك خوف أن وجب أن يجعل بدلا من ذلك الاستغفار وطلب التوبة
من الله تعالى بهذا الغبار بهذا من الحضرة والذي ينبغي أن تكون عليه عند إيراد مثل هذه الحكايات ولم
تسمح نفسك بمحوها وإبطالها وإما أن لم تقدر عندك إنها معذورة منكم إلخ وكذلك حيث
قلت الحمد لله الذي أظهر ما سبق من قدره وأراده في وفي ومن مثلي في الوجود إذ أظهر في أنه محل
لنفوذ قضاء الإله المعبود لما قلت لك بغداد كنت متشوفا إلى أن يرد علي ما يسر في وأبقى
الله ذلك ووجه دخولك في الحضرة فيه أن تقول قد عز علي أن جاءت فيه ما يسوءك ولكن
بغداد نقضا القدر بذلك وأمر علي فيه إساءتك نرجو من الله تعالى أن أرضى بما سبق من
حكمه بذلك في وفي مثلي في الوجود إذ العكس في ذلك الرضى بحكم الإله المعبود وكذلك
حيث قلت وأن لم أشم رائحة أن شيء يقع في الوجود وإنما المقصود أن ينفذ ما سبق من القضاء
ويظهر ما سطر في أم الكتاب من سعادة أو شقاء ووجه دخولك في الحضرة فيه أن تقول عز
علي ما تعبت فيه معي ولكن من ساعة إلى ساعة فرج وقد غلب علي الكرب بهذا الكلام منذ
إذ وقع وفات ولكن نرجو الله تعالى في زوال هذا الكرب عني وأن يوفقني للكون على ما أنت فيه
تسليم وتفويض والإقرار بهذه العبارة منك مع ما معناها فيه ثقيلة الروح متضمنة غاية الدعوى
التي هي أعظم البلوى وكذلك حين قلت ومن مثل هلال في الوجود إذا جعل مع محبوبه في اليوم
الموعود موعده ومع جلاله ثم أقول بلسان الحال والمقال * فمتى أن تكر حقا في ووجه دخولك
في الحضرة فيه أن تقول بأثره ولا تجزموه لأنه كلام مليح واستغفر الله من هذا لأنه حال غلب
علي في الوقت حتى تمنيت ما لا تثبت بأمثال أمثاله وكذلك في قولكم بل أقول أيضا هذا من
الباب لحال إذا ان غفلتكم وأن تستبشروا وتتشوفوا ونظرا الآن نتكلم والكون في حبائل الدعوى
والشيطان ليس له في شيء من ذلك فمن هذا وجه الدخول في الحضرة فيه أن يجزم به ولا تقوله لأنه
سقيمة في معرض الدعوى والاعتذار عن التعبير والمسامحة بها في الضلال الذي هو عليه وكذلك
في قولكم تبسطت في خطكم والحمد لله مولاي في قبضة الرحمة وشاده المنازعة في كل ما يرد علي من
شأنه ووجه الدخول في الحضرة أن يحذف قولك أنا في قبضة الرحمان لا رسوخه في هذا المعرض الذي
ينبغي أن لا يسبق في معرض الاعتذار وأصحاب القبضة من علموا المقدار بحيث لا يشوبهم غبار
وهذا ما ظهر لي في الوقت أن نتكلم عليه من المواضع في كتابك وأنبه على وجه الحضرة فيه
وأما ما فهمته في مقاربة دخولك في الحضرة من كونك لم تنفصل عن نفسك ولم تسع فيما فيه

ع تبارك تكلم على قطع المشي ولا تفرق عنده بما زنتها زعزاية

خلاصهما اعتمادا منه على ما قلته بانه بغير صحيح اذا اردته ولكن من رغب في هذا فرضته لك ومن
اراد ان نسان يجري على ان لا يفعل ما يلام عليه فاذا وقع ذلك لم يتنكر بسبب ما وقع وفات لان
كره فضلا عن النفس وحبه ما فيه خلاصهما مع فوات الامر وان لم يفت ذلك بل كان حالا او
مستقبلا فلا بد له مما يمنعه من الفعل عن النفس وطلب الفرار من ذلك الذنب فيكم فلا
محالة فاذا جعل معتمدا امره الالتجاء الى الله تعالى وان يتفقد رجاء ان يوفقه ويعينه على ذلك
حق عنه ذلك الكرب وكانت منا فلتة عن نفسه على وجههما واما اذا اقول ان مفارقة الرحول
في الحضار وهو ان تفعل الغير ما يلام عليه ثم لا يشعر في خلاصه من ذلك ولا ينافر عن نفسه
فلا اقول به فليبلغ الشاهد الغائب وانما الحقت ذلك الكلام لانه كنت فهمت منك التوغل
في الكلام في الاخ ثم انك لما انتقلت الى هذا الكلام قلت لك فارقت الرحول في الحضار ولم ترحل
بعد وانما ترحل فيه بالتوسع وعول النص حيث ان من حصل معه الشروع بالحضار الذي قلت
لك انك فارقت الرحول فيه من غير اشارة ولا تلويح ولا ذكر شيء مما يغير في وجهه فالعهدة والعمل
عليه ان شاء الله تعالى وانما الحقت النفس في هذا ومررت الباع فيه لانه اصابني من
حال كرب شديد ورايت انك كالمحتاج الى الاطلاع جديد وانما من البلايا النازلة بي والمستعملة
بها بسببي فلم يسعني ان انجر بذرع الساعد وابداء الحوالة كل فتصغ به يعترف وعليه
يساعد وبالله التوفيق **واما** المسئلة التي فرضتها فلا رياء كان فرضها كذلك فالحق
فيهما والله اعلم الذي يعتبر على امر وهو ان الذي ملك عشرين دينارا فتح عليه بقوته ثم ذا من هو
احوج منه فدفعها اليه افضل من الذي يكتسب ويحبس حاجته ويتصدق بافضل عن حاجته وانما
قلت انه افضل منه لوجهين احدهما ان حال الاول واجمال الفعل التجريد بخلاف الاخر وحال اهل التجريد
على الجملة افضل من حال المكتسبين المتسببين والثاني لكونه مؤثرا على نفسه بالغرض والاول
ليس بمؤثر لانه تصدق بالفاضل فقط ولم يتجاوز الى غيره وما اعتل به من فضل حال المكتسب
والمتصدق بالفاضل لكونه لم يخن لنفسه وان الاخر اختار لنفسه ليس بشيء لان كل واحد منهما
لم يخن لنفسه ولا قصر الا كثرة الثواب الذي يحصل له وقعت معرفته فيمن هو في غاية الاحتياج
والفاقة فيكون بذلك مختارا لنفسه وانما قصر بذلك ستر خلته من صاحبه فقط
ومثل هذا لا دخل فيه من جهة انه اختار وانما يتصور الدخل فيه ولم يكن مختارا الاجل نفسه
اذا كان هذا الرجل في مقام الزهد لان من هو في مقام الزهد واراد تخفيفه بخروج الشيء من يده فلا
ينبغي له ان يختار من يعم بدفعه اليه كما قال بعضهم الزهد ان تترك الدنيا كما هي لا تعزل من رفعها

ولا اجمر فتجزأ وقال امير المومنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه الزهد ان لا تبالي من اكل الدنيا من مومن او كافر فهذا المقام قد يكون التجنيب قد حضر ولا مغلول الاثم ان تمادى على عدم التجنيب في الرجل المكتسب المتصدق بالفاضل عن احتياجه لانه اجوز العلة لحيث من تصدق عليه وقولنا اللهم من مات في هذه الليلة جوعا او عريا فلا اثم اخذ به انما وقع منه هذا الدعاء لا احتمال ان لم يكن بالغ في تطلب من مواسي بالصدقة من اللاخر ولكن هذا الدعاء في هذه الحال الذي يفعل اويس رضي الله عنه اذ يعير ان يتوهم فيه ان يتصدق بالفاضل على كل ما انفق وفي الجائز ان يكون مثاله شخص فراشه ما على الفقراء جوعا وعريا او كليته لوجدانه ثم يدعو بذلك الدعاء لان دعاء امثاله بذلك لا يكون الا بعد بذل المجهود بالكلية اذ يمكن ان يكون بقي منه بقية واستحباب من استحب للانسان اذا اصبح بصدقته ان يدعو بهذا الاول من يلقى ليس بلازم ان يكون ذلك مراعاة لعدم التجنيب اذ لعله يكون من قبيل ما يخاف عليه من تغيير نيته اذا لم يعطها الاول من يلقاه وانظر قصة ذلك الذي نوى وهو في مغتسله ان يتصدق بثوبه لما اقر حين من يتصدق به عنه قبل ان يخرج من مغتسله مخافة ان يتغير خاطره وقد قال الحلو السخاء اجابة الخاطر اول وهذا مما يمكن ان يقال في هذه المسئلة وقعت على حسب ما قد رسمنا بادي الرأي فيها بغير روية والله تعالى اعلم ولكون الحالة التي حكمنا بفضيلتها حالة الدعاء وبسر كناهو المعلوم والحالة الاخرى حالة الخلاع على حسب ما ذكرنا عن قليل لا يدل ذلك على ان الخلاع افضل من اويس لان افضلية الحال بخلاف افضلية الشخص فلا يلزم من احدهما الاخر والله تعالى اعلم ثم ان حالنا بحمد الله تعالى ليس كحال واحد منهما لحق الكبر منهما مقامنا ولكن بالوادي ونحن اعيد فيا نحن للانسان ولا نونر واذا رايتنا من يتكلم بالجوع من اجل التجمل والقنوع لا تنظر الينا والعينة ان احياء رفقة ولا الكلام فيه ومع ذلك نتكلم في الرقايق ونغوص على الحقايق ونبين للناس واضح الكلام لنا انا نعوذ بالله من قلة الحياء فانه راس كل داء عياء وامثال المسئلة التي هي بين فلان وفلان جملة من المسايل التي جرى الفرق بين موضعها وموضعها وما هي من جنسها فمن اراد من تعرف ان يدري الذي اوجبه الجهل بالحق الواضح المبين كما ذكرناه من الحق ان يعرف ولا يوخذ فيها ولا يلتفت فيها وفيما تفرع لنا فيما هذا اشارة الى وجه الحق فيها والحاصل ان التصوف هو مقتضى الكتاب والسنة فمن تصوف فقد اقام الكتاب والسنة ومن عمل بالكتاب والسنة فقد تصوف ومن لم يتصوف لم يقم بالكتاب والسنة ومن لم يعمل بالكتاب والسنة لم يتصوف الا بالادعاء والانعكاس ليس في ذلك شك ولا التباس عند العقلاء الاكياس فمن اجتنب هذا الكلام

خ الرقايق

فلا عتاب عليه ولا ملام ومن لم يعجبه هذا فليتأذ به وداوى وليدخل بيتا له اربعة حيطان
وليتمرغ براسه من حائط الى حائط حتى ينتشر ريقه ما لعقه بين الحجج والكذاب وقول ذلك
الرجل المتصوفة يخبرون الخوض على الناس كجمع قلبي وغير ذلك منهم فالسر فيهم لا الحكمة الابتهاج
بها للانتظار والمفاخر بركما تزال الدرة والجوهر لينشر بالابواب يعلق على اعناق والخنازير فاخبروا
بهذا كله من سالكم عنه وكل سالكم ورسمي انا بريء منه وانا ما اخترت لمقرئيه من حالكم في
المولد المبارك وفخر كان فلا اخترته في كتاب كتبت به اليه وكم تردى من كلام كثير كلام تكلم
فيه انه لم يحملك على عمله على حسب عادة الناس الا كلام الناس لك وتحريضهم اياك
عليه ونسبتهم لك في تركه بعلة انه امر شنيع فلما توهمت هذا تكلمت له في الكتاب الذي
بعثت به اليه على حسب هذا التوهم فلما تبين لي الحال وانك رجعت اليه من تلقاء
نفسك لانك افتتنت فيه من المنكر المعتاد اذ ذاك تبرأت بكل ما وقع فيه من ذلك الكلام
وتبت من التكلم بمثله وما برز من الغيب فيما يعلمونه من ذلك مبارك ولو لم يكن في
ذلك الا الدراهم التي انشاءت عليك من كل جهة ومكان وفرح فلان ومنكم بذل المال العمل
والشارك لكان في ذلك كفاية وغنية فكيف بما انضاف الى ذلك من الفوائد الزوائد وهي
كون الغوائد في اقامة الذات وكذلك انشراح النفوس بالجدر والمسرات وتلالؤ الوجوه
المكتب باضواء النيران وتراءي الوجوه الملاح الحسنة الصباح من الصبيان واما الاصوات
الطيبة والنغمات المتلذذة المستغربة وتشام الرجال روائح النساء واحتكاك
فلا حفيهن بتلك الملابس الفاخرة والكساء فلا تسل اذ لايزغ ذلك كله سالكا الا
من كل ولا انتها لك انفطع ولا قيمة الا احياء الذكر كان ذلك كله قبل اليوم اذ الناس
ناس والقوم قوم واما اليوم فلو اسمعتهم اصوات الموسيقى او غنت لهم اشعار ابي
الشعر وجلوت عليهم اجمل الصور المعطرة بالمسك والعنبر والمزينة بالياقوت
والجوهر لم يتحرك لهم عضو ولم يحصل لهم من تلك الاصوات المستغربة سمعه ولا لهو ولقالوا لك
دعنا من كبر يغني المثكل ونبيك المستتر المستهل واسمعنا صوت المغلق ولو لم يكن
فيما الا اشكيب الصوت التي يستغرق معها السادات والشوت فان المكتراة اسبع ولو
بالتيس والبهت اذا ارتفع ولو بالشيء المنتن يستغني عنا بسبب ذلك عما ترى ان سمعناه
من نغمة او غنى لنا في منه فان القاسم بن يحرى الى باللعنة ولا تكثر بل اجر انه قصد
التنكيت علينا بهذا الكلام وانه لم اذ بها وعلقته في ذلك المقام لانه كما قد مرت ذلك

من الدين الواسع انا محتاج الى التوبة مما انا فيه فاعل وصانع ولا كتمان من الملح التي جرت
بها فيه لك العادة والمزاح الذي لا يستنكر على اهل الدنيا والسادة والعارف باساليب
الكلام الذي هو فيها فارس واقلع ان جز كان كل ما يأخذ فيه هزلا وجدا وان هزل ومزح
فيقول الحق حقا واستغفر الله تعالى من هذا الهذر واسأله ان يصلي على سيد البشر
وان يدخلني في شفاعته التي في تضيق عمومها من ادبر واستكبر انا واخي يحيى ولا اريد ان
فيها ولا احيا افتراء فيه بذلك اني عن ابي الذي هو حكم حنفه وسيء خلقه فيما في هو الكريم
توسلت وببابه بالله تمسكت والمرء من المعرب والمرء من المحبب اذا اراد ان يفعل شيئا
فعله واذا اقله ولو مثل الذي عند ابلغه اقله وقد كنت في اليوم الذي كتبت فيه هذا
وجدت بعض راحة من مرض اصابني والحمد لله فمشيت الى الجامع الذي هو حكم من سمع الكتاب
فسمعت فيه من الحلية عن ابي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي المعروف بالباقر رضي
الله عنهم اجمعين ما يدل على صحة ما قلته لكم في مسألة الدعاء المتفرقة ففرحت بذلك
غاية الفرح لاجل موافقة ذلك لما كنت فهمته في تلك المسألة وبمثل ذلك ينبغي ان
يفرح بان ذلك الرجل من سلالة النبوة فالكلام الذي يقع منه في مثل هذا في غاية المتانة
والقوة وهو انه قال ما معناه او هو لفظه او بعض منه لفظه وبعضه منه معناه لا تدعوا
الله بما يجب فاذا وقع ما تكره احببت ما احب فانظروا كيف هو نصه في الحلية في
مناقب هذا الرجل واكتبوا بنصه بعد قولي لانه حديث نفيس وبحر دعوى وقبل قولي فان قيل
اذا كان العبد يحب ما يحصل له بتكسبه وتسببه فهو اقرب موضع يناسبه وسمعت
فيه ايضا ما يوافق قولي قبل هذا حين قلت وجدت بعض راحة من مرض اصابني والحمد لله
بعض موافقة وهو انه اعني محمد بن علي المذكور ضلت له بغلة فقال لئن ردها الله
علي لاحمدنه بمحامد يرضاها فلم يلبث ان ردت عليه بسرجها ولجامها فلما ركبها
واستوى عليها وسوى عليه ثيابه قال الحمد لله ثم لم يزد على هذا فقيل له في ذلك فقال
اني لما قلت الحمد لله جعلت الحمد كله لله فانظر كيف هذا وحمده من الكتاب المذكور وقد
اعجبني ذلك واردت ان انفعكم به ايضا اعني بكلام هذا الرجل نفعنا الله به وبامثاله
ورزقنا شيئا من انفاسهم العالية واحوالهم السامية بمنه وكرمه وليكن هذا اخر الكتاب
والله تعالى الهادي الى الصواب هو بعد ان كتبت هذا ورد علي منكم كتاب وقد
تعرفت منه امورا منها انكم ذكرتم ان فلانا لما ورد عليكم فهمتم انه عنده زوايا لم تروها

عندكم وانكم نحبكم منكم لذلك وازال بذلك عنكم استجلاب الفائدة في مسئلة الزيادة المباركة
التي استعبر بنومها في النوم واعلم يا اخي ان الحيرة للامر ابد مني وفي اي شيء مني ومثل انا وانت
ومثلك وجميع العالم وما عندنا من معارف وعلوم بالنسبة الى القدرة الربانية الا بمنزلة اللعب
الخيالية التي يخرجها المشعوذ فيفرح لها ويرقص فيها فيضحك من ذلك الصبيان ويتفرج فيها
الجهلة والنسوان والمشعوذ في حالة لا همة له في شيء من احوال النظار له وكذلك الامر ههنا لنا
فاعرض عن هذا كله واعلم انك باعتبار ليس بيدك شيء وباعتبار بيدك كل شيء فاهل الزيغ
بالغلة وابو محمد بالاغلاقة ولا علة هذا كله حال الباطن واما الكاملون فيتنعمون كيف يكون
حاله حتى انقدم في هذه ان وراء وامثال المسائل التي سالكم عنها فلا وسالتم عنها من بكاء
موسى عليه السلام واستحياء رسول الله صلى الله عليه وسلم الوارد ذلك كله في حديث الاسراء
فلا ادري ما اقول في ذلك وقضية ان سرا وما وقع فيها من الكوائن لا يعلم حقائق جميع ذلك
الا صاحبها المباشر لها صلى الله عليه وسلم واما غيره فهو قاصر عن ذلك لم يحظ بحقيقة
شيء منه بمنزلة البصير الذي يشاهد قرص الشمس والاكمه الباكي بمنزلة الناظرين اليه في الشمس
بلا سحاب ولا ضباب وكلما نظر والتي تنشلون اعينهم بالاشعة التي تتسلط عليها فاذا
سئلوا عن حال ذلك القرص اعترفوا بالعجز عن ادراك حقيقته واما الكاملون بمنزلة الناظرين له
من وراء السحاب والضباب فاذا نظروا اليه ورفعوا اعينهم فيه وداموا على ذلك ولم يرد
اعينهم شعاع اعتقدوا فيها كمال الانطباع وسئلوا عما رأوا ادعوا انهم رأوا حقيقة قرص
الشمس بلا شك في ذلك ولا لبس فاذا قيل لهم انكم لم تروا حقيقته وانتم محجوبون عنها يقولون
للذي يقول لهم ذلك بل انت هو المحجوب وكذلك حال الاسراء باعتبار الناظرين في شانه اما
اهل الكمال فيتعمقوا فيه وزادوا وتعمقوا كانهم راوه كالعيان او نزل عليهم من الله تعالى
كيفية النيل واما اهل الباطن فاعترفوا بالعجز والقصور ووكلوا الامر فيه الى من يعلم حقائق
الامور وليس هناك احاطة بقضية ان سرا بل هو علام في كل شيء وغيب علمه عن العبد ولم يجعل
له سبيل الى ان يطلع على حقيقته فاذا ادعى فلان انه عرف حقيقة ذلك الامر في اغنى بكاء موسى
واستحياء محمد صلى الله عليهما وسلم فذلك كرامة في حقه ينبغي لنا ان نتابعه وان فلنجعل
انا وانت ومن معنا بعقله الغلبة ولنعلم ان جهالات ذلك الامر لا تزول ولا تخفى وقول فلان
في بكاء موسى عليه السلام لكن موسى لانه فما يرجع عليه اجر فلذلك بكى فان بكاء معتذرا
كالمعتذر انك فقد حطو وركعوا لا يعتقد فيه من هو مجرد كلام للاجرة له حتى يثبت ان بكاء ل

عليه السلام على هذه الحالة التي هو بها من جهة خصوصية مقامه وإلا فليس لنبينا نظير في الأنبياء
والرسل ونبينا صلى الله عليه وسلم فوق جميعهم والكامل إنه لا يمكنه بيان ذلك فإن أمكنه
بيان ذلك وبينه يبقى كرامة في حقه فينبغي لنا أن نقف عند ما بلغ إلينا في الأمر وأما ما سألتم
عنه من معنى قولنا إن ذلك الرجل الصوفي الذي يحرم عليهما كل قبيح ولا يخرج منهما إلا كل
مليح وإن قلنا الجواب بما ذكرتم وأجبتم أنتم بنحو منه فاعلم أن ذلك المعنى هو الذي يشير
عليه في تفسير الآية المفسرون ولكن هو تفسير لا التفسير له بسواه ولا كلام الشارح في فهم
ذلك التفسير وقولهم في تفسير الصوفي لا يتغير من شيء كالبحر لا يتغير بما يلقى فيه من
الأقذار والنجاسات فصحيح مليح ولكن يحتاج إلى بيان فقلت ما الأقذار والنجاسات أي شيء
هي والمتبادر من ذلك أن يفهم أن الصوفي لأجل ما هو عليه من قوة نفسه وذاتهما
إذا فوجئ بشيء من الأذاية والضرر احتمل ذلك ولم يقل إنه حينئذ كما قال تعالى وإذا
خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما فقال لي رضي الله عنه حرم عليهما أقذارا ونجاسة لم تخرج
منه ولم تروعه عن نفسهما ولا ينفعهما ذلك من أن تخرج أنوارهما وأزهارهما وهذا الشيء
المتبادر لا يستوعب كلية ما قلنا ولا ذلك اللفظ والله تعالى أعلم وإنما الكلية التي يتناولها
ذلك اللفظ هو أن الصوفي هو الذي صفا من الكدر وأي شيء الكدر هو أن يرى له أنية فإذا
صفا من هذا ولم ير لنفسه أنية كان مثل الأرض في شيء أخف منها ولا أذل ولذا الذي يقال
أذل من التراب فإذا ورد على الصوفي شيء مما يقتضي إثبات أنية في الكامل وهو المعبر
عنه بالأقذار والنجاسات أحاله إلى نفسه ولم يؤثر ذلك في بطلان أنيته فيخرج عنه كل
شيء مليح من أحوال زكية وأعمال رضية كما أن الأرض إذا ألقي عليها شيء من الأقذار
والنجاسات أحالته إلى نفسها ورجع ترابا من جملة التراب وخرج عليها كل شيء مليح من
أنوار وأزهار وعجائب وقولنا الأقذار والنجاسات المراد عبارة عن كل خبث وسوء ولا نعني
نجسا ولا قذرا إلا ما كان عند الأرض كما تحيل الجيفة كذلك تحيل المسك والطيب
كما تحيل ما قذر إنه يحيل ما لا يمسها وينبغي مجردا قذرا أنية وهذا أنية لم يتعلق بشيء ولم يتعلق
به شيء وهذه الجملة هي معنى ما قلته لك قبل هذا أضرب الإبريز بالفلقة وأبقى مجردا بلا
علاقة ولا علة عقب قوله واعلم أنك باعتبار البشر يرى شيء وباعتبار يرى كل شيء
فالإبريز عبارة عما أبرز ذاتك وهو باعتبار الكامل ليس يرى شيء والفلقة عبارة عما
لا يرى ذاتك باعتبار الكامل يرى كل شيء لو يكون الإبريز عبارة عما لا يرى ذاتك وهو باعتبار

وهو

الباطن

الباطن كونه ليس بيده شيء والغفلة عبارة عما انا بصدده انت وهو باعتبار الباطن كونه بيده كل
شيء دائر معه حيث دار ثم اعلم ان تعلم وتقول الله الا الاعتبار الظاهر في الملايم والمنافر وهو حال العوام والاعتبار
الباطني فيهما هو حال الخواص وفوقه وابقى مجردا بلا علاقة ولا علة اي لا تحس بشيء الا على شيء
يلائمك ولا ينافرك اذ لا تتعرض لغير نفيه ولا الاثبات ولا الحب ولا بغض ولا تحسيس ولا تقبيح بل تكون
مجردا عن المكاره والمحاب الظاهرة والباطنة الدنياوية والاخراوية وجملة هذا هو الافراد
والتجليات التي تعرضت لك ان تغير هذا الصوفي او توجده انيته كما قال تعالى ونبلوكم بالشر والخير
فتنة فلا اخلاقه فيه من الصفاء والتحقيق بكمالها ان نبغ لم يؤثر ذلك فيه شكيمة بل احال
جميع ذلك الى نفسه والحقه بغالبه وكمن بذلك تبرؤه من الرق وتحققه بالحرية والعتق
وهذا الشيء المليح الذي خرج منه فاذا اجتمعت هذه فقد احكمت لجامع هذا الامر وحصل لك
بسببه قرة العين وثلج الصدر ولم تحتج الى ما طلبته مني في قولك ولا تقتصر على معنى واحد بل
تكلم في ذلك معانيه وتذكرها على الترتيب الى علو فادنى علو فانك تعرف المكاره والمحاب
وترتيبها في الجلاء والخفاء والقوة والضعف وان اي حالة تتسلط على جميع ذلك علمت ان
تسلط اي حالة على الجلي والقوي من المحاب والمكاره هو اول ما يبادر الفقير الصوفي لانه اشد
تعلقا واسرع افتتانا ثم تسلط الحالة على الخفي والضعيف من المحاب والمكاره يكون بعده
بين اضعف في التعلق وابطأ في الفتنة وعلمت من هذا كيفية الترتيب وتبين لك الاعلى
والادنى والله ولي التوفيق واما ما ذكرته من حال قلة حيرة قلبك فاعلم وفقنا الله واياك وقد
اجتنبه من قولك احتفات بعد احتفات في ذلك الكلام اشد الحكم وان كان رفضها بذلك
جميعا غاب عنه علمه والحوالة الصالح هو الذي يعرف وان غيره الصالح لا ينبغي ان يعرف ولا كل الناس
في الصلاح فاهو ولا اعرف بالصلاح معنى الا الصلاحية للحضرة ولا يصلح للحضرة الا من كان خيرا
من ربه انشاء الله ولهذا التحرر له مراتب فبعضها ما يكون فيه من التحرر يكون فيه من الصلاح وبعضها
ما يكون فيه من الصلاح بنسبة المعرفة والمعرفة بنسبة المحبة فاذا حصلت تلك المعرفة والمحبة
حصل في ذلك من الغوائب للطالب والمطلوب ما لا يحصى حسبما اوماء اليه حين تكلمت على قول
ابن عطاء لا تتعجب من لا ينهض حالك واما الصلاح الذي يعرفه الناس اليوم او الذي يسمى الفقيه
الصوفية حين يذكرون مراتب المختصين فيقولون هاهو وهو مقربون وهو يقولون وقد علمهم ايام في
ادنى المقامات وهو ان يكون العبد قائما بوظائف الطاعات والعبادات الظاهرة ولا ادري
اتاذاك ولا ينحل في سلوكها الا انه يكون ذلك احتلاما بمجرد العظم اعليه ولا سواء في

اعتبر

رفع

اذا

كما ذكرته لك

ان مصطلحات وان فلو كان ذلك صحيحا اعني تخصيص رسم الصلاح باهل المقامات لم يشمل مقام
الصلاح خواص الانبياء والرسل فقد سال ذلك ابراهيم وسأله يوسف وسأله سليمان على جميعهم الصلاة
والسلام وحكم الله تعالى بتوليه لهم فالاخبار اذا فعلم هذا المقام على غيره ولنرجع الى الاصل تنبيه عنه
والصلاح الذي يعرفه الناس ويطلقون عليه اسم الصلاح لا تصلح صحبته ولا مفارقته الا فيهما غاية الضرر
للصاحب والمصحوب وذلك لان كل واحد منهما يرائي للآخر ويحسن مواقع نظره منه لانه يخاف ان يسقط
من لته عنده سواء كانا متماثلين في الصلاح او متباينين لان الصاحب راغب في صحبة مصحوبه بعد ما دل على
ان يقع منه ما يكرهه ذلك والمصحوب لما رغب الصاحب في صحبته احب صحبته فهو يحرص على مثل ذلك ايضا
وهذا المعنى هو الذي اشار اليه ذلك الرجل الذي قال اخاف ان اتزين له ويتزين لي واتصنع له ويتصنع لي ويستمر
كل واحد منهما لذلك الاخر من وجه اخر فاذا كانا متماثلين في الصلاح حرص كل واحد منهما على التمادي عند ارادة
وتشوف الى الاطلاع على عورات الآخر لان كل واحد منهما لا يحب ان يفوقه صاحبه بمنقبة من المناقب ولا يستتب
له هذا الا بتطلب عيوبه وان كانا متباينين في الصلاح فمن هو اقل صلاحا من الاخر يلحقه من قبله الصغار
والمذلة واعتقاده فيها ما دامت صحبتهما ومن هو اكثر صلاحا يلحقه الكبرياء والعزة واعتقاده فيها ما
دامت صحبتهما فان كانت صحبة الصلاح متضمنة وقوع غاية المحذور لكل واحد منهما اذ هي متعلقة
بامر الدين اعني المحذور مصيبة من تلك الصحبة الفائدة والمنفعة لان الفائدة والمنفعة اذا كانت
متعلقة بامر الدنيا فلا تعدل شيئا من مضار الدين وان كانت متعلقة بامر الدين فمنفعة الدين
تذهب فضيلة لان وجود المنفعة لا يفي بوجود الضرر فالفرار من الضرر هو غاية المنفعة فصار
عدم صحبة هذا الصالح سببا لوجود غاية المنفعة كما ان في صحبته غاية الضرر فاذا تقرر هذا فعليك
وفقك الله تعالى حيث قلت اعرف صالحا نرغب ان الله عز وجل يعفو له ذلك الصلاح لك ان تقول له
ما الذي تعني بالصلاح ان عنيت به المعروف عند الناس فعدم صحبته لي مما اغتنمه سواء كنت في ذلك
الصلاح فوقه او دونه فقول لك فيه ما ذكرنا هنا وان عنيت الصلاح الذي هو الصلاح الحقيقي فلا يصلح
لك انا منه مجلس بل عنهم من جنابه فما ارواه به في الوقت كالطالب الذي يطلب نعمة من الله وفضلا
فاذا قال لك هذا هو الامر فما تقول انما سلبت عنا الصلاح لانك ابتدعت وتركت سلوك طريقة
العلماء وتصوفت وانبعث الجهال وراءك غبيا وادى ذلك كله الى التهاون بالدين والشرع
ورضيت بتهاونهم واستحسنته واستصوبته حتى انه لو نصحناك لم تقبل نصيحتي ولو وعظتك
لم تنتفع بموعظتي فلأي شيء افعل بصحبة من هذا حاله معي فان قال لك هذا بقول اجابه كلا فاني
الغالب والانبعاث وامكنك ان تأخذه اخذ الكرام لانه رضي في امر لعنه فأثاعنه ونفرك عن

الحسيب انه لم تقع منه كل العناية في البحث عنه وتطلب الشيء منه بعينه وقد يقع لك ان تقول انه
دعنا من هذه التشنيعات والتمثيل بل انا قائل بتزوجي سراويلاته عوالم في عرض الكلام من جملة
الامثال فان قلت هذه معروفة فبما قولك ليست هذه دعوى لانك لم تشاهد فيما نشاهد ولا
اعتمدت فيما نقلته وحررته على الحديث الصحيح وتحررت بما التعليل من النعم وعندك ان لو جاءك
والآن الالاف يقظا عمرت ونحو دولوت لعلهم واجمعتم بتوفيق الله تعالى ومعونته فاذا قلت له
هذا الكلام وتنازل الراوي بتحريف معلقة هذا الامر وقبل علينا بكليته حتى اخذنا عند اخذ الجزاء فيه
انه يؤدي الى تعجيب انك وتحكم انه يقع انقص والانتقاد فيه بركة وخير كثير ونرجو من الله تعالى ان
يتيسر له الحق يشتمل على تحصيله ومع فيه من غير شوب ولا امتزاج وان لم يتناول الراوي بتحريف معكبة
هذا الامر برمته وما اختار لنفسه وبادر بانتصافك وان صحة الثابت فاذا وليته فذلك ولم
تعرض اليه همته وبالذكر عليه ارفعا ولا تعرض له بغيره ذلك بسوء ولا بالتهجم والرعاء بهذا الامر
الذي المستقيم التي يقبله كل طبع سليم واما الكلام الذي تكلمت به والكلام الذي جاوبت به بغير ذلك
بخارج عن قانون الانتقاد مشتمل على جفاء العصبية والاغراء بقوله اعاد رده ان تعرفني فلا تعرفني
بالكلام فستتبع الكلام وقوله هو بغيره ذلك الله تعالى يتوب علينا قبل ان يقع ما هو مذهبك في
الكلام ان شئت هو ليس له معنى يعلق بالكلام والصواب ما قررناه والله تعالى اعلم وكلام كل وجه
اشكل على فلا بد من الجمع بين ظاهر الحديث وبين مذهب المنصورة في جهة وحال البقاء هو حال الكمال
والشعور بذاته فيا رفيع غير مؤثر في نقص ولا اختلال وقد سمع النبي صلى الله عليه وسلم بكاء الصبي
وسمعت امه بكاءه وشعر ما فقال بان عبر لايحي كان شعوره صلى الله عليه وسلم بالاغيار في مقام
البقاء بلا ذلك وقع منه عند شعوره بهنا في كلا نحو ذلك البقاء الحسي وشعوره به بالاغيار في
حال وجود الغير بلا ذلك حال قلبه عند شعوره بها في كلا تماما تحقيق وابلغ من هذا الحديث
في الشعور بالاغيار الحديث الذي ذكر فيه حمله صلى الله عليه وسلم للأمامة ابنة ابنته زينب وانه
كان اذا سجد وضعها واذا قام حملها ان نوفق ذلك على ظاهره لانه انما حملها على هذا شرط صحبة لها
والشعور مع بشرى الحب ابلغ من الشعور بلا حب لان كان هذا كله في مقام البقاء والاشتداد النبي
صلى الله عليه وسلم كان في حاله كسائر الناس يحب ويبغض ويرضى ويغضب ويشتهي ويعاف ويلتذ
ويتالم وغير ذلك من لوازم البشرية لان من توهم ان حاله في هذه الاشياء على حد حال غيره او ان
حاله غيره مثل حاله فقد ارتكب امرا فظيعا واعتقد معتقدا شنيعا ولن يجعل لنا اعطاه الله تعالى
من العلم والمعرفة اللاتي يليق بمقامه الرفيع الذي هو غاية الغايات ونهاية النهايات كما تراه ابعاده انتهى

تفعلها واحوالها التي يتصف بها فاذا راينا النبي صلى الله عليه وسلم في الكلام تشاغل بالعيال
في صلاته وحكمنا بان هذا هو حال الكمال ورأينا غيره لم يتشاغل في صلاته بالاغيار لم يلزم منه ان نحكم على
تلك الحالة بالكمال بل يجوز ان يكون حال الشخص الذي يشتغل بالاسكوانه الشافكة والشخص الذي يعرف
ربه بيمينه وشماله الى الكمال وانه حتى يتحقق حاله ونقفا منه كيف وقد قال صلى الله عليه وسلم اني لست كهيئتكم
وهذا الكلام وان كان ما ذكره في مسألة الوصال فهو عام في جميع الأحوال فلا بد من اعتقاد بينونة عظيمة بين حاله
وبين حال غيره وان لم يظهر لنا نحن فرقان البتة وفائدته عدم الظهور والله تعالى اعلم ان يتسبب لنا حصول
الاقتداء به اذ لو ظهر لنا فرق ما لم يتم لنا ذلك ولتوهمنا نحو ما توهمه ذلك الرجل الذي قال ما
معناه لسنا مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم يحل لرسوله ما شاء حتى شق ذلك عليه صلى الله عليه
وسلم وغضب وقال ما بال اقوام يتنزهون عن شيء وانا افعله والله اني لاشدهم له خشية او كما قال
صلى الله عليه وسلم وهذا من جملة الرحمة التي بعث من اجلها وهو ان يدخل في دائرة الاقتداء به
كل من علا وسفل اذ هو في بعثه الى الامم وان سوى لبشر كغيره من الرسل وقول فلان هذا ما رايته
ولا عرفته لهم من اخبر ان فلانا كان حال الكمال عنده هو مقام البقاء والدليل لان من علم حجة على من
لم يعلم والفقهاء الذين هم اهل التحقيق في الفقه لا يبعد في حقهم ان يجهلوا مسائل من التصوف
كما ان اهل التصوف الذين هم اهل التحقيق فيه قد يجهلون مسائل من الفقه فلو قيل للفقيه مثلا
ما معنى حضرة الفرس لم يدر ما معنى حضرة الفرس ولو قيل للمتصوف مثلا اي شيء مسألة الحمار والفرس
لقال لا ادري فمسألة الحمار والفرس في مذهب الامثال فمن جهل شيئا عاداه وهذا ما حضر من الكلام على
مسائلكم وقد بلغنا عنكم بعد كثرة تشوق وتعرف امورا منها مسألة فلان وان ما
كنتم عرفتموه به عنه لم يصح والحمد لله وقولكم في مسألة الكلام عنه وما زلت فكم استغفل وانكم على فلان
وفلان كذا وكذا صحيح ذلك الا انكم قد اصبتم فيه واصحاب ذلك الحال في الغالب لا بد لهم من ان يمتحنوا
ويبتلوا ببلايا ترجع ايديهم فيها الحماقة فنعوذ بالله من الرعونة فانها اصل كل بلوى وقولكم واريد
ان تبين لي كيف يكون مدخولا ما انا اخذ فيه من الرواية فليت شعري كيف يخفى عنكم ذلك وكلاما يفعله
الانسان اليوم بشهوة وهوى مدخول وقوله اليوم اشترت به اي الوقت الذي اعز فيه وجود انوار اليقين
التي تكون اعمال العباد بسببه غير مدخولة ولا معلولة وقد قال امير المومنين علي بن ابي طالب رضي الله
عنه حين سمع القائل يقول لا حكم الا لله كلمة حق اريد بها باطل فلذلك اعمالنا واقوالنا اليوم
كلها اما قول حق واما فعل حق ولكن له مهرج اذا احك في المنتقى واعتبر هذا كله في اقوالك وافعالك
من حين تدخل منزلك الى حين تخرج منه فاعتبره في افعالك واقوالك بحضرة فلان وفلان لزيد وعمرو وكيف

تلفاه وبما اتلفاه فانك اذا تفتشت ذلك كله فان لم تجد الدخل فيه لم تكن على يقين من وجود
سلامته فاذا اتضح هذا فكذلك في غيره من افعالك انت فيه على الكم بفقه المثل فحكما يخفى حسبما
تعرف ذلك في الرواية ومع الاشتباه وامّا نص الكتاب المعين فمعروف في غريزته المعلومة والمراد منكم
ان تخبروه بما اشتمل عليه امركم من حال الناس الذين هم يموتون جوعا وعريا من غير مبالاة احد بهم
فلا ادري اتجدون في ذلك رخصة ام اخذوا في قلوبهم وابدانهم من سوء حال من ذكرناه حصة ام سكتوا
عن ذلك لحاضر الحال والمعهود وخلو الكفة تنكح العود ومنها عن الكامير فان كان هذا هو
الواقع فان نفسي تشمئز من سكوتكم عن ذلك كثيرا لما تضمنه سكوتكم من فساد الناس وعدم مبالاتهم
بكل هذه النازلة التي هم محتاجون اليها الاحتياج التام ويخاف ان يجر الى ما هو اعظم وهو ان تحدث
لهم فتنة جاهلية تفسد فيها اديان الناس واعتقاداتهم لجريهم ولا يرجى من يتعظ فيلحق بكمال
تلك الشبهة الخيالية ويقع السكوت عنها كما وقع في هذه وهذه النازلة من مقدمات ذلك ومن
اول الدلائل عليه الان فلكشف الله تعالى ولا شك ان هذه النازلة لم يكن مثلها فيما تقدم
فيسال الناس فيها مسالة المتقدمين من يفتي فيهم في ذلك وان كان العوام ذلك اعتقدوا انهم
على الخطا فيقع منهم ان يعتمد ام بذلك كيف وهذه نازلة قد شاعت وبلية غلبت سائر البلاد
وبدت اذ فسدت فيها اديان الناس وقلوبهم واخلاقهم اما فساد اديانهم فلاهمالهم المساكين
وتخليتهم ايامهم حتى يموتوا جوعا وعريا وهم قد وجبت عليهم مواساتهم وقد كانوا قبل اليوم
يكترثون بينهم بعض الشيء واما اليوم فلا فرق عندهم بينهم وبين الفكرون والكلاب وقد يصبح
بعضهم في ازقة المدينة وقد اكل الكلاب بعضه وجروه ويمرون عليه بغير اي شفقة من احد
ثم ان باب الورع في الحرام قد انسد عليهم بالكلية فلا يبالون بشيء من الاشياء لا رسم فقه ولا من
خيانة ولا من خديعة ومن له قدرة وغلبة لم يقف في شيء من الغصب والظلم ولعدم انتفاع الاشياء موجودة
ولكن قبل هذه النازلة ولا يكون جواز الستارة في هذه الازمنة وفي اول السنة حاله للفقهاء
المشتغلين بتعبير الاحكام الشرعية اشتغلوا بها انتم وغيركم حتى يتعلمها منكم اهل المحشر واما
نحن فلا حاجة لنا بها الان اذ نعتذر لو غير الحق بفساد الزمان واما فساد مروءاتهم فكل من في يده
شيء فقط به ويشح يده عليه ولم يستحي من رد من يسأله مواساته ممن يمت اليه بقرابة او
معرفة ولم يستحي السائل ايضا ان يبذل وجهه بالسؤال والكدية ومنهم من هو قادر على التسبب
يقيم به حاله وقد يسأله بعضهم حتى لو كان بيده مفرع او امكنه ان يضرب به في الطريق واما فساد
اخلاقهم فمن قبل فقدان الشفقة والالفة وهذا من الدواء العضال فترى احدهم يتعرض له المسكين

السالفة القرون الذي لم يبق منه الا الرسوم فلا يعتبر له بصلاة واذا اشار له الكفرة في جميع ولاد برلي
وبلاد في اي وقت تعود لهم الشفقة الا ان تعرف هذا الجيل باسره لانه على تقدير ان يتحقق لهم وقت رخاء
وزمان خصب ليس لهم في ذلك مطمع الا ان المساكين اذ لا يكونون احسن حالا ممن كان عليه وقد
يبقى بعضهم على ما هو عليه على كل حال فشفقة الناس عليهم تكون معدومة بالكلية لانهم اذا عدموا كل
والبلايا بهم متصلة فتنة والمحن عليهم قد الحقة فاحرى ان يعدموها في حال يكون فيها بعض اتساع
فلا ترى اذا احدا من المساكين يسعى له احد ولا ياخذ له بيده قد انقلت منهم من هذا الوقف المساكين
فكل النسل عما يكون فيه من الاقبال على الدنيا والحرص عليها وعلى جمعها ومنعها الا انه يخاف ان يدركه
زمان يكون فيه مثل هذا الامر النازل او اشد على الجملة فقد وقع في الناس الفساد الذي لا يرجى زواله
الى يوم التناد ثم انه لا يكون الا في ازدياد الا من رحم الله تعالى لان الايمان الترحيبي لم يبق في ايدينا
منه الا اسمه والدين المحمدي لم يبق عندنا منه الا الرسم وعلى ذهاب الامرين وفقدهما بهما
يتلقى البلايا الكبار النازلة على الفقراء ويتحملن بسببهما الرزايا التي تمر العيش وتعوز فيها
له مكيال فاذا البلية الناس وباء ايما يشكون والى ازقة نادبهم وفي ايدي رقا يسلكون وبناء
الدين في تراجع وضعف الايمان قد تهيأ للرحيل ووقف للوداع ومما يكاد ان يخرج منه القلب وينعكس
له اللب عدم تعرض الخطباء والوعاظ لتنبيه الناس على هذا الامر الذي الدين وتبرة اعدمهم في اكثر
البلدان يزيدون على خمسة او ستة او سبعة من عبرات ويقف على رؤوس الناس في كل جمعة فتطلع
لا ينبغي احد ابدا لجمعة فما كان او ذلك المنبه ان يزحمهم فيه من على كبره قبل ان يعتب او ينقلب صاحب
بردة خرقة المسجد اخراجه وينصب على ولو يعلم ذلك كان وعظه به ابلغ من وعظ هذا الخطيب
المسكين ولا يجرأ على تلاوة سورة الحديد لانه يتلو لقوم قد فرحوا الم يأن للذين امنوا ان تخشع
للذين لا يرجون ايام الله ليجزي قوما بما كانوا فيه وقد قال عمر رضي الله عنه لما سبق الى عمر ان
واستسقى ماء فقال ان يجمعوا عليه العسكر والفعل وما منعنا الا هذا وليشعر ان ما بنا لمشروعية
التكرير يوم الجمعة والتزيين انما كان اذا كان ما يسمع منه اليوم يسمع في سائر الاوقات وقد قال
الامام ابو حامد رضي الله عنه في بعض كلامه مشيرا الى تقصير مقاصد وقد سكتت المنابر اليوم
الى قوم فلا من الله عليكم ولا ان يرى ما قال بعد هذا واذا اموا وقد سكتت المنابر اليوم للجميع ومن
ليس له من الحكمة لمصالح الناس في دينهم ودنياهم لا قليل ولا كثير واعظم منهما ولاء واسرع
وادعوا امر المعجبون بآرائهم واذهانهم والفرحون بما هم انهم اصحاب الكراسي والاشاهير
الذين يشتغلون في امتثال الناس لاوامرهم ونواهيهم بالسلاطين فتراهم مشتغلين بمسائل

وباذلك

وبادلين جعفر منهم فيها وربما ان يحتاجون منها الا الى مسئلة واحدة من مائة مسئلة وتسعة وتسعون
مسئلة لا حاجة بهم اليها واذا لم يحتاجوا منها اليها فربما بعض منهم اخر ان لا يحتاج اليها الحكم الا من
القياس بذلك ثم انهم اهملوا معرفة النازلة المعضلة والقضية المشكلة التي عم ضررها الخاص
والعام ونفذ القدر بها على اهل الاسلام فلم يرسموا فيها بابا ولا وضعوا فيها سؤالا ولا جوابا
حتى يكون الناس على جلية من امرهم اما من كلامهم واقلامهم وزمنهم ولو وقعت نازلة لم اقدر
مما يرجع الى سماعه برجعه مثلا وتنازل اليهم السؤال لهم عن ذلك ويقول قد سبق لسابق بكلام الا ان
هل يفوتني بعض عرضي من الجارية الفلانية التي انا اعتقها ام لا لرأيت فيها من العناوين والاوضاع
والنصوص والادلة فيسة للمزيد علا : جارية في اصلها غصب للجالية حبسها ولا رؤيتها
بفضلاء من جاعتها وقيام حقها وقد بعد يجعل عوضا من ذلك الكلام الذي تكلم به تقسيمها وتفريقها
ومن امور شانهم في اكثر امورهم فانهم يقولون انما نتعلم العلم ونعلمه من حيث هو وما لم نه
وبابرته فلينتشر فهم تعرض لذلك واما مجالسهم فقد تحموا عن ذلك بينما بينهم واحد منهم في مجلسه
سماع ضاربة وكلاهما وبه اعظم مقاصدهم في حضور ذلك المجلس ليتعلموا كيف تحتذ اشنا نعم
للاجتماع الناس ذباب في ثياب يحملن الناس على ظواهرهم التودد والسمت الحسن فاذا تمكنوا
من رياسة وولاية نبذوا اخلاق الحمر فيهم وما تعلموه منه من الستر ويكفي ان يكون في المجلس من هذا
الجنس واحد على الدوام او ترمى الفوائد بين بعضهم حتى يحضر مجلسه في بعض الايام وقال الحزم في هذا
الوقت للمدرس المشكل الذي يعقل ما فعله ابو سفيان بن حرب في الليلة الظلماء لما خشي ان يداخل
جنده فيها احد من الاعداء ثم يتحسس خبره ويعرف ضرره فقال ليتذكر امرؤ من جليسه لاكي
للمنافقة معاوية الذين كلامنا فيهم وفي بيتهم قد يفعلون معه ما فعله حذيفة بن اليمان
في ذلك الاوان فانه بادر واخذ بيد من على يمينه وقال له من انت واخذ بيد من على شماله وقال
له من انت وحينئذ يضيع حزم صاحب ذلك المرشد ولقد قال رجل للاعمش قد نسيا عملية ومضيا
له بتعليم الناس العلم المجالس اليه لقد اخذ الذي العلم لكثرة الاخذين عنه او كما قال
فقال له الاعمش ما تعالمهم على ثلاثة اقسام قسم منهم يموتون من قبل الادراك فيذهب
علمهم وقسم منهم يصحبون الملوك فيذهب علمهم وقسم منهم الخفة قل من يفسدون ما علموا
فيذهب علمهم لشيا وهذا الزمان ما كان فيه من تعليم العلم لم يعدم فيه ضررا او ان تعتد في
ذلك مشى مفردا وقد جرى القلم بما لم اكن قصدت ان ذكره فلنرجع ولنقل ها ذا ان الفريقان
من الناس فيما الذي يلزمهما الاخذ في هذا الامر اما الفقهاء فيلا بانفسهم واما ولاة برهانه

وأما الحكماء فبإشاعته وإعلانه لا كتمهم لم يفعلوا والله تعالى يوفقنا وإياكم منه إلى ما يحبه
ويرضاه وقد ذكرنا في الكتاب الذي قبل هذا شيئا من هذا المعنى إلا أن هذا أعجب وأكثر والله
تعالى يعلم الجميع بفضله وقد رأيت أن أذكر لكم مقطعات أبياتا أربعة يتضمنها مربع وأذكر
لكم معها أبياتا يستفاد منها كيف يستخرج منه والمعنى الذي يتضمنه معنى شريف يتعيش
به أبن معتمام وقد سمع به الظاهر الذي ليس بظاهر يجنزوا ذلك مني وأزوله عني فقد رأيت
المتطلبين في يفعلون ذلك مع المتطلبين مثله فيقولون وقد أجزت لفلان كذا وكذا وجميع ما
في من نظم أو نثر وقد جعلت أنا معه مثلثين في هذا المربع وما تعلق به وهو هذا



وهذه هي الأبيات المفسرة لذلك

واعرف بزايتها وضعا وغايتها
وعكس زاي ويا بينهما بالخبر
ثم استمر على أسلوب ذا النثر
فيها امتزاج جميل الوصف فقدر
بالسمع لقائله واعمل بما عليه
تكون ويتم لي ذكر لمدكر
ثم ارسم مثلثا تدعو له رجلا
أو نثر فيه سببا سهما لمعتبر
أخص من نعطاه فضلا يروى به
ووفها حقها من جودة النظر
فانسخ بهاء بعد باء بمفتتح
في بدء ما ختمها فلتنظر بالكبر
ثم الدعاء إلى استجلاء من خفى
تكفر بكما يليه فهو بلا كدر
وإن شرفت له فاسئل وضمنه
ولا تكن وحدها إن ثلث أو وتر
واستر لنا خللا واغفر لنا زللا
أبياتا أنت كميت كالسليل بالدرر
تجد منها ابتداءه بأوسطه
وادعو بتمنيتا وصل قافيتها
إذ ذاك قد أسفرت عن وجهها وبدا
من أجل خشين سنين راق للفكر
فربنا بر لما إن يغيره
زايا يبيلكه في لجة البحر
وعزة الكريم إلا لم يكن عجبا
وأبلغ إقالة الكريم نعتذر

فهذا نسيج ما أردنا فيه * تعلقوا بها فهم بكل الدهر ازدهروا * فهذا هو المربع وأما الأبيات
فانظر منها إن قدرت على استخراج ذلك والأبيات الكثيرة معونة استخراجها وأذكر لك
نص الأربعة الأبيات برمتها فإذا عرضتها على المربع تفرجت فيها كيف تطابقه وهي هذه
حيارى بنا لم يجمعوا وابد نشأ * ككوكب أرواح ومن شيب دوارج * على وقت حشر شامخ وليكن كذا
لربه ولتنفد لأزال ناجح * بجانب ازرانوار وجماله * وراد لا تفتح بها زدن مادح
حرام في زمان ذا العلى بدر انفسه * وليس أخو فخر جبار بدارج * وإنما قلت في تلك الأبيات
المعبرة ثم أزمن مثلا لأني كنت قصرت بذلك شيمة كان يكتب إلي في هذه الأيام أبياتا من نظمه
فأردت أن أبعث به إليه ثم تغافلت عن ذلك وقد اتفق في هذه الليالي أن كان في بعضها زمن قريحتي
أدركني منه رعب وقلت في نفسي أي شيء يمنع من أن تتنزل بنا الأرض ونرجع لعلها استقلها
فعظم تيمن هذه الأبيات الآن بغير ذلك أعلمت فلا كان منها مثلا فأزوروا ذلك يعني
أيا قوم إنهم بعقيقة * أوامر في تلك الغور الحوائج * ألا إن زيد وافتيار وعمرة * بها الأمر عن تبعيثه الدحرج
وليس بذا فيها ملاذا محلا * سوى فضله إذ ما عراه الحج * وليس له نفع بذي وكافة * على غفلة إذ ذا الشيء بمنهج
وليس له مكلفا ولا مجالسة * من الشعب والدنيا ولا يوم مخرج * فيفرشا إلى الله الذي الأمر أمره * فهذا هو المستقيم ومنهج
وهذا العقد الغارمين بربهم * فبالله فالمعروف أمر يمنع لا تعرج * فهذا ما أردت أن أذكره لكم
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. فهذا هو نقل ذلك الكتاب الذي فحص عرفانا فيه الأصواحع
يسير منه فإن نقلتها على المعنى الذي كانت عليه وقد أحسنتم في بعث ذلك الكتاب المشتمل على
استغنت به ولولا ذلك للانتشبت وذلك المربع لمعونته أن كتبت فيه وزن أحدهما أن قوله
يجر أغلب به إنما يقال في الرواجع والأمور العظيمة بعثت به الحمد للعظيم فقط والثاني قوله ناجح لم
أره في اللغة مستعملا على هذه الصيغة من الثلاثي وإنما استعمل على صيغة منجح من الرباعي وكذلك
الصيغة التي ذكرت ما الوقت في العادة وأنى بكثرتي أن كل خطيب يخطب فهو خارج عن المضمار الذي سن
استثنيه سواء خطب في كل جمعة بخطبة واحدة لا يزيد عليها شيئا أو زاد عليها ولاكن في بعض الجمع
دون بعض أو زاد عليها في كل جمعة ولاكن لم يراع في خطبته حال ذلك الوقت أو راعى حال ذلك الوقت
ولاكن لم يصير مسابقة ذلك كما ينبغي أو استوفى ذلك كله ولاكنه لم يتق الله تعالى ولم يراقبه في حال
قبول الخطب أن التصنع والرياء فهذه الخمسة من الخطباء ونعني بخروجهم عن المضمار أنهم اشتركوا خارجون عن المضمار
في أنهم لا حظ لهم من ثواب ولا أجر وهم متفاوتون في الإثم والوزر فالأول والثاني أعظمهم وزرا لأنه
نزع في تلك الأعواد ولم يزل أحدا غيره يسمع الناس وأبراه تستفاد والثاني دونه والثالث دون

الثاني والرابع دون الثالث والخامس ودون الرابع والى نوبة اخرى في المضمار الخطيب البارع العارف
بالمقاصد والمصالح الذي يعلم وجه مشروعية الخطبة في كل جمعة ويذكر للناس فيها من وجوه النصيحة
ما امكنه ويسعفوا بعزمه على ان يعلمهم الامور التي يحتاجونه في الوفاء من علمه والعمل بقوة ويلقنهم
ذلك على احسن وجه بحيث يراعي ذلك في نغماته وفي ترتيب كلماته ويختلف ذلك باختلاف
المطلب الذي يعرض فيه فيرفعه مرة في موضع ويخفض الكلام خفضا ويرفعه في موضع يليق به
رفعه واللين والشدة ذلك على شكل واحد بل يضع كل شيء في موضعه ففي الصحيح عن جابر بن عبد الله
رضي الله عنه انه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته
واشتد غضبه كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم الحديث ثم ينصرف بذلك وجه الله تعالى
والدار الآخرة فهذا هو الذي اخل في المضمار السابق في تعاطي ذلك من الاوزار الكائنة في هذه
المتأخرين الا من رده ربه ممن لم يكن مخلصا في ذلك لانه لم يجد عنهم ما عندنا الذي يقوم مقامه في شروط
تلك المسائل وهو عندي نصيحة شفقة بذلك ومن تقدم امثال هؤلاء المتصدين منا انه عن درجة الاعتبار
ليس بدار اعتبار واعلم ان العامة والغوغاء لا سبيل لهم الى الانتفاع على ايدي الفقهاء
المتصدين للاقراء والتدريس لانهم ما ذاقوا الا باب الاحكام الشرعية وذكر ما لم يعرف لهم او
يسألهم عنها والعامة الافريقية ليس تحملهم على سؤال الفقيه عن ذلك لما هم فيه من الجهل والغفلة فيحتاجون
لا محالة الى من يعاني قلوبهم بالموعظة والتذكير والتخويف والتحذير ثم يتدرج في اثناء ذلك الى اولا
ذكر الاوامر والنواهي والسنن والآداب ولكن يفهم في هذا اوسع من كل ما يقتنيه الفقهاء فافتح فاخترنا
ويتولى يقع لهم الانتفاع لم يغدروا ثم يقع لهم بذلك او لكن او شيء يجمعهم معه حتى يقع منه ذلك لهم
وليس له سبيل الى الا بامر البراح فيناديهم على الناس الا احضروا مجلس فلان فانه يريد ان يعظكم
ويذكركم ويعلمكم ما تجهلونه فانهم يقولون له لا حاجة لنا بهذا احسنوا العبارة والالفاظ واشياء
اخر فلا جرم تكلف لهم في توصله الى ذلك بمشروعية الاجتماعات العامة كالجمعة والجماعات والاعياد
والمواسم حيث يحضرون اليها على ما اعتادوا وكفوا بسعيهم من ذلك فلا يعذر لهم سماعه وتلطف لهم
مع ذلك بامور مثل التبكير والدنو من الامام وايجاب الانصات والتشديد عليه بتكليف الصلاة حتى
انه ورد النهي يوم الجمعة والامام يخطب لاجل الاحتباء بجلب النوم ويمنعه من الاستماع للخطبة
وقاس العلماء على ذلك الاستناد والاتكاء بالجلوس وشبه ذلك اثرون هذا كله شرع لكي يسمعوا
منه ما هو مفقود لهم او غير ذلك ثم ان الازمنة التي كان الخير فيها منتشرا وغالبا على البشر الغالبة
الكثير انهم يجتمع معهم اي شيء سوى تذكيرهم بالقرآن واسماعهم اياه لقوله تعالى فذكر بالقرآن

في

من نجان وغيرها فكان لهم في الصلوات الجهرية والخطب في الجمعات والأعياد والاستسقاء الحظ الأوفر من بعض
الحج سبيل الى ذلك فكان يتلى عليهم القرآن ويسمعونه ويفهمون ما خوطبوا به من العقائد والأحكام بنور اليقين
وانما فيهم من مطمئنة فاكتفوا بذلك ولم يحتاجوا معه الا الى كلام يسير ولم تكن لغة العامة والغوغاء
فلما تفاقم الحين واختلطت الألسن بعض الاختلاط حرفتها العامة والغوغاء فاحتاجوا الاعانة الى
مزيد كلام يفهم منهم أوامر القرآن ونواهيه وزواجره وترغيبه وترهيبه فانتدب الخطباء والوعاظ وفي
والقصاص للقيام بوظيفة تليين قسوة القلوب الى الاقبال على العلم والأدب وأظهروا في ذلك
منافستهم العجيبة كل على حسب ما ظهر له في وصف المداواة والمعالجة للأمراض الحادثة في ذلك
الوقت فانتفع بهم عالم كثير ثم هم في هذا الأمر مختلفون فمنهم من برع في ذلك وعمل بالعافية
على غيره ومنهم من وقف عليه حتى انقرض الصلاح فوقع من أولئك الواعظين والمذكرين
ويعني منهم أمثال التصنع والرياء فميزوا الصالح الرداء وعظم البلاء الا أن فيه بلاء على حال ما هم عليه
من الفساد لم يخلوا انفاسهم انتفع بهم عالم كثير فلما انقرض هذا الا ايضا لم يوجد من يقوم مقامهم
وان يحسن ما يحسنون فبقي الخطباء على حالهم فمنهم من يحسن بعض الاحسان ويراعي في خطبه الوقائع
والنوازل ويذكر للناس ما يليق بذلك فينفع الله به في ذلك المجلس بعض انتفاع ومنهم من لم يعرف شيئا تعبيرا
من ذلك واعتقد أن الخطبة انما شرعت للعادة فعرفي في كل جمعة ويسرد على الناس خطبا مرادة
من ديوان المكاتب فيحفظونها لما يحفظها غيره ومنهم من يأتي بشيء من خطب الناس ولكن ذلك
خارج عن المضمار وأما الوعاظ والقصاص فقد فقدوا وكادوا يعدمون الا ان تلك الكلمة قد صعبت اليوم
تحتاج الى شروط ليست في هذه الأزمنة فيتعذر بها فلما صعبت طريقة الوعظ والتذكير احتاج أرباب
الأمر الناظرون في مصالح الناس الى أن يقيموا لهم من يسمع الناس كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله
عليه وسلم وكلام العلماء المتقدمين رضي الله عنهم أجمعين في المساجد الجامعة وغيرها على من يحسن
سياقة ذلك على وجه الأزراء والمرتبات كما يجري على الفقهاء والمدرسين لينفع الله به من يحضر اتباعه
فحدثت حلق الحزب بالغداة والعشي ولولا ذلك لبعد عن الناس سماع القرآن ولم يسمع من أحد الا في
قيام رمضان وأما الصلوات الجهرية فلا يقرأ فيها الا سور معلومة قليلة الحروف والكلمات ولم
يدر ولعلهم أفلت من ذلك لم يعتبروا وحدث أيضا قراءة الكتب التي فيها ذكر الوعظ ونعوت الصالحين
وكيفية التعبد لرب العالمين فكان قراءتها على الناس كالنائبين عن مؤلفيها الذين سلفوا فهم متكلمون
بألسنتهم وان كانوا في أزمنة بعيدة من أزمنتهم ولهذا لا يحصل بها كمال الانتفاع للسامعين
والمصلحة العبرة لا ينتفع في الكل النوازل التي تحدث كما هو من نصوص الكتب الفقهية حتى يتفقه فيها

ويمكن يستعمل الامور كثيرة ولاكن فيها مفاسد كثيرة فالسادات الجهلة الآن مقام الاولياء الذين كانوا يربون بالطريقة من قبل
تشاغلهم بذلك من غير مشقة ولا تعب في وقت معقلة تسببوا في فاتحتهم وهلا بهم الى ان يحصل لهم
مثل ما حصل للاولين على ما هم عليه من الجهل والغباوة او يزيلوا ما بايديهم فاشتبه لهم ذلك
من قبل فساد الوضع فلما تعاطى ذلك من لا يحسنه ولم يعرف السبب الذي لاجله كان ذلك صار
احدهم يجيء ويعرض على الناس لفساد نيته وجهله بوجه من شيء بيده يكون اذا دله ذلك عليهم
للابتداء في عشرتهم ولا يعرفه او يجيء يزيدنا او نوميرو وينقل عشرة ومنهم من لا يجيء ولا يعرف ومن تبعه جار
عليهم بتوكل بتيسير وسهولة لما بيده يحيي بيض ضاع الناس وماتت هممهم ومكثت اديانهم ولم يجدوا
معينا ولا ناصحا امر قلوبهم وبقوا منهمكين في دنياهم غرقا في شهواتهم واهوائهم وذلك مع تفقدهم
ومنامهم الا انه يغيب منهم بقايا يعرفون شيئا ما من الحق ويهم الحزين بجوز ريبعثا دون المساجد ويلازمونه
مجالس العلم وحلق الذكر لكن اكثرهم يفعل ذلك ضرورة وعادة ويبرعون لا يقلى الى ذلك عجزا وقصورا
عن الاخرى في الدنيا ومزاحمة اهلها عليها ولو قدر على ذلك لم يترك ذلك ومن العجيب ان لا تغيير
واقلهم يفعل ذلك حسبة وقربة لله تعالى على قسمين مفتقر رضي بحاله واستحسنه وقال ليس
في الوجود الا هذا الحال واقلهم من لم يفتقر بحاله ورأى ان ما هو فيه شغل من جملة اشغاله
ومن امثلة ما يعلم الطب ومن يشار اليه بالعقل واللب ابداء نوع من المعلوم ان الداء اذا اعضل واستحكم
في الناس فانه يحتاج الى من يقوم بوظيفة طبيبة وذلك بدوا يليه بذلك الداء والاخلاط التي ذلك
الداء يكون تركيبه تركيب سائر الادوية فيحتاج في ذلك من الاعشاب والعقاقير شيء كثير
وربما احتيج الى ان يضاف اليها اشياء فيها سمية كالذراريح المعلومة ولحوم الافاعي والحنش
المسمومة ومعلوم انه ليس كل طبيب يقدر على هذا وان تعاطى ما علم ذلك العليل ولا برئ
طبيب ماهر البواطن بمنزلة في العلم بما هو منزلة الكبراء ومقامه العزلة في الغاية فكيف ابيكا
نحن فيه في الناس اليوم كالمجاذيم وقد تعاطى علاجهم اشرهم جهلا فكيف ينتفعون على يديه
او قتلهم وجوههم يتعوق بلهم عليه لعمر الله لم يعرف مثاله الا ما نابهم كتبنا سالما من الجزاء بعرف
معناه من الامراض والاسقام ومضادة الادواء والادوية ما معناه فاين الطب يضع الهناء مواضع
النقب فانهم لا يبرؤن في احوال الجرب الا قد عيي وان احتمروا في ذلك ابا زكرياء الرازي او حنينا وابناءهم
الرؤساء احسنين ولكن حيث لم يعقلوا ذلك جعلوا خيرا له ومنه هو خير له لانه سليم من تبعات دينهم
وشر لهم لانهم يغتروا بعضهم ببلائهم وما مثله معهم الا مثل طبيب اراد ان يطبب جماعة مرضى
احتاج في علاجهم الى ان يركب لهم ادوية يستخرجها من اجساد نظيره واجمعا كل من يجاور لعلاجهم

الكوهم

خـه والحناش

عي

عن ذلك وقيل له ان الامراء يعلمونك وتصغر الى حظهم فيما يرد اليك راجعة تستحضرها وان أخفيت
انك قادر على التحرز منها فربما يخرج الامر عن الاختيار ولا ينضبط في الحال فغلبها شربة عسل
ولا ثم لها مخرج ولا ترعة بنار وقد كنت في غنية عن كتب اهل الحارة وان تأنف في اذ وبينك
المستمسكة المختارة بدعة الخلق ومادة بقول الله فيهم اه الحي منهم فاسم عليه وهذا ما كنت قد قرأت في ان
يقال في مثل المسألة بغير ان كنت فقطعت الكلام فيها ولا ادري هل يعود لنا الكلام في اخرى ام لا الا كيني
رأيته ابن زكريا في بيان كون اكثر الفقهاء والمذكرين وقراء الكتب فيما يشير كذا الخبر من حيث لا يشعرون
وقد كانوا فيه في راحة والذي له في هذا ايضا نوع اسبق احد فيه كونه راجع على راحتهم حسبما اقتضاه
الزمان والله المستعان وكم رايت فيه من شخص في رفقته ديون نسيتها او تغافل عنها او رقد على
فعله ثم جاءه الطالب حيث برئم مشهود عليه فيه بذلك الدين فاقتضاه وضيق عليه فان كان
الغريم غنيا مليا والاخر فقيرا فكل من دنا وذرع يلعنه في مطله ويعذر من له الدين في طلبه ويظلمه
وان كان الغريم فقيرا او صاحب الدين غنيا فقوله ظالم غنيه وعلى كلمته تجعله تحت حكمه وان كان زاد له
استحقه عليه بجهله وضعفه والذي انزل له الكلم ويزيل الغم ويبين من التهم ويصوب حكم من به
حكم فوالذي علم بالقلم انه يجب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم فتبارك الله اصدق القائلين
وقد تفرع لنا ايضا كلام كثير في الفقهاء والطلبة وتحدث به كثير منهم ويستحلى لو علم صانعها
ما الذي اكتب فيها من ذلك لكان من المحتمل ان لا ينفعها الذي يا سيدي يحيى انا في امان فمادمت خيل
لدي مثال كتبتها لا اشتهارها واغلاها قال قد زمونني قلبك بعذري في احتسب تمنى وشغلي
فيها الذي في ذلك اكون بمنزلة من سال عن مسألة فلم يجبها او دعي بدعوة فلم تستجب وان قدر
بموتك قبلي فستكون فيها من الزحام وكثرة الكلام واتعاب الالسن والاقلام ما لو علمت ذلك وانت
في البرزخ لعضضت على اناملك والتك بذلك عجبا وغيظا وندما ان لم تكن فرغ ذلك سمعه
وانت في عالم الدنيا الذي الرزق مقسوم والرزاق سبحانه حاكم لا محكوم لا مانع لما اعطى ولا معطي
لما منع فلا على قول القائل لمن يعذله ويلومه على التبذير وترك العمل باحوال البيع ما دمت
لذلك ومثل هذا القول خطأ او صواب وعلى ما تعلق به من معان اخر اعلموا ان هذا القول في
حال خطأ وفي حال يكون صوابا فاما الحال الذي يكون فيه خطأ فهو اذا قاله صاحبه منتصرا
لنفسه ومحتجا لها من غير كمون اعتذار ولا غلبة انكسار لان العبد من حيث هو عبد لا ينبغي
ان ينتصر لنفسه ولا يحتج لهواه كان في كل امر ذلك ينطق بالحكمة ويتكلم بمحض الجود الذي
من احكم الجنايات انتهى لا انتصار له منها عند سيره ولم يعذر الله تعلى الكفار حين قالوا

م يكون م فيه ابتفار

لو شاء الله ما اشركنا ولو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء وما اشبه هذا وهو كلام صحيح يجب على كل احد اعتقاد مضمنه كما يجب عليه ان يعتقد ان الله تعالى واحد لا شريك له ولكن لما كان كلامهم ذلك لا زادهم الا الانتصار والاحتجاج لنفوسهم وستر العيب ومبادرة لهتك الحق وفسوقهم وكذلك يقوله من لا يبالي ولا يتكلم من جنايته انما يقوله على هذا الوجه المذموم ولذلك ذم منهم هذا القول واما الحال الذي يكون فيه هذا بجعل ذا قاله قائله غير منتصر لنفسه ولا محتج لها وانما قاله اعتبارا منه عن قدرة الله تعالى فيه ونفوذ تقديره عليه مع شدة افتقار ودوام انكسار وخبر هذا المعنى من قول النبي صلى الله عليه وسلم حج آدم موسى اي غلبه بالحجة والحديث صحيح مشهور ان شئت ان تقف عليه كل احد يحتج به وفسولكم وتغري النفس الخبيثة فانتبه الا الثناء والحمد ولا ينبغي الثناء والحمد الا لله تعالى بقدر قوله وغيرهما ان عرض ما اثنى عليه يمقتني ويبغضني وهو بعذره لجره ليبلغ علواه ما كنت فلته للكرم بيدخل الكرمانية ويخرج مراده راه ولا كنت اعزره في ذلك كما هو الحال لو لك فيه لانك لم تخلط هذا الكلام عقلا ولا جهما ومن خالفه من غير العقلاء والعلماء في البلد الاكليس فيه ابن جبير فعرفه الخوض في الباطل الذي وقع منه من الله تعالى في الكتاب الذي قبل هذا الوسا قرت ان افهما اليقين وعمرت ما عمر نوح من السنين لم تصل الى ذلك وعمرك شيء من الدعوى الذي هي من اعظم البلوى ان تعتقد في نفسك انها خبيثة وان كل من يعتقد هو بعذره فيك لبيت شعري اني حصل لك هذا الاعتقاد وهذا العلم ولا تكثرن في هذا الكلام انكر عليك وجود هذا الاعتقاد كيف وهو مطلوب به كل العباد الذكر انكر عليك ان تبنيه على اساس غير مستقيم والاساس الذي هو غير مستقيم ان تشاهد ما انت عليه من الذنوب وتغفل عما لله عليك من النعم ولا شك في كونك على هذه الحال ومن كان على هذه الحال لا يفلح ابدا الا ان غفلته عن النعم تؤدي الى كفرانها وكفرانها يؤدي الى سلبها ولست اعني بالنعم الدينار والدرهم والماكول والمشروب فقط وانما اعني بذلك الايمان وقولك لا اله الا الله لا اله الا الله بوقتها من الدهر وان تسبيحة من نوبتك بها اشد ونسافك حين تسمع اذان الزوال وتقربك اتية الوضوء لتتوضا منها وان تقوم الى الصلاة فتحرمها انفراديك بعزله وما اشبهها من النعم التي اعنيها ولا اقول لك ليس ما انتفعت بها من دين او صلاح او اقبال على خير او تجنب لشر بل الغ هذا كله والحظ بواحدة من تلك النعم التي تقر بان الله تعالى انعم عليك بها بلا شك وانت تستحضرها وتستحسنها اذا قدرت بها فيقبح عليك ان تعرف قدرها وتعرفه قدرها هو ان ترى انها لا تليق بك من حيث انك فاذا عرفت انها لا تليق بك من حيث انت استولى عليك من الفرح بها ما يمنعك من التطلع الى

سواهما وذلك هو حقيقة الشكر الذي تستوجب به المزيد ومن مقتضى ذلك أن يرحمك مولاك
فيستر لك عن مساويك وعيوبك التي أنت متصف بها وهي في رقبتك بمنزلة صمام القلم ولا سبيل
لك إلى إزالة شيء منها عنك بقوة ولا حيلة لأنك لا تستطيع إلى ذلك بقوة أو حيلة كالذي لك
من أعظم المساوي والعيوب التي تزداد بها الرحمة حجابا إذ أنت ترى هذا الكريم ما أمر به وما
استعمله من أجل له وهذا يعد من المهالك والمعاطب التي تعرض لمن لم يتوب له ومن إيقاظ
سببا فيه هذا الكلام مثل إذا أثنيت على الله وحكيت النعمة في استقبالها بلسانك أو أثنيت على النبي تعلى
والغيب الثناء على رب العالمين كلا والنبي بالإثبات ومن استعمله بما تروحونه عكس الأمر فأثنيتم
على النبي بكمال العلم والقدرة والقوة إذ شأنكم أن تلوموه على النبي بها والكسل اللازم
المعبر من غير وجه ولولا اعتقاد أن لها عندكم قدرة أو قوة ما لمتموها ذلك اللوم والعتب
الثناء على الله تعالى بتفضيله عن النعم التي أنعم بها عليكم من غير استحقاق ولمتم مثلا العكس مأمنو
أكثر من ذلك وأي شيء أنتم حتى ينعم عليكم والذي من أمر أنكم واستقبالكم فرحه وأوا بعذروا
بما هذا الجملة لعيبه أرأيت لو أن عبدين مستحقين ولهم شيئا فخلعهم بأنواع الأقذار
والأنجاس استحق بينهما من البركة التي هي عندكم سوء الحزم والعيب من غير حاجة منك إليهما
ثم عمرت بهما الترمنة لمن فنظفتهما من الأقذار والأنجاسات وكسوتهما قميصين وسراويل ودراهم
معدودات ثم أراد احرمهما رد إلى بيتك مرحبا بكما الأسكم لاكم وقبلاكم الحرير والديباج شيئا كثيرا جباب
فقال لك اكسني جبة من هذه الجباب أو قبلتكم من هذه القبائح فإن المعاقلة التي عاملتني والقميص
الذي تستتني ليس لشيء، ومن ذلك عنهم وقع وسكت الآخر ولم يقل شيئا بل لم يملك نفسه إلى شيء،
من ذلك علمنا ينطق بأنه لم يستحق ذلك التنظيف الذي نظفته والقميص الذي ألبسته وفضلا
عما فوق ذلك مع علمه بأنك قادر أن تنزع عنه الستر وأن تمزقه وتزجه إلى غير القبلة من غير
مبالاة منك بذا لك أن العبدين تجده أنت عندك وأقرب إلى نيل مرضاتك وأولى باستحقاق
النعم التي بلغه منك عليه أهذا العبد الشاكر أم ذلك العبد الكافر والأشد إن العبيد المكلفين
في هذه الحياة الدنيا بمنزلة المتابعة فمن عبد أنعم الله عليه بنعمة إن نعمة كانت بها من
منزلة الحياء من الله تعالى من كونه ذكره بتلك النعمة على خساسة قدره وتقاصره عنها باستحقاق
في الشكر عليها وخجل عن تكلف ما سواها ومن عبد أنعم الله عليه بنعم كثيرة وهو يرى أنه
فإنه من النعم ما استحق ما أنعم به عليه في جنبه لو لم يستحق ذلك ما تطلع إلى غيره
بذا حق هذا بأن يسلب عنه النعم بكمالها لكفرها وما أحق العبد الأول الذي شكر تلك

النعمة التي انعم بها عليه مولاه بان يحيف عليه من النعم فانه يحكم له فقط بذال وهذا الشخص
الذي يرى نفسه مقصرا في حقوق الله تعالى غافلا عن جملة النعم التي انعم بها عليه ان كان يعتقد ان
لنفسه في ذلك مدخلا فبئس الاعتقاد ذلك وان لم يعتقد ذلك بل اعتقد ان الله تعالى حرمه نعمة
عنده ما يعمل ولا يعمل شيء فينبغي ان يقوم مع فيكم النعمة الموجودة ولا ينظر الى ما بعد الامد فيشتغل
بشكرها عن تطلب النعمة المفقودة له فان هذا الامر عمل البطالين نعوذ بالله من ذلك قال
عمر البحيري امنوا لانه اوجب لكم كونكم اتقيتم من الله تعالى بنفوسكم فترون من اجل التكليف
الذي كلفكم انه مفوض اليكم اصلاحها وافسادها فاذا قدرتم وقوع الاصلاح بها منكم فرحتم
بما لكم في ذلك من المنفعة التي تتوهمونها تكون لكم في الدار الاخرة الا لاقامة العبودية
لله عز وجل وان قدرتم وقوع الافساد بها منكم حزنتم لما لكم في ذلك من المضرة التي تتوهمونها
تقع منكم في الدار الاخرة الا لما تركتموه من اداب العبودية بين يدي الرب الحميد وكل ذلك عند
العارفين بالله تعالى المطلعين على حقيقة الحق جهالات وخيالات لا يثبت منها في نظرهم
التحقيق شيء بل النظر المحقق يوجب لهم ان يروا نفوسهم وقلوبهم بيد الله تعالى ليس لهم فيها
مشتغلة على شيء من الخير يطلبونه اليهم ولا اتيانا على شيء من الشر يدفعونه عنهم بالجملة
يحققوا بمنزلة المعرفة كان معتمد امرهم الالتجاء الى الله تعالى والافتقار اليه في ان يوصل اليهم
الخيرات ويدفع عنهم المضرات فان كل حركة تجري عليهم في موافقة او مخالفة ملغاة في نظرهم
لا يعتقدون لها سببية في حصول منفعة او مضرة ولا يرون في ذلك سببية الا لارادة الله
تعالى ومشيئته فقط فتعلقت قلوبهم بذلك واطمأنت بها فلذلك بالجملة اطمأنت قلوبهم
الى ذكر الله وزالت عنهم خبائث نفوسهم حيث لا يشعرون وصارت كميتة كما مرة لولا ذلك
ما فارقتها الخبائث ولو انها بلغت من العبادة والزهادة كل مبلغ فنفس اكثر العباد والزهاد
من عوني في الاوتاد مشهر كنار في الخبائث وقلة النجابة الا من رحمه الله تعالى بهذا الامر العزيز
الذي لا يوصل اليه بسبب ولا حيلة بل لا يهتدي اليه الا من يشاء الله في هذه الازمنة لان نوراهل المشـ
بان توجد في بيوت الكنائس والدساكر ونعني بهم كل من لا نبصر معلقة من عنقه كلاما وامثاله
تحمل منها على ارقابنا حملا لا ثقيلة مع انها ليست بحسنة ولا جميلة لو فرضت الى كلب
لتولها او كرهت الذي بيد لتنبيهها الا لما هم عليه من ذنب وعصيان بل لما هم عليه من تكبر
وطغيان ولا اعني بها التكبر والطغيان ان يرفع صاحبها شعوره على الخلق او يكلمهم
ويخشنهم شيئا من الحق وانما نعني بذلك ان يكون عنده شيء من الدعوى التي هي اعظم البلوى

ولو

ولو كان صاحبها احتاج الى التحكيم الذي قدر من ظاهر النفوس وعلامات وجود الدعوى في الغير لاذكرها
لئلا تقع من ذلك في امر تنكرونه علي من غير حاجة بذلك الي والله تعالى يعلم المفسد من المصلح وهذا
لمن يجهل به العلم وتحدث به عن ذلك الكواعن من غير كثرة الا ان يتشعب الرسم فضربت بها ان اجزيتم
ان لكم في المستقبل التي حدث عنه بما كمترى من ذلك الكلام الذي تكلمتم به قبل ان صار من فيه الغرض
فالحمد لله ونسأل الله تعالى ان يغفر لنا واياكم ان سبيل الرشاد من قبل ان يكون للكلام في هذا الشيء
من النتائج وان نكاية فيه الغرض فاجعلوه من جملة المفارع التي شان نفسكم الخبيثة بزعمكم او
تفرغ بمثلها الذي فضربت ان اظن بكم بها نجباء في الحوائج واقبلوا عذري وسامحوني فيما ترون فيه
من خشونة او جفاء فما حملني على ذلك الا انه عز علي ان جمعت انكم عليها من التنبيه والتحبير
والعمن بغيرها وقع فيه الكم التشبيه المنكر والله تعالى الهادي والموفق لا رب غيره ولا معبود
سواه وقد كان بلغنا منكم كتاب جمعة قبل هذا وتعرفت منه ما كتبتم به وتعرفت
من كتاب قبل ان ذكر في غاية الكرب ونهاية الضر فها انا اذكر لكم ما تستعينون به على الصبر على شيء
والرضى عن الله تعالى فيعفوا الله ولا التوفيق لنا ولكم واعلموا ان العبد لو كان لا يبلغ القدر
تعالى الا بعلمه بالطاعات والعبادات الكاملة لما كان له في ذلك متسع ولكانت صحايف
حسناته خالية خاوية لان فتور عبادات العبد مشهود بالاخلاص فيها ونقيه الافات عنها
وكيف يسلم امثالنا من ذلك مع حبنا للدنيا وايثارنا كافة الهوى فمن نعمته علينا ورحمته
بنا ان ابتلانا بالمصائب والنوائب والهموم والغموم ليحصل لنا بذلك في العاجل رقة وانفطار
بالقلب ودعاء وابتهال باللسان وذلك من اعظم العبادات والقربات ويحط بذلك في
الاجل تكفير السيئات وترفيع الدرجات من غير ان نخشى عليها افة ولا عاهة فيفرحوا عيننا
بذلك وليكن لكم اسوة حسنة في الانبياء وخواص الاولياء فانهم اعظم الناس بلاء لانهم
اعظم عند الله تعالى ثوابا واجرا ولو لم يرد في هذا المعنى الا قوله تعالى انما يوفى الصابرون
اجرهم بغير حساب وقوله عز من قائل وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا
لله وانا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون
لكان ذلك كافيا فالله تعالى يرزقنا واياكم الصبر على ما ابتلانا به والعافية مما لم
يبتلنا به واذا لم نكن من رجال البلاء فينبغي لنا ان نسأل الله تعالى العافية في الدين
والدنيا والاخرة فهذا مما يخفف وقوع المصائب عليكم ويحليها لكم ومما يخففها ايضا
على العبد توقع نزول المكروه به في كل نفس وفي بعض الاثار اكثروا ذكر هادم اللذات فانكم

ان كنتم في ضيق عيش وشظف عليكم فرضيتم به واجرتم وان كنتم في سعة نعمة عليكم فقد قمتم
به فاثبتم ومثال هذا مثال رجل حبسه السلطان في محبسه على نية ان يخرجه للقتل او الصلب
في اي وقت اراد فانه في حال كونه هنالك لا يجد لذة شهوة ولا متعة ولا يجد الما لضربة ولا
خدشة لانه يتوقع نزول ذلك الامر العظيم به وتجريعه مرارة وجعه وجسده ولا اشد ان الانسان
في هذه الدار محبوس ومقهور متعب في كل نفس ان ينزل به ملك الموت فينتزع روحه عن جسده ويصير
جيفة من الجيف وان وقع منه شيء اذ من الامور لمن كان عاقلا فلا اذا اشعر خاطره ذلك وكان له
بفكره والتزم تذكاره فليته لم يتصور منه وجود غم ولا حزن من مصائب الدنيا كائنة ما
كانت ومما يخففها ايضا على العبد ان يعتقد ان في مقدور الله تعالى ما هو اعظم مما ابتلاه
به وقد صرف الله تعالى ذلك عنه وابتلى به غيره الا يحصون كثرة وعافاه منه وقد كان
السلف الصالح رضي الله عنهم يعتادون في كل وقت حضور ديار المرضى والزمنى ويحضرون
مواضع اقامة الحدود والعقوبات على الجنايات وارباب الجرائم من قطع او ضرب او قتل كل ذلك
ليتذكروا نعم الله تعالى عليهم فيحملهم رؤيتها على الشكر لربهم عز وجل اذ عافاهم مما ابتلى
به غيرهم مما ذكرناه ويقفوا على حدود الادب بين يديه وصدق المعاملة له وقد جاء في
الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال انظروا الى من هو اسفل منكم ولا تنظروا
الى من هو فوقكم فانه اجدر ان لا تزدروا نعمة الله عليكم او كما قال صلى الله عليه وسلم وانتم
اذا نظرتم في هذا الامر بعين البصيرة وجدتم من هو اكثر من ان يحصى في امور الدنيا وفي امور الدين
وانكم تفوقونهم لا محالة بنعم دينية ودنياوية ولا يمكنكم انكارها اما النعم الدنياوية
فكما مر ولو لم يكن من ذلك الا صحة بدنكم وخفة ظهركم من تبعات الاهل والعيال واما
الدينية فعندكم بحمد الله منها شيء كثير ومن ذلك مثلا ملازمتكم لمذهب اهل السنة ومجانبتكم
لارباب الضلال والبدعة وسلامة جوارحكم من الظلم والعدوان والانهماك في متابعة الشيطان
وما رزقكم الله تعالى من محبة الخير واهله ونعمة التبصر وشهود الكف نقصا والخوف من الذنوب
والحزن عليها وابتلاء الله تعالى لكم بالفقر والفاقة اللذين هما من شعار الصالحين وملازمة
الذلة والانكسار اللذين هما من اخلاق المؤمنين الى غير ذلك من النعم التي لا يمكنكم انكارها
ولا جحودها ويكفيكم من ذلك ما تقدم لكم من هذا الذي سيدي سليمان رحمه الله تعالى ونفعنا به
وخدمتكم له الى ان فارق الدنيا وقد كنتم اذ ذاك تتعلقون اذيال الشيخ والقدرة تحبسكم
حتى بلغتم من ذلك غاية الامل والمرغوب وادركتم المذكور من اولياء الله تعالى المتصفين

منها

مسجون

لا ان انسان

الشيء

أدنى منكم

النعم

هو اليازغي

والانتم

تعلى

ولا بشهم وقد انعم الله تعالى عليكم بجميع ذلك من غير حول منكم ولا قوة وكثير من الناس تعدوم ومنهم مغزلة
الصفات والاحوال عندي في بحار التيه والضلال بمنزلة كلمة ادوية نافعة لهذه العلل التي حدثت
عندكم فاذا استعملتموها صرتم على قبضها ان شاء الله تعالى والله تعالى يفرج عنكم ويجعل ما طابكم
تكفير الذنوبكم وترفيعا لدرجاتكم **وقد بلغني كتابكم** يا مولاي فقراء كنت بعثت اليكم
جواب كتاب بعثتموه الي تقدم او تعرضت فيه الى الكلام الشيخ ولست اعني بالكلام الشيخ ما
حكيته عن نفسه مما يرجع الى قلة اليد وقلة الدنيا وانما نعني به مجرد تعظيمك لذلك وحملك
عليه وكونه بين عينيك وسواسا حتى اشتغلت نفسك وحملت من ذلك انفا من الجبال
الرواسي والجعل يعمل بالانسان اكثر من ذلك كما قال الشاعر * لا يبلغ الاعداء من جاهل *
* ما يبلغ الجاهل من نفسه * ويا اخي كيف ساغ لك ان تقول في كتابك اني بعض الاوقات عن باب
مولاي مطرود ومن كل خير ابدا ان اخلو به تفوت مفقود وقولك وما انا الا من حقت عليه كلمة
ايات تنفيذ من في النار وقولك ويا ذل من هي انا سقيم محروم ههنا مذموم اثر ان مصيبة
وقعت فيها بهذا الكلام وبالحال التي حملك عليه من انك رايت نفسك وحسبت انها شيء معتبر
وان الاحوال المحمودة ان ذهبت عنك فلا وجه فيها لما نرى فاجلبه لتنيلها والوصول اليها ثم منها
عن ذلك فاستولى عليها من العقلات وما فيه مشتات به من الشهوات وترى في قدرتها ان لا يحزنها
ذلك ولا بد من فاعل الخير ان الشيء من عندها ان لنا لا كمال لهم نفعل ولم تنشا عن بذلك ومن ادعى
شيء من الدعوى لا رؤية التقصير وتوهم ان فيه بعلا او جهلا او استغنا فالمرتبة من المراتب او
حال من الاحوال التي بقية شيء عظيم ثم فيه مع الدعوى المذكورة منازعة الارادة وان قدرة الذي
تعلم انه لا يكون في ملكه الا ما يريد وان قدرة الله تعالى غالبة على قدرة العبيد ثم مع هذا تجرنا وجربت
وتكدر وقتك وتشوشت حالك ولم يكن سبب ذلك الا انك رايت قدرة الله تعالى غالبة لكن ارادته نافذة
فيك ثم انك كرهت ذلك واحببت ان ينغير علم الله تعالى وقدرته وارادته وحكمه فيك لما انت له
محب ولا مؤثر ولا معنى للمنازعة الا هذا بمنزلة من اخذ لعلك فلعل وغير لا بعيد وعلله بالاغلال
وكم حده في سجن فيحزن لما يفعله معه الملك ويقول في نفسه ملك الاكي فيه وخلع عليه وجعلني في بستان
او قصر بدلا مما يفعله معي بما احبني في ان يكون يفعل في ذلك وتعينه ما افضي به علي من هذا او ان ما انت
عليه الا انك لم تتكر به ولم تغني ولم تجزع ولم تنفص بالامور او فعمايك فرقصت وخرج منها
فان قلت انما الموجب لكم بان يدوم لي هذا الحال ولا يكون في منعة انفكاك ولا زوال فاقول
لك انك لا تدري ما يكون ولعلك فيما تستقبل ستصير قوته وتنصرف الى الاعمال الصالحة والحالات

م العذاب

م ان

م زيك

المرضية والسالمة بالعافية والمريض بشيء فيجزم الفرق ولو رايت من كان كما ابرأتم من امراض وعاهات ثم اطباء او
تعوّجا ثم استقام بمنزلة مصيبة وبرهة وقعت فيهما وانت لا تشعر بهما اذ لو شعرت بهما لتمنيت
ان القلم الذي كتبت به ذلك الكلام تكسر وان الكاغد الذي كتبت فيه تمزق وان اليد التي تمت في ذلك
الكتابة جزت وارتعشت حتى لا تخرج تلك الصورة المستقبحة للوجود هذا كله ان رأيت نفسك في جميع
ذلك وحسبت انها شيء معتبر واما ان لم ترى نفسك في ذلك بل رأيتها اسيرة في قبضة القدرة
لا تمييز ولا تغيير فقد وقعت بذلك الكلام في طامة اخرى وهو سوء ظنك بربك وان شيء اذن الى من
ان علمت انك مطرود مبعود ممقوت وانك ممن حقت عليه كلمة العذاب اتعلم بذلك اليك رسوله
او انزل عليك كتابا كلا بل اسأت بربك الظن وحكمت بالسوء فترك فربما فيك الكبر بالتحميد والحزن
وهلا احسنت بربك الظن وقلت انا محل التعرض فترك وقضايه ومفرق لسهام اقضيته وكل ما يحكم به على
من هداية او ضلال او سعادة او شقاوة او ربح او خسارة او طاعة او معصية كل ذلك سواء بالنسبة
الى عظمته فمن الجاهل لما احكم على بالضلال في الماضي حكم لي بالهداية في المستقبل وكما حكم لي بالشقاوة
حكم لي بالسعادة وكما حكم لي بشيء حكم لي بضده فمثل الرجاء وحسن الظن ينبغي ان يكون الغالب
لا من يرى آخرتهما التقليب ذلك منه والثاني حسن المعاملة التي عاملك بها في دينك ودنياك اما في دينه
ذالكمية بنوامه ومعلوم بنصوص الشرع وللبعض ما ورد من هذا المعنى واما حسن المعاملة التي
عاملك بها في دينك ودنياك فانك اذا تأملت نتف البقاء وتصفحتها وتتبعتها لم تجد معاملة
واحدة من الف معاملة خالية من الاحسان واللطف البتة بل ابلغ ذلك كله وقد رأيته ويغير من
الدين ويغير من الدنيا فالفقير الحقيقي من الدين لا يتصور الا بوجود الكفر والفقير الحقيقي من
الدنيا لا يتصور الا بان تسلب عنه جميع النعم الداخلة فيه والخارجة عنه فيسلب عنه مثلا
ماله وصحته وجماله ويكون مجذوما او ميتا ومدفوعا بالابواب مض وتاب الناس بسوط الابعاد
والحجاب فهذا امر انت ما يقدر لاكن اذا عرف هذا الشخص حاله في سلب النعم الدينية والدنياوية
عنه كان معرفته بحاله نعمة عظيمة كافية جميع النعم بحيث انه لو انفتحت بصيرته وخير
بين ان يسلب معرفة المعرفة ويعطى جميع النعم او تبقى عليه هذه المعرفة ويسلب جميع النعم
لاختار ان تبقى عليه ويسلب جميع بل لو انفتحت بصيرته لشاهد ان معرفته بحاله هي النعمة
التي تستغرق جميع النعم وان وافق ذلك وان اخذ بيده وجعله في العبودية وسأل الاعلى ليشهد الله في حسنا
وبلاء فلا داعي من هذا الباب عيشنا وانتعشت روحي وشاهدت لك الفضل على تسع مائة وتسعة
وتسعين شخصا من الف شخص فشاهدة خالية من الافات والعلل ويبقى واحد من الف اقل ان يكون

كنت

كنى

النعم

لو

لك الفضل عليك او تتساوى معه ولهذا كانت خالية من الآفات والعلل لانك لم تشاهد منها من حيث
انت ولم تطلع بها حكما من حظوظ نفسك البتة هذا كله بتقدير ان تكون مشغولا بجميع النعم كيف
وقد هداك ربك لان تقول لا اله الا الله وتبقى ثلاثة ايام او اربعة وما اخذ النعمة لامتنة لاحد فيها
عليك وتجعلها في يدك وتغير لك تماما في حقك وتشاهد في بعض الاحيان ولدك فلانا او فلانا مقرا منه
الله تعالى يقعد ان يتلقبا ويضحكا وكذلك فلانة وانت في هذا كله ساكن الجاش تقول ان ربك وعد بهذا
افلا ما يمكن ان تعترف به ولو شئت ان تزيح لك من هذا وانت قريب قليلا قليلا الى ان ربك من نعم
ربك عليك في الدين والدنيا ما لا تسعه عبارة ولا تحيط به اشارة ونعمه في جميع ذلك ثم اعتراف مع
ما انت عليه من القبائح وانواع الفضائح لم تقلع ولم ترجع لغفلتك ولا لك التنبيه والايماء في هذا
المذكور ابلغ من الايضاح والتصريح فلما رايت انك في علم الله مكنون مبعودا ممقوتا وقد حقت عليه
كلمة العذاب باعتبار ما انت عليه من الصفات الخسيسة والاعمال الخبيثة فلم تجوز تجويزا غالبا
ان تكون عند الله حظيا مقربا محبوبا وقد سبق لك من الله الحسنى باعتبار ما هو عليه من الجود والكرم
والمن والفضل فلا هذا اولى لانك تركت اعتبار نفسك وما هي عليه من الصفات اللائقة بها ونظرت
الى ربك وما هو عليه من الصفات الحميدة والنعوت المجيدة مع ان عندك من افعاله معك ونعمه قلائده
لك من الاول الاولى مما تقيس عليه ذلك وليس عندك مما تقيس عليه في الجانب الاخر شيء ولا يستقيم
اذا لابليس ان يقول لك لم احسنت بربك الظن واتكلت على فضله وكرمه والغيت امر نفسك ولم
تعتبره ولم تبال به ويستقيم كل الاستقامة ان يقول لك ربك لم اسأت ظنك بي واعتبرت نفسك
ووقفت مع صفاتك واغفلت ما شاهدت من المعاملة التي عاملتك والتربية التي ربيتك بها من اول ما
بارزتك وجه مناسبتك وموافقته بحيث لم تملك نفسك ان استحسنتها واستحليتها وهو لا ما
يكون منها ما اخفيت عنك منها لحكمة انفردت بعلمها ولو كشفت ذلك لك لكانت بلية من
جملة البلايا مع كونك بها قد يستغيث ولعل من جملة النعم التي اخفيتها عنك رؤيتك نفسك بالعين
التي رايتها بها من كونها مكروهة لك مبعودة لك ممقوتة ولو اشعرتك بانها منزلة نعمة عليك من قبل ان
اسلبك عن نفسك واخرجك منها وحل الشعرة من العجيب لكان في ذلك من الضرر عليك والفساد
ما لا مزيد عليه وعندك ايضا لو نزلت عليك النوائح وبكت على مصيبتك البواكي لكان
ذلك قليلا في جنب ما ابتليت به ولولا اني لطفت لك بان قيضت لك عبرا من عبيد وجعلت له
وللذاته قوة من قلبك بعمر ان نفسك التي هي معتبرة عندك ورايت منها عكسها كل واتانه
ونعم يجعلها بين يديك تمرع عليها وتدوسها بنعلك الخ وقد فتح لك بعض اثر نعمي عليك

تعالى

حاله

فما بقي منها وما ظهر وجعل لك سبيلا الى الوقوف ببابه ولاذ ابوابه الى جنابه لكن ذنوبك وابعدتك كم ذا
وبعد الا تشتغل بهما فيه كما تعلمه بالكرم ترى يعنينا الحين اصحابا بالتلذذ اليسير والحلا اليسير الذي هم فيه حور
الارض يسيرا ولا كنهم في عداد الدنيا اليسير وذلك انه البسهم لباس الاغنياء واحكمت في قلوبهم رؤية
الاغيار وبقوا بذلك عن التحقيق وحادوا عن سواء الطريق اما سمعت ما نقل لك عني مما وجدت
معناه اني نبيين بعفوي لولا الكفي لك وبعنايتي بك لجعلت نفسي عندك ابخل الباخلين ولكن
لعنايتي بك جعلت نفسي عندك ارحم الراحمين فاذا رايتني ما قلت لك بهذه المقالة الحسنة التي
تعجز في وصفها الاقلام والالسنة بكل شيء تنسي ذكرك في بيتك واذكر ذنبك وابعدتك وفتنتك
وجعلتك لمن حقت عليهم كلمة العذاب رؤية كدرت عليك عيشك وشوشت عليك نفسك ونغصت
راحتك وانسيك اذنت لك في ذلك او تعلمها او توسلت اليه في حكمي ثم ما راغ في مملكتي تزيد
وتنقص ولقد كان لك في مكابرة امر معاينتك وتمر بي اللحمة لك والعياذ به ما يكفيه حضور العذاب
بوار الذي تشاهد فيه لكفي وبكفي وكيف وقد اضفت اليه الكرب الذي اصابك من التخبر في فرزه والتحكم
على في مملكتي وشوه الكفر في باطن ذلك عن بابه وتحمل ما تمت عن حكمه به واشتغلت بمعاندة قدره
ومراغمة حكمتي فهذا كله كلام مستقيم لا يقدر ان يرده منهم من واحد منا انا رضينا به وما فيه
نازلتا ربك ومهما كان حالك الذي انت عليه من الغم والكرب شيئا لا يرضى به عاقل ولا يصبر ويشكو
الا من غير حاصل وهو الذي نصرت ان اتكلم لك عليه وابين واميز فيه وانت اذا تاملت هذا الكلام
كله من اوله الى اخره واصغيت اليه بقلبك وفرغت له سرك نفعك النفع البين من هذا الهم الحزين
ومال انت اما منعما وارفا ثريا فقا واما معجونا وارفا الكسير الى شيء اخبئت ان تسميه سميه وهو
الذي ركبته لك لترجع به عن حدسك وتحبسك وحولك وقوتك واجتماعك وتكل الى نفسك حسبما
طلبته فيه واما الحال الذي هو عندك سيئ وهو الذي سقتهم ذلك الكلام كله من اجله حتى اخذت
بسببه في اودية كثيرة وطرق متشعبة وهو كونك مكبلا بالشهوات غلا حرا عن التجافي بكل بعقل
حتى فسح العقل اذا اراك كم فرقة او شهوة نجد نفسك عليها كالتكلم والانبات في التوصل الى
ذلك بما حل او حرم وانك كالا تعلم بل انت اضل الى اخر ما قلت من هذا المعنى فقد اشتركت معك
ودا وداوي واحد ولا كنا اذا احكمنا المعاني التي ذكرناها لك في هذا وان علينا الجهل الذي اصابك
حتى نعرف بذلك جلالة ربنا وحقارة انفسنا ويصير لنا ذلك ملكة وحالة ثابتة راسخة رجونا
الله تعالى ان يلطف لنا في هذا الداء الذي ابتلينا به هذا ما حضرني من الكلام الذي طلبتموه مني على
الحال السيئة التي لم تعجبني منك فواكتب على نزل كلامه وتكلم اذا انا الليل واطراف النهار لتكون

ومقاصده فلازمة للطلب لتندفع بها ما يحصل من الخواطر الرديئة والأفكار المشكوكية والله تعالى
الموفق لذلك والمعين عليه لا رب غيره وفــــــــر وصلنا كتابكم وتعرفت منه حالكم
وحال أولادكم وأنتم تتقلبون في النعيم كما هو مرادنا بكم فالحمد لله على ذلك وفرحنا به
كثيرا وأما ما سألتم عنه من تلك المسامرة وأنه هل يتوصل إليها بسبب أم لا فالله العلام في
كونها نعيم للإنسان وملكة أحال الله في السبب لا تبرمه في الغالب الذي سبب لا ينعقد بتعيين
العبد في السببية التي يتعاطاها فاصل لتعاطي ذلك المطلب بالكلية لأجل هذا الانتقال بهذه الحيثية
التي من حيث كون إرادة العبد وقدرته متوجهتين لها أمر باطل والمسامرة التي أشرنا إليها أمر حق
وشيء من الباطل لا يمكن أن يتوصل به إلى الحق ولذلك كان من لكم بأن تتكلف المسامرة المذكورة
واستعمال لكم لطلبة التكلف في هذا الأمر حكما محضا ولو أمكن أن يتوصل إليها بسبب يعتمده الإنسان
ويقصده لم تكن عزيزة في الوجود ولكانت من جملة المألوف والمعهود وإنما السبب في ذلك الحال
بمنة الله تعالى للعبد من غير أن يشعر بشيء من سوابقه أو لواحقه فإذا وجد العبد لديه
وأيقن به أن المعهود الزائل متطلعا إليه شعر أو ذاك وليس هذا خاصا بهذا المطلب بل
هو جار في كل مطلب من المطالب مثل بعلكار أو غيرهم فيه وكم مرة يروم العبد أمرا ويجتهد ويأخذ
فيه بكليته ثم لا يصل إليه وكم مرة يصل إليه ما لم ينتسا من بعده ولم يعول عليه وقد يجري على يد العبد
أسبابه وهو في غفلة لا يشعر وقد يفتح الحق تعالى له بابه من حيث لا يحتسب أو يقدر ومع ذلك
الحال الآن كلما ميز أغلب حال الناس العبد وأما السبب الذي تحرزه حمزة فما أكثرها يجلبه ومعه ولا
ينيله بغيته ولا فضله وأن اتعرب في علو من القرض الحفاز والعرض المدبر فإن التعب في
تعاطي تلك الأسباب عظيم وكذب صاحبه من أجل شهواته يدمر الفقراء بعبير وقاربه بكلام
الغصير بمسامرة العبد الأسباب بما لا يحصل له البراءة من الدعوى واستغنائه إليها التي
وجودها في نكو السلاء وعقد الجنان من أعظم المحن والبلوى وبهذه الحالة يتحقق في مقام التوحيد
والجمع وتجد الراحة بمفارقته عالم الفرق الذي هو سبب كل هم وقطع وهو أيضا محل التعب وكلفة
وجود الكدر والنصب حسبما جرى لك في المقالات والمضاربات مع نفسك التي تضمنها كلامك
معها من أولها إلى آخرها فاخرج بإقبالك عنها إلى كلية لا بنفسك تكن رجلا وذلك بأن تكون بعد
عند الله مقروا مسلوبا عنك كل فعل وجعل مع اجتهادك في القيام بوظائف الشرع من غير تقصير
ولا نفس محال ومع ذلك الأمر فهم منك إلى الله يجب عليك وتوجيه لك أن تنتهي في المنافع
والعواير البطحاء الأمر الأول حقيقة توجب لك ملكا لعظمه الراحة من التعب والأمر الثاني يعقد

تؤدي في منازل المقبلين إلى غاية الأدب فإذا اتفق وثبت هذين الأمرين حققهما فاشكر الله تعالى على
توفيقه لذلك وإن لم تقم بحقهما وأصابك من أجل ذلك ضيق وكرب وأمر يزعج العقل واللب فهو
مغفور لك في جملة القربات موضوع في كفة الحسنات فلا ترى شيئا تطلب الانفصال عنه ونزوع
التقصير منه ثم من بعد هذا الابتلاء بكل وسواس ترد عليك من نفسك إنما هي لحظة أو كالحجة
أو موهمة أو كاذبة أو مثبتة للإلهية والدار الآخرة أو نافية لهما أو أنها بمجرد العقوبة أو
المثوبة فإن ذلك كله خواطر وأوهام ووساوس لا تفيد شيئا سوى الحرمان وأنه لا أخذ بها إذ تلك
في أخذ الأمر إلى حول الحادث شيئا لا على الوجه الذي خلقت عليه السبل ولكن لحق وخزي كل
واحد منها بمجرد الأول وقوعه مثلي تقع فتحصل لك من هذا الكلام كله الجواب عن سؤالك الأول
وهو متى يتوصل إلى تلك المشاهدة بسببه أو لا مع ما انجر إليه الكلام من أمور غير واحدة وأما
السؤال الثاني وهو سؤالكم عن العلامة على حضور تلك المشاهدة للعبد وملكه فقد علم أن صاحب العلامة
الملكة لا يحتاج إلى علامة كما قيل * من هو منغمس في الماء إلى ذقنه كيف لا يعرف الماء من برده *
ولكن من أدنى علاماته أن تمحى عن باطنه آثار تلك الوساوس والخيالات ويدوم إحدى منها في
جميع الأوقات والحالات ويكون كما قال سيدي عبد القادر * أصبحت لا أملا ولا أمنية *
أرجو ولا موعودة أترقب * لا في مع توفية الأدب حقه وإيتاء الإجلال لله تعالى مستغرقه
ومنزله معنى المشاهير والموارد العذاب والعطايا الباقية والمزايا التي حكمنا بها أو نبأ بها في الجواب
الدنيا قبل أن جعل الله حكمنا منها الوصف الامتنان ونكتتها في سلك من أخذ منها بحظ الفرج
وكرم بمنه وفضله هذا ما حضر من الكلام على السؤالين المذكورين وهو مع ذلك فهم كيفية
التخلص من تلك الوركات التي ذكرتم كلها بتوفيق الله تعالى وتأييده والله تعالى يرفع عنا
وعنكم الأسواء ويحول بيننا وبين عدوان الأعداء والسلام عليكم والرحمة والبركة وقد
بلغنا منكم كتاب بدارنا ونعرف منه أحوالكم في الابتداء وما آل إليه في الانتهاء من تعرض
زوجتكم وسكون خاطركم بالنسبة إلى ما كان أصابكم من الضيق والكرب فنسأل الله تعالى
أن يجزي أفضل الجزاء كل من سعى في تسليتها بلسان أو قلم أو قدم وأن يعطيه أفضل ما يرجوه من
ربه ويأمله من رضاه وقربه بمنه وكرمه وخبركم هذا الذي ذكرتموه من جملة الأخبار التي تذكر في
الفرج بعد الشدة وكم لك من نظير مثل هذا في كتب المحاضرة وهذه الأخبار أعون شيء على
زيادة الإيمان واليقين لأن بوجود مثلها يحصل للعبد خالص الشكر لرب العالمين وهو من أبلغ ما
تستجلب به القلوب الضعيفة لملازمة الأدب والكون مع الله تعالى كما يجب وفرحكم

بسكناك هنالك مذكرا فقد تحير الفكر والقلم الذي ذكرتم انه اعرفه ويعرفني هو فلان الذي كنت
عهدته هنالك حين كان رجلا مرحمة الله عليه وهو رجل من اهل الخير واكثر حالة سمعناها لكم
من انزالكم وكثرة العيال وقد اتعبتم هنالك والغريب للغريب نسيب والامر في سكناكم بتلكم البلدة
كما كنت قلته لكم في الاسطر التي رسمتها في اواخر ذلك الكتاب وذكرتم انكم انتفعتم بهذا الاذان الذي
الموضع من النغمات الكبار التي جاءت في الحمراء في سواد الليل وبياض النهار اما في الليل فحين تسمع
نغمات السحار في الاسوار وتقتفيه الضفادع في الاسحار على شواطئ الانهار واما في النهار فحين
تقف بباب المدرسة وتشاهد رباب المليك وعزته ومنعته وترى الوجوه حوله ذاهبين جائين
راغبين راهبين منهم من يخلع عليه اسنى الخلع ومنهم من يزعج بيده الى باب السبع وانت تعلم
ما الذي يصنع به هنالك واما اذا صعدت منار الجامع في الليالي المقمرة واشرفت على قلعة هنالك
والبساتين المثمرة وغير المثمرة والحيطان المنيفة والمباني الرفيعة وتحققت ما فيها من اللذات
وانواع المسرات وما تضمنته من الوجوه الملاح التي ليس عليها فيما تفعله جناح ونزلت هذه
الجملة منزلة العروس التي تستولي بحسنها وجمالها على القلوب والنفوس لم تشك ولم ترتب
في ان هذا بعينه هو الذي استغرب اعرابها اهل هذا منهم ان ابعدوا وطلابها فرضوا بقتلها لما تمسكوا
بحبلها وعزرت هذا ولاء الذين جاءوا ومنها مبادي من ليلا تنزع من ابدانهم ما عزيز وعزرت ايضا ذلك
الذي يجي من جهة الاندلس لانه مخطوب به هنا كبيس كيف رات نفسه واما انت وذلك الاجل البادسي
والذي يحصل للحمام من بينهم انما هو لغمة تبلغها انها في مسافة تعلمها هنا والا فانك اذا اقمت من يقول
حي على الفلاح الصلاة خير من النوم يقولون لك بلسان حالهم كذلك عن زلا فاذا كبر ذلك الرجل
البادسي تكبيرة الاحرام يقولون صل انت وحدك لانهم غرقوا فيما عليهم اسهل من شانهم المسلمين
وحالهم المستعملون اياها وهم وان تباينت اغراضكم في التراب يجتمعون كلكم ورايتنا في هذا
كله قدرة من قادر وحكمة من حكيم قاهر فاذا ادركت هنا هذا الحال والوجد ووقفت على مناسبة
هذه النغمات الروحانية التي ليس بينها وبينها مسافة ولا بعد لم يكن ذلك منه بعجيب ولا
مستنكر لمن كل عارف لبيب ومن الذي تنجلي عنه كل غمة وكربة ويحمل هذا الحال فلا يحمله
سماع نغمة ابن يعقوب ولا ابن ابي ضربة فهذا كله رايته فوافقا الحال التي ذكرتم في عرانفسكم حين قلتم
ونكتب في جوابكم لكم ان لي فيه منفعة فانا في هذه الايام في كرب شديد وغم كبير فاذا رايت كتابكم
لقلبي نجد فيه ما يسليني عما انا فيه فنسأل بهذه الجملة واحمد الله تعالى على ان منحاكم منه وفضله
وان لا تنسل بهذا الامر بسلك شيء عنها والله تعالى يفرج عنكم الكرب ويوفقنا للكون على حال نسعد

ورا ونادر المعنوية

بقاء العافية والمنقلب بفضله وكرمه والسلام عليكم والرحمة والبركة وقـــد بلغني كتابكم وذكرتم
فيه حالكم من قلة الراتب وعدم انتفاعكم فيه وانكم رجعتم تحيكون في دار الصنعة ثيابا اولابد
الناس ولن تتشاغل البيوت بشيء ابتغاء ذلك فنعم الفعل وهذا الشغل ويا اخي ضاقت الاسباب
عليكم وبلغ من ضيقها ان رجعتم تتشاغلون بامر حذر منه اهل الورع والدين وجعلوا متعاطيه في عداد
الظالمين فمكنكم من غير ابان تاخذونها تحبيسها من البلد البالي حيث الرعية والعامة وتتشاغلوا به في
موضع قابل المعاش عندكم لما سمعت فرغتم له في التجارات والصناعات فما اسرع ما عمل فيه ما
كنت ذكرته لك من الكلام الذي يصيب من يصبح ويمسي على وجوده او ذلك الكلام حتى حملك ذاله على
إعانة الظلمة في امور دنياهم وقد جاء رجل الى ابن المبارك فقال له اني خياط وربما خطت شيئا
لبعض وكلاء السلطان فهل ترى اكون من اعوان الظلمة فقال لست من اعوان الظلمة بل انت
من الظلمة انما اعوان الظلمة من يبيع منك الابر والخيوط وغير هذا مما هو معروف عنهم وقد كان
لك في الراتب الذي تاخذه معتاليك وافل كفاية ولكن ذلك كله لا بركة فيه وكيف يبارك في
الاشياء الحسنة وذلك كله تجري وقد اشبه ذلك الحرام اذا حصل في جوف الانسان انه أمر
يعمه لو ألقي فيها ما عسى ان يلقى الا وتقول هل من مزيد لكن كنت واقفتكم على ذلك الراتب
لاجل انه رائد كان اصابكم من كونكم تبقون الايام والليالي لا ترزقون فيها طعاما فكان
ذلك عندكم عذرا فلما ان ارتفع حالكم بعض ترفيع فلو كنتم صبرتم ولو ان ذلك تجرون من الله
لم تعبروا ان تستكثروا منه وتجعلونه في مراوة علية فلتكم بنه ليا العين الصغر ولا تكنكم وجدتم حلاوته التي
هي منقادة لحلاوة الايمان والضدان لا يجتمعان فذهبت اخرى الحلاوتين بالاخرى فكلفتم الاستكثار
من ذلك الشيء الحلو ولم يقع لكم هذا في خاطر ولم يتعين لكم بسببه قلب ومثل هذا الدا الكلمة التي
كنت ذكرته لكم ولكن مع هذا كله فلا تاخذ عليك فيه بعقول ولعل حالك تبلغ بك الى ان
يجوز لك مثل هذا وانا لا اعلم والشاهد يرى ما لا يرى الغائب وانما قصدت بهذا التنبيه لئلا يصيبك
الزهو والاستغراق حتى لا تغفل عما وراء ذلك ولا ما قدامك مع انه العلم علمه يغير ان من ترك شيئا
لله عوضه الله تعالى خيرا منه ولا يلزم من هذا العوض ان يكون من جنس ما ترك ولكن لعله يكون
زهدا وصبرا او قناعة وزهدا وما اشبه هذا مما يعمر له القلب كل عاقل لبيب وينتهي به الحال الى
يقول ما قاله ذلك الرجل الذي بقي سبعة ايام لم يذق فيها شيئا واذا بشر بذلك وقال يا رب ابتليتني
ثلاثة ايام لأصلين لك الف ركعة ولكن قد قلت لك في تلك الليلة التي هيأت لك نعماءها وايتك أخر
لك ترمي به انك اذا امرت من يقول احد على الفلاح يقال لك كذلك من عندك فلولا ما قد مني من

الاعتزار

الاعتذار حين قلت لك الشاعر يرى ما لا يرى الغائب ثم ذا امراء تقول في مثل ذلك المقال لما افكر ان يكون استوى عليك من الكلمة التي لا يمكنك عنها في الوقت انفصال ولا الزوال والاشياء كلها نسبية فالكاتب اذا رأى الحادث يستعمله ويستنزله انه مغبون الرأي في اختياره ما اختاره والحادث اذا رآه الكاتب كذلك لان من جهل شيئا عاداه اذ بادا فذرنا ان تقول في ذلك سلمنا لك في حالك وخليتك بصوابك وخطائك وقلت كما قال العبد الصالح نوح عليه السلام ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم ورأيت من زماننا هذا النفحات التي تهيأت لي في هذه الازمنة التي اتت من بعد وقلما يجب ان يرفض فيها ولا كرفض الاكدار حين نتذكر بعده ولا يكن الاكثر بعد ذلك اذ لم احكم عليها بشيء منها لا يكاد كذلك لكم واما ما ذكرتم من الخوف الذي اصابكم من الم الموت فهو امر يعتري الانسان من مقتضى مزاجه وطبعه لانه ايسر من هذا الهول واتقى وقد فيه وكذلك قد يكون مليئا او مغلوبا ومن المألوف امر قعب من الزكاة الموت دون الم ولا يجب صاحبه كرب ولا غم فكيف اذا انضاف اليه ذلك على الوجه الذي ذكرتموه فحسبه لا ينكر وماذا تقولوا عن انفسكم من انكم اذا تذكرتم الم الموت يسلب عنكم لذة النوم ومنعكم الانشراح والاستراحة في هذا وجهان اجمعا عليكم اذ جبلت لكم محبة الموت وحب الحياة وفيه دواء لذلك الالم فيما جاءت به الاخبار والاثار من ان الموت من اجل التحف التي يتحف بها المومن ولهذا كان السلف الصالح يتعرضون للمنون ومكافحة السيوف ويزايلون قدروا على ما جرى على ايديهم من افتتاحهم البلدان وغلبتهم جميع اهل الاديان وقد كانت كلمة الاسلام التي تنبأ بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بعد ذلك ثاب وراجع الاسلام قال له بعض اصحابه حين انهزم عنه اشياعه واتباعه وتعجب من ذلك اتدري لم ذلك لان اصحابي كل واحد منهم يحب ان يموت قبل صاحبه وعدوهم كل واحد منهم ان يموت قبل صاحبه وقد صدق فيما قال لان من طالع في احوالهم يعاينه شيء لم يتمالك ان يتمالك في طلبه والوصول اليه وهم قد لاح لهم جمال الاخرة فاستكثروا لو امدت اقامتهم في الدنيا واستعجلوا القدوم عليها وتسببوا لذلك بهذا الشيء في مواطن الحرب ومعارك الطعن والضرب ويقول احدهم لما اصابه جرح في نحره واستشعر ايقاضه الى الموت انك لصغير وان الله ليبارك في الصغير وكذلك كان بلال رحمه الله فيه حتى مات منه حيا له الله ومثل هذا كله امر معلوم مقرر واما الوجه الثاني وهو توقع الالم الذي يذكر في الموت بعين فيه نظرا اولا فبلا وما يذكر من مبلغ الم الموت لم يذكروا عليه فالظاهر انه حجة قوية فالاولى بالانسان ان يضرب عن ذلك صفحا ويستشعر فيه من الخفة ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم في شأن الشهداء من ان الموت عندهم بمنزلة قرصة النملة او كما قال صلى الله

م ويعتقد

م وعبادة

م يحب

متى

عليه وسلم وإذا كانت الشهادة مما تغير حال الموت وتنقله من الثقل إلى الخفة ومن الألم الكثير إلى
الألم اليسير علمنا منه أن الآلام في الموت ليست بكيفية حتى لا يمكن أن نفكها عنه وقد كنت كتبت
في هذا الفصل وطلبت فيه أن يعرضه على من يمكنه ممن يشار إليه بعلم أو من هو لا نكرهه أن يوافقوه
عليه أو يخالفوه فيه وقد كان ذكر في كتاب ما كان من هذا وما أنا أوافق عليه فإن صح هذا الكلام صار
فيه أعظم تقوية لما ذكرته الآن لكن لم يصح بسر يروات أنا نيا قبل أن الخوف مما لا بد منه وتوقعه
مما يزداد به حدة المتالم كما قلنا قبل هذا، وفيه لما قال سقراط استهينوا بالموت فإن مرارته في خوفه
ومثل هذا الذي ينبغي له أن يشتغل عنه أو يتهاون بالفكرة فيه فإذا وقع له شيء من الخوف فيه فينبغي له
أن يدفعه عنه إما باستماع نغمات أو استعمال أمور كثيرة من المفرحات وغيرها ويكون ذلك بقدر
استيلاء الخلط السوداوي أو الذي غلب عليه من الأخلاط بالأدوية وغيرها مما هو مشهور عند الأطباء
والغالب منه في هذا الكلام الدعابة والمزاح لتستعين به نوع انشراح ليتوافق الطبع والمعنى في
حصول الأفراح والأفكار من الثبات إلى حيث يكفيه ثبات الكلمة الوحشية فلو تقدم الكلمة ليصلح
بذلك وحشته ويرفع به بقية كيف يجد سعة للاستعمال الشراب المفرح الذي هو مشتمل على نحو
خمسة عشر جزءا العلاقة المسحوق والعنبر وأدنى مقاله السكر والتوز والورد الأحمر وكذلك كيف يجد
سعة لاستعمال الدواء المسهل للمرة السوداء وهو أيضا يشتمل على أجزاء كثيرة جدا وليس له
قدر من الانتفاع ما يمكنه أن يشتري معه من أدويته نصف صاع والقرض والتحف الأبراد منها
الشبع ولا الاستمتاع ولعله تقول هذا وقاعد من حيث أنك جعلت أدويته من الكرمي والثمر
فأقول نعم هو فاكهة ولكن فيها فلاحة ولا تغفل انقطاعها في هذا الوقت فإن من الكرب والهناء
لأن من هو في حضرة الملوك وليس بمتقشف ولا مغلول فهذا يكون محتاجا إلى أدويته وهو
يشاهد كل نهار الكباب المزوقة بالأطعمة العقلية المونقة تتحلى عليه وتشم نسيم
روائح الأبازير منها إليه ومثال الذي يكون في الإكليل والمتنا وليس لذلك إنسية وفترة ولا شيء
من المروءة بحيث لا يشير على غيره من ذلك بشطبة كيفية كم فيه هذا شيء لا ينحصر في مجرى
العادة أيضا الفقير لا يأتيه شيء ولا بالغرب لا ينعم من الناس الكبار الذين لا يرضون بالقار وأما
إذا وجد فضلة رغيف من تلك الألوان فلا تحليه نفسه حتى يشتري بها ولو لم يبق له إلا الثياب
فكيف يلتفت مع هذا إلى أدويته التي نحو مقدارها وتكفيه لما فيها من الحرارة الزائدة
التي ليس فيها مرير التغير بها فائدة ومثله الخمر إذا ما اسمح به في الوقت فليس فيه المحصول
الغرض الذي به قد أثم وهو ابتغاء تسليته وتفتيش حسرته مع أنه أعلم أنه ليس فيه فائدة

في اندمال الجرح والاكنة كما تقوله العامة دم على قيح وامثال الدواء الحقيقي الذي ينفع من كل داء
عضال ولا يكون في صحة تركيبه وافضائه الى الاعتدال والشفاء مدفع ولا مقال فلازمة التقوى ونفي
التقصير عن التقوى على كل حال في انفسنا وسادتنا رضي الله عنهم وعند ذلك تجدون السرور والانعمة
السنية في الحياة ما يحصل لكم به كل الامنية ولا يبقى عليكم من الكرب الدنياوية والنفسانية
بقية وتقولون حينئذ ما قاله ابراهيم بن ادهم رضي الله عنه لو علم الملوك ما نحن فيه من النعيم
لجالدونا عليه بالسيوف فلمثل هذا فليعمل العاملون وفي ذلك فليتنافس المتنافسون وهذا
ما اردنا ان نذكره لكم مما يمكن ان تستمر بفوائده عنكم ما عرض لكم من الكرب بسببما توقع الموت
وبسبب ما اصابك من ضيق الوقت وجعلناه مشتملا على جد وهزل ولفظ عامي وكلام جزل كل
ذلك لتستخرج منه الوجه الكامل وتقول بلسان حالك ومقاله يا ابن عباد ما اعرفك بمداواة علل
البواطن فاذا سمعت هذا منه ادركني فرح واستبشار بما رجعت اليه ولنتنابك على من بين فقهاء
الامصار الذين ليسوا في المضمار لانهم في فهم الرشد لا يشق لهم غبار ولا يخاض لهم تيار لكن
بعث به الفناء والدمار ويتكثروا بها تكثرا منزلة الدار ولا ينفع لهم من ذلك الا الاولى وافق اعمال الحنيف
الابرار للذي رجع في ذلك مقصرا انتفع به في الدار الاخرة والاولى ولاكني اقول لك كما قال الحريري
رحمه الله * فكن فاصلا حين نور به * ولا تسأل الشمس عن ظله * واستغفر الله ولا
قوة الا بالله **واما** ما طلبتم من النصيحة والوصية فانكم تستغنون منها مما تفرع من
الكلام ان شاء الله تعالى ولا فائدة في الكلام الكثير وكيف تنفع الوصية والنصيحة من لم ينتفع
بنفسه ولم يوصها بما ينفعها * ابدأ بنفسك فانهها عن غيها * فاذا انتهت عنه فانت حكيم *
فهناك ينفع ما تقول ويقتدى * بالقول منك وينفع التعليم * لا تنه عن خلق وتاتي مثله *
عار عليك اذا فعلت عظيم * والله يلهمنا رشد انفسنا ويوفقنا للخير قبل حلول الاجل لنا
بمنه وكرمه **واما** المسألة التي سال عنها فلان من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم
عقب قراءة الحزب جماعة بلفظ اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ففي بدايتها يفعلون ذلك
مقطعا ثم تركوا ذلك وصاروا يستعملون الصلاة التامة التي انك حميد مجيد عشر مرات
غدوة وعشر مرات عشية الا يوم الجمعة وليلتها فيقولونها عشرين عشرين ولا ادري من الذي كان
ردهم الى ذلك **والكلام** في هذه المسألة كالكلام في مسألة المولد الذي كتبت لكم به فالوجه عندي
ان لا ينكر ولا يعترض شيء من هذا الجنس وان يتقرر فيه وفي امثاله الاباحة والتوسعة ولا يقال
فيه انه حرام ولا بدعة ان لم يصادم ذلك سنة ثابتة ولم يؤد استعماله الى منكر ولا محظور

بل ينبغي ان يكون ذلك مندوبا ومطلوبا لقوله تعالى وافعلوا الخير وهذا خير وقد كنت رأيت تقييدا
من تحرير الكلام في مثل هذا للفقيه ابن البقال ولا ادري اهو ابن البقال مؤلف في هذه النازلة بعينها احكم فيها
بالجواز والله اعلم واحتج لذلك بحجج وان يكثر في الدين اذا ذهب والايمان اذا اسلب وتمسك
الناس بشيء مما يكثر الدين من اثاره كامثال هذه المسائل لم ينبغ للاحد ان ينكر هذا وينبغي للناس ان لا
يدينوا الا راجحة دينهم ولا ينبغي لمن شأنه العلم ان يغالي في امثال هذا ويمل هذا ايجاب كل من
يشغب ويقول لو كان هذا جائزا او مطلوبا لفعله السلف الماضون لان اصول الدين كانت
عندهم راسخة قوية وفروعه كما تلقوها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم غضة طرية فلم
يحتاجوا الى استعمال شيء من هذه المراسم كما لم يحتاجوا الى تدوين النحو في نوادر المسائل
الفقهية ولا وضع التواليف والكتب الناس فيهما فان جعلنا ذلك بدعة مذمومة فهذا ايضا مثلها
فلا شيء لم ينكر هذا وانكر امثال ذلك وجرى مجرى ما قلناه من الصلاة على النبي صلى الله عليه
وسلم جماعة واقامة المولد على الوجه المعتاد اذا اسلم من المنكر الزائد بل اثر الصلاة على
حسب ما الفه الناس وكذلك قراءة الحزب بالدائرة وكذلك اتخاذ المصابيح الكثيرة في المساجد
في رمضان لانهم انما قصدوا بذلك تعظيمه للدين اذا اسلم ذلك من المنكر كما قلناه في المولد
وغير هذا مما لم يحصه اللسان وتصريح ذلك الرجل بان الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في جماعة
حرام امر شنيع ولعل من يجيز بذلك الكلام اقرب الى ان يكون حراما مما حكم هو عليه بالتحريم لوجود
متعلقا بنا عن هذا العمل وقوله في جماعة لا يزيل شناعته ولا بشاعته واي فرق بين جماعة
يصلون على النبي صلى الله عليه وسلم على لسان واحد اسليم وبين ان يجتمع جماعة فيصلي
عليه كل واحد واحد ومنها ما تعرض له بسبب ذلك من اذى الناس له كما وقع لذلك الفقيه
المتقدم من فقهاء القيروان وانه اذا له علاقة الناس اذاية عظيمة بسبب ما سمعوا من قوله ان
قراءة القرآن بالدائرة بدعة وشنعوا عليه انه يقول ان قراءة القرآن بدعة ولم يتخلص منهم
وينفلت من ايديهم الا بعد اللتيا والتي ومنها ومن اعظمها الحكم بالتحريم على شيء من غير
دليل قاطع والله تعالى قد حذرنا من ذلك بقوله ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا
حلال وهذا حرام الاية وقوله قل الله اذن لكم ام على الله تفترون وما احتج به لذلك
من كونه لم يكن في السلف احتجاج ضعيف وليس كل ما لم يفعله السلف يحكم بتحريمه ولعل
قراءة الحزب بالدائرة اقرب الى ان ينكرها مما انكر هذا ذلك الفقيه من هذا لما اعتبر في ذلك
من تقطيع الحروف واختلاف الكلمات والقراء لا يقرأ الا على وجه مخصوص وليس في الصلاة

ابتح

التي ذكرنا مانع والله تعالى اعلم واما قيام المؤذنين بالليل للدعاء فقد نص عليه ابن الفرس والحكاية وكفانا مؤونة التكلم في
الفوائد وذكر فيه خلافا ولا دليل في حكاه واكتفى عن بعض بنقله عمل
ذلك ولو كان ذلك الكتاب بين يدي لنقلت لكم كلامه في هذه المسألة وينبغي ان ينكر من ذلك على
المؤذنين الذين يلحنون في ايات من القرآن يقرؤونها اذ الحد وقد يكون ذلك من
المعنى وقد يتأذون بسماع اصوات بعضهم بعضا من يجاورهم فلينظر في ذلك

وذكرتم في كتابكم جوابا لما كنت كتبت به اليكم وذكرتم فيه الفتور من جملته انه يعرض لكم فتور لا تعرفون له من
نفسكم فاذا ذكرتم انكم تعرفون امثالنا لعلكم تنوسمون فيه الصلاح ينجلي عنكم بعض الكرب وانكم ترددتم
في الوجهين وما الذي حمل في ذلك علة اولا وان الى ما دار العلة في الوجهين ثابتة لا مبهم لكم عنها اما
نظركم الى ما تعرفونه من نفسكم حتى يؤديكم ذلك الى الفتور فالعلة فيه كما عرف ليس موجب ذلك
وجود الغفلة منكم عن النظر الى فضل الله تعالى وكرمه وما اسداه اليكم من الهداية ونعمه مع انكم مضطرون
في صفة الفقراء لا تملكون لانفسكم من الهداية والرشد مثقال ذرة فالفتور لا وجه له وهو جهل
محض وهو من كبائر الذنوب التي عند مثل العلماء وغاية الامراء يغلب عليكم حال الخوف وذلك
وهي محمود موجب للحاجة الفوز واللقاء وبلوغ الرضوان للتفضيل مع حال الرجاء ومقام حسن
الظن بالله لمن قام وربا والله تعالى عند حسن ظن عبده كما ورد به الخبر فبهذا المعنى تنتفي العلة
في هذا الوجه ولا يكون لها وجود البتة الا على ما يرى خواطر المتصوفين بالتوصير والاخلاص وتغريم
ذلك لا يليق بالوقت واما الوجه الاخر وهو تركهم معرفة الصالحين لتنتفعوا بهم والانتفاع
بهم لا يعدو انه لا تقول وجه اما في الدنيا فبالارشاد والدعاء واما في الاخرة فبقيامه مقام
الشفعاء وهذا الوجه مما يغتر به كثير من الناس والعلة في ذلك موجودة لانكم اذا انكم تم تعيش
الصحية اليهم لا تجدونهم الا اشباحا واحجارا لا يملكون لانفسهم فضلا عن غيرهم ابراء او الاضرار
ولا نفعا ولا الم ارا فان سخر احدكم الى شيء من ذلك فهو مجرور بسلسلة في عنقه لا يستطيع
بها نزعا ولا للقدرة التي تجرله بها دفعا ولا ردها وان لم يسخر لذلك بقي على اصله من العجز
وعدم الحيلة ومن كان بهذه المثابة لا ينبغي للاحرار يعتمد عليه ولا يركن اليه بل يكون اعتماده
على الواحد القهار العزيز الجبار الذي كل من سواه بالنسبة الى جلاله في غاية الافتقار والفقر
والصغار والقلة والبوار فاذا افتح لك بابا اليه والانس لك نورا بقربه وتولى عليه
امدا بتوفيقه ابلاك الى معاملة عاملتهم بها الله عز وجل او محبة فزهدا في قلبك لهم وفرحت
على الكربات الاعظم ووصلت الى الملك الاكبر وانجلت عنك الوحشة وسر وقرب منها الشياطين

وإجبارا

والأولى السر كان ذلك أولا خيرا تبقى عليه وحصنا حصينا تلجأ إليه لأنك شاهدت وتعلم بك
ومعاملته تعالى فإذا وجدت هذا وهذا العشاق الفانين وسكرت من هذا المشروب الذي لا يشبهه جيد
خمر ولا نبيذ قلت ليس في الدنيا صالح ولا عارف إلا محب من عباده ولا فاجر ولا جاهل إلا من هو
منافر ومعاد فإذا محوت من شكل وتبينت من حقيقة أمره لاح لك أن عباده هم من الرسوم
لا يحصون عددا ولا معلوم وإن ما أتاه من قبله فالله سبحانه هو المتولي لتفصيله وجمله من
غير حول منه ولا منة ولا قوة بحيث يتقبل على مولاه وتعرض عنه وليس إلى أمر عنده بالذي يوجب
لك من قبله انقطاع منفعته بل ذلك مما يزيدها ويذكرها الآن قلبه يبرق إعمره عليه
وإن تعرف إليه لأنه يحتاج إلى القيام بالأدب ومن رعاية حق النسب عملا على مقتضى ما الشرع منه
طلب فإذا حصل لك فهم هذا المعنى في التعليم الذي هو آخر وجوه الانتفاع المذكورة فهمته أيضا
في الوجهين الباقيين فإنهما من كل أحد ولا تتعلق همته إلا بالواحد الأحد وكنت في معاملتك
للخلائق من أعيان حق الله فإنما بأمر الله متعلقا بالجميع ذلك إلى الله تعالى وكان بينا وله على فاعله
حجة لا اختلال فيها فإن تعذر أن يتعين على أحد منهم فلبك فإن القلب أسرع تقلبا من القدر
إذا استجمعت غليانا أحسنتما وردته الخير سلموا منك وسلمت منهم أما سلامتهم منك فلعدم
التباعات عليهم من قبلك لأنك لم تعاملهم وإنما عاملت ربك فيهم فمن كان البعث منهم ما أخذ
عليهم وأما سلامتك منهم فلبقاء ما حصل لك من الثواب على مراعاة حقهم للوعد وجل شأنه لما
هو موجود الذي يعتبر لاحتياطه ولم يعرض له بطلان وإن لم يتعلق لك عليه تغيير بل كان حسن ظنك بأفعاله
فلا تسأل عما أتاك له من الله تعالى من الخير الذي ليس له حصر ولا تقدير ويتم أثر ذلك أضعافا مضاعفة
بحسب ما يتم أثر من حسن الظن وجميل الاعتقاد فإنك في كلا الأمرين أمين في تغيير قلبه عليه وعدم
تغيره فليهنك سالم الغنائم كل ذلك ببركة تعلقكم بالله ولجائكم إليه وفقنا منكم عليه رزقنا الله من
ذلك ما رزق أولياءه بمنه وكرمه وهذا المعنى الذي ذكرته لكم الآن به تورث محبة دعوى بهذه الحال
لكي تسلم من الاعتلال إذ لا ينبغي أن يغفل عن النفس جميع ما أثر عنه حتى يتوثق منها بأنه عليه
ويترتب لها أن يحقق يقينه لأن النفس أسرع شيء إلى ذلك وأقوى ما عليه فإذا ادعى مدع
أنه معتمد على الله تعالى وقائم بحقه عليه ومخلص في معاملته له تخبر كلامه بنظرة إلى سواه فلا تمهله
هذه الدعوى حتى يجرب من نفسه مع كل من يعتقد ويلتمس منه البركة والمنفعة في معاملته له فإن
لم يتغير قلبه عليه بانقطاع منفعة على ما يوجب ذلك فحاله صحيح لأنه لا ينقطع بعطفه وعصمته بل
يعلم أنه مقهور في قبضة القدرة وكذلك إن تغير قلبه عليه لأنه لم يؤثر ذلك خللا في معاملته معه

بل يجري فيه مقصود الوجهين بحيث يحصل واحد الا، فانما تعليه لا يكون له شيء، وكذلك ان اشرف الملك الاكرم يقع
منه بسبب ذلك ما يحبكم سائف عمله مقصود بعمله من وقوع نزاهة او فقد بالاذاية للا، فالذي له لا
يسعه الا حفظه وصونه من الآفات والعاهات ليحصل في حصيلته يوم لا ينفعه الا الاعمال الصالحات
فاذا وقع منه شيء من هذا فهو كذاب في دعواه ان رغبته فيه وهو متخذ الاعمال في معاملته معه
مدخولة معلولة بحكم التغيير والهوى وما هذا صفته لا ينفع له فيه في الآخرة ولا فائدة وعسى ان يكون نافعا
له في دنياه الفانية الغابرة، فهذا ما ارتضاه اذكر لكم في بيان ما اشكل عليكم وترددتم فيه وذلك
امر بين فان اشكل عليكم شيء منه فخذوا فيه مع فلان حفظه الله فانه قد حصل له انس بكلامي وحرص
على تفهمه ومرامه والله تعالى المرجو لجميعنا الارشاد غير له ولا قوة لنا الا به. وما ذكرتم من الغشاوة
التي اعترتكم فلا اعلم لها سببا الا قلة الكتابة لاهل الفضل المحببين للدنيا المتكالبين عليها وعدم
اعتنائكم بحضور مجالس الذكر ومجالسة الذاكرين لله عز وجل المذكرين له بلسان حالهم ومقالهم
فهذا هو الذي اوجب ما ذكرتم من الغشاوة والحجاب وهو ان مدة ذلك بقطع اسبابه مع توكلكم على الله
ودوام تمسككم ببابه. وقد بلغني كتابكم وتعرفت منه انكم اجتمعتم مع بعض الناس وتذاكرتم في
الحجاز فذكر لكم انه ما يحمل الناس اليوم الا الهوى وطلبتم منا فيه ان اشرح لكم الهوى والعلة
التي تكون على الشام والذي افهم لكم ان الهوى له سلطنة عظيمة على الناس لاسيما في هذه الازمنة التي
قل الناس فيها الا من انتقل بهمته العلية من معرفة حقائق الدين ومراشدهم فلا اشك اشيرهم
في ذلك بعض من يتبعه ويتعمق، ولعل الذي قال لك ما يحمل الناس اليوم الا الهوى لم يحمله على هذا
الكلام الا الهوى والا فعله يكون مركبا، ولعلني في هذا الكلام ايضا لم يحملني عليه الا الهوى فلا فائدة كلاما
ان شئت ان تزداد وقد كنت كتبت للاخ محمد بن ادريس رحمه الله في السير الى الحجاز وما يحمد منه وما يذم
بالنسبة الى الاشخاص والاحوال ذكرت ذلك فيه وذكرت ايضا فيه شيئا مما طلبتم منا فيه من
امر الهوى وعلله وتشعبه وهو الان منسوخ عند اخي محمد السراج فان شئتم ان تطلعكم عليه فاطلعكم
فاذا اطلعتم عليه فانتفعوا به فان الوقت لم يتسع لتقرير ما هو اكثر من ذلك لانه كتبته في الوقت
الذي ورد علي كتابكم فيه وانا مجانب على ابله واما ما سألتم عنه من التشفع بالكواغد المكتوبة فيها
الاسماء المعظمة فقد كان سيدي الحاج يتجنب من ذلك وهو الفرق في الورع والتحفظ ولا شك انه بغير
مراده بالاسماء فيما كان من ذلك فيه قرآن او حديث من كلام النبوءة لا الذي لا من جهة كون المشعر
يخشى عليها الزبل لكنها بالقراءة او بنكسها كما ذكرتم لا، بمثل هذا الذي يقعدان يستسلم به اذا عمل عليه
غرض صحيح وتأسيا بما فعله عثمان بن عفان رضي الله عنه من تحريق المصاحف او تخريقها وانما يكون

ذلك بغيرها من الأدب من جهة كون المستغفر يجعل ذلك في جملة الوقاية والصون للكتاب الذي يستعمله
وإذا كانوا لم يجعلوا من الأدب أن يستروا القصعة بالخبز ويضعوا على الخبز شيئا من الإدام فالذي يؤكل به لكون
الخبز محترما كان الأولى أن لا يجعلوا من الأدب كون الكواغد المكتوبة فيها الأسماء المعظمة وقاية
وصونا لغيرها فلا إبهام في أن الأسماء أكثر من احترام الخبز فيما يظهر وإن كان الكل محترما وقد يستفاد ذلك
من الفضائل التي ذكروا في رفع الكواغد المكتوبة الحكم وحقه في الكم فافهم وقصة بشر بن الحارث الحافي
رضي الله عنه في ذلك معلومة ونقلي مثل الذي من الأدب أن يجعل ما اعتاده الناس من جعل رق مكتوب
فيها الأسماء وقاية لغيرها والجمع فيه كما يسمى بحيث فيه أو غير بحيث ولا يضر أن كتاب من الكتب
فيجعل وسادة للرأس أو يكون منزلا في موضع فيجعل عليه شيء من متاع البيت ونحو ذلك على مثل ما
أشبهه مما يكون الكتاب فيه آلة ووسيلة فمثل هذا من الحكم عندي في ذلك مع أني لست بفقيه ولا عالم
ولكني لما سألتني عن ذلك أجبتك بقدر والله الموفق لا رب غيره وما ذكرته من خفي هذا الكم بسبب
تفقيهكم في طاعة الله عز وجل فاعلم أن العارفين والمتصوفين من أهل الصفا من أهل البلاغة قد
سلموا من معرفة الجهالات وذلك أنهم عملوا على تصحيح التوحيد أول مرة باب التزهد عن ما سوى فقد
انتقلوا إلى ربهم بألسنتهم وقلوبهم في تحقيقه ثم هذا لا وجهوا على أن يستعملوا في هذا ثم جهل
استنكافا عنهم فلما علم ذلك منهم رحمهم بأن جعلهم لا يرون لأنفسهم حولا ولا قوة فيما يأتون
أو يذرون بل تولى حيلهم وكلأهم وتكفل بمصالحهم وكفايتهم لأنهم عشيرة الصالحين لحزبه وقد
قال تعالى أليس الله بكاف عبده وقال تعالى إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين
وقال تعالى فيما يروى عنه أنا عند كل عبد في يستقل عليهم الصعب ويسهل عليهم العسير وإن تحمنتهم
وقبتهم التعبير الحكيم وأحللهم في نعيم ومثلهم كمثل بلا تحزكون ولا يشكون الذبح ولا يعمرون إلا
علمه ولا يرجون منه إلا الذي يختشى كثيرهم ومثله معنى التي سبقت بها منزلة الأمة شأنها الأمم
وفي بعض الأحاديث النبوية أن الله تعالى أوحى إلى عيسى عليه السلام أني باعث بعدك أمة إن أصابهم
ما يحبون حمدوا وشكروا وإن أصابهم ما يكرهون احتسبوا وصبروا ولا حلم ولا علم فقال عيسى عليه السلام
يا رب وكيف يكون ذلك ولا علم ولا حلم فقال الله عز وجل أعطيهم من حلمي وعلمي وبمنزلة الخاصية
أيضا تحققت منزلة الملة المحمدية بالسماحة والسهولة ومن ثم كانت سهلة التناول قريبة
المرام فلا يشك أنها ما فيها من التكاليف الشاقة والتفصيل العام لا يكون إلا بمنزلة الحسا معرفة التي
ذكر فلهذا قال الله عز وجل وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين
من قبل وفي هذا وملته إنما هي الإسلام والتوحيد وقال نبينا صلى الله عليه وسلم بعثت بالحنيفية

السمحة

السمحة ومعنى ملة ابراهيم عليه السلام وقال بعض العارفين في معنى قوله صلى الله عليه وسلم
يسروا ولا تعسروا معناه دلوهم على الله ولا تدلوهم على غيره فإن من دلك على الدنيا فقد غشك
ومن دلك على الأعمال فقد أتعبك ومن دلك على الله فقد نصحك والمقصود من هذا أن تعلموا
أن هذه الطائفة المذكورة يقل الغلط فيهم من هذا الوجه الذي ذكرناه لغيبتهم عن شهود أنفسهم
ورؤية حولهم وقوتهم ولولا ذلك لم يكن لهم حال ولا مقام فإذا وقع ذلك منهم نادرا تداركوا
بالحفظ والكلاءة فيثبتوا في مقاماتهم ويقفوا على حدهم عناية من الله تعالى بهم وأما
أهل الكذب والدعوى فلا كلام معهم فقد علمتم مقدارهم أين وقع الغلط على هذه الطوائف وفي
هذا مقنع لمن تأمل ومن ذلك الإشارة الحالية العظيمة التي اختص بها عباد الله وخاصة أوليائه
فإذا علمتم ما فهمتم من الدين وأنها الوسيلة إلى القرب من رب العالمين وتشوقتم إلى أن ترتقوا
إلى هذه المقامات الكريمة وتنتظموا في سلك من أثاره الله هذا الملك العظيم فيستعملون ما قدرنا له
من السبيل الكريم إليها إلا بها كما قال بعضهم عرفت ربي بربي ولولا ربي ما عرفت ربي ويحكى أنه سئل
علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقيل له أعرفت الله بمحمد أو عرفت محمدا بالله فقال لو عرفت الله بمحمد
ما عبدته ولكان محمد أوثق في نفسي من الله ولكن الله عز وجل عرفني نفسه بنفسه فالذي أطلب لكم
أن تجعلوا المتوسل به والمتوسل إليه على وجه لا تفهم كيفيته العقول ولم تزالوا في ذلك تتباينوا ولا تغايروا
وقد كنتم جدتم بحال الصدق غاية الطالبين ونهاية رغبة الراغبين إذ لا يمكن التوسل إلا بموجود حاضر
قريب فإذا كان المطلوب موجودا عندكم وحاضرا معكم وقريبا منكم فماذا تطلبون من بعد وبماذا
تتوسلون فيه سواه وما مثلكم في ذلك إلا كمثل رجل بيده درة خطيرة لا يعرف ما قدرها بل يحسبها
في عداد الأحجار التي يعرفها بل لا شعور له بها وهو يشكو الفقر والضر ويتكفف الناس فبينما هو
كذلك إذ انكشف له حقيقة أمرها وأنه متمكن من أن ينال بها درجة الملك فلا تسأل عما هو فيه من
الغبطة والسرور والنعمة والحبور وليس العجب من السيارة حيث طلبوا الماء فوجدوا يوسف وإنما
العجب ممن أذنب طلب المغفرة فوجد الله قال الله تعالى ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد
الله غفورا رحيما وقد قربت لكم العبارة عن هذا الأمر لعلكم تفهمونه ولا يفهم الكشف عن أن تحيط به
عبارة أو تحمله إشارة ولكل شيء سبب قدر الله تعالى سببيته من غير حول من العبد ولا قوة فعسى
أن يكون ما عرفتكم به واعتقادكم أنه أحسن الإرشاد الذي طلبتموه وكتبتم إلي بما كتبتم به وجوابي لكم
على ذلك سببا في حصول مطلوبكم من غير حول منا ومنكم ولا قوة وستنشرون بهذه النكتة إخوانكم فلعلها
جارية هذا المجرى إن شاء الله أن يرزق عبده المؤمن الأمن حيث لا يعلم فيعيم العناء والتعب والكد والطلب

وعلى الفرح والتأسف والنزاهة والتلهف دون الله تريدون فما ظنكم برب العالمين اعلموا ان في
الله عوضا من كل فائت وخلفا من كل ذاهب بل فيه وجد الله فما فقد شيئا ومن فقده فما وجد شيئا
فعليكم معشر الفقراء التي بشر عليهما اهل ومنهم العارفون المحققون وكل تابع يكم من الوساوس والافكار
وما يحجبكم عن نيل المراد وفضاء الاذكار فاعلموا انه لما غاب عنكم من معرفة التحقيق فاذا ابتغى الاشد
عليكم في بيتهم ما ذكرناه واخذتم به انفسكم ان تكونوا عليه في مواردكم ومصادركم كانت عندكم عبادات
مستمرة وقربات مع بركة لا يتخللها فتور ولا ملل من غير تعب منكم ولا نصب وفزتم معشر الغنيمة
الباردة والتجارة الرابحة والمزيد الذي اوجبه الشكر الذي انعم به عليكم من فيض ينبوع الاشياء بالله
ومن الله فكونوا لكم اذا الماء وخشية واب وصاحب المسالة المذكورة فحمله على ان لا ينبغي الكلب
ولا الشيب يتخيم منه فان دام على التيقظ في مراقبة وصال الحق تعالى ينكشف له كل مغلاق وحصل على مرام
ينبغي في جنبه كل مرام فتلقوا ايها الاخ ما قلناه لكم بحسن القبول وتنزيله على كل معقول ومنقول
واعلموا ان العقل لا يدركه والنقل لا يفصح به بل هو من العلوم اللدنية التي اودعها الله تعالى في
غيابات القلوب وقد روي ان في بعض الكتب المنزلة على بعض انبياء بني اسرائيل لا تقولوا العلم في م
السماء من ينزل به ولا في الارض من يصعد به ولا في البحار من يعبر به العلم مجعول في صدوركم موضوع في انما
قلوبكم فنادة بواديه يريد بنادي الروحانيين وتخلقوا باخلاق النبيين الربانيين اظهر العلم من
قلوبكم على السنتكم حتى يعمكم ويغمركم فهذا ما اردنا ان نذكره لكم من بديع النكت والعود اليكم
ليكون اهلا لانتها يرجع اليه واساسا ينبني عليه والسلام .: كمل بحمد الله تعالى وقوته
والحمد لله على الابد ونعمته والصلاة والتسليم على سيدنا محمد خير بريته وعلى اخوانه وآله وصحابته
وسلم كثيرا انتهى والحمد لله حق حمده والصلاة والسلام على سيدنا محمد نبيه وعبده وآله وصحبه
وسلم تسليما كثيرا اثيرا اكثيرا مباركا فيه سرمدا ابدا

الحمد لله انتهى بحمد الله تعالى طبع الرسائل الكبرى والغنيمة التي تعز لمن حصلها ذخرا بتصحيح الفقير
الفقيه العالم الخطيب احمد بن محمد المهدي بن العباس ابن الطاهر البوعزاوي بن الله سامحه من الرعا وحفظ الاستكلا عنه
من غير ادعاء البراءة من التقصير والاضاعة تحقيقا الاكمال معجزة كتاب الله وتقرير احيف والولوكان من عند
غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا والله يصلح كلنا امورنا وبراكننا بمنه وفضله آمين على ذمة الشريف
الاجل الفقيه الانجب الامثل سيدي محمد بن يحيى عثمان التكناوتي بمطبعة المعلم الابر السيد العربي الازرق رحم
الله الجميع بمطبعة الحمود آمين في اواسط محرم الحرام فاتح عام 1320

ص